

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ



تأثيرات الحرب العالمية الثانية على الحركة الوطنية في دول المغرب العربي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل م د) في التاريخ تخصص الحركات الوطنية المغاربية

إشراف

أ.د. عبد القادر جيلالي بلوفة

إعداد الطالب

محمد زروقي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
علي العبيدي	أستاذ	جامعة تلمسان	رئيسا
عبد القادر جيلالي بلوفة	أستاذ	جامعة وهران/2	مشرفا ومقررا
عبد المجيد بوجلة	أستاذ	جامع تلمسان	عضوا
حياة ثابتي	أستاذة	جامعة تلمسان	عضوا
خيرة بوسعادة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة وهران/2	عضوا
زايد عزالدين	أستاذ محاضر "أ"	جامعة سيدي بلعباس	عضوا

السنة الجامعية: 1442 - 1443 هـ / 2020 - 2021 م



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد / تلمسان
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ



تأثيرات الحرب العالمية الثانية على الحركة الوطنية في دول المغرب العربي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل م د) في التاريخ تخصص الحركات الوطنية المغاربية

إشراف
أ.د. عبد القادر جيلالي بلوفة

إعداد الطالب
محمد زروقي

السنة الجامعية: 1442 - 1443 هـ / 2020 - 2021 م

الأطروحة

نسخة مصححة ومنقحة بعد المناقشة العلنية لها



﴿يُوفِعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

صدق الله العظيم

سورة المجادلة ، الآية: 11

أهداء

إلى ...

أرواح شهداء الثورتين الجزائرية والتونسية.

الوالدين العزيزين أطال الله في عمرهما .

أفراد عائلتي كبيرا وصغيرا.

الدكتورة بلتشين رتاج التي دعمتني وساعدتني خلال

مسيرتي البحثية وعائلتها الكريمة.

كل من قدم لي يد العون والمساعدة ولو بكلمة طيبة.

إليكم جميعا اهدي ثمرة جهد متواضع

الباحث

زروقي محمد

شكر وتقدير

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَوْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ سَخِرَاتٍ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾

سورة ابراهيم، الآية (7)

مصداقا للآية الكريمة أشكر الله عز وجل على نعمه التي لا تحصى ولا تعد، والذي بحمده تتم الصالحات. ولأن الاعتراف بالجميل من شيم كرام الرجال والامم ولما كان من شرف الاخلاق أن يتقدم المرء بالشكر والامتنان والعرفان لمن كانوا له عوناً في مسيرته. وتدفعني موجبات الشكر والعرفان أن أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور عبد القادر جيلالي بلوفة الذي أشرف على البحث من أوله إلى آخره، فقد أفاض من صبره اللامحدود وملاحظاته القيمة، مما كان له الأثر الكبير في انجاز البحث بهذه الصورة.

كما تشعب لدي نافلة الإكبار والتقدير إلى عدد من أساتذتي في قسم التاريخ / جامعة أبي بكر بلقايد، ابتداء بالسيد رئيس قسم التاريخ الأستاذ الدكتور مصطفى حجازي، الذي دائما يقف عونا في دعم ونشجيع الطلبة - على مختلف المستويات- ، كما اشكر الدكتور الطاهر بلقاسم، الذي لا أنسى بان له الفضل في توجيه اهتمامي نحو دراسة هذا الموضوع- وهو الذي اشرف على مذكري في مرحلة الماجستير- . وبقينا إن كل ما حفظته من كلمات الشكر والامتنان والثناء لا يمكن أن ترقى إلى إيفاء حق الأستاذ الدكتور علي العبيدي الذي أكرمني بملاحظاته القيمة ونصائحه وتوجيهاته. ولا يمكنني ان انسى ذلك الدعم والمساندة التي دمتها لي الدكتور بلتشين رباح، ولسان حالي هنا يقول: بارك الله فيكم جميعا، ودعائي لكم بموفور الصحة والعافية ، انه السميع المجيب.

كما أود ان اشكر كل الزملاء الذين وقفوا داعمين ومشجعين من اجل تجاوز المعوقات التي واجهت البحث، وخص بالذكر: بومديني محمد؛ رباح محمد؛ بن جارة بن داود .

وكذلك، اشكر جميع عمال المكتبات في الجزائر وتونس على مساعدتهم وجهدهم المميز في تذليل العقبات التي كانت تواجهني خلال عملية جمع المعلومات الخاصة بالبحث، اذ لولا جهودهم لما تمكنت من الوصول إلى بر الامان وانجاز البحث. ومن الله التوفيق.

قائمة المختصرات

جزء	ج
طبعة	ط
الترجمة	تر
العدد	ع
صفحة	ص
دون دار النشر	د.ن
مجلد	مج
دون تاريخ نشر	د.ت
دون مكان نشر	د.م

Liste des abréviations

1- Les abréviations techniques :

p	Page
T	Tome
Ed	Edition
S.d	Sans date

2- Les abréviations D'archives :

A.N.T	Les Archives Nationales de la Tunisie
I.S.H.M.N	Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National
M.A.E	Ministre des Affaire Etrangères
Q .O	Archives du d'Orsay (Ministère des Affaire Etranger)
B	Bobine
C	Carton
D	Dossier
S.D	Sous Dossier

R	Font de la Résidence (a Nantes)
A.N.O.M	Archives nationales d'outre-mer (aux en province France)
A.W.O	Archive de la Wilaya d'Oran
M.N	Série Mouvement National
GGA	Gouvernement général d'Algérie.
SLNA	Service de liaison avec l'Afrique du nord.
AML	Amis du manifeste et de la liberté.
J.O.R.F	Journal officiel
SHAT	Service historique de l'armée de terre.
AMM	Affaires militaires musulmanes
EM	Etat major de l'armée française.

مُقَدِّمَةٌ

مقدمة

ساهم الموقع الاستراتيجي للمغرب العربي الذي يشغل الضفة الجنوبية من البحر الأبيض المتوسط- والذي يعتبر حلقة وصل مع القارة الأوروبية- في تأثر دول المغرب العربي بما يحدث من نهضة حضارية أوروبية، لاسيما وأنها عايشت هذه الظاهرة منذ القرن السادس عشر، في حين انكسر خط تطور المغرب العربي الذي تخلف عن التطور الحاصل في الجهة المقابلة من البحر المتوسط، فبقي المغرب العربي يسير النهضة الأوروبية كملاحظ وليس كطرف فاعل، وخلال ثلاثة قرون ممتدة من القرن السادس عشر الميلادي إلى القرن التاسع عشر الميلادي لم تستطع أوروبا أن تدمجها ضمن منظومتها بسبب الاختلاف الحاصل بينهما في جميع نواحي الحياة. لكن مع حلول القرن التاسع عشر ميلادي تبلورت عدة أدبيات أوروبية اقتصادية واجتماعية وتاريخية لتحقيق الاندماج والتوسع الذي سيتحول مع التطور الحاصل إلى ظاهرة استعمارية عالمية.

اعتمدت القوى الأوروبية في تطبيق مشروعها الاستعماري بمنطقة المغرب العربي على ثلاثة مظاهر أساسية هي: الاقتصاد باعتباره مصدرا لتنشيط الإنتاج الرأسمالي وشرطا لتطوره، الدولة بالنسبة لمكانتها ضمن المشروع الاستعماري، المجتمع من حيث تراثه الحضاري وقيم أبنائه وحضارتهم، فتعرضت الجزائر للظاهرة الاستعمارية ما بين (1830- 1962) بعد توقيع الداي حسين على وثيقة الاستسلام في يوم 5 جوان 1830 التي نتج عنها مضاعفات عميقة بسبب طبيعة الاحتلال ومكانة الجزائر ضمن إستراتيجية الاحتلال الفرنسي في المغرب العربي، بعدها لجأت سلطات الاحتلال إلى استعمال كل وسائل العنف والاضطهاد واعتبر الجزائر جزء من الممتلكات الفرنسية وفق مرسوم 22 جويلية 1934، فجرد الجزائريون من حقوقهم السياسية وممتلكاتهم بتشجيع توطان الأوربيين.

أما تونس فخضعت للحماية الفرنسية ما بين (1881- 1956) بعد حشد فرنسا لجيوشها داخل التراب الجزائري ودخولها الأراضي التونسية يوم 24 أفريل 1881، وفرضت على باي تونس التوقيع على اتفاقية القصر السعيد (البارديو) 12 ماي 1881 التي لم تلغي النظام السياسي التونسي، لكن بمجرد أن استتبّت الأمور بتونس، سعت سلطات الحماية الفرنسية إلى إجبار الباي التوقيع على معاهدات واتفاقيات أخرى مكنتها من السيطرة الكاملة على البلاد وتحولت الحماية تدريجيا إلى سيطرة كاملة على تونس أهمها اتفاقيات المرمى في 8 جوان 1883 ولم يترك للبايات إلا سيادة رمزية.

أما المغرب الأقصى فخضع للحماية المزدوجة الفرنسية الإسبانية، بعد أن ضيقت الحكومة الفرنسية على السلطان المولى عبد الحفيظ مما جعله يوقع على معاهدة الحماية في 30 مارس 1912، بعدها جرت مفاوضات بين فرنسا وإسبانية وقعت بموجبها شمال

مقدمة

المغرب تحت الحماية الإسبانية وأتبع بمرسوم وقع عليه السلطان المولى يوسف في 4 ماي 1913 يقر بموجبه موافقته على الاتفاق الفرنسي الإسباني، وتميزت المنطقة الشمالية للمغرب عن الجنوبية بطابعها الجبلي وفقرها.

وتعرضت ليبيا للاحتلال الإيطالي سنة 1911 بعد أن كانت تحت حكم الدولة العثمانية، استخدم فيها الإيطاليون جميع الوسائل العسكرية لبسط سيطرتهم على بعد للقضاء على مقاومة الغزو الإيطالي، أما موريتانيا الواقعة في الجهة الجنوبية الشرقية فخضعت للحماية الفرنسية كل من مناطق الترازو عام 1903 والبراكنة عام 1904، وبحلول سنة 1905 بدأت عملية إخضاع العسكري عبر حملات في المناطق الداخلية كتكانات وتشيشت 1911.

انتهج الاستعمار الأوربي خلال فترة إخضاع دول المغرب العربي سياسة الإضعاف السياسي والاقتصادي والاجتماعي سعيا منه عرقلة دور حكام المغرب العربي في تسيير بلدانهم، ومارس سياسة اقتصادية واجتماعية قامت على استنزاف ثرواتها الطبيعية، واستهدفت الإنسان المغربي في هويته ومقوماته الشخصية.

لذلك شكل بداية القرن العشرين ميلادي مرحلة مهمة بالنسبة لشعوب المغرب العربي حاولت من خلاله تغيير أسلوب نضالها بالتحول من المقاومات الشعبية إلى أسلوب العمل السياسي، الذي امتد من نهاية الحرب العالمية الأولى 1919 إلى غاية اندلاع الحرب العالمية الثانية، أين شهدت الحركات الوطنية المغربية بروز وعي وطني، ساهمت في تكونه التحولات السياسية التي عرفتها الساحة الدولية، فاعتبرت الحرب العالمية الثانية نقطة تحول في طريقة تفكير قادة الحركة الوطنية خاصة بعد الحرب.

ضمن هذا السياق ومحاولة منا لدراسة مرحلة مهمة من التاريخ المغربي، وقع اختيارنا على موضوع البحث الموسوم ب:(تأثيرات الحرب العالمية الثانية على الحركة الوطنية في دول المغرب العربي). ومن خلال ما أشرنا له سابقا حول الاستعمارية الأوربية لدول المغرب العربي، حددنا الإطار الجغرافي لمنطقة المغرب العربي التي تضم كل من دول (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى، موريتانيا، ليبيا)، لكن نظرا لعدد الدول المغربية التي تضمها منطقة المغرب العربي واتساع الإطار الزمني المستهدف بالدراسة اضطررت لتقليص موضوع دراستي إلى دولتين مغاربتين (الجزائر وتونس)، فالمتعارف عليه أن منطقة المغرب العربي خلال الحرب العالمية الثانية كانت مسرحا لعدة أحداث مهمة، فقد شكلت أراضيها ساحة لمعارك بين الدول المتحاربة، مما أثر على نشاط الحركة الوطنية في القطار المغربية أثناء الحرب

مقدمة

وبعدها، كل هذه الدوافع جعلتني أحصر دراستي في المجالين المشار لهما سابقا، محاولا تقليص المجال الجغرافي وتجنب البحث في المواضيع العامة التي ستفرض علينا معالجة الموضوع بطريقة سطحية، وتبعثني عن التعمق في دراسة الموضوع.

سنحاول من خلال الدراسة التطرق لأهم الأحداث التي عرفت الجزائر وتونس خلال الحرب العالمية الثانية، والإشارة لتأثيراتها على الحركة الوطنية الجزائرية والتونسية أثناء الحرب وبعدها، بالإضافة لمساهمة كلا الشعبين في الصراع العالمي من خلال التجنيد وما سلط عليهما من دعاية خارجية من دول المحور والحلفاء، كما سنحاول التطرق لأهم المراحل التي مرت بها الحركة الوطنية في الدولتين خاصة في ظل اختلاف السياسة الاستعمارية المطبقة، فأثناء الحرب عرفت الجزائر وتونس سيطرة نظام حكومة فيشي الموالية للألمان وبعد سيطرة الحلفاء على منطقة شمال إفريقيا تولت حكومة فرنسا الحرة الحكم، أما بعد الحرب فستعرف الحركة الوطنية في الدولتين تحولات عميقة في نشاطها السياسي نتيجة تراكم التجارب السياسية أثناء الحرب العالمية الثانية ومساهمة التطورات على الساحة الدولية في إحداث تغييرات على النشاط الوطني.

أسباب اختيار الموضوع:

وقع اختيارنا للموضوع، كحاجة علمية أستكمل بها حلقة هامة في المشهد التاريخي المغربي ويمكن إضافة دوافع أخرى، وهي:

1. محاولة معرفة تأثيرات الحرب العالمية الثانية على الحركة الوطنية في الجزائر وتونس أثناء وبعد الحرب، وكيف واجه الشعبين الجزائري والتونسي سياسة القهر والاضطهاد السياسي الذي مارسته السلطات الاستعمارية الفرنسية، من خلال محافظة الشعبين على مقوماتهما وهويتهم.
2. إبراز التجارب السياسية التي مرت بها الحركتين الوطنيتين في الجزائرية التونسية خلال الحرب العالمية الثانية وما نتج عنها من تطور في طريقة التفكير عند الوطنيين الجزائريين والتونسيين خاصة بعد المشاركة في الحرب وما سلط عليهما من دعاية متضاربة من الأطراف المتحاربة.
3. التعريف بدور أعلام النضال الوطني الجزائري والتونسي خلال مساهمهم النضالي من أجل التحرر والاستقلال، وعملهم المستمر في سبيل توحيد الصف المغربي لمقاومة المحتل الفرنسي أمثال صالح بن يوسف، الحبيب بورقيبة، المنصف باي، مصالي الحاج، فرحات عباس، الشيخ البشير الإبراهيمي وغيرهم.

مقدمة

4. دراسة انعكاسات السياسة الاستعمارية على الجزائر وتونس رغم الاختلاف في طبيعة الاستعمار، الذي ظهر في شكل سيطرة عسكرية ونشجيع على الاستيطان الأوربي في الجزائر، وفرض الحماية على تونس.
5. أما الأسباب الذاتية التي دعيتي لاختيار الموضوع فهو تقاربه مع مذكرة الماستر التي أنجزتها وشغفي العلمي في دراسة مرحلة مهمة من تاريخ الجزائر وتونس التي كان لها تأثير مهم على منطقة المغرب العربي.

إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية موضوع الدراسة حول محاولة فهم حقيقة تأثيرات الحرب العالمية الثانية على مسار الحركتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية سياسيا وعسكريا اثناء وبعد الحرب، وسنحاول التركيز على سرد الوقائع التاريخية وتحليلها حتى يتسنى الإجابة على الإشكالية الأساسية التي تعالج موضوع الدراسة: هل تأثرت الحركة الوطنية في الجزائر وتونس بالحرب العالمية الثانية؟. وخلصنا إلى طرح جملة من التساؤلات سعيا لتوضيح أكثر لمختلف مراحل الدراسة التي جاءت كما يلي:

- ما أوضاع الحركة الوطنية في الجزائر وتونس قبل الحرب العالمية الثانية؟.
- هل استفادت الحركة الوطنية في الجزائر و تونس من مجريات الحرب العالمية الثانية؟.
- إلى أي مدى كان للسياسة الاستعمارية الفرنسية المرتبطة بظروف الحرب تأثير على الحياة السياسية والعمل المسلح الوطني في الجزائر وتونس؟.
- هل ساهمت الحرب العالمية الثانية في ظهور النضال المغربي المشترك؟.

حدود الدراسة:

إن المرحلة الزمنية التي تناولتها هذه الدراسة تنحصر ما بين (1939 – 1962) بالنسبة لتأثير الحرب العالمية الثانية على نشاط الحركة الوطنية الجزائرية وما بين (1939-1956) بالنسبة للحركة الوطنية التونسية.

طرائق البحث:

وفيما يخص طرائق كتابة البحث التي اعتمدها في البحث، فقد اعتمدنا طرائق عدة، اقتضتها طبيعة القضايا التي تناولناه في البحث، إذ كانت الطريقة الوصفية في مقدمة ما يحتاجه الباحث في الكتابة التاريخية، كما حاولنا توظيف الطريقة الإحصائية قدر الإمكان، فضلا عن توظيفنا الطريقة التحليلية كلما اقتضت ضرورة الكتابة .

الدراسات السابقة:

هناك دراسات سابقة مشابهة لدراستنا في بعض الجزئيات، وكانت أهميتها تكمن في كونها فتحت أمامنا آفاق لفهم الآليات التي مكنتنا من فهم العديد من الجزئيات الغامضة، نذكر منها:

1. فاطمة الزمراء آيت بلقاسم تحت عنوان (الحرب العالمية الثانية وتأثيراتها على الحركات الوطنية المغاربية الجزائر والمغرب الأقصى أنموذجين-دراسة مقارنة-) التي بدورها ركزت على قطرين مغاربيين في دراستها (الجزائر، المغرب الأقصى).

وهناك بعض الدراسات التي حصرت موضوعها في مجال جغرافي معين وحيز زمني معين نذكر:

1. عنان عامر تحت عنوان (شمال إفريقيا خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945))
2. عز الدين زايدي تحت عنوان (نزول قوات الحلفاء وأثره على منطقة شمال إفريقيا)

وكذلك هنالك عدة دراسات باللغة الفرنسية تناولت الموضوع من زوايا مختلفة نذكر منها: مؤلف للكاتب الفرنسي (Christine Levisse Touzé) والتي جاء حملت العنوان الآتي: (L'Afrique du nord dans la guerre 1939-1945).

على العموم، لقد استفدنا من الدراسات السابقة لارتباطها بموضوعنا من جوانب عديدة منها: المادة العلمية التي لم نجد لها في مصادر ومراجع أخرى، كما أعطتنا صورة واضحة عن التسلسل الزمني للأحداث المرتبطة بدراستنا، كما عزز إطلاعنا عليها وسائل التحكم في وضع الإطار العام للدراسة وأساليب التحكم في المادة المتوفرة.

عرض محتوى البحث:

قسمنا هذا البحث إلى مقدمة ومدخل وخمسة فصول وفضلا عن الخاتمة بالإضافة إلى ملاحق ذات الصلة بموضوع البحث وأخيرا قائمة متنوعة من المصادر والمراجع. وفضلنا أن يكون المدخل الذي يحمل عنوان (الوضع السياسي في الجزائر وتونس قبل الحرب العالمية الثانية) تقديمًا للموضوع، ورأينا أنسب ما يمهّد له التحدث عن أوضاع الحركة الوطنية التونسية والجزائرية قبل الحرب العالمية الثانية وقسمنا ذلك على مبحثين، الأول حمل عنوان (وضع الحركة الوطنية الجزائرية قبيل الحرب). فيما ركز المبحث

مقدمة

الثاني على دراسة أوضاع الحركة الوطنية التونسية قبيل الحرب العالمية الثانية، وحمل عنوان (وضع الحركة الوطنية التونسية قبل الحرب العالمية الثانية)

فيما يعالج الفصل الأول: (الحرب العالمية الثانية و تأثيراتها على الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1945) الذي قسمناه الى مبحثين، حيث تطرق المبحث الأول إلى تطور عملية التجنيد في الجزائر قبل وبعد الحرب ودور تجنيد الجزائريين في ترسيخ الوعي الوطني التحرري، أما المبحث الثاني فحاولنا خلاله دراسة أساليب الدعاية المتضاربة المسلطة على الجزائر من دول المحور والحلفاء، وفي العنصر الثالث حاولت دراسة النشاط السياسي في الجزائر في ظل حكم فيشي (1940-1942) من خلال نشاط كل من حزب الشعب الجزائري السري وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين والنواب الجزائريين و الحزب الشيوعي الجزائري، أما العنصر الرابع فخصصته لمسار الحركة الوطنية الجزائرية بعد الإنزال الأنجلو- سكسوني على سواحل الجزائر (1942-1945).

فيما تناول الفصل الثاني: تأثيرات الحرب العالمية الثانية على الحركة الوطنية التونسية (1939-1945) مباحث الأول عالج تطور عملية التجنيد في تونس و مساهمته في نشر الوعي الوطني، أما المبحث الثاني فيعالج أساليب الدعاية المتضاربة على تونس من طرف دول المحور و الحلفاء و تأثيرها على الحركة الوطنية التونسية، المبحث الثالث يعالج نشاط الحركة الوطنية التونسية أثناء حكومة فيشي (1940-1943) ركزنا خلالها على نشاط الحزب الدستوري القديم و الدستور الجديد و الحزب الشيوعي التونسي و تولي المنصف باي عرش تونس و علاقته بالحركة الوطنية التونسية. وفي المبحث الرابع عالجنا نشاط الحركة الوطنية التونسية بعد تغير مجريات الحرب في تونس لصالح الحلفاء (1943-1945) من خلال الإشارة إلى أهم الأحداث العسكرية التي عرفتها تونس بين الألمان و دول الحلفاء، ثم تطرقنا لنشاط الحركة الوطنية التونسية في ظل تواجد قوات الحلفاء و خلع المنصف باي من منصبه الذي ترتب عنه ظهور الحركة المنصفية و بروز للعمل النقابي المستقل و مواقف للحزب الشيوعي من الصراع العالمي و النشاط الوطني التونسي.

أما الفصل الثالث: (مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال 1945-1962)، والذي قسمناه إلى مبحثين، اذ عالج المبحث الأول (العمل السياسي الجزائري في ظل المتغيرات الجديدة (1945-1954)) عالج تحولات العمل الوطني الجزائري بعد الحرب العالمية الثانية حتى اندلاع الثورة الجزائرية من الناحية السياسية و العسكرية، و في المبحث الثاني (ظهور العمل المسلح و تطوره (1947-1962)) فقد ركز هذا المبحث على تتبع تطورات الأحداث في اطار العمل الوطني، ولاسيما بعد احداث 8 ماي 1945، وكيف ان الشباب من مناضلي الحركة الوطنية الجزائرية بدءوا

مقدمة

تحركاتهم من اجل التحول من النضال السياسي الى العمل السياسي ، والذي توج باعلان ثورة الأول من نوفمبر عام 1954.

في حين تناول الفصل الرابع (تطور النشاط الوطني التونسي من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال 1945-1955)، وفرضت علينا طبيعة الموضوع ان نقسم الفصل الى مبحثين، تناول المبحث الأول (المتغيرات السياسية في تونس بعد الحرب العالمية الثانية (1945-1952)) وجرى التركيز من خلال هذا المبحث على دراسة المتغيرات السياسية التي شهدتها تونس خلال السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، وإظهار كيف تطور الأحداث نحو المواجهة مع سلطات الحماية ، والتي مهدت للعمل المسلح الهادف إلى الاستقلال. اما المبحث الثاني (انطلاق العمل المسلح وتطوره (1952-1956)) والذي افرده لدراسة انطلاق العمل المسلح ضد الوجود الفرنسي، والعمل على إجبار الفرنسيين بالاعتراف بحق الشعب التونسي في الحرية والاستقلال، وهذا ما أدى الى اندلاع الثورة المسلحة ضدهم.

وخرجنا في خاتمة البحث بجملة من النتائج التي توصلنا لها من خلال دراسة الموضوع، محاولين الإجابة على مختلف التساؤلات المطروحة سابقا، من خلال تتبع مختلف مراحل نشاط الحركة الوطنية التونسية والجزائرية خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها .

نقد وتحليل المصادر والمراجع:

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة التاريخية على بيبليوغرافية متنوعة ، وبتنوعها تنوعت الاستفادة منها، فمنها ما كان فائده مباشرة وكبيرة، ومنها ما كان العنوان فقط، وهذه البيبليوغرافية شملت: مصادر أرشيفية، مصادر مطبوعة، مراجع ومقالات، أعداد من جرائد تخدم الفترة المدروسة والاطروحات والرسائل الجامعية. وفي هذه المناسبة كان لا بد لي من تسليط الضوء على عدد منها لأهميتها والفائدة التي قدمتها للعمل. ونذكر منها:

- الوثائق الأرشيفية:

تشكل الوثائق الأرشيفية حيزا مهما يعتمد عليها الباحثون والدارسون والمؤرخون في البحث عن المعلومة التاريخية الدقيقة، ومحاولة توظيفها توظيفا سليما ضمن مجال أبحاثهم ومشاريعهم البحثية. وعليه، فإن الوثائق هي إحدى المصادر التاريخية المهمة لأي باحث أو دارس للتاريخ، وتزداد أهمية الوثيقة الأرشيفية إذا ما اندرجت ضمن مجموعة من الوثائق في موضوع واحد، أو مرحلة تاريخية معينة، أو في مجال محدد، ومن هنا، اجتهدنا

مقدمة

كثيرا في الوصول إلى القدرة الكافي من الوثائق الارشيفية التي تفيد البحث، وتمكننا بوسائل عدة من الوصول إلى :

1. الأرشيف الوطني لما وراء البحار (aux Archives nationales d'outre-mer province France): اذ استطعنا من الحصول على بعض الوثائق المرتبطة بتاريخ الجزائر المتعلقة بتاريخ الفترة التي نحن بصدد دراستها.

2. أرشيف ولاية وهران (Archive de la Wilaya d'Oran): حيث تمكننا من الاطلاع على بعض العلب الارشيفية التي تحتوي على تقارير وتعليمات تناولت دعاية الحلفاء والمحور وبعض نشاطات الحركة الوطنية الجزائرية.

3. الأرشيف الوطني التونسي (Les Archives Nationales de la Tunisie): والذي مقره في العاصمة التونسية، حيث تمكننا بمساعدة عماله من الاطلاع على الكثير من العلب، والتي تنوعت موضوعاتها ، مثل: الأنشطة الدعائية التي قامت بها فرنسا في مواجهة أعدائها أثناء الحرب العالمية الثانية، فضلا نشاط الحركة الوطنية التونسية خلال الحرب وما بعدها.

4. أرشيف المركز الوطني للحركة الوطنية التونسية (Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National): والذي مقره في العاصمة تونس، وتمكنت من خلال زيارتي له من الاطلاع على أشرطة مصورة لعلب أرشيف من الأرشيف الوطني لما وراء البحار الفرنسي الموجود في (اكس بروفانس)، وساعدتني كثير في فهم جوانب من موضوع الدراسة.

- المذكرات الشخصية:

يتخوف الكثير من الدارسين والباحثين في التعامل مع المذكرات الشخصية، مع انها مصدر تاريخي مهم، وذلك كون المذكرات الشخصية تكون مكتوبة بشكل وجهة نظر خاصة بعيدا عن الحيادية أحيانا، اذ انها تأخذ في بعض الحالات انتقاميه ضد خصوم كاتب هذه المذكرات، وقد تكون محاولة لنيل من سمعة منافسيه، الا ان الباحث الأكاديمي المتدرب تدريباً جيداً يستطيع من خلال قراءة المذكرات الشخصية قراءة متأنية ان يأخذ المادة العلمية منها بعيدا عن الخلاف الشخصي لكاتب هذه المذكرات خصومه، وأهمية المذكرات الشخصية تظهر لقررها من الحدث التاريخي. أن الباحث الذي يحاول ان يكتب عن حقبة معينة في جانب سياسي معين دون أن يبحث عن مذكرات شخصية كتبت من قبل أشخاص قد شاركوا في هذه الأحداث اعتبرها من وجهة نظري الشخصية خسارة للباحث نفسه والطامة الكبرى إذا كانت المذكرات منشورة ولم يستخدمها في بحثه مما يجعله يخسر

مقدمة

مصدرا مهما قد يضيف لبحثه أهمية ويصل إلى وجهة نظر مغايرة لما كتبه. ومن هنا اعتمدنا في البحث على عدد من المذكرات الشخصية عاصر أصحابها المرحلة المراد دراستها، نذكر منها:

1. مذكرة احمد توفيق المدني المعنونة: (حياة كفاحي) التي استفدنا منها في معالجة نشاط جمعية العلماء المسلمين خلال مراحلها النضالية.
 2. مذكرات رشيد إدريس المعنونة: (في طريق الجمهورية) التي اعتمدنا عليها في التأكد من بعض المعلومات خاصة عند وجود تضارب في المعلومات ،
 3. مذكرات الرئيس علي كافي الموسومة: (من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962)، والتي تضمنت حقائق تاريخية مهمة من تاريخ النضال الوطني الجزائري لكونه عنصر فاعل عمل النشاط السياسي والعسكري بعد الحرب العالمية الثانية،
 4. مذكرات (Sliman Ben Sliman) المعنونة (Souvenirs politique) التي عالجت مسيرته السياسية وساعدتني في الوصول إلى حقائق تاريخية كانت مغيبة في مصادر أخرى،
 5. مذكرة الجنرال ديغول التي جاءت تحت عنوان: *Mémoire du guerre le salut* (1944-1946) التي تناولت مرحلة مهمة من تاريخ العالم خاصة العمليات العسكرية التي عرفتها الجزائر وتونس خلال الحرب العالمية الثانية .
- الجرائد:

قدمت لنا الجرائد مادة تاريخية مهمة أغنت البحث في العديد من جوانبه، فهي تمتلك القدرة على رصد الأحداث بشكل مباشر ودقيق، ومن هنا فهي مهمة وعلى علاقة مباشرة بموضوع الدراسة، خاصة التي عملت على نقل أخبار الحركة الوطنية في الجزائر وتونس إلى الرأي العام المحلي والعالمي منها ما هو ناطق باللغة العربية او باللغة الفرنسية، ونذكر منها: جريدة الارادة وجريدة الزمراء وجريد المنار، وهي جرائد حزبية مرتبطة بالعمل الوطني لكل من الأحزاب: الدستوري القديم، الدستوري الجديد، حركة انتصار للحريات الديمقراطية. ومن الجرائد الاجنبية نذكر: (L'Echa D'Oran)، (La Dépêche Tunisienne)، (L'Echa D'Alger) التي تطرقت لبعض الأحداث التاريخية المحلية المرتبطة بالعمل السياسي في العمالات الثلاثة .

- الكتب:

الكتب - بشقيها المصادر والمراجع - مهمة وضرورية في كتابة البحث التاريخي، لأنها: "تمثل وعاء فكري تجمع وتلسق المعلومات بصورة جديدة ومختلفة. ولها أهمية كبيرة لما تحتويه من معلومات وبيانات توصل اليها باحثون سابقون، وتفيد الباحث في معالجة مشكلة البحث التي يقوم بدراستها"¹، وعليه، فهي ضرورية ولا يمكن الاستغناء عنها في مراحل كتابة البحث، لأن الاطلاع على ما كتب عن نفس الموضوع أو قريبة منه بشكل مباشر أو غير مباشر، لان الاطلاع على ما كتب في أي موضوع تاريخي هو من مستلزمات البحث التاريخي للاسترشاد بما كتب ونقده والاهتداء به، وكذلك للاستفادة بما تذكره تلك المؤلفات من المراجع والمصادر الخاصة بالموضوع. ومن هنا، اعتمدنا على عدد لا بأس به من الكتب في أغناء مضمون البحث،

ومن الكتب العربية التي اعتمدنا عليها في كتابة البحث- وهي كثيرة ومتنوعة ومهمة أيضا- اخص بالذكر:

1. كتاب الدكتور أبو القاسم سعد الله (رحمه الله) تحت عنوان: (الحركة الوطنية الجزائرية) بجزئه الثالث، الذي قدم لنا معلومات غزيرة عن جوانب عدة لنشاط الحركة الوطنية الجزائرية.
2. كتاب فرحات عباس الموسوم: (الجزائر من المستعمرة إلى الإقليم (الشباب الجزائري))، وهذا الكتاب له من الأهمية كون مؤلفه هو فاعل أساسي في تاريخ الحركة الوطنية، فكلنا يعلم من ان فرحات عباس ساهم مساهمة فعالة في تطور مسيرة الحركة الوطنية الجزائرية، وليس هذا الكتاب لوحده يعكس هذه التجربة الطويلة، وانما هناك عدد اخر من مؤلفاته التي تناولت سفر النضال الوطني الجزائري ابالن الاحتلال الفرنسي.
3. كتاب عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون تحت عنوان: (الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1936-1945))، وهو مصدر مهم وضروري عند دراسة تاريخ الحركة الوطنية في الجزائر، لكونه من العناصر التي شاركت في جل الاحداث التي شهدتها الجزائر خلال فترة الدراسة، وهو ما جعلني اعتمد عليه بشكل كبير.

1. علي العبيدي ونعيمة طيب بوجمعة، اعداد المؤرخ واليات الكتابة التاريخية، ط1، بغداد، مكتب رضا التميمي للطباعة، 2018، ص 123.

مقدمة

4. كتاب سعيد المستيري المعنون: (المنصف باي الحكم والمنفى)، والذي وضعه مؤلفه باللغة الفرنسية إلا أن المترجم هشام القروي قام بترجمته إلى اللغة العربية نظراً لأهمية الكتاب وعلاقته المباشر بتاريخ الحركة الوطنية التونسية.

أما الكتب باللغة الفرنسية، فقد اعتمدنا على العديد من المصادر والمراجع، والتي تنوعت في أهميتها وقيمتها، واذكر منها:

1. Khaled Ahmed, Document secrets du 2^{ème} bureau – Tunisie .
2. Charles Mast, Histoire d'une Rébellion (Alger : 8 Novembre 1942) .
3. Jean Quellien, La Seconde Guerre mondiale (1939-1945) .

- الرسائل والأطروحات الجامعية:

الرسائل الجامعية والأطروحات هي البحوث التي يتقدم بها طلبة الدراسات العليا للحصول على الإجازات العلمية وهي تكون تحت إشراف أستاذ متخصص وتخضع للمناقشة من قبل هيئة علمية. ومفروض في مثل هذه الرسائل أن تدل على أصالة صاحبها وعلى حجم الجهد العلمي المبذول. وهي تشكل فئة هامة من المصادر التي تعنى الباحثين في موضوعاتهم علا اعتباراً أن الرسائل تتناول في العادة موضوعات لم يسبق بحثها أو دراستها على مستوى أكاديمي جاد ومن ثم فهي تعد إضافة حقيقية للمعرفة وجهداً علمياً أصيلاً¹. وكثير هي البحوث التي تناولت موضوعنا، وقد استفدنا كثيراً منها في الإجابة على بعض التساؤلات التي كانت تتبلور خلال عملية الكتاب، ومنها نذكر:

1. أطروحة الدكتوراه للباحث محمد سعيد عقيب المعنونة: (الحزب الدستوري التونسي القديم (1934-1956))، والتي تناولت نشاط الحزب الدستوري القديم بمختلف الاتجاهات، إذ استطاع الباحث من جمع مادة علمية جيدة مكنته من أن يتطرق إلى مختلف الجزئيات التي تستحق الدراسة والتحليل.
2. أطروحة الدكتوراه للباحث شايب قدارة بعنوان: (الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعب الجزائري (1934-1954): دراسة مقارنة)، وهي من الدراسة الأولى التي افدتنا كثيراً في البحث، فهي تناولت نشاط الحزب الدستوري التونسي و الشعب الجزائري- وكلا الحزبان من الحركة الوطنية في

الجزائر وتونس- ولكونها كانت دراسة مقارنة فانها مكنتنا من استكشاف أوجه التقارب والاختلاف بينهما،

3. موسي ليلي التي جاءت تحت عنوان: (عمل الحزب الدستوري في خضم الدعاية الألمانية: إفريقيا الفتاة مثلا (1 - 6 1943)) وهي من البحوث الأكاديمية التي ساعدتني في التعرف على اساليب الدعاية وتأثيرها على نشاطات الحزب الدستوري في تونس.

4. (المغرب العربي و الحرب الع
ني
1939-1945) الجزائر و تونس أنموذجين) والتي جرى مناقشتها في قسم
/ 2 فهي كانت أكثر من ضرورة في تغطية العديد من
الجوانب التي تخص البحث، لاسيما وان الباحث استطاع من الوصول الى العديد
الإ
الإ

5. اطروحة الدكتوراه للباحث : (شمال إفريقيا خلال الحرب
1939-1945)) التي قدمت الى
/ 5

الإنسانية والاجتماعية في جامعة الجزائر 2 وجرى مناقشتها في عام 2017
ذا قيمة وفائدة كبيرة للبحث، وان لم تستخدم بشكل كبير، الا ان الباحث تمكن
من تتبع الكثير من الأ التي تخص الحرب العالمية الثانية، وذلك على اعتبار
دراسته على فترة الحرب وحددها بمنطقة)
(، وهذا كان عاملا مفيدا لنا في فهم العديد من التفاصيل التي كان لابد
من الاطلاع عليها.

6. الدكتوراه للباحث عز الدين زايدي التي جاء ب :
لح أثره على منطقة شمال إفريقيا) ، والتي جرى مناقشتها في قسم التاريخ/
جامعة الجيلالي ليايس. اذ قدمت لنا الكثير من التفسيرات والتوضيحات المهمة
التي كانت تدور في أبي التي تتعلق بما حدث من تطورات عسكرية
وسياسية فيما يخص الحلفاء في منطقة شمال افريقيا وانعكاسات على
توجهات نشاط الحركة الوطنية في الجزائر على وجه التحديد.

الدوريات تعني بها: " الدوريات العلمية المتخصصة في الدراسات التاريخية. وتعتبر من
المعلومات الأولية. وترجع أهميتها إلى اشتغالها على المقالات والبحوث التي تقدم
معلومات وأفكار أكثر حداثة من تلك التي توجد في الكتب عن أي موضوع"¹. يز الدوريات

1. علي العبيدي ونعيمة طيب بوجمعة، المرجع السابق، ص 123.

عن غيرها من مصادر المعلومات الأخرى من السهل ضبطها ببيولوجيا محتواها من خلال الكشافات ونشر المستخلصات. ومن التي اعتمد عليها البحث، نذكر وفق ما استخدم من مقالات فيها، نذكر:

1. مقال الدكتور العجيلي التليبي، المعنون (المصالح الألمانية ومصير الرعايا الألمان في بلدان المغرب العربي أثناء الحرب العالمية الأولى) مقال منشور في مجلة في عددها الرابع لسنة 1998.
2. مقال كل من: بوجلال ليلي و ثيو نورالدين : (النقابي في الحزب الدستوري التونسي الجديد (الوجه الآخر للكفاح التحرري)) وهو مقال منشور في مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، في عددها رقم (20) الصادر في شهر 2018. وهو واحد من المقالات الهامة التي اعتمد عليها البحث، لاسيما وأنه ركز على النضال النقابي الذي قامت به عناصر الحزب الدستوري الجديد.
3. مقال الدكتور شلي محمد الحبيب (موقف الحزب الحر الدستوري التونسي من المحور والحلفاء) ائل من الشيخ الأمن الحسيني إلى عبد العزيز الثعالبي)) والذي نشر في المجلة التاريخية المغربية، 22/21 1981. وهو مقال مهم بالنسبة للبحث على اعتبار يتناول جزئية هامة في

هـ الصعوبات التي واجهتنا أثناء مسيرتنا البحثية فيمكن القول أنها، عقبات تواجه أي باحث أكاديمي، فمهما كان نوعها فهي جزء من حياة الباحث الساعي لبلوغ مراده، ويمكن أن نذكر بعض هذه العقبات التي واجهتني أثناء جمع المادة العلمية المتعلقة بموضوع : الأحة، أهمها:

: عدم التمكن من الاطلاع على بعض الملفات الأرشيفية المهمة المرتبطة بالدراسة في مركز الأرشيف الوطني مع تقديم حجج واهية.
عدم السماح لي بالحصول على بعض علب أرشيف ولاية وهران خاصة التي لها علاقة بنشاط قادة الحركة الوطنية الجزائرية (مصالي الحاج، فرحات عباس) العلب التي لها علاقة بالتاريخ المحلي لبعض مناطق عمالة وهران بحجة أن محتواها يمس بأشخاص .

: حجم المادة العلمية المرتبطة بالموضوع أفرزت لي عن صعوبة في التعامل معها، خصوصا مع تضارب المعلومات حول عدة أحداث تاريخية مرتبطة . وفي الكثير من الأوقات تثنى عزيمة وتبعدي عن البحث نهائيا في بعض الحالات، لولا تشجيع وتحفيز الأستاذ الدكتور عبد القادر جيلالي بلوفة كما لي خير داعم لي، فهو بالصراة المعهودة عليه والتوجيه المباشر كانا يضعاني في المسار الصحيح.

برا لقد حاولت قدر المستطاع تخرج هذه الرسالة على وجه أفضل مما هي عليه ولكن الكمال لله سبحانه وتعالى وحده وهو غاية لا تدرك . وأن الجهد الذي بين أيديكم لا يخلو من الزلات والهنات، وقد حاولت جهد الإمكان تجنبها والتخلص منها، وان المناقشة هي التي تعدل وتقوم هذه الأمور والأخطاء من قارئ الأطروحة ومتصفحها أن يغفر لباحثها هذه الهفوات راجي من الله أن يسدد خطانا ويبارك لنا في جهدنا المتواضع خدمة . فأتوجه بالحمد والثناء إلى الله تعالى على عظيم فضله ومنه التوفيق والسداد . واختم حديثي، بقوله تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم (الرتلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك القرآن وإن كنت من قبله لمنقرضين) صدق الله العظيم وكفى.

محمد زروقي

في: 21 2021

1. سورة يوسف، الآيات: 1-3.

مدخل

الوضع السياسي في الجزائر وتونس قبل الحرب العالمية الثانية

المبحث الأول: وضع الحركة الوطنية الجزائرية قبيل الحرب
المبحث الثاني: احوال الحركة الوطنية التونسية قبيل الحرب

شهد دول المغرب العربي خاصة (الجزائر، تونس) مع مطلع القرن العشرين بروز نشاط سياسي اجتماعي وثقافي ظهر في شكل جمعيات، نوادي ثقافية، أحزاب سياسية، مما ساهم في ظهور تحولات نقلت النضال الوطني من مرحلة العمل المسلح إلى العمل السياسي. مع العلم أن المقاومة المسلحة انطلقت مباشرة مع تعرض الأقطار المغاربية للاستعمار، حيث احتلت فرنسا كلا من الجزائر 5 جولية 1830، وفرضت الحماية على تونس في 12 ماي 1881¹. ونتيجة عدم جدوى قوة السلاح بسبب التفاوت في القدرات العسكرية بين المستعمر والمقاومة المسلحة وفقدان القدرة على المواجهة اضطر التونسيون والجزائريون للتحول إلى العمل السياسي الوطني أو النضال بالطرق السلمية².

ولم يكن التوجه للعمل السياسي الوطني بسبب عدم القدرة على المواجهة المسلحة فحسب، بل اشتركت عوامل عديدة ارتبطت بسياسة الاحتلال من إلغاء الحقوق الوطنية فضلا عن السيطرة والاستحواذ على الأراضي والإمكانيات الاقتصادية. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل مارست عدوانا قوميا وحضاريا استهدف الإنسان في حد ذاته من خلال التقتيل والنفي والتشريد ونشجيع الاستيطان ومحاولة القضاء على لغته ودينه وقيمه وتقاليدته، مما انعكس على الشعوب المغاربية فقرا، حرمانا وأنهاكها المقاومة ضد المحتل، إضافة إلى ظروف المرحلة في كل بلد على حدا، فمثلا كان لتأخر فرض الحماية على تونس و الوصاية على المغرب مقارنة بالجزائر دور في منحهما فرصة الإصلاح في فترة ما قبل الحماية وطبيعة الاحتلال في كل قطر من الأقطار، جميع هذه العوامل دفعت قادة الحركة الوطنية في دول المغرب العربي التوجه للعمل السياسي، كوسيلة كفاح قانونية في نظر المحتل³.

ويمكننا القول كذلك أن دول المغرب العربي خلال هذه الفترة لم تكن بمعزل عن بعضها البعض، لأن الحركات الوطنية سواء المسلحة أو السياسية فيها لم تكن حالة منفردة في الفكر وبرامج الكفاح أو في الأهداف المعلنة بل كانت مترابطة متضامنة متعاونة على طريق الحرية، بالرغم من ظروف الاستعمار المختلفة فالجزائر كانت تعتبر في نظر فرنسا مقاطعة فرنسية عكس تونس التي كانت تربطها بفرنسا معاهدة الحماية⁴.

1. عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر (الجزائر وتونس والمغرب وليبيا)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014، ص 193 – 194.

2. امحمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مدوع، بيروت، 1993، ص 183-184.

3. علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط6، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003، ص 13-14.

4. من الذين كتبوا وأشاروا إلى الترابط بين الكفاح الوطني في الأقطار المغاربية الثلاثة (تونس – الجزائر – المغرب الأقصى): علال الفاسي المصدر السابق، ص 14؛

لقد فرضت الظاهرة الاستعمارية على دول المغرب العربي (الجزائر، تونس) بسبب عوامل متعددة شجعت الدول الأوروبية على التوسع، ومنها نذكر: تطور قوى الإنتاج الرأسمالي، حاجتها الماسة إلى المواد الأولية لدعم اقتصادياتها المتنامية، بالإضافة إلى تأخر دول المغرب العربي عن ركب وسيرة محيطه المتوسطي¹.

تحتل المنطقة مكانة استراتيجية في الخريطة الطبيعية والجيو - استراتيجية للعالم، وقد أطلق على منطقة المغرب العربي كلمة غرب استنادا إلى امتداد المنطقة من المحيط الأطلسي غربا إلى حدود ليبيا شرقا ومن البحر المتوسط شمالا إلى صحاري منطقة الساحل في الجنوب وتضم كل من دول (ليبيا والمغرب الأقصى وتونس وموريتانيا)². وجغرافيا تقسم منطقة المغرب العربي³ إلى جزئين متباينين طبيعيا الجزء الشمالي المطل على البحر المتوسط ويحتل مساحة تقدر بحوالي 76500 كلم²، والجزء الجنوبي الذي يمثل جزءا من الصحراء الكبرى أو ما يطلق عليه بالصحراء المغاربية وتقدر مساحتها بحوالي 2052000 كلم²، يفصل بين المنطقتين سلسلة الأطلس الصحراوي الممتدة من المغرب الأقصى إلى غاية قفصة بتونس⁴.

يمتد المغرب العربي من الشرق إلى الغرب على مسافة 2400 كلم مطلة على البحر المتوسط وبين دائرتي عرض 29° و 37° شمالا. تشكل التضاريس والمناخ والغطاء النباتي⁵ عناصر جغرافية يمكن من خلالها التمييز بين المناطق الساحلية ومناطقه السهلية:

Ageron Charles Robert, *Histoire de l'Algérie contemporaine 1871-1954*, t2, PUF, Paris, 1979. ; Ageron Charles Robert, *politiques coloniales au Maghreb*, collection Hier, PUF, Paris 1972. Julien Charles André, *L'Afrique du Nord en marche : nationalisme musulmans et souveraineté française*, 3e éditions, Julliard éditions, Paris, 1972.

1. امحمد مالكي، المرجع السابق، ص 86-87.

2. Amin Samir, *Le Maghreb moderne*, éditions de minuit, Paris, 1970, p 9.

3. أطلق الاستعمار الفرنسي تسمية شمال إفريقيا الفرنسية على أقطار المغرب العربي الثلاثة (الجزائر- تونس-المغرب الأقصى) وذلك حتى يقوم بعزلها عن محيطها العربي. لكون المؤرخين العرب أطلقوا لفض المغرب على المناطق الواقعة غرب مصر وقد رسم الوجود العثماني أربعة كيانات (الجزائر - المغرب الأقصى - تونس - ليبيا)، إلا أن مصطلح المغرب العربي خلال مرحلة الكفاح إلى الاستقلال شمل فقط ثلاث دول (الجزائر - تونس - المغرب الأقصى) بسبب خضوعها للاستعمار الفرنسي أما ليبيا فكانت خاضعة للاستعمار الإيطالي وهي تسمية كانت تناقل على السنة الوطنيين في المغرب العربي. أنظر: عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغربية والإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج1، ط1، السبيل للنشر، الجزائر، 2009، ص12.

4. Amin Samir, op- cit, p.10.

5. عز الدين زايدي، نزول قوات الحلفاء وأثره على شمال إفريقيا، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2015، ص 6.

- تغطي المنطقة الشمالية من الجزائر سلسلة الأطلس التلي والسهول الساحلية مثل سهل وهران وسهول منطقة شلف والمتيجة وعنابة بينما في اتجاه الغرب نجد سلسلة جبال الظهرة والونشريس وتسالة وهذه الجبال هي أقل ارتفاعا من سلسلة الجبال الشرقية والتي تتشكل من مرتفعات جرجرة والبيبان والبابور التي يصل علوها إلى 2308م، بالاتجاه جنوبا نجد مجموعة سلسلة جبال الأطلس الصحراوي الممتدة من الغرب إلى الشرق تضم مرتفعات القصور وجبال عمور وأولاد نايل والحضنة¹.

- أما تونس التي تتميز بانخفاض معدل الارتفاع بها مقارنة بالجزائر والمغرب، فتتميز بتلاحم مرتفعات الأطلس التلي مع الأطلس الصحراوي وأعلى قمة بها موجودة في جبل "الشعاني" على ارتفاع 1590 كلم تتخللها مناطق سهلية ساحلية وداخلية ومنطقة صحراوية في الجنوب².

نظرا للمجال الجغرافي الكبير والإطار الزمني الواسع لموضوع دراستنا توجب علينا تقليصها إلى دولتين (الجزائر - تونس) وذلك حتى يكون بحثنا أكثر عمقا مثلما أشرنا له في المقدمة، وتعد كل من (الجزائر-تونس) مجالين جغرافيين تقعان في الشمال الإفريقي خاضعا للسيطرة الفرنسية.

ضمن هذا السياق وبعد التعريف بمصطلح المغرب العربي في إطاره التاريخي وتحديد العناصر الجغرافية (التضاريس) مع تحديد المجال الجغرافي الذي سوف نخصه بالدراسة (الجزائر- تونس)، سنمر إلى دراسة أوضاع الحركة الوطنية في (الجزائر - تونس) خلال الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية ولو بصفة مختصرة سعيا لتوضيح الأحداث التي تحيط بموضوعنا ولربطها مع بعضها البعض حتى يتسنى للقارئ الإلمام بالموضوع من جميع جوانبه³.

1. جون فرانسوا تراون، المغرب العربي الإنسان والمجال، تر: على التومي وآخرون، دط، دار العرب الإسلامي، بيروت، دت، ص 43-44.

2. المرجع نفسه، ص 46.

3. المرجع نفسه، ص 43-44.

المبحث الأول: وضع الحركة الوطنية الجزائرية قبل اندلاع الحرب:

اعتمدت فرنسا منذ احتلالها للجزائر على سياسة واضحة المعالم ارتكزت على طمس هوية الشعب الجزائري وقيمه الروحية التي عرف بها قبل سنة 1830، فشجعت الاستيطان الأوروبي وسنت قوانين تخدم مصالحهم. كما عملت على فكرة صهر المجتمع الجزائري في الوسط الأوروبي غير أن هذه المخططات لم تكن سوى وسائل لترسيخ فكرة الجزائر مقاطعة فرنسية أو ما أطلق عليه اسم "الجزائر الفرنسية"¹.

أمام هذه السياسة الفرنسية، واجه الجزائريون الاحتلال ومخططاته بوسائل متنوعة بداية بالمقاومة المسلحة التي بدأت منذ دخول فرنسا إلى مطلع القرن العشرين وظهور بوادر الانفراج في علاقة الجزائريين مع الفرنسيين بعد الحرب العالمية الأولى وإقرار قانون 1919² الذي كانت تعتبره فرنسا مكافئة في نظرها لما قدمه الجزائريين في الحرب العالمية الأولى، لكن القانون لم يغير في وضع الجزائريين بل كما قال فرحات عباس: "بقينا رعايا من أهل الذمة"³. والملاحظ هنا، ان هذه الإصلاحات شكلت أسلوبا اعتادت عليه فرنسا للمناورة كلما حلت بها أزمة هددت كيانها، فتلجأ إلى أساليبها الماكرة للتحايل على الشعب الجزائري.

وعلى الرغم من ذلك شكل عقد العشرينات مرحلة مهمة في تاريخ الجزائر، نظرا للتغيرات التي مست الجزائريين السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، فنتج عن إصلاحات 1919 ظهور ثلاثة اتجاهات سياسية (المحافظين - الليبراليين-الإصلاحيين)⁴. التي شكلت

1. هناك كتابات عديدة اشارة إلى الأساليب الفرنسية المعتمدة في فصل الشعب الجزائري عن هويته لأكثر شروحات أنظر:

Jean-Pierre , Peyroulou et autre , histoire de l'Algérie à la période coloniale (1830-1962) , éditions Barzakh , Alger , 2012 , pp 218-219; Benjamin, Stora , Algérie (Histoire contemporaine « 1830-1988 ») , Casbah éditions, Alger , 2004, p 28-29.

2. قام جورج كليمنصو رئيس وزراء فرنسا بإصدار قانون 4 فيفري 1919 الذي تضمن إصلاحات نذكر منها: إلغاء القوانين الأهلية؛ والسماح بالتصويت لبعض المسلمين كبار الفلاحين والتجار وحاملي الأوسمة؛ وكذلك السماح لبعض الجزائريين بالترشح لبعض المناصب الإدارية. التفاصيل ينظر:

Claud, Collot et Henry, Jean Robert, Le mouvement nationale algérien texte (1912-1954), 2 EME Edition, O P U, Alger, 1981. P 18-19 .

3. أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 53.

4. إن الفكرة الشائعة حسب المؤرخ ابو القاسم سعد الله ان الأحزاب السياسية الجزائرية باستثناء نجم شمال إفريقيا لم ظهر إلا خلال الثلاثينات، فإن المؤرخين الفرنسيين أمثال أوغستين بيرنار (Augustine Berner) تحدث عن وجود الأحزاب السياسية في الجزائر بعد سنة 1919 مباشرة: الحزب المحافظ (العائلات الأرستقراطية او العمامم القديمة بني وي وي) - الحزب الليبرالي (جماعة

رغم الاختلاف في توجهاتها المرحلة الأولى لظهور الوعي الوطني السياسي، وستعرف فترة نهاية
بداية الثلاثينيات تطورات سياسية هامة تمثلت أساسا في نمو التيار الوطني
ظهور الأحزاب الوطنية (المنتخبين المسلمين الجزائريين
الجزائريين، الحزب الشيوعي الجزائري إفريقيا ثم حزب الشعب الجزائري)¹.
إن دراسة مراحل تطور الحركة الوطنية الجزائرية يظهر مدى ارتباط جميع الأطوار
، ما يحتم عليها عدم الالتزام بالإطار الزمني والتطرق للمراحل الأولى لظهور
النشاط السياسي في الجزائر سعيا لربط الأحداث التاريخية ، بداية هناك آراء متعددة
للمؤرخين حول انطلاق العمل السياسي في الجزائر فبينما يرى الدكتور أبو القاسم سعد
، أن العمل السياسي في الجزائر بدأ منذ دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر فقد جاء في
(الحركة الوطنية الجزائرية) الجزء الثاني ما يلي: "خلق هؤلاء الجزائريين حزب
المقاومة وعارضوا الإحتلال الفرنسي تحت شعار القومية". تزعم الحركة القومية الجزائرية
حمدان خوجة الذي كان له تواصل
لكن تطور مطالبها دفع إدارة الإحتلال لطرد حمدان خوجة من الجزائر².
أما محمد الطيب العلوي فذهب من خلال كتابه (مظاهر المقاومة الجزائرية
1830-1954) إلى نفس الرأي وكتب ما يلي: "أول من استعمل الال السياسي كشخص
سقطت مدينة الجزائر في يد الفرنسيين، وبعد أن انتهت حكومة الداوي حسين هو
". (أي محمد الطيب العلوي) في
الحرب العالمية الأولى فترة مهمة في نضوج الفكر الوطني بعد أن أدرك الجزائريون ه
عصرية كالصحافة وتأسيس النوادي والجمعيات، وتواصلوا مع الخارج
بعد مشاركتهم في الحرب العالمية الأولى، وقد بين الدور الكبير للأمير خالد الجزائري³ في

النخبة الاندماجية) - الحزب الوطني الإسلامي () : أبو القاسم، سعدالله، الحركة
الوطنية الجزائرية (1930-1900) 2 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، 306-307.
1. مقالتي، المرجع 134-135
2. 27-28.
3. الأمير خالد: ه. خالد الهاشمي بن الحاج عبد القادر، ولد بدمشق في 20 1875 حيث قضى شبابه
هناك مع والده إلى الجزائر 1892 بعدها سافر إلى فرنسا لإكمال تعليمه ثم التحق بكلية
ير لحد عاد بعدها للجزائر، وتم الفرنسيين أن له أفكار معادية لفرنسا
الإقامة الجبرية في أدى الخدمة العسكرية سنة 1907، بدأ نشاطه السياسي مع بداية
الحرب العالمية الأولى التي أكسبته خبرة

Mahfoud Kaddache, L'Amire Khaled (Documents et témoignages pour l'étude
du nationalisme Algérien), éd office de publication universitaires, Alger, 1994, p
50.

البداية الفعلية للنضال السياسي بعد قطيعة معه شايها مرحلة فاصلة شهدت مقاوم مسلحة ضد الإحتلال الفرنسي¹. ه ما أكده المؤرخ الفرنسي بنجامين ستورا (Benjamain Stor) في كتابه (Algérie histoire contemporaine 1830-) (1988) أشار لدور الحرب العالمية الأولى في خلق فئة من الجزائريين متأثرة بما يحدث حولها في العالم كمثال على ذلك ظهور الحزب الشيوعي الفرنسي ودعمه لحزب نجم شمال إفريقيا في نضاله².

كما تحدث مصالي الحاج³ في مذكراته عن مد تأثر الجزائريين في تلمسان بثورة ورة الأمير عبد الكريم الخطابي. هذا يشير إلى تأثر الجزائريين بالثورات الخارجية وشغفهم بالتغيير وتحسين أوضاعهم، مصالي الحاج أنه مع مطلع بنيات بدأت ملامح نضج سياسي قائلاً: "ففي الجزائر كان الأمير خالد حفيد الأمير عبد ، بطل الجزائر الكبير يشغل مقدمة المشهد السياسي ... في قسنطينة بدأت بوادر تيار إصلاحي ترسم كان يقودها منتخبون كنت أجهل أسمائهم ... وفي بداية 1922 بدأ الكلام هنا وهناك في تلمسان عن الشيوعيين وك كة بلشفية تنطق"⁴.

الملاحظ مما ورد في مذكر مصالي الحاج وجود إرماصات نبعت من تأثر الجزائريين هو واقع في العالم بداية بحركة تركيا الفتاة وحركة الأمير الإصلاحي في قسنطينة وهو إشارة لبداية توجه الجزائريين للنضال السياسي، هذا لا يجعلنا ننفي دور حمدان خوجة السياسي ولكن مصالي الحاج أشار لمراحل بروز النضال السياسي من خلال الفترة التي عاصرها.

1. مظاهر المقاومة الجزائرية (1830-1954) 3 ه الجزائر 1985 94-93

2. Benjamain Stor, op-cit, p 74-75

3. مصالي الحاج: ولد في مدينة تلمسان بتاريخ 16 1898م من عائلة فقيرة تعمل في الفلاحة والده صالي والدته فاطمة ساري علي حاج الدين في السابعة من عمره أدخله أبوه المدرسة التعليمية الفرنسية رغم أن والدته كانت ترغب في تعليمه اللغة العربية والقرآن الكريم ، عمل ميصالي حلاقاً فحذاء في فيانعا في إحدى الدكاكين ، في 1918 أدى الخدمة العسكرية ، شارك في الحرب العالمية الأولى ، ثم عاد إلى الوطن ، قام بالسفر إلى باريس عام 1923م شارك في عقد المؤتمر الإسلامي 1936م أعتقل ميصالي سنة 1937م ونفي إلى برازيل عام 1946م ، بعد أن أسس حزبه " الشعب الجزائري " الذي كان يعرف سابقا نجم شمال إفريقيا عاد إلى الجزائر في أكتوبر 1946م توفي في 03 1974 : . : أحمد، الخطيب، 118-124.

4. مذكرات مصالي الحاج (1898-1938) : محمد المعراجي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية 2007 106 - 107.

لكن بعض الكتاب الفرنسيين أمثال جوسي ألان فورلو (José-Alain Fralon) كلود كلوت (Claude Collot et Jean Robert Henry) بر مطلع القرن العشرين هي بداية ظهور الحركة الوطنية الجزائرية وإن أشاروا لدور ((Georges Clemenceau¹ في فتح مجال العمل السياسي بالجزائر، كما ذهب شارل روبر أجرون إلى اعتبار مطلع العشرينيات هي البداية الفعلية لظهور الحركة².

نلاحظ وجود اختلافا في الآ بين المؤرخين وهي مجرد اجتهادات شخصية أو اختلاف بين المدارس (الفرنسية والجزائرية) وقد حاول كل كاتب التعبير عن قناعاته من من الدلائل معتمدين على الظروف الداخلية ولخارجية التي كانت تحيط بالجزائر شخصي الفعلية لظهور النشاط السياسي العلني بدأ مع مطلع العشرينيات من القرن العشرين لتوفر تبلور العمل الحزبي في لـج .

عموما ساهمت ظروف عديدة في بروز مجال العمل السياسي في الجزائر أبرزها الحرب العالمية الأولى لما جلبته معها من مواقف وقوانين فظهرت شخصيات ساهمت في وضع قاعدة للعمل السياسي³، كالأمر خالد الذي أسس رفقة زملائه (مود ، زمير ، ويوسف حميدة) جمعية الأخوة الجزائرية التي أتبعها بإصدار جريدة الإقدام طالبت الجمعية بجملة من الإصلاحات لصالح الشعب الجزائري، فساهمت في بعث أفكارها

1. ك : رجل دولة فرنسي، 1841 مولبرو أومبارغرب فرنسا. درس الطب في لـج ثم تخلى عمه ليتقل للعمل في الصحافة منصب وزير الداخلية 1906 دافع عن في 1919 ترأس مؤتمر الصلح بباريس، ك معارضي أفكار الرئيس الأمريكي وودر ويلسون، بعد ها إعتزل السياسة في 24 بر 1929. : موسوعة المعرفة (شخ -) 2، دار النهضة العربية، بيروت، 1987. 113.

2. للمزيد من التفاصيل حول الموضوع :

José- Alain Fralon et Jacques Chevallier, L'homme qui voulait empêcher la guerre d'Algérie, Casba éditions, Alger, 2012, p. 29-30 ; Claud, Collot et Henry, Jean Robert, op – cit, p 18-19.

شارل رو بير بر تاريخ الجزائر : عيسى 1 : بيروت - : 1982 129-130.

3. شكلت الحرب العالمية الثانية عاملا مهما في خروج الحركة الوطنية من العزلة متأثرة بصدى الثورة ومبادئ الرئيس الأمريكي ولسن توماس ودروف (Thomas Woodroof Wilson) لمئات الجزائريين المشاركة فيها والعمل في المصانع فأتاح لهم الاحتكاك بمجتمعات شخ : أبو القاسم سعد : 41-42.

بصورة فعالة في بناء و تكوين شخصية سيكون لها دور في إيقاظ الشعور الوطني و ظهور تحمل نفس الأهداف ولو اختلفت اتجاهاتها.

فشهدت الفترة الممتدة من بداية العشرينات الى نهاية الثلاثينات ظهور عدة تيارات سياسية تنوعت بين الاستقلالي والإصلاحي والاندماحي ناضلت بمختلف الوسائل من أجل حقوق الجزائريين فتنوعت وسائل عملها بين العمل السياسي، التعليم، ترا ، محاربة كما دافع البعض الآخر عن فكرة اندماج المجتمع الجزائري بالمجتمع نسي.

بداية بحزب نجم شمال إفريقيا الذي يعتبره بعض المؤرخين بمثابة ميلاد للاتجاه وري الاستقلالي في المغرب العربي، ضم في صفوفه المهاجرين من تونس المغرب الأقصى الجزائر في فرنسا، قاد الحزب الزعيم مصالي الحاج، اختلفت الكتابات التاريخية حول تاريخ تأسيسه فحصرته بين سنتي (1924-1928). إذ حدد شارل أندري جوليان ميلاده في 1926 بدعم من الحزب الشيوعي الفرنسي وإشراف الحاج علي عبد القادر¹. وكان هدفه الدفاع عن المصالح المادية لمسلمي شمال إفريقيا. أما شارل روبير أجبرو يشير إلى أن مصالي تولى قيادة الحركة ابتداء من سنة 1927 وتأسيسه الفعلي ه 1924 وأن الأمير اعين لتأسيس هذه لح المناضل بانون أكلي² أكد أن بداية الحزب كان في 16 1926³.

ويشير الكاتب الفرنسي هنري بنزيت " Henry Benazet " في L'Afrique Française en Dange أن تأسيس الحزب كان سنة 1928 بدعم من الحاج علي عبد القادر الذي كان مناضلا في الحزب الشيوعي الفرنسي ومجموعته مصالي الحاج فتسلم قيادة الحركة وأعاد إصدار جريدة الإقدام (Ikdam/L) التي أسسها الأمير خالد، تفاديا للتشابه

1. الحاج علي عبد القادر: ولد في 23 ديسمبر 1883 ببني غدوا (ينسب الى ولاية سيدي العربي ، عمل في معسكر عند تاجر خردوات ولم يبلغ سن 18 هاجر إلى فرنسا و شارك في الحرب العالمية الأولى ، استقر في فرنسا و اصبحت تاجرا ، انخرط في صفوف الحزب الشيوعي الذي رشحه في الانتخابات التشريعية : 1924 ، نشط وسط العمال الجزائريين في فرنسا ، اتصل بالأمير خالد 1924 ، ساهم في تأسيس حزب نجم شمال إفريقيا سنة 1926 بفرنسا و ظل يشرف عليه الى 1933 اين انسحب منه و اصبحت مصالي الحاج رئيسا له ، توفي في سنة 1957 . . . : لخد : 115.

2. بانون أكلي: ولد في سطيف في 27 1889 لم يتلقى تعليما لا باللغة العربية : إلى فرنسا في مصنع للذخيرة الحربية ثم السكر شارك في تأسيس النجم وعين في اللجنة المركزية وتولى امان 1940 بتهمة المساس بأمن سلطة بيتان حيث تنقل بين سجون ألمانيا وفرنسا إلى الا : أحمد الخطيب، المرجع 137.

3. أحمد محساس، الحركة الثورية في الجزائر (الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، تر: الحاج 1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2002، 63.

ولفت أنظار السلطات الفرنسية غير اسمها عدة مرات من الإقدام الباريسي (L'Ikdam de Paris) إلى الإقدام الشمال : (L'Ikdam Nord-Africain)¹.

إنه رغم الاختلافات في الآراء حول تاريخ تأسيس الحزب، يمكن التأكيد أن فكرة تأسيس الحزب بدأت بين سنتي (1924-1926) بين طبقات العمال المغرب العربي في : لعبت السلطة المعنوية للأمير خالد دورا هاما في إنضاج معيّننا لجدول المكون لأعضاء اللجنة المركزية يتضح مدى تأثير الشيوعيين في الحزب البارز لهم في المساعدة في تأسيسه².

لكن قادة الحزب الوطنيين بذلوا جهودا كبيرة في توسيع نشاط الحزب، وفصل نشاطه عن الحزب الشيوعي الفرنسي ليتفرغ لخدمة قضيته المركزية. شكل اتساع الحاضنة الشعبية للحزب قلقا للإدارة الفرنسية فقامت بحله سنة 1929، مما حتم عليه الظهور تحت إسم جديد " نجم شمال إفريقيا " نظرا للبرنامج الذي قدمه سنة 1933 الذي حدد فيه مفهوم الاستقلال بشكل واضح و شروعه في نشر خلاياه السرية في الجزائر و³ : مشاركته، في تنظيم العديد، من التظاهرات، الاحتجاجات تعرض إلى ملاحظات

السلطات الفرنسية مرة أخرى فأعتقل مصالي الحاج ، بلقاسم راجف و عليهم بستة اشهر وتم حل النجم من جديد لكن مناضلي الحزب استمروا في نشاطهم اسسوا في فيفري 1935 " الا ماد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا "، فبرز نشاط الحزب جديد خاصة بعد وصول الجبهة الشعبية وإطلاق صراح المعتقلين السياسيين، كما شكل الخطاب الذي القاه مصالي الحاج في الملعب البلدي دورا بارزا في زيادة تغلغل أفكاره هذا الوضع لم تستوعبه الجبهة الشعبية فسارعت لحله في 27 1937 من اتساع نفوذه في الجزائر وليستمر نشاط الحزب بعدها تحت إسم أحباب الأمة لمدة شهر ونصف⁴.

لكن أمام المضايقات التي تعرض لها قادة التيار الاستقلالي، أشرف كل من مصالي الحزب عبد الله الفيلاي على تجهيز الوثائق الإدارية لإنشاء حزب سياسي جديد تحت إسم (الجزائري)، تم تقديمها إلى الحزب في 11 1937 أصدر جريدتين جديدتين (البرلمان الجزائري) (الجزائري)، شرع بعدها مصالي

1. Henry Benazet, L'Afrique Française en Dange, Librairie Arthème Fayrd, paris, 1947, p 34

2. تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1919-1939) 1 : 260-259 2011

3. آفاق مغاربية المسيرة الوطنية وأحداث 8 1945 1. منشورات 26-25

4. Henry Benazet, op-cit, p. 34-35.

الحاج في زيارة للجزائر لكسب التأييد الشعبي ونقل نشاطه إليها، فكان له ذلك في شهر
بر 1938 له فروع في وهران وقسنطينة وباقي المدن¹.

أمام توسع نفوذ حزب الشعب داخل الجزائر، ومواقفه المعارضة لتجنيد
لجنة رين في الحرب العالمية الثانية، إضافة لانخراط بعض عناصره في تنظيم "لجنة
العمل الثوري لشمال إفريقيا" الموالي لدول المحور الفرنسية لحله 26
سبتمبر 1939 كما منها أنه غير قابل للمساومة سجنته قادته على رأسهم مصالي الحاج في
4 ب 1939 صادرت جريدته بتهمة المساس بأمن البلاد والاتصال بالألمان².

أما التيار الإصلاحى فقد نشط في البداية كنادي أطلق عليه نادي الترفى ثم تطور
مع مطلع الثلاثينيات إلى جمعية العلماء المسلمين التي تأسست في 1 ماي 1931 والتي تبنت
استراتيجية لمواجهة الاستعمار الفرنسي قائمة على تغيير عقليات الناس وهذا بالضرورة
ؤدى إلى تغيير محيطهم الاجتماعى، لقد أدرك الشيخ عبد الحميد بن باديس (1889-
1940)³ أن الشعب الجزائري يواجه قوة كبيرة لا يستطيع أن يقاومها بالمعارك الحربية
، بل يجب أن تهيأ الأمة من جديد عبر إعادة تكوينها الثقافى والقومى
والالتوضى، قضية علمية تصحح انحرافات المجتمع وتزيل تناقضاته⁴، وانطلاقا من ذلك كان
اهتمامهم منصبا على الإصلاح الدينى والثقافى وفي هذا المجال رسمت الجمعية لنفسها
برنامجا قائما على ما يلى⁵:

- الاعتماد على جانب التربية والتعليم وتشديد المدارس الحرة.

- تأسيس الجمعيات الخيرية وتقديم الخدمات الاجتماعية.

1. Stora Benjamain, Messali Hadj (Pionnier de nationalisme Algérien (1898-1974),
L'Harmatta collection histoire et perspective méditerranéennes Paris, 1986,
p181.

2. Ibid, p183.

3. عبد الحميد بن باديس: ولد عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس في أسرة قسنطينة
مشهورة بالعلم أثرى وكان يفتخر بجدده أدخله والده في صغره الكتاب لتعليم القرآن فأتم حفظه في
13 عمره، وفي 1908 م سافر إلى تونس لمتابعة تعليمه في جامع الزيتونة، وفي
1913م عاد إلى قسنطينة واشتغل بالتدريس سافر بعد ذلك إلى الحجاز مرورا بتونس سنة 1931
وأعتبر من بين مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، توفي في 16 ب 1940
: لـ 306.

4. رابح تربي لعامة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية 1931-1956 1
الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2000 15.

5. لي المؤتمر الإسلامى الجزائرى، ط1 دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر 2007 37.

- إصدار العديد من الوسائل الدعائية الصحفية كجريدة " " " " " "

- تأسيس النوادي الثقافية والتكفل بالحركة الشبابية مثل الحركة الطلابية والحركة الكشفية الإسلامية.

إن أهم عمل سياسي قامت به جمعية العلماء هو ترويجها لفكرة الأمة الجزائرية والدفاع عن أصالتها والوقوف ضد التجنيس والاندماج في الوسط الفرنسي، كما تصرفت الجمعية كحزب سياسي عندما دعت إلى عقد المؤتمر الإسلامي وشاركت فيه 1936¹ تلخصت مبادئه السياسية ² لي.

- الأمة هي مصدر كل سلطة وهي التي تعين الحكام وتحاسبهم.

- تحكم الأمة نفسها بنفسها.

- تراقب الأمة الحاكم وتساءله عند الحاجة وتستطيع عزله.

- الأمة هي التي تضع القانون عن طريق أهل الحل والعقد.

الملاحظ من خلال ما ذكرناه أن الجمعية في ظاهرها كانت ذات طابع ثقافي ديني تهديفي إلا أن تصريحات قادتها يشير إلى عكس ذلك وإن كانت محتشمة في البداية، فقد عبّر ابن باديس في أكثر من مرة عن مواقف الجمعية : " أن الاستقلال حق طبيعي لأمة شعبت على الأرض عارض الاندماج"، ومشاركتها في المؤتمر الإسلامي الذي ضم مختلف التيارات السياسية وما نتج عنه من مطالب سياسية بدل على التوجه السياسي للجمعية التي خرجت في هذه المرة عن نشاطها المعهود.

لقد صادف تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين احتفال فرنسا بمرور قرن على احتلالها للجزائر فقد قال أحد المنظرين الفرنسيين: "إن هذا الاحتفال أيضا لنصلي صلاة الجنائز على الإسلام والعروبة في الجزائر". وهو رأي يعود على صاحبه، حيث أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جاءت في وقت مناسب لتحقيق رغبة شعبية عارمة وهي البحث عن وسائل لإيقاف الهجمة الاستعمارية الشرسة على المسلمين، كما أنها أسست بقصد محاربة بعض أصحاب الزوايا، والطرق الصوفية الذين كرسوا الدين لخدمة مصالحهم الشخصية. بناء على رواية الشيخ أحمد توفيق المدني حول ظروف إنشاء المسلمين قائلا: " جماعة من ذوي الاتجاه الإصلاحية الإسلامي كانوا يترددون على نادي الترقى لمناقشة الأوضاع التي آلت إليها البلاد خاصة بعد

1. أحمد محساس، المصدر السابق، ص 87.

2. الله شريط، الفكر السياسي عند ابن باديس ومحمد عبده، مجلة حوليات الجزائر، جامعة الجزائر، ع 1 1987 الجزائر، 27.

الاحتفال بمئوية الأ. اعتبر هؤلاء المصلحون الاحتفالات مجالا فسيحا للمتعبين الفرنسيين الذين ها الإسلام والمسلمين بشدة¹.

مع مطلع سنة 1932م بدأت تظهر المواقف السياسية لجمعية العلماء حيث قام قادة الجمعية بحركة نشيطة تدعو إلى مقاطعة البضائع اليهودية ، محاربة فكرة إعطاء الجنسية الجماعية للجزائريين، إلغاء المدارس الحرة ، ونشر أفكار زعماء الجمعية، في الجرائد () () ، ثم () في سنة 1936م، إلا أن الحدث البارز في تاريخ ك في 7 1936 المؤتمر الإسلامي بالجزائر العاصمة ، الذي ضم جميع التيارات السياسية ما عدى النجم ، وخرج المؤتمر ببرنامج سياسي موحد، عرضه جلول على رئيس الحكومة الفرنسية () ، لكن هذه المطالب قوبلت مما دفع ذلك أعضاء المؤتمر لعقد دورة ثانية ما بين (9-11) في 1937

لمناقشة مشروع بلوم فيوليت المعروف من طرف الحكومة الفرنسية ، فحدثت نقاشات حادة جعلت الشيخ عبد الحميد بن باديس يستقيل من رئاسة اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي وفي شهر سبتمبر 1938م رفض مجلس الشيوخ الفرنسي مشروع بلوم فيوليت².

دفع ذلك حكومة الاحتلال الفرنسي إلى سجنه، فكانت هذه السنة بداية لتقلص النفوذ السياسي للجمعية و دخولها في مواجهات مع الإ. حيث أعلن في () رسيان قد اضطهدوا وقاوموا الدين، وأهانوا المساجد وأغلقوا المدارس وخنقوا التعليم)، أما لموقف العلماء من الحرب العالمية الثانية، فقد أتخذ العلماء موقفا الحرب المنتظرة ومن فرنسا نفسها، فصرح باديس بهذا الصدد قائلا: (هذه الحرب لا تهم المسلمين ولا دخل لهم فيها)³، وهذا الموقف قد أدى لانقسام أعضاء الجمعية وخروج أحد أقطابها وهو الشيخ العقبي الذي كان قد دعى باديس إلى توجيه برقية مؤيدة لفرنسا في حربها ضد الألمان قوبلت بالرفض منه⁴.

كما ظهر تيار آخر مع مطلع القرن العشرين على يد مجموعة من الجزائريين المثقفين ثقافة فرنسية أطلق عليه إسم التيار الليبرالي (الاجي)، شغل اغلهم والأطباء والصيادلة ومحامين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة التي ارتبطت بالمهن

1. عبد الكريم بوصفصاف علماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطوير الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945) 1 1981 94-93

2. التاريخ السياسي للجزائر من البداية 1997 245-247

3. عبد الكريم، بوصفصاف، المرجع 167

4. توفيق المدني، حياة كفاحي () 1977 261
2. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع لـ

الحرية أو بالعمل في الوظائف البيروقراطية المدنية أو العسكرية الفرنسية. وبدأ تأثير هذه الطبقة التي تحمل أفكارا عربية وتؤمن بقيم فرنسية منذ إثارة قضية التجنيد الإجباري حيث طالبوا بإحداث إصلاحات اجتماعية في إطار النظام الاستعماري وتحت سيادة الحكومة الفرنسية بحيث تسمح لتلك الإصلاحات بالحصول على كامل حقوق العضوية في المجتمع الفرنسي.¹

نشط دعاة التيار الاندماحي تحت راية فدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين التي تأسست في 11 سبتمبر 1927م ترأسها الدكتور جلول الذي كان مستشارا بلديا، وقد عبر بكلمات عن مطالب 150 : حضروا المؤتمر التأسيسي سعت هذه المنظمة منذ تأسيسها للتدعيم صفوفها بمنخرطين من طبقات الشعب الجزائري، وجاهدة من أجل فرض نفسها على الساحة السياسية من خلال المطالبة بحقوق الجزائريين وتغيير القوانين التمييزية.²

وقد علقّت الاتحاديات ا (ل ج - هـ - ز) على مئوية الاحتلال الفرنسي للجزائر آمالا لتحقيق مطالبهم والاعتراف بحق المواطنة وفقا لمبدأ المساوات مع كمن السياسة الفرنسية خيبت آمالها، باستمرار الاحتلال الفرنسي في سياسة التهميش ضد الجزائريين، فأصيب التيار الاندماحي بأثار الهزيمة لديهم حالة من الذهول والارتباك، رغم ما بذلوه من سياسة المهادنة ووصل بهم حتى الاستخفاف بمقومات الهوية الجزائرية أثناء تواصلهم مع سلطات الاحتلال الفرنسي.³

1933م أصبح الدكتور رئيسا لوحدة النواب الجزائريين التي أحرزت على أغلبية المقاعد في الانتخابات البلدية سنة 1934م بمساعدة فرحات⁵ الذي كان له دور الترويج لأفكار التيار أثناء الانتخابات، رغم ذلك فإن هذه النخبة لم

1. أحمد محساس، المصدر السابق، ص 127.

2. 284.

3. الياس نايت قاسي، الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر وأثرها على ل ج
تبر في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإذ والاجتماعية قسم :
ل ج 2003-2002 99-98.

4. جلول كشخصية إسلامية بارزة في حوادث قسنطينة سنة 1934م بين المسلمين واليهود حتى أن بعضهم قد رد سبب المظاهرات التي جرت عندئذ إلى الإشاعات التي راجت حول مقتله من طرف
: 3 72.

5. ولد بالطاهير في 1899 : مولعا بالشؤون السياسية، إذ
في العشرينيات إلى فدرالية المنتخبين ثم غادرها، أسس بعدها حزب الاتحاد الشعبي الجزائري وقد عرف من خلال برنامجه أنه صار من أنصار الإدماج، تحالف سنة 1940 مع جمعية العلماء المسلمين وحزب الشعب الجزائري للمطالبة ببرنامج جزائري لدولة مستقلة عن سلطة فرنسا، أسس سنة

تستطع أن تكون حزبا سياسيا أو حتى جمعية في مستوى العلماء بل أنها ظلت خلال الثلاثينات عبارة عن تيار عام ليس له تنظيم قوي يعتمد عليه في مواجهة الإدارة الفرنسية بعض الاتجاهات المعارضة لسياستها¹.

فيما يعاب على هذا التيار ميول مطالبها نحو المساوات بين الجزائريين جعلته أساسا لبرنامجها كما اشتهر فرحات عباس بالمقالات التي كان يشرها للتعبير عن هذا الاتجاه، ويقارن فيها بين فرنسا التي أرادت نشر التقدم والرخاء الحضارة، بينما أراد المواطنون البؤس والجهل².

مع منتصف الثلاثينيات دعمت أحزاب اليسار الفرنسي المتعاطفة مع الجزائريين المغريين في فرنسا أمثال فرحات عباس واعتقد الجميع أن مطالبهم ستحقق، لكن رئيس الحكومة الفرنسية واجه معارضة شديدة من المستوطنين الأوروبيين في الجزائر ووقفوا ()³. تبرهزمة للشخصيات الموالية لفرنسا والمؤيدة للاندماج

فدفع أعضاء من الجمعية و النواب الجزائريين وممثلين عن الشيوعيين للعمل من أجل وحدة الصف، واجتمعت الآراء على عقد المؤتمر الإسلامي سنة 1936

رفعت إلى الحكومة الفرنسية، لكن هذه الأخيرة تجاهلتها بسبب انشغالها بالحرب العالمية الثانية فلم يكن لها أي استعداد للحوار مع الجزائريين حتى المواليين لها، إذ أجابهم رئيس الحكومة آنذاك قائلا: "أمام الوضع السائد فإني لا أستطيع أن أتولى أي شيء إنني أسألكم أن تعينوني عن الإبقاء على النظام ولا تضطروني إلى استعمال القوة التي تملكها فرنسا"⁴.

1946م الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري انظم إلى جبهة التحرير الوطني سنة 1956م، وإلى لجنة التنسيق والتنفيذ، ثم رئيسا للحكومة المؤقتة سنة (1961-1958)م أصبح أول رئيس للجمعية 1962م استقال من منصبه توفي عام 1985. : سعيد بورنان، شخصيات بارزة في

لج (1930-1962) - رواد الكفاح السياسي والإصلاحي (1900-1954) 2 3

الإاعة والنشر، الجزائر، 2015، 75-91

1. أبو القاسم سعد 62.

2. عبد الكريم، بو 262.

3. كان موريس فيوليت حاكما على الجزائر (1925-1927)م وكانت سياسة شبيهة بسياسة المنتخبين، عمل على تحسين ظروف معيشة الأهالي الجزائريين تمديدا في عمر وكان شديد القوة على

من نزعوا نزعة إلى الحزب الاشتراكي الفرنسي، وكان عضوا في مجلس الشيوخ الفرنسي، ه في الحياة السياسية الفرنسية، خاصة في الجزائر، وكما جاءت حكومة الجبهة الشعبية من

1936م عيلته عضوا في حكومتها مهتما بالشؤون الأهلية. : عبد الكريم، أبو الصفصاف، المرجع

258.

تتلقت، أن قادة التيار الاندماحي ابن جلول وفرحات عباس وابن التهامي لتوجيههم المطالب بالمساواة مع الأوربيين هـ المطالب الاستقلال الهوية العربية الإسلامية أثار في تطور نشاطهم مع الإدارة ، حتى أن مطالبهم تي جاء بها المؤتمر الإسلامي 1936، لم تلقى قبولا من المستوطنين في الجزائر وشكل ذلك ضغطا على الحكومة الفرنسية التي ماطلت في .

كما نشط على الساحة السياسية الوطنية التيار الشيوعي بعد الحرب العالمية الأولى، مع تأسيس الحزب الشيوعي الفرنسي في مؤتمر تور (Tours) 1920 كفرع فرنسي ساند الوطنيين المغاربة في تأسيس حزب نجم شمال إفريقيا أنه سيبقى تحت مظلته باعتباره أحد خلاياه، علما أن الشيوعيين الفرنسيين في اية أيدوا فكرة استقلال الجزائر ومعاربة الإمبريالية وذلك بغرض استقطاب اليساريين الجزائريين¹. لكن نظرا لعدم قيامه بهذا الدور على أحسن وجه، فإن قادة الحزب في الفرنسي قرروا سنة 1931 إنشاء أحزاب شيوعية في تونس والجزائر والمغرب الأقصى لأن الأحزاب الوطنية في هذه الاقطار بدأت تتعد عن الحزب الشيوعي الفرنسي².

فيما يخص الجزائر قام مصالي الحاج بفصل نشاطات نجم شمال إفريقيا عن الحزب الشيوعي الفرنسي وكان رد فعل هذا الأخير أن قطع مساعداته للنجم، وقرر قادة الحزب الشيوعي الفرنسي إنشاء فدرالية تابعة له بالجزائر ليحولها فيما بعد الى حـ شيوعي جزائري مع مطلع عام 1936، ومن شخصيات الحزب الشيوعي الفرنسي التي أشرفت على الحزب الشيوعي الجزائري وإعطائها مسؤولية جديدة نخص بالذكر عمار³ .

الانفصال نقطة تحول في تطور الحزب الشيوعي الجزائري لأن

1. والجيلالليصاري، الجزائر في التاريخ المقاومة (1900-1954) : الإصلاح والبطريق الثوري، تر: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية لجز 1987 55.
2. 280.
3. عمار أوزقان سنة (1910-1989) وهو ينتمي إلى منطقة العزازقة (بزا) الجزائر، بدأ يمارس نشاطه السياسي منذ العشرينات وهو موظف بالبريد، واشتغل عدة مناصب نقابية، التحق بالحزب الشيوعي الجزائري، وأصبح بهذه الصفة كاتباً للمؤتمر الجزائري، انتخب سكرتيراً للحزب الشيوعي الجزائري عام 1943 ولكنه طرد من الحزب سنة 1948م، التحق عام 1955م بجهة التحرير الوطني، وكان المحور الأساسي لبرنامج الجبهة المعروفة بأرضية الصمام اعتقل في يناير 1955 وبعد الا أصبح وزيرا للزراعة (1962-1963) ثم وزيرا للسياسة ومديرا لمجلة الثورة الإفريقية (1955-1964) بعد معارضة وجيزة للعقيد بومدين انسحب أوزقان من الساحة السياسية توفي 1980. : : رة الجزائرية () : ، صالح المثلوث، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1994 181.

هذا القرار مكنه من نشر الدعاية وسط المجتمع الجزائري، لكن القيادة المركزية ظلت تصطدم بمقاومة الأعضاء الأوروبيين¹.

مع ذلك فإن موقف الحزب الشيوعي الجزائري قد تطور نحو العمل الوطني تحت ضغط المناضلين الذين لم يرتبطوا بالشعب الجزائري، وازدادت أهميته بتطور عمله في إطار النقابات وفي لجان الواجهة الشعبية وفي المؤتمر الإسلامي الجزائري المنعقد في 1936، استطاع التسلسل والانضمام للأوساط الشعبية رغم أنها كانت ترى فيه حزبا عدوا للإسلام استنادا إلى المقولة الشيوعية الشهيرة ()، بحيث تزايد عدد الأفراد الذين انضموا إليه لكن بمجرد انتهاء ذلك التحالف في ه².

إن استقلاله الشيوعيين الجزائريين كانت ظاهريا وشكليا وبقي بنحو دائم خاضعا إلى استراتيجية للشيوعية العالمية عامة والحزب الشيوعي الفرنسي خاصة ففي أول مؤتمر له أكد الحزب على نقطتين³:

- الحث على تغيير الوضع الراهن قبل كل شيء من أجل حياة أفضل للمجتمع الجزائري تسود فيه العدالة الاجتماعية.

- المطالبة بربط مصير الشعب الجزائري بمصير الشعب الفرنسي.

تركزت نشاطات الحزب الشيوعي الجزائري في المطالبة بالإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية التي من شأنها أن تخفف من معانات الجزائريين، أما المسألة الوطنية فتركزت في الامة الجزائرية أمة في طريق التكوين. ما يدل على أن إيديولوجية الحزب الشيوعي الجزائري مصالح فرنسا وتحميها بالجزائر وأن الإصلاحات التي تطالب بها ما هي إلا إصلاحات شكلية جوهر المطلب الأساسي الاستقلال وتحرير الجزائريين من الاستغلال الرأسمالي، أما فيما يخص مسألة تنظيم السلطة فلم يقدم حتى بداية الحرب العالمية الثانية أي تصور خاص وتمييز يجلب الانتباه⁴.

لكن بعد فشل حكومة الجبهة الشعبية في تمرير مشروع () الرامي إلى منح صفة المواطن الفرنسية إلى النخبة الجزائرية، تراجع عدد غير الحزب الشيوعي خطته في ، وبناء على رأي جريدة (البرلمان الجزائري) فإن الحزب الشيوعي قد بدأ يتدهور ويفقد سمعته بين المسلمين الجزائريين منذ 1938 لجهود التي بذلها زعماء الحزب

1. شارل روبر أجبرون، المرجع السابق، ص 156.

2. قداش والجيلالي صاري، المرجع السابق، ص 216.

3. الله شريط، المرجع السابق، ص 139.

4. الميلي، المصدر السابق، ص 69.

وقد أتضح ذلك بعد فشله في انتخابات 23 : 1939 ما زاد الهزيمة ثقلا على الشيوعيين الجزائريين، هو النجاح الذي أحرزه حزب الشعب على حسابهم، وقد أضافت الجريدة بأن جماهير العاصمة قد نادى الشيوعيين وطالبتهم بالخروج من المجلس العام، ورفضت انتخابهم وأعطت أصواتها لأعضاء حزب الشعب¹.

من هنا نستنتج أن هدف قادة الحرب الشيوعي الجزائري رغم تمرسهم في السياسة ورصيدهم الذي تحصلوا عليه أثناء نشاطهم في الحزب الشيوعي الفرنسي، لم يستطيعوا حشد الدعم الشعبي في الجزائر، ووضع المكانة السياسية التي كانوا يصبون لها في العملية الانتخابية بل خرجوا بإهانة أكدت لهم أن طريقهم السياسي في الجزائر ليس في طريقه صح .

٢ : الحركة الوطنية التونسية قبل الحرب:

عرفت تونس المحاولات الأولى للنشاط السياسي مبكرا، فقد حاول اعيانها استغلال الزيارة التي قام بها الشيخ محمد عبدو في 6 ديسمبر 1884 لى 4 1885 فخرجوا في مظاهرات احتجاجية بقيادة محمد السنوسي بمدينة تونس لتنتهي بتقديم عرضة إلى الأمير علي باي تونس تطالبه بالإصلاح، لكنها لم تجد أذانا صاغية من الباى وسلطات الحماية. رغم ذلك بيئت ردود الفعل من زيارة محمد عبدو، مدى تأثر تونس بالتيارات الفكرية الإسلامية في المشرق العربي وحتى المراكز الإسلامية العريقة داخل تونس على رأسها جامع الزيتونة، فقد تخرج منها شخصيات وطنية أمثال الشيخ المكي بن عزوز الذي كان له الفضل في تخرج الجيل الأول من المناضلين التونسيين، على رأسهم عبد العزيز الثعالبي² ومحمد السنوسي.

شهدت هذه المرحلة رغم السياسة الفرنسية ازديادا في نشاط الوطنيين التونسيين، فقد مهد خير الدين باشا التونسي لذلك بتأسيسه لمدرسة الصادقية 1875 التي تخرجت منها نخبة من العناصر المستقبليين للحركة الوطنية أمثال (إبراهيم - بي - حامبه) ربط خير الدين علاقات مع العالم العربي. لكن رغم مساعي خير الدين باشا لتكوين نخبة سياسية تناضل من اجل القضية الوطنية، اصطدمت بقوانين الحماية الفرنسية فاتجه قادة الفكر في تونس إلى العمل الإصلاحي من خلال نشر التعل ، الدفاع عن الشخصية
١١ تعريف بالحضارة العربية الإسلامية، فأصدر بشر صفر جريدة الحاضر⁸
1988 دعى من خلالها إلى الأخذ بأسباب التمدن والابتعاد على الأمور السياسية فأسس
لج لخب 1896 التي اهتمت بتنظيم التدريس باللغة العربية³.

1. تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الآن :
عج 3 سبراس ٢٠٠١ 112-113.
2. العزيز الثعالبي (1879-1944) ابن ابراهيم عبد الرحمان الثعالبي الجزائري درس بجامع الزيتونة الى أول حزب في تونس سنة 1895 (الحزب في الإسلام)، كما كتب في الصحف وقد تميزت مقالاته بالدعوة صراحة إلى الحرية الإسلامية ، قامت السلطات الفرنسية بإغلاق اغلب الصحف التي كتب فيها (إبراهيم - بي - حامبه). فيما بعد سبيل صحيفة سبيل الرشاد، تزعم قيادة الحزب نسي منذ 1920 : أنور الجندي، عبد العزيز الثعالبي الحرية والنهضة الإسلامية، 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984، 16.
3. هـ ، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة (1830-1956) 2
٢٠٠٠ ، تونس، 33-34.

مع مطلع القرن العشرين زادت الزيارة الثانية التي قام بها محمد عبدو سنة 1903 إلى تونس و حفاوة الاستقبال الشعب التونسي، رجال الإصلاح خاصة جماعة الحاضر، من اسي في أذهان المثقفين التونسيين 23 ديسمبر 1905 (جمعية قدماء تلاميذ المدرسة الصادقية) تحت رئاسة خير الله بن مصطفى عبد العزيز الثعالبي سنة 1901 : () بموافقة سلطات الحماية¹ بعدها إلى المشرق بعد العودة قام بتأسيس أول حركة سياسية منظمة لمقاومة الاستعمار في تونس بقيادة علي باشا حامبة والشيخ عبد العزيز الثعالبي و محمد باشا حامبة،

كان لهذه الحركة دور بارز في الفترة الممتدة ما بين (1905-1912) من خلال توعية الجماهير ا تنظيمهم في إيطار حزبي، أول عمل قامت به حركة تونس الفتاة ه تأسيس جريدة ناطقة باللغة الفرنسية في 7 1907 أطلق عليها إسم جريدة (نسي)، وأعلنت برنامجها السياسي والاجتماعي والاقتصادي. أنخرط في الحركة أغلب الشباب، لكن إنحراف الحركة على نشاطها القانوني في نظر سلطات الحماية دفع الفرنسيين إلى عقد مؤتمر باريس (6-8) 1908 (مؤتمر شمال إفريقيا) واستدعي اليه كل من زعيم الحركة الإصلاحية البشير صفر² ومساعدته خير الله بن مصطفى وعبد الله

ترأس المؤتمر الحاكم العام الفرنسي بالجزائر (Jounard) أكد فيها القادة التونسيون على عروبة تونس، فكان رد الصحافة الفرنسية حملة شعواء لم يكن لها تأثير في صفوف التونسيين والسلطات الفرنسية لأن سياسة حزب الشباب التونسي ارتكزت على

1. الحبيب ، هذه تون ، 1988 الإ 1 لي .138

2. المصدر نفسه، 138.

3. البشير صفر (1856-1917) هو من أصول درس في المعهد في ثم انتقل إلى سان ؛ لكن بعد أن انقطعت عليه المنحة عاد إلى تونس، شغل عدة مناصب رئيس مكتب لجمعية الاوقاف، في سنة 1908 ؛ إضافة الأي ذلك .

كان البشير صفر من المؤيدين للإصلاح في جريدة الحاضر والمحاضرات التي كان يلقيها في لجد الخلدونية و ؛ نسي. للمزيد : على المحجوبي، جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934) : حميد الشابي، ط1 تونس للعلوم الا 1999 ؛ .135

المطالب الوطنية مع ميلهم إلى توخي سياسة تقارب مع الفرنسيين ، فلم تتجاوز هم الحدود التي يسمح بها القانون وركزوا على **بين التونسيين و الفرنسيين**¹ . رغم ذلك حققت الحركة الوطنية انتصارا على الصعيد الثقافي، فقد انضح جليا من موقف البشير صفر وخير الله بن مصطفى اللذين أكدا على عروبة تونس **الوطن العربي** إلا ، فطالبوا بتعريب التعليم وإنشاء المدارس الشباب الوطنية وتوجهها العروبي بعد إصدار علي باشا حامبة نسخة باللغة العربية لجريدة التونسي ترأس تحريرها عبد العزيز الثعالبي² .

الأوضاع في تونس عرفت تقلبات كثيرة، إذ شهدت الساحة السياسية في الفترة الممتدة ما بين (1910-1912) مواجهات مباشرة مع سلطات الحماية سألحوا تلخيصها فيما يلي² :

- في سنة 1910 طالب يهود تونس نقل قضاياهم أمام القضاء الفرنسي تحت ذريعة التمييز، مما أثار حفيظة قادة الحركة الوطنية فردت عليهم بالمقاطعة **الأ**
- في أبريل 1910 قام طلبة الزيتونة بإضراب للمطالبة بإصلاح التعليم بشكل عام.
- أواسط سبتمبر 1911 غزت إيطاليا طرابلس الغرب فهب الشعب التونسي لمناصرة إخوانهم الليبيين.
- في 7 سبتمبر 1911 **الأ** التي تعد نتاجا لتراكمات سابقة والأوضاع المتردية.
- في السنة الموالية 8 1912 وقعت حادثة الترامويل التي نتجت عن دهس طفل من طرف سائق قطار إيطالي خرج بعدها الشعب التونسي في مظاهرات منددة، فكلف الطيب الجلوي باستدعاء بعض الأعيان لدراسة الملف لكن السلطات الفرنسية ردت عليها بحملة اعتقالات ونفي في صفوف **الأ** التونسية، فنفي علي باشا حامبة إلى اسطنبول وعبد العزيز الثعالبي إلى **الأ** .

1. ري جوليان، المعمرون الفرنسيون و ب التونسي، : محمد مزالي والبشير سلامة الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1985. 122.

2. نفسه، 121.

2.Ahmed kassabe et Ahmed Ounaise, Histoire Général de la Tunusi (L'Epoque Contemporaine (1981-1956)), Tome4, Sud Edition, Tunusi, 2010, p 368-369

3. طلب تقدمت به بلدية العاصمة لدى ادارة الملكية العقارية تسجيل مقبرة

خليفة الشاطر : تونس عبر التاريخ (لح ودولة الاستقلال)

3 الأ الأ : 2005 76

كان لاندلاع الحرب العالمية الأولى دور تبلور أفكار جديدة في العلاقات الدولية نذكر منها مبادئ الرئيس ويلسون 14 التي شكلت حافزا في تجدد آمال ال رأي العام التونسي، ما عزز موقف الحركة الوطنية التونسية بضرورة التنظيم سي، تجلى ذلك في تأسيس الحزب التونسي مارس 1919 بإرسال مذكرة إلى الرئيس ولسون بروما نوفمبر 1919 وقد مؤتمر الصلح بباريس مطالبين في تقرير مصير البلاد التونسيين، لكن فشل الحزب التونسي في تحقيق أهدافه دفع مناضليه إلى تغيير طريقة العمل¹ قام الحزب التونسي بإرسال مبعوثه الى باريس () الاشتراكيين الفرنسيين رفقة عبد العزيز الثعالبي الذي أصدر كتابه () فيه نظام الحماية ك مطلبية ستساهم في تطو نشاط الحركة الوطنية .

وفي مارس 1920 أسس التونسيون الشباب الحزب الدستوري الحر الذي هيمن عليه الإصلاحيون وطرح مجموعة من المطالب أهمها:²

- انشاء جمعية تشريعية وفرنسية.
- الفصل بين السلطات الثلاثة (التشريعية - -) .
- حكومة مسؤولة لـ ج -
- المساوات في الأجور.
- فتح مجال التوظيف للتونسيين.
- حق تملك الاراضي للتونسيين.
- حرية التجمع والصحافة -

نستنتج أن المطالب المقدمة من طرف الدستوريين التي تضمنتها برنامج الحزب، كانت واقعية جدا، وسارت في إيطار قانوني هدفت إلى الرجوع لمعاهدة البارديو للضغط على سلطات الحماية لكن دون جدوى وبقيت مواقف سلطات الحماية الفرنسية متصلة حتى أنها لم تطلع نص

تعرض الحزب الحر الدستوري خلال مسيرته إلى عدة أزمات كانت لها آثار على البنية التنظيمية للحزب كانشقاق العديد من المناضلين وتأسيسها لأحزاب أخرى منها ما لحزب الدستوري في مبادئه وأسس وطريقة تعامله مع سلطات الحماية. اختلفت أسباب الخلاف بين المناضلين داخل بيت الحزب بين اختلاف في وجهات النظر في

1. Ahmed kassabe et Ahmed Ounaïse, p371.

2. يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري نسي(1919-1934) دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988

ريقة التعامل مع الوضع التونسي و ¹ أن المنشأ ، الفوارق ذات البعد الاجتماعي ، التركيبة القيادية الأولى للحزب لم تكن لها نظرة ورأى موحدة لطريقة التعامل مع سلطات الحماية ، إضافة لانتماء شخصيات من مختلف الاتجاهات السياسية للحزب و هو ما ستكون له نزعات انشاقية عن الحزب لتأسيس أحزاب أخرى (الحزب الإصلاحي- الحزب - الحزب الدستوري الجديد) إضافة إلى الأزمات التي عاشها الحزب في صراعه مع سلطات الحماية¹.

بداية بالحزب الإصلاحي الذي ظهر عقب انشقاق جماعة داخل الحزب بداية من 1921 تحت قيادة حسين قلاتي و بة تختلف توجهاتهم مع الدستوريين².

مطالبهم الأساسية:

- فتح أبواب التوظيف للتونسيين
 - المطالبة بمنح تونس حرية في تسيير مؤسساتها من خلال جعل البرلمان حرا بين التونسيين والفرنسيين.
 - حكومة تعين من طرف الشعب
- فقد اعتبر الإصلاحيون مطالب الدستوريين غير واقعية خاصة بعد فشل الوفد الدستوري الأول، وظنوا أن تقديم مطالب معتدلة يمكن عبرها الحصول على إصلاحا في يبيف برنامجهم مع مراعات للظروف ومحاولة للحصول على مكاسب عبر مراحل متتالية، فعمل هذا الحزب منذ نشأته في سبتمبر 1921 على الدعاية لمبادئه من خلال جريدة " بره " التي لم تعمر طويلا وتوقف صدورها سنة 1922³.
- الملاحظ أن قادة الحزب الإصلاحي حاولوا طرح مطالب قد مر عليها الزمن ولم لنضج و التطور التي وصلت له تونس، ما جعل الحزب غير قادر على جذب الجماهير، رغم تشجيع السلطات الفرنسية برئاسة المقيم العام " لشاطه و محاولة منه لكبح الحزب الدستوري وكان هدفه خلق منافس يمكنه التأثير على التونسيين ، إلا أن ذلك لم يأتي بنتيجة إذ بقي نشاطه منحصرا في مجموعات قليلة وفي مارس اعترف

1. الحزب الحر الدستوري التونسي القديم (1934-1956) راه في

التاريخ الحديث والمعاصر 5 العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2 2010 62.

2. كان من بين الأعضاء في هذا الحزب) ن - ك - برلي -
- الحاج محمد سيالة) وعدد من الأعيان والمحامين والملوك و

3. 160-159

المقيم العام أن الحزب الإصلاحى بقيادة قلاتى قد انهارت ، أما الدستوريين فاستطاعوا عزل الإصلاحيين وبقي هذا الأخير مجرد حزب صغير لم يستطع كسب قاعدة شعبية¹ . من الأزمات التى عرفتها الساحة التونسية وأثرت بشكل كبير على الحزب الدستوري الحر أزمة أبريل 1922 التى ظهر خلالها تمازج بين البلاط بقيادة الباي محمد الناصر الذى حكم تونس ما بين (1906-1922) و المطالب الوطنية التى جاء بها الحزب الدستوري على حساب سيطرة سلطات الحماية، فقد عمل الباي على مقاومة الموظفين المواليين لسلطة الحماية داخل البلاط ، بدأت الأزمة بعد خدعة تحريف تصريح كلمة الباي المنصف من خطاب مؤيد لمطالب الحركة الوطنية التونسية الممثلة فى الحزب الدستوري الحر إلى خطاب معارضة لمطالب قادة الحزب الدستوري الحر بإيعاز من المقيم العام و مراسل صحيفة (Le petit Journal) الباريسية قاستون دومزيان بمتواطئ من الوزير الأول الطيب الجلولى و محمد بلخوجة² . مما دفع الباي للانتفاض والتنحي عن العرش، دفع قرار الباي اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري الحر لرفض قرار الباي و 5 : والاحتجاج ضد المؤامرة³ .

ت الحماية بفرض حصار على القصر و الباي على توقيع تصريح يبين فيه عدم نيته التخلي عن العرش وصادف ذلك زيارة الرئيس الفرنسي ميلراند (Millerand Alexandre) ، فكانت مجرد حيلة قام بها المقيم العام بتونس لتجنب وقوع فوضى اثناء وجود الرئيس الفرنسي بعد مغادرته عمد المقيم العام إلى التضييق على الدستوريين، فزاد ذلك من الانقسام داخل الحزب الدستوري الحر وأدخلت الحركة فى استثناءات بين الحين والآخر⁴ .

فى ظل هذه الظروف الصعبة شهد الحزب الدستوري الحر انشقاقا جديدا ظهر خلالها الحزب الدستوري المستقل فى سنة 1922 قاده كل من الطيب بن عيسى ، لي فرحات بن عياد الذين اعتبروا أن الحزب خرج عن سياقه من خلال موقفه المتصلب الذى تبناه فى أزمة أبريل 1922 وشنت حملة واسعة على الثعالبي، اتهمت قاد الحزب: يطرة على العمل الوطني فى تونس واختلاس أموال الحزب . فرغم ان الانشقاق خلف أثرا داخل الحزب الدستوري الحر لكنه لم يكن ذلك الضرر الذى اصاب الحزب بالشلل فقد واصل نشاطه رغم محاولات المقيم العام التضييق على نشاطه

1. 64-65.

2. أحمد توفيق المدني، حياة كفاح - 1 2 ل ج المؤسسة الوطنية للكتاب 1988 248.

3. 66-67.

4. المرجع نفسه 68.

لال البرامج الإصلاحية الوهمية والتي لم يكن لها أثر على الساحة السياسية
1.

حظ أنه رغم العلاقة السيئة بين الحزب الدستوري وسلطات الحماية
رئيسية لم يقطع الحزب تواصله معها، إذ أرسل وفدا لباريس لعرض مطالب التونسيين
1924 لكن دون جدوى استمر الصراع بينهما فاتهم الحزب الدستوري الحر بربط
علاقات مع الحركة العمالية التي اشرفت ما بين (1924-1925) على عدة إضرابات عمالية.
كما مثلت القوانين الزجرية التي أصدرها المقيم العام لوسيان سان (Lucien Saint) في
1926 ضد النشاط السياسي مما أدخل الحزب الدستوري الحر في
مرحلة ركود إلى نهاية العشرينيات.²

شهدت فترة بداية الثلاثينيات وقائع بارزة على المستوى المحلي التونسي كانت لها
انعكاسات على نشاط الحركة الوطنية التونسية:

- انعقاد المؤتمر الأفخارستي خلال الفترة 9-13 1930 في مدينة قرطاج بتونس
الذي حمل في طياته نزعة تبشيرية صليبية، حضر المؤتمر الباي
تونس الشادلي القليبي، قائد في صلاح الدين بكوش المفتي كأعضاء
في اللجنة الشرعية للمؤتمر، زاد ذلك من سخط الشعب التونسي وقادة الحزب
الدستوري التونسي اللذين سارعوا لحملة دعائية ضد المؤتمر وأهدافه من خلال
ركائز احتجاجية واجهتها الحكومة و
دعوات الحزب
في الصحف.³

- الاحتفال بخمسينية الحماية على تونس (12 1931) بها الدستوريون
، حثوا فيها الشعب التونسي على مقاطعة التظاهرة ردت
عليه سلطات الحماية بالتضييق على العمل الصحفي مثلما وقع مع هيئة
التحرير لجريدة صوت تونس الحبيب بورقيبة وبشير صفر والبحري قيقة لنشاطهم
الدعائي خارج تونس.⁴

- كما فتح قرار دفن المتجنسين في المقابر الإسلامية الباب واسعا للكلام حول مسألة
في ، فقد كتب الحبيب بورقيبة في جريدة العمل التونسي 22 1933:
"فسياسة التجنيس هي أيضا لمة للإسراع بتفتيت الشعب نسي هي
تضاف لسياسة الاستلاب والتفجير الرامية إلى إضعافه وحرمانه من وسائل

1. على حجج 329.

2. مناصرة، المرجع السابق، 162.

3. خليفة الشاطر 94.

4. نفسه، ص 96.

" شكل القرار فرصة لقيادة الحزب الدستوري للدخول في احتجاجات وإضراب للتجار في 8 : 1933 رفضا للسياسة المتبعة من طرف الباي أحمد وحكومته¹.

بالعودة الى نشاط الحزب الدستوري الحر، تجدر الإشارة الى أن المتتبع لمساره يدرك أن الخلافات التي وقعت داخل الحزب وأدت إلى ذلك لم تتوقف عند هذا الحد، فمع مطلع الثلاثينات من القرن العشرين تأزمت الأوضاع داخل الحزب خصوصا مع هجرة عبد العزيز الثعالبي وسياسة المقيم العام الذي عمل مثل سابقه على زرع الفتنة داخل الحزب . فرغم المحاولات لتوحيد الصف من خلال عقد مؤتمر نهج الجبل ماي 1933

ومحاولة تكريسه العمل التجديدي الذي نادى به فريق من المناضلين الشباب، فقد دعي يوسف الرويسي الى جماعة العمل التونسي في قيادة الحزب، لكن محي الدين القليبي رفض ترشيح الحبيب بورقيبة، فانتخب المؤتمر يوسف الرويسي مقورا عاما لي جانبه صالح فرحات، محي الدين القليبي، محمد صالح ختاش، الطاهر صفر².

إن محاولات الدستوريين جمع صفوف الحزب بفتح المجال لانض الشباب لم يدم طويلا، فقد عادت الخلافات بين أعضاء اللجنة التنفيذية القدامى والجدد هـ 7 1933 بالمنستير ضد دفن احد المتجسسين التونسيين بالمقابر الإسلامية هي بداية التصدع داخل الحزب الدستوري الحر ، حيث رأت جماعة العمل التونسي بزعامة الحبيب بورقيبة أن مواقف بعض القيادات الدستورية من الأحداث لا تخدم القضية التونسية ، فقاد بورقيبة وفدا للمنستير يوم 4 سبتمبر 1933 يشكوا للباي سياسة التي طبقها القيم العام الجديد ضد الشعب التونسي ، مما جعل أعضاء من اللجنة التنفيذية للحزب الذين لم يحطهم بورقيبة بخطوته يتخذون موقفا معاتبا ومعاديا له³.

هذه الأحداث أخرجت الخلافات للعلن بين الدستوريين القدامى والشباب الجدد، فقدم بورقيبة استقالته من الحزب تبعه كل من محمود الماطري، الطاهر فيقة، شرعوا بعدها في ملة مضادة ضد الدستوريين القدامى التنديد بجميع القرارات المتخذة ومقاطعة اللجنة التنفيذية، ردا على ما صرح به البحري فيقة حول قيام أثناء لقاء تم بينه وبين وفد دستوري بقوله:" المتسبب

99-98

1. خليفة الشاطر

2. زهير تحولات العمل الوطني التونسي في السنوات الثلاثين (1929-1939) 1

49 2003

263-262

3. المحجوبي،

في التشويش هو بورقيبة"¹. شن بورقيبة حملة ضد قدماء اللجنة التنفيذية واتهمهم بالخروج عن قرارات مؤتمر نهج الجبل (12-13 1933) والعجز والقصور في تسيير الحزب².

في هذه الظروف الصعبة وأمام رفض الدستوريين القدامى، شرع جماعة العمل التونسي في التحضير لعقد مؤتمر وطني في 2 1934 في الدعوة إلى كافة شعب الحزب المتواجدة في مختلف مناطق تونس حضره ممثلون عن حوالي 50 المؤتمر بجملة من القرارات منها:

- تعويض اللجنة التنفيذية هيئة أخرى أطلق عليها اسم الديوان السياسي مؤلف من محمود الماطري رئيسا، الحبيب بورقيبة كاتباً عاماً، الطاهر صفر كاتباً عاماً مساعداً، محمد بورقيبة أمين مال، البحري قيقة أمين مال مساعداً.

- انتخاب مجلس وطني يضم

- المصادقة على القانون الداخلي للحزب الحر الدستوري الجديد³.

إن ما ورد من قرارات عن مؤتمر قصر الهلال يؤكد التوجه نحو الانقسام، فقد ذهب الحبيب بورقيبة إلى أبعد مما كان متوقع من خلال رفض الطرف الآخر والغائه، إذ شرع الشباب الدستوري في تكوين هياكل جديدة لحزب جديد أطلقوا عليه الحزب الحر

لج

بإن اللجنة التنفيذية لم تعترف بقرارات المؤتمر واعتبرت نفسها الممثل الشرعي والوحيد للحزب الدستوري، فعقد أعضائها مؤتمراً بمدينة تونس يوم 26 1934 انتخبوا خلالها أعضاء جدد للجنة التنفيذية مكان المنشقين، هم أحمد توفيق المدني، الشيخ طيب رضوان، محمد بن الهادي بن الحزب بياناً أكد فيه على السير نحو استقلال كما ركز على ما جاء في قرارات مؤتمر نهج الجبل⁴.

الملاحظ من خلال ما جاء به كل طرف من إجراءات تناسب توجهه، أنها خطوات زادت من حتمية انقسام الحزب، فأصبح في تونس تنظيمان يان ينتمي كلاهما للحزب

1. الحبيب حياتي آرائي جهادي، ط1، نشرات الكتابة الدولية للإعلام، تونس، 1978 92.
2. المحجوبي، 565.
3. إبراهيم عبد الله، شروق نافذة على تاريخ النضال الوطني 1 1 مؤسسة سعيداني 79 1990.
4. مناصرة، 172-171.

تميز بينهما أطلق على الأول اسم الحزب الدستوري القديم و تم لحد
الدستوري الجديد، وما يميز الحزبين الجديدين عن بعضهما البعض طريقة العمل.
عمل الحزب الدستوري الجديد بعد تأسيسه على ربط علاقة مع الباي والمقيم
فتم الترخيص له للعمل السياسي وإصدار جريدين الالى () بالعربية
(L'Action libre) خلالهما الحزب بث أفكاره ومبادئه، ولم تكن الصحافة
يئة الوحيدة التي نشر بها دعايته، فقد قام أعضاء الحزب بعدة جولات في مناطق
مختلفة من تونس اللجنة التنفيذية توجه ضد سلطات الحماية
: تواجه الحزبين الدستوريين دعا ، فتحولت المواجهة بين التونسيين
طعنوا في الوحدة الوطنية¹.
في خضم الخلافات التي شهدتها الساحة التونسية بين الدستوريين، عرفت الب
التونسية أزمة اقتصادية حادة مما جعل القادة الدستوريين يطالبون بإصلاح
التونسي في جميع المجالات، جعل المقيم العام مارسيل بر (Marcel Peyrou) يقترح
تشكيل لجنة للإصلاح التي ضمت 27 : 62 : لكن نتائج الإصلاحات جاءت
ال بسبب قوانين تنظيم الصحافة و التي تم إدخالها في تركيبة المجل
الكبير دون مراعات الغالبية².
امام المستجدات التي جاءت بها الإصلاحات وتماطل سلطات الحماية في تطبيقها،
انفجرت الأوضاع في صيف 1934، فغير المقيم العام من سياسته تجاه الحزبين الدستوريين
إلى أسلوب قمعي، معتقلا القيادات الوطنية في 3 سبتمبر 1934، فأبعد كل من الحدي
بورقيبة، يوسف الرويسي، الحبيب بوقطيب، الهاشمي شاكور، صالح بن يوسف وغيرهم
قادة الدستوريين الى برج القصير في الجنوب التونسي، أما محمود المطري فأبعد الى
ان على الحدود الليبية التونسية³.
شجعت سياسية الاعتقال التونسيين على الزيادة في الاضطرابات، فعمت الفوضى
واشتدت اعمال أعنف بين الشعب التونسي وقوات الحماية ، لكن استمرار فترة المواجهات
دفعت سلطات الحماية الفرنسية الى تعويض المقيم العام بر
(Guillon) في افريل 1936، الذي بادر بعد تعيينه إلى اطلاق صراح المبعدين والمعتقلين و
اباح الحريات العامة، فانتشرت الشعب الدستورية في كامل التراب التونسي :
:

1. مناصرة، المرجع السابق، 172.

2. : الإ : 87 في: 19/4/1943.

3. للمزيد من التفاصيل حول عملية اعتقال : الدستوريين ينظر: لحبيب

: الساحلي،

152

1 هـ 2005 60-61.

الكشفي و النقابي، ومع قدوم الجبهة الشعبية للسلطة في باريس تفاعل التونسيون، فانتهج الحزب الدستوري الجديد سياسة المهادنة مع الحكومة اليسارية الجديدة و ا لها بمناصبها للشعوب المستعمرة، وأوفد الحزب أمينة العام عدة مرات لباريس سلك خلالها الحزب مناورة جديدة ، قامت على المطالبة بإصلاحات جديدة مستعجلة إرضاء للشعب التونسي التي قامت على منح الشعب التونسي برلمانا و حكومة مسؤولة امامة¹.

لكن حكومة الجبه الشعبية خيبت امال التونسيين وانتهجت نفس سياسة الحكومات السابقة، فأعطت الوعود والتسويفات و مت به هو تقديم إصلاحات إدارية و التونسيين في إدارة شؤون البلاد التي بقيت مجرد وعود لم ترى التطبيق، دفع ذلك الشارع التونسي و لنقابات الى الدخول في إضرابات و

عنيفة مع سلطات الحماية². دفع ذلك الحزب الدستوري الجديد الى عقد مؤتمر في يوم 31 أكتوبر 1937 بنهج (ترا) فقرر المجتمعون اتخاذ إجراءات جديدة لمجاهة ال الذي بادرت به سلطات الحماية، لكن النقاشات في المؤتمر تخللتها صراعات حادة و

في الافكار اثناء صياغة السياسة العامة للحزب بين الحبيب بورقيبة و محمود الماطري حول لنقاط أهمها المطالبة بالاستقلال، عدم انتظار الخير من سلطات الحماية

لكن الخلافات توسعت بعد المؤتمر بسبب اقتراح كل من الحبيب بورقيبة و صالح بن ن سليمان ضرورة شن اضراب تضامنا مع إخوانهم في الجزائر والمغرب الاقصى، فوقف كل من محمود بحري قيقة في صف المعارض للإضراب و حجته

في ذلك أنه لا يخدم القضية التونسية³. دفع الخلاف بين الماطري و بورقيبة حول طريقة التعامل مع سلطات الحماية في الوقت الحالي إلى تعميق الخلاف الداخلي، لأن بورقيبة كان يدعو للتصعيد، و الماطري يدعو للهدنة، الامر الذي دفع بالماطري للاستقالة من الحزب. فاستغلت سلطات الحماية الفرنسية الظروف الداخلية للحزب من أجل التضيق أكثر عليه و منع الاجتماعات، مما زاد في حدة التوتر في الشارع التونسي و من خلال المظاهرات

4

في ظل الوضع الجديد عقد المجلس الوطني للحزب اجتماعا بتاريخ في شهر مارس 1938 و حدد موقفه من سياسة القمع الممنهجة في كافة أنحاء البلاد ، فعمل قادة الحزب على اجراء تجمعات في مناطق مختلفة من تونس لتوعية خلايا الحزب و دعوة الشعب التونسي للصمود، لكن المصالح الأمنية التابعة للإقامة شرعت في اعتقال كل من تثبت

1. الحبيب 153.

2. 119

3. نفسه، 121.

4. الحبيب 155-156.

قيامه بحملات دعائية سياسية ، فاعتقل سليمان بن سليمان، يوسف الرويسي تبعها في 6
 أفريل اعتقل كل من صالح بن يوسف، الهادي نويرة، محمود بورقيبة بالكاف
 الإجراءات القمعية الفرنسية الحزب يقرر تنظيم سلسلة من المظاهرات والإضرابات بداية
 8 : 1938 شملت جميع البلاد التونسية¹ .

في 9 : 1938 خرجت مظاهرات حاشدة أمام القصر العدلي بمدينة تونس
 مطالبين بإطلاق صراح المعتقلين السياسيين ووقف المحاكمات، واجهتها الشرطة الفرنسية
 وحشية راح ضحيتها العشرات من القتلى والجرحى في 10 : 1938
 القبض على الحبيب بورقيبة ه ، مع العديد من القادة والمناضحين التابعين
 للحزب، وجهت لهم المحاكم العسكرية ك استعجالية السجنون تغص بالمعتقين
 التونسيين 12 : 1938 مجلس الوزراء الفرنسي حل الحزب الدستوري
 الجديد بتهمة التحريض على المظاهرات للنيل من حقوق القوى الحامية، لكن الحزب عاود
 نشاطه بطريقة سرية تحت قيادة الحبيب ثامر ، فشكل شعب للحزب في كافة المدن
 القرى معتمدة نظاما سريا ومنفذة للتعليمات الصادرة عن القيادة² .

أما الحزب الدستوري القديم فمنذ الانقسام الذي وقع داخل الحزب سنة
 1934، عمل على توجيه دعايته نحو الدستوري الجديد وكل معارضه من
 ؛ تهمهم بالتواطؤ مع سلطات الحماية، فسعت الحماية الفرنسية لتعميق
 الخلاف و الصراع بين الطرفين عبر التواصل مع ؛ د كاذبة ، ولابد من
 الإشارة هنا ؛ الكتاب اختلفت حول هذه المسألة، و أعني دور الإقامة العامة في
 لخلاف بين جناحي الحزب الدستوري، إذ يرى الطاهر عبد الله أن المقيم العام
 ك انقسام الحركة الوطنية التونسية، معتبرا ان يبرطون عمل من خلال الوعود
 الكاذبة الى اشعال الفتنة والخلاف بين الطرفين³ . فيما يرى علي المحجوبي ان
 الاختلاف بين الطرفين كان في العديد من المجالات هو السبب في ذلك ؛
 تدخلات المقيم العام، وظهر التنافس من خلال رغبة كل طرف في تعزيز وجوده و
 قاعدته، فشكلت الشعب الدستورية الساحة الأولى التي تنافس فيها الطرفين من خلال
 ؛ برأيه وافكاره، فالدستوري القديم رفض التعامل مع ممثلي الحماية الفرنسية
 لجديد فلا يمانع من التعاون معها⁴ .

1. 125.

2. تاريخ الحركة الوطنية التونسية، الدستوري الجديد في مواجهة المحنة الثانية (1938-1943)

سنوات من 7 نشر وزارة الإ 1983 80-82.

3. ه 62.

4. حج 503-506.

مع بداية سبتمبر 1934 خفت حدة التوتر بين الدستوري القديم والجديد، بسبب القرارات المفاجئة التي أصدرتها الإقامة العامة من اعتقالات ونفي لأعضاء الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد لجنة التنفيذية بالمقيم العام وابلغه قسوة الأوامر المتخذة، فيما عبر الدستوريين عن رفضهم للإجراءات العقابية من خلال المشاركة في تنظيم المظاهرات التي شاركت فيها كل التونسيين ووصلت إلى قصر الباي، الذي تم إبلاغه عن طريق وفد ضم أعضاء من مكتب الديوان السياسي واللجنة التنفيذية احتجاج الشعب التونسي على إجراءات الإقامة العامة¹.

لكن الأحداث التي وقعت في بداية شهر جانفي 1935 ناء زيارة الباي لمسجد الزيتونة، زادت من تأزم الوضع، حيث واجه الدستوريون الباي باحتجاج كبير، مطالبين دار عفو على المنفيين وبصعوبة غادر الباي المسجد، لكن نتيجة الاحتجاج ج عكسية بمزيد من الاعتقالات و ي للدستوريين أمثال: ه ه البحرى قبقة، صالح بن يوسف، محمد الحبيب بوقطفة، محي الدين القليبي، محمد صالح وغيرهم، إذ استغل المقيم العام الفرصة ليصعد في إجراءاته القمعية، فاعتقل محي الدين القليبي الذي يعد قياديا بارزا للحزب الدستوري القديم، و من أبرز عناصره².

لكن الإجراءات التي طبقها المقيم العام يروطن لم تقلل من حدة الاحتجاجات، إذ الإضرابات العمالية في سنة 1936 ظاهرات من مدينة تونس نحو صفاقس، سوسة، قابس، القيروان ه غيرها من المدن التونسية، كما شن يتونيين إضرابا في 22 1936 د 7 1936 يشترط معرفة الفرنسية لكل من يرد التوظيف، وأغلقت الأسواق و هرات طالبت بإطلاق ه³، نتج عنها مصادمات أدت لـ

في ظل الجو السياسي المتأزم عمدت الحكومة الفرنسية إلى استبدال المقيم العام ير ()، الذي عمل على تهدئة الأوضاع من خلال إطلاق سراح الطلبة المسجونين و للمبعدين بالعودة إلى مدينة تونس الصحفي وحرية الاجتماعات، أوقف العمل بالقوانين الاستثنائية. فأتسع نطاق الشعب

1. : الإ 192 في: 1934/9/4.

2. 163-162.

3. لـ الطلابية التونسية (1927-1939) 1، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي : 1999 123.

التونسية لدرجة كبيرة ليصل سنة 1937 الى حوالي 700 عدد المنخرطين الى 400

1

استنتج من خلال ما سبق، نجد أن سياسة المقيم العام يروتون القصرية المعادية حولت الوضع السياسي في تونس الى أجواء مشحونة ، فقد عان قادة الحركة الوطنية التونسية من قيود في الحريات السياسية فضلا عن تدهور الوضع الاجتماعي. لم تنفج الأمور الا بعد تعيين المقيم العام الجديد الذي اجهد في إعادة الأمور الى سابق عهدها، خاصة بعد التوجه الجديد لحكومة الجبهة

بعد تولي الجبهة الشعبية الحكم في باريس تفاعل الحزب الدستوري الجديد مع ابدى رغبته في التعاون معها من اجل تغيير الواقع التونسي، عكس الحزب الدستوري القديم الذي أبدى رفضه للإصلاحات، لاعتقاده الراسخ انها مجرد محاولات تماطل من سلطات الحماية، فما إن انقضت سنة 1936 حتى تبين أنها مجرد أوهم بل إن الوضع زاد تأزما في جميع المجالات، من هنا يتبين لنا ان موقف الدستوري القديم كان نتيجة لنظرة عميقة للحالة التونسية ونابعة من تجربة قادته النضالية².

1937 العزيز الثعالبي لتونس على مآن ()

التي رست بميناء تونس يوم الخميس 8 ي 1937 تواصل مع جناحي الحزب الدستوري محاولا توحيدهما من جديد، دعا الطرفين الى اجتماع بمنزله في يوم 21 ي 1937. وعليه، لم تأتي جهود الوساطة من قبل الثعالبي في إصلاح ذات البين بنتيجة، وبد سبب ذلك الى تثبت كل طرف بمواقفه ولا سيما الحزب الدستوري الجديد ثعالبي الى جانبه، لكن دون جدوى، ما جعلهم على إفشال جهود المصالحة و

3

أما موقف الدستوري القديم من الأحداث فيمكن القول أنه رغم ما كانت تتلبأ به عواقب على الوضع السياسي التونسي، إلا أن اللجنة التنفيذية للدستوري القديم تفاجأت من ردود الفعل الفرنسية، وءات ردود فعلها متباطئة، فحاولت من خلال ذلك ان يهر للشعب التونسي مدى تعقل موقفها، و ارادت أن تظهر الدستوري الجديد بمظهر المتسرع الذي زج بالشعب التونسي في صدمات غير متكافئة مع سلطات الحماية

1. ربح تونس المعاصر (1881-1956) : لي 1 لشركة الوطنية

التونسية للتوزيع، 1986 556

2. نفسه 554.

3. مد سعيد 192-191.

فالدستوري القديم رغم تلبعه للأحداث إلا أن موقفه لم يرق لمجريات الأحداث على الساحة التونسية وتلخصت في إصدار بيانات إلى الرأي العام ورئيس الحكومة الفرنسية¹. حاول الحزب الدستوري القديم خلال الأحداث استرجاع نشاطه، فعقد اجتماعا للجنة التنفيذية يوم 14 بـ 1938 بمنازل عبد العزيز الثعالبي، انتقد خلاله التشريع الخاص بالصحافة. وأقرت استئناف نشاطها من خلال الصحافة المحلية العربية في 22 بـ 1938 بعد تعيين المقيم لعام الجديد اللجنة التنفيذية لدراسة الأوضاع في تونس في ظل ظهور بوادر حرب عالمية و عاية متضاربة موجهة ضد التونسيين².

أما نشاط الشيوعيين في تونس الذي بدأ بتأسيس فرع للأمية الشيوعية في 1921 بـ 1921 بوصفه جناحا للفرع الفرنسي للأمية ديد من الصحف أهمها (حبيب الأمة، المستقبل الاجتماعي)، لكنه لحل وإيقاف مناضليه ومحاكمتهم، وشهدت المرحلة الممتدة ما بين (1924-1925) أوسع عملية قمع ضد الشيوعيين، وفي 29 بـ 1926 أصدرت قرارات ضد النشاط السياسي بشكل عام الأول يتعلق بالجرائم السياسية الثاني متعلق بتحويل قانون الصحافة من خلاله للسلطات قمع أي عمل سياسي معادي لها³.

لكن رغم الإجراءات العقابية التي تعرض لها الشيوعيون فإن نشاطهم لم ينقطع، حيث تشير تقارير صادرة عن المقيم العام لوسيان سان موجهة إلى وزارة الخارجية الفرنسية، أنه يوجد في تونس ثلاثة خلايا شيوعية في العاصمة، تقيم اجتماعات دورية وتوزع مناشير شيوعية وتستقبل موفدين من الحزب الشيوعي الفرنسي للقيام بمهاد دعائي، وكانت الدعاية الشيوعية نشطة وسط الطلبة الزيتونيين ومناضلي الحزب الدستوري لاستقطابهم إلى جانبهم، ففي سنة 1926 بـ 1926 أول علي جراد بعد دخوله السجن وتواصله مع الشيوعي روبرت باك (Rober Beck) من الحزب الدستوري إلى الشعبة الفدرالية الشيوعية في تونس متأثر بالفكر الماركسي، و عام 1928 اختبر ليقضي دورة تكوينية في الاتحاد السوفياتي⁴. تواصلت محاولات الشيوعيين لتكوين فرع لهم في تونس، وزاد الأمل بعد إصدار الباي امرا بتنظيم الحياة السياسية والنقابية، فأقدم الشيوعيون على بعث

1. 232-231.

2. A.O.M, Boite 26H5,N64, Analyse de la presse française 16 à 31 octobre 1938.

3. لجنة الشيوعية في تونس (1920-1985) 1. المطبعة 21 1989

4. الزيتونيون دورهم في الحركة الوطنية التونسية (1904-1945) 1. دار نهى، صفاقس 629 2007

مطالبهم السياسي فكان لهم ذلك بعد الخلاف الذي وقع بين بورقيبة والماطري سنة 1934 الذي خلق انقساماً داخل الحزب الدستوري، وعجل بروز نشاط الشيوعيين التونسيين بوصفهم ممثلين عن الفرع التونسي للحزب الشيوعي الفرنسي¹. مع تولى الجبهة الشعبية للحكم في فرنسا، انفرج العمل السياسي للحزب الشيوعي التونسي الذي طالب بتحقيق إصلاحات سياسية، اقتصادية، اجتماعية، التونسيون بضرورة فصل نشاطهم عن الحزب الشيوعي الفرنسي، ف عقدوا مؤتمراً في الفترة 21-22 1939 نتج عنه ما يلي²:

- إقرار استقلال الحزب وتسميته بالحزب الشيوعي التونسي.
 - لي التونسيين قيادة الحزب، وانتخاب علي جراد أميناً عاماً
 - أبدأ الشيوعيون التونسيون رغبة في تعديل مواقف الحزب تجاه الحركة الوطنية التونسية خاصة الحزب الدستوري الجديد.
- بداية من صيف 1939 ستزداد أوضاع الحزب الشيوعي التونسي تعقيداً نتيجة اخل الظروف الداخلية والخارجية، ما سيضع الحزب الشيوعي التونسي النضال من لحريات الديمقراطية ضد الفاشية واعتبر استقلال البلاد يمر عبر هذه الم التوجه الجديد للحزب الشيوعي سيضعه في موقف محرج أمام الرأي العام التونسي يظهره كمتحالف مع سلطات الح ، فبداية من اوت 1939 سيواجه الحزب الشيوعي نسي التغيرات على الساحة الدولية خاصة بعد ابرام الاتحاد السوفياتي معاهدة عدم الاعتداء مع الألمان، مما ستجعل مواقفه عرضة للمواجهة مع الأحزاب الفرنسية المضايقة من قبل السلطات الفرنسية³. بالتوازي مع الأحزاب السياسية، ظهرت التنظيمات النقابية كعنصر فعال في مجابهة السياسة الحماية الفرنسية، التي عملت منذ بداية الحماية (12 1882) على ترسيم النظام الرأسمالي في تونس، من خلال استحواذ

1. حبيب القردعلي، تطور سياسة الحزب الشيوعي التونسي خلال الحرب العالمية الثانية (سبتمبر 1939 - 1943):

Actes du Séminaire sur l'histoire du Mouvement National (La Tunisie de 1939 à 1945), Ministre de l'éducation de l'enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique-Programme National de Recherche (P.N.R) du Mouvement National, Tunis, 1989, p. 184-185.

2. المرجع نفسه 183.

3. 21.

وعزلها عن الحزب الدستوري، أما الحزب الشيوعي فساند جامعة عموم العملة التونسية وساند الإضرابات التي قام بها العمال التونسية و أصبح البعض منهم أعضاء فاعلين بها (، البشير الفالح و غيرهم) ، وكان الشيوعيون على تواصل مع محمد علي ، مما جعل سلطات الحزب تنعت محمد علي بعميل موسكو الجامعة امتداد للحزب الشيوعي فتعرضت لمضايقة سلطات الحماية¹.

لكن بداية من سنة 1931 بدأت انعكاسات الأزمة الاقتصادية العالمية تصل لتونس وقد تضرر منها صغار الفلاحين بسبب انخفاض أسعار المواد الفلاحية، أما من الناحية فعرفت ظهور الحزب الدستوري الجديد 1934 بعد مؤتمر قصر الهلال بسبب الخلاف الداخلي الذي وقع داخل الحزب الحر الدستوري الجديد، كما استعادة الحركة النقابية نشاطها من خلال مبادرة التنظيمات النقابية التابعة للك

بالعمل على توسيع نشاطها الحق النقابي في تونس (بر 1932) قام العمال التونسيون بتنظيم أنفسهم داخل نقابات مستقلة، إلا أن القمع الذي تعرضت له الحركة الوطنية ع 1934 شمل كذلك العمل النقابي².

كان على العمال التونسيين أن ينتظروا قدوم الجبهة الشعبية للحكم بفر؛ ليباشروا تنشيط العمل النقابي، إذ توحد النقابيون الشيوعيون والاشتراكيون و نظم العديد من الإضرابات العمالية في جهة تونس، بتزرت، صفاقس وبادر الموظفون التونسيون 13 ديسمبر 1936 لعقد مؤتمر لتنظيم أنفسهم بصفة مستقلة تحت إبطار الج

ي ، وانطلاقا من سنة 1937 شن العمال التونسيين سلسلة من الإالبة بتطبيق القوانين الاجتماعية الجديدة التي اقربها حكومة الجبهة الشعبية على التونسيين ، كان ه الإ ب الذي شنه عمال المناجم بقفصة³.

الملاحظ ان للشغل التي تضم عمال أوروبيين وتونسيين و تبنت مطلب المساوات بين تضامنت مع العمال المتضررين خاصة قطاع المناجم فإنها لم تبادر في تنظيم تحركات، و تعرض له التونسيون بعد الإ ، من ناحية أخرى لم تعطي اهتماما كبيرا بالمسألة الوط هاتها السياسية التي كانت ترفعها.

دفع ذلك العمال التونسيين لإعادة تكوين جامعة عموم العملة التونسية تكفل بإعادة تنظيمها بعض رفاق محمد علي أمثال بلقاسم القناوى، علي القروى، محمد

1. الأ 32-31

2. المرجع نفسه 39-38

3. الحركة الوطنية التونسية والمسألة العمال - (1925-1925) 2

2 الجامعي، تونس، 2015، 269

الغنوشي وبعض المناضلين في الحزب الدستوري الجديد وأعضاء في جامع :
عقدت مؤتمرها الأول بتاريخ 27 : 1937 .
تخاب بلقاسم القناوي أمينا¹. عملت الجامعة منذ تأسيسها على توحيد النقابات المستقلة ودخلت بداية من
1937 في إضرابات مفتوحة للمطالبة برفع أجور العمال التونسيين خاصة بجهة
بنزرت جابهتها سلطات الحامية بقمع شديد.²

كما دعا الحزب الدستوري الجديد الى اضراب يوم 20 نوفمبر 1937 للتضامن مع
الوطنيين الجزائريين والمغرب الأقصى ، رفضت الجامعة المشاركة فيه ، مما جعله محدودا
و لم يعرف نجاحا كبيرا ، مما أكد للحزب الدستوري الجديد أن العمل السياسي الوطني
يجب أن يكون مقترنا بالعمل النقابي ، عمل بعدها الحزب على وضع قيادة جديدة على
رأس المنظمة النقابية التونسية تلتزم بتوجهات الحزب 8 1938
الإضراب في مدينة بنزرت احتجاجا على اعتقال (:) ونفيه الى الجزائر ، فجوبه
من فرع الجامعة هناك برفض المشاركة في الإضراب و حتى بعد القمع الذي تعرضت له
الإضراب لم تعلن تضامنها معهم.³

دفعت سلوك قيادات الجامعة المعارضة لفكرة تسخير العمل النقابي في النشاط
السياسي، الحزب الدستوري الجديد إلى مطالبة مناضلي الحزب المتواجدين بقيادة
لج 29 1938 لمناقشة المشاكل التي تعترض الجامعة، إلا أنه
سرعان ما تحول المؤتمر الى صراع بين الموالين للحزب صالح بن يوسف، المنجي سليم
الهادي نوي والموالين للقناوي، انتهت بانتخاب الهادي نويرة أمينا عاما لج .
سلطات الحماية الفرنسية الصراع القائم بين الطرفين للقضاء على الجامعة ومنعت جميع
التونسيين لتقضي على ثاني تجربة نقابية مستقلة بتونس وتنصهر الكونف
4

ن العمال التونسيين ما بين الحربين العالميتين شهد تطورا ملحوظا، فقد
تمت محاولات لبناء كتل نقابي يضم جميع النقابات المستقلة، المحاولة الأولى بتأسيس
جامعة عموم عملة التونسية في : 1924 التي تعرضت للاختراق، تلتها المحاولة الثانية
أين أعيد بنائها بتاريخ 27 : 1937، لكن هذه المحاولات فشلت بسبب تداخل العمل

1. محمد لطفي الشابي 271-272.

2. نفسه، 278.

3. الأمين اليوسفي، المرجع 45.

4. علي المحجوبي، المرجع 137-136.

_____ مدخل: الوضع السياسي في الجزائر وتونس قبل الحرب العالمية

النقابي مع العمل السياسي. فكان مصير الجامعة شبيها بمصير الحزب الدستوري بعد
: 1938.

الفصل الأول

الحرب العالمية الثانية (1939-1945) وتأثيراتها على نشاط الحركة الوطنية الجزائرية

المبحث الأول: تجنيد الجزائريين وتأثيره على الحركة الوطنية الجزائرية.

المبحث الثاني: تأثير الدعاية الخارجية على الجزائريين.

المبحث الثالث: وضعية الحركة الوطنية الجزائرية خلال حكم فيشي (1940-1942).

المبحث الرابع: المسار الحركة الوطنية الجزائرية بعد الإنزال الأنجلو-سكسوني (1942-1945)

عرف العالم في النصف الأول من القرن العشرين أحداثا بارزة كان لها الأثر الكبير على شعوب العالم لعل أهمها الحرب العالمية الثانية التي قامت بين القوى المتحاربة الحلفاء (فرنسا - بريطانيا - الولايات المتحدة الأمريكية) من جهة ودول المحور (ألمانيا - إيطاليا - اليابان) من جهة أخرى، لكن نظر لكون منطقة المغرب العربي مرتبطة بالدول المتحاربة كدول محتلة، تعرضت الجزائر للاستغلال السياسي والعسكري والاقتصادي، فانعكس ذلك على نشاط الحركة الوطنية الجزائرية التي كونت لها الحرب فئة من الشباب الواعي و المتمرس عسكريا، وظهر للوجود فكر تحرري سيساهم في بلورة وعي جديد لمقاومة الاستعمار، وعلى هذا الأساس سنحاول من خلال هذا الفصل، الإجابة على التساؤلات التالية: إلى أي مدى سيكون تأثير الحرب العالمية الثانية على نشاط الحركة الوطنية الجزائرية؟ وكيف كان تفاعلها مع متغيرات الحرب؟.

المبحث الأول: تجنيد الجزائريين وتأثيره على الحركة الوطنية الجزائرية:

لقد أثارت إمكانات الطبيعة والبشرية التي تتوفر عليها الجزائر رغبة فرنسا في استغلالها إلى أقصى حد ممكن، وكانت مواردها البشرية واحدة من أوجه الاستغلال، وذلك عبر تسخير جميع السبل القانونية لتحقيق ذلك، إذ طرحت الحكومات الفرنسية المتعاقبة العديد من مشاريع القانون التي تسهل طريقة الاستغلال، فشرعت كعادتها في بث دعاية إعلامية للترويج لعمليات التجنيد و سن القوانين الإجبارية الرادعة للشباب الجزائري الفار من الخدمة العسكرية، متبوعة بإغراءات مادية،

أولا: جذور فكرة التجنيد الإجباري في الجزائر:

لقد عرفت الجزائر عدة مشاريع طرحت من طرف جنرالات لفرض التجنيد الإجباري على الجزائريين مثل مشروع الجنرال موليان (Molliere) سنة 1845 ومشروع الجنرال إيسترازي (Esterhazy) عام 1857، جميع هذه المشاريع ومشاريع أخرى قوبلت بالرفض بسبب الخلافات السياسية ورفضها من قبل وزارة الحرب والمستوطنين خوفا من حصول الجزائريين على امتيازات تسمح لهم بتحسين مستواهم المعيشية¹.

وفي مطلع القرن العشرين طرح مشروع شوتامب (Chautemps) سنة 1909 لتجنيد الالزامي للجزائريين، والذي عرف هو الآخر نفس مصير المشاريع السابقة، إلى أن جاء أودولف ميسيمي (A.Messimy)² سنة 1908 مقرر الميزانية الحربية الذي طرح فكرة تجنيد الجزائريين

1. Ageron Charles Robert, Les Algériens Musulmans et la France (1871-1919), Edition Bouchene, Paris, 2005, p.1057- 1058.

2. أودولف ميسيمي ولد في 31 جانفي 1869 بمدينة ليون الفرنسية، دخل المدرسة العسكرية فخرج منها برتبة ضابط شغل عدة مناصب منها: وزير للمستعمرات سنة 1911، ووزيرا للحربية ما بين 27 جوان 1911 و 14 جانفي 1912 في حكومة جوزيف كيبو، إنتخب نائبا بمجلس الشيوخ ما بين 1923-1935، توفي في 1

مثلا حدث في تونس وذلك استنادا لإحصائيات أكدت تناقص تعداد الجيش الفرنسي من 215000 جندي سنة 1908 وسيصل ل 210000 جندي بحلول 1915 بسبب انخفاض نسبة المواليد، مما أصبح يندرج بكارثة للأمن القومي الفرنسي¹. ودعم ميسيمي مشروعه بخطة بديلة للتجنيد لاحتمال تراجع عدد الجنود الفرنسيين وجعل من سكان تونس والجزائر مخزونا وبديلا لاحتياجات فرنسا، كما طلب من وزير الحرب جورج بيكار (Gorges Piquart) دراسة فكرة فرض التجنيد الإجباري².

ما يؤكد الاستعداد الفرنسية للأحداث العالمية القادمة في حال قيام حرب لن يكف عدد الجنود الفرنسيين لمجابهة المخاطر التي ستواجه فرنسا، بمقتضى ذلك شرع كليمنصو (Climanceau) بصفته وزيرا للداخلية في إحصاء الشباب الجزائري في سن الثامن عشر، بطريقة سرية خوفا من ردة فعل الجزائريين، تلتها فيما بعد دعاية إعلامية في الصحافة تبين فيها الفوائد التي ستجنيها فرنسا من عملية التجنيد³. لقد أجبرت الظروف الملحة وتوتر العلاقات الدولية على فرنسا التوقيع على قانون التجنيد الإجباري في 31 جانفي 1912 الذي تضمن تعديل شروط الانخراط ونسبة المنحة، تلاه مرسوم 3 فيفري 1912 الذي حدد الأطر العامة لعملية التجنيد وضم 30 مادة فصل فيها كل شيء⁴.

ونستنتج من كل ما ذكرنا أن ظروف الحرب العالمية الأولى وحاجة فرنسا لمن يدافع عليها جعلت من فكرة التجنيد رغم ما كانت تتلقاه من مقاطعة داخل الجزائر وفي فرنسا نفسها ضرورة حتمية لا مفر منها وفرض عليها إقرار التجنيد الإجباري للجزائريين، لتعويض النقص في عدد الجنود الفرنسيين. وكانت تضحيات الجزائريين خلال الحرب العالمية الأولى كبيرة، وقد بلغ عدد المجندين حوالي (172800) مجندا، شارك أغلبهم في الخطوط الأمامية

سبتمبر 1935. أنظر: عبد القادر بلجة، مسألة تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي وانعكاساتها على المجتمع الجزائري (1907-1945)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2015-2016، ص 93.

1. عبد القادر بلجة، المرجع السابق، ص 94.

2. A.N.O.M, Série H, Boite 3H56, Lettre de Messimy a Monsieur le ministre de la Guerre.

3. A.N.O.M, Série H, Boite 3H68, A/S De l' application Des Nouveaux Décret Concernant le recrutement Indigènes, 17/07/1908.

4. J.O.R.F, N° 37, 07/02/1912.

- الفصل الأول: الحرب العالمية الثانية (1939-1945) وتأثيراتها على نشاط الحركة الوطنية الجزائرية -

فيجبهات القتال الأوروبية¹، ويشير الكاتب بلقاسم رشام الى أن عدد المجندين الجزائريين الذي سقطوا في الحرب بلغ حوالي (19000) قتيل و(6000) مفقود².
وبعد الحرب تطورت مسألة التجنيد تدريجيا بالضرب على المسألة الاقتصادية كتقديم منح تحفيزية، وإصلاحات وهمية لم يرى منها الجزائريون شيئاً، سوى بعض الوعود التي لم تكن بقدر ما يمنح للجنود الفرنسيين، وركز الاحتلال الفرنسي على نوعين من التجنيد (الطوعي، الإجباري)³.

جدول رقم (1)

تطور التجنيد الإجباري في الجزائر ما بين (1921-1938)⁴

السنة	المسجلون	الحاضرون	المقبولون	المجندون	نسبة الحضور
1921	64577	49718	17402	16915	٪34.02
1922	76198	59880	16028	15487	٪25.86
1923	89836	72231	22332	21589	٪29.89
1924	95099	77380	22930	17525	٪22.65
1925	92943	75430	22214	18603	٪24.66
1926	96077	80034	24741	17533	٪21.91
1927	107809	86048	20412	15170	٪17.63
1928	108310	90691	18357	13081	٪14.42
1929	107659	91799	14362	10992	٪11.97
1930	113547	96851	21375	14725	٪15.20
1931	114113	98036	22859	10427	٪10.64
1932	72536	67468	1061	5438	٪08.06
1933	94623	78391	13757	11722	٪14.95
1934	99407	83474	18049	10316	٪12.36
1935	112233	95078	20439	10119	٪10.64
1936	104728	90574	19338	12978	٪14.33
1937	94673	79987	16414	8853	٪11.07
1938	10545	87836	17712	10598	٪12.07

1. محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ...، ج1، ص48.

2. Racham, Belkacem, Les Musulmans Algériens dans L'armée Française (1919-1945), L' harmattan, Paris, 1996, p. 23-24

3. انظر جدول رقم (1).

4. عبد القادر بلجة، المرجع السابق، ص 93-94.

وعلى الرغم من الإجراءات الفرنسية الساعية الى تجنيد الجزائريين، الا إن عمليات التجنيد لم تلق قبولا داخل المجتمع الجزائري وهو ما يدعم النسب المتواجدة في الجدول وتناقصها تدريجيا، فقد عرفت الجزائر عدة انتفاضات مثل انتفاضة دوار (أولاد عوف) في البلدية المختلطة بعين توتة بالأوراس، فقد رفض شباب المنطقة التجنيد الإجباري واعتصموا بالجبال وقاموا بعمليات ضد مصالح الكولون اشتهر فيها مسعود بن زلماط ومحمد أمزيان، وشهدت منطقة القبائل فرار جماعيا للجزائريين من الجيش الفرنسي¹.

ثانيا: المجندون الجزائريون خلال الحرب العالمية الثانية:

مع اندلاع الحرب العالمية الثانية (1939) سعت الحكومة الفرنسية إلى فرض التعبئة في منطقة المغرب العربي بموجب مرسوم الاول من سبتمبر 1939 خاصة وأن الجيش الفرنسي عانى من نقص عددي نظرا لتراجع عدد السكان مما انعكس على عدد الشباب الذين لهم السن القانونية للتجنيد، فشرعت سلطات الاحتلال في حملة دعائية تدعوا فيها الشباب الجزائري للانخراط في صفوف الجيش الفرنسي خلال مدة الحرب من خلال ملصقات على الجدران وحملات دعائية عبر الإذاعات وأوصى مخطط التعبئة في إفريقيا الشمالية بتشكيل 14 قسما². ولجأت للأسر الكبيرة ورجال الدين المساندين لها، أصحاب الأوسمة، قدماء المحاربين المساندين لسياسة الإدماج، ومثال ذلك تأكيد فدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين بقيادة صالح بن جلول في اوت 1939 مسانبتها لفرنسا في حربها للدفاع عن الأمة الديمقراطية بدعم من فرحات عباس³. كما قام شيوخ الطرق الصوفية أمثال: الشيخ بلحول شيخ الطريقة القادرية، بتشجيع أتباعه للالتحاق بالتجنيد دفاعا عن فرنسا الأم حسب قوله، وأعلن الخليفة (لخضر بن جلول) عن تشكيل فرقة القوم التي بلغ تعدادها 1000 متطوع⁴.

1. Racham, Belkacem, op-cit, p.35.

2. Christine Levisse Touzé, L'Afrique Du Nord Dans La Guerre 1939- 1945, Editions Albin Michel, Paris, 1998, p.55

3. أعلن فرحات عباس تأييده لمشاركة الجزائريين في الحرب حين قال: "نؤكد في هذه اللحظة على إيماننا بأن الانتصار الفرنسي هو انتصار الحرية... ومن اليوم سألتحق بالجيش الفرنسي، تحيا الجزائر، تحيا فرنسا".
أنظر:

Pascal le pautremat, La politique musulmane de France au Xx eme Siècle, maison neuve et la rouse, paris, 2003, p 370.

4. Mahfoud, Kaddache, L'opinion Politique Musulmane En Algérie Et L'administrassions Française (1939-1942), Revus d' Histoire De la deuxième Guerre Mondiale, N°114, Avril 1979, p 96.

وتلقت الصحافة الناطقة باللغة الفرنسية العديد من برقيات التأييد والمساندة لدعوة التجنيد من جانب مكاتب قدماء المحاربين¹.

وقد شكلت المواقف المساندة لفرنسا في حربها حافزا لسلطات الاستعمارية للعمل على الشروع في عمليات التجنيد للجزائريين، وشرعت في إعادة مراجعة دفعات التجنيد السابقة ما بين (1934-1939) وإبقاء الدفعات القريب تسريحها. كما أعادت النظر في قوائم المجندين المعفيين والمقصبين من أجل إعادتهم للخدمة فبلغ عددهم مع دفعتي 1934 و 1937 ما يعادل 70 ألف مجند². وارتفعت وتيرة التجنيد مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، حيث وصل تعداد المجندين حتى شهر جوان عام 1940 حوالي (110000) مجند³. ومع اتساع رقعة ساحات القتال زاد الطلب على المجندين، واستخدمت السلطات الفرنسية شتى الوسائل المتاحة لتجنيد أكبر قدر من الجزائريين، وترجم هذا الاندفاع، ببيان قيادة الأركان الجيوش الفرنسية، بالقول: "إن سلامة فرنسا تكمن في استغلال جميع إمكانياتها البشرية المتواجدة في شمال إفريقيا"⁴. وقد أرسل غالبيتهم إلى جبهات القتال الأوروبية، فوجدوا أنفسهم يقتالون في اجواء لم يعتادوا عليها من قبل، كما اظهر سير العمليات العسكرية ضعف قدرات الفرنسيين بالقياس بما تمتلكه ألمانيا. وهذا غير من الصورة المتداولة في أذهانهم بأن: "فرنسا قوة لا تقهر"⁵. ومما زاد الطين بلة، حالة التمييز بين المجند الجزائري والفرنسي، والذي يظهر واضحا في فترة أداء الخدمة⁶ والراتب والترقية⁷.

وحتى بعد انهزام فرنسا واحتلالها من قبل الالمان، واعتلاء حكومة فيليب بيتان (Philippe pétaine)⁸ السلطة في فرنسا-التابعة للألمان-، فإن سياسة تشجيع الجزائريين على التجنيد لم تتغير، فقد سعت حكومة فيشي هي الأخرى في ذات الاتجاه، ومن اجل رفع وتير

1. La Dépêche Algérienne, 16/02/1936.

2. A.N.O.M, Série H, Boite 3H76, Révision Des Exemple Indigènes Des Classe 1934 et 1937.

3. Belkacem, Racham ,op.cit , p180

4. IBID , p218

5. A.N.O.M, Série G.G.A, Boite N° 3R 22, Propos Tenus par les pérmini-ssionaires Venus Du Front, (1939-1940).

6. ومدة الخدمة فبينما تم تقليص مدة الخدمة العسكرية وفق قانون 1 أفريل 1923 للفرنسيين 18 شهرا بقيت عامين للجزائريين.

7. هنالك الكثير من الامثلة بهذا الخصوص، ينظر:

A.N.O.M, Série Oran, Boite n°5 I164, Note Relative à la situation des militaires indigènes et leur principales doléances ; Belkacem, Racham, op.cit, p73.

8. فيليب بيتان (1856-1951) من كبار قادة فرنسا في الحرب العالمية الأولى. انتصر في معركة فردان 1916 عند سقوط فرنسا في يد الألمان ترأس الحكومة الموالية لهم (1940-1944) حكم عليه بالإعدام سنة 1945. أنظر: المنجد في اللغة والإعلام، ط27، دار المشرق، بيروت، 1975، ص 156.

- الفصل الأول: الحرب العالمية الثانية (1939-1945) وتأثيراتها على نشاط الحركة الوطنية الجزائرية -

الانضمام للجيش الفرنسي من قبل الجزائريين، قام السلطات الاستعمارية بإغراء الشباب الجزائري مستغلة الظروف المعيشية الصعبة لهم من أجل دفعهم للتطوع في الجيش أو الهجرة إلى فرنسا من أجل العمل في المصانع الحربية الفرنسية¹. وأصدرت قانونا خاصا بالجزائريين في سنة 1943 احتوى على المنح المالية المقدمة وحددت شروطا وفق القانون الخاص للعمال الأهالي:

- أن يكون خاضعا للخدمة العسكرية.

- أن يتراوح سن العامل ما بين 20 و 30 سنة.

- ويمكن لهؤلاء العمال أن يحولوا لجهات القتال عند الضرورة.

وفي خضم تطورات الحرب، ومع دخول الولايات المتحدة الأمريكية طرفا فيها، ومشاركتها في السيطرة على الجزائر في أعقاب إنزال 8 نوفمبر 1942، شرع الحلفاء بالتعاون مع حكومة فرنسا الحرة في عملية تجنيد واسعة للجزائريين تحضيراً لحملة تونس حيث بلغ عددهم أواخر عام 1942 حوالي 12900 من قوات الاحتياطي، ومن ثم ارتفع عددهم في شهر فيفري من عام 1943 إلى حوالي 27123 بين جنود وضباط وضباط صف². ولكن بعد سيطرة قوات الحلفاء على تونس توجهت الأنظار نحو تحرير أوروبا، وكان المخطط يركز على جعل منطقة شمال إفريقيا منطلقاً لتحرير أوروبا، وهنا ستشهد الجزائر حملة جديدة للتجنيد لتعويض الخسائر البشرية التي ستقع في جهات القتال، وكانت مساهمة الجزائريين في الجيش الفرنسي عموماً ما بين سنتي (1943-1944) حوالي 150000 مجندا، وقد صرح الجنرال شارل ديغول: "هم سيف فرنسا"³.

نستنتج من كل ما ذكرناه، أن المساهمة المادية والبشرية للجزائريين في الحرب العالمية الثانية كانت كبيرة دفعوا فيها أرواحهم وشكلت الجزائر قاعدة خلفية لإمداد القوات المتحاربة في أوروبا خاصة بعد سيطرة قوات الحلفاء على الجزائر رغم ذلك لم تكن لهذه التضحيات نتائج تذكر وكانت الوعود التي قدمها الحلفاء من حق الشعوب في تقرير مصيرها مجرد ذررماد في العيون أو دعاية حرب ودليل ذلك ما تعرضوا له في 8 ماي 1945.

1. عبد القادر جيلالي بلوفة، الحركة الاستقلالية خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945) في عمالة

وهران، ط1، دار الأملية، الجزائر، 2011، ص 25-26.

2. Belkacem, Racham, op.cit, p 232 – 233.

3. Christine, Levisse- Touzé, op-cit, p50.

ثالثا: مساهمة تجنيد الجزائريين في ترسيخ الوعي الوطني التحرري:

اعتبر الاحتلال الفرنسي عملية تجنيد الجزائريين خلال الحرب العالمية الثانية أمرا بالغ الأهمية نظرا للنقص الكبير في تعداد جنودها بسبب ما لحق بها من خسائر شكل خطرا على وجود كيانها، فجعلت من مستعمراتها في المغرب العربي موردا لتغطية هذا النقص، وكانت الجزائر مصدرا هاما في هذا الجانب، واستغلت السلطات الاستعمارية جميع الظروف التي كان يمر بها الجزائريين من: فقر وحرمان وتدهور الاحوال الاجتماعية، أما بالنسبة لردود الفعل الوطنية من عملية التجنيد والحرب العالمية الثانية فتباينت بين مؤيد ورافض لها¹.

لقد عبر الشباب الجزائري عن موقفه الرافض لمسألة التجنيد بمختلف الوسائل مثل: الفرار إلى مناطق معزولة أو تغيير الأسماء وحتى اندلاع انتفاضات محلية رافضة لتجنيد أبنائهم في حرب هم ليسوا طرفا فيها، لاسيما وان الأخبار التي تصلهم من جبهات القتال، ان القيادات العسكرية الفرنسية كانت تضع الجزائريين في الصفوف الأولى في جبهات القتال كدروع بشرية للجنود الفرنسيين².

لقد شكل التمييز داخل صفوف الجيش الفرنسي بين الجندي الفرنسي ومجندي المستعمرات-بما فيهم المجندين الجزائريين-عاملا هاما في خلق حالة من الوعي بأن سياسة فرنسا واحدة تجاه مستعمراتها واحدة ولن تتغير، ان قاتلت معها او لم تقا. ومع الانهيار الفرنسي وبعد دخول الألمان للعاصمة باريس سنة 1940 ومجيء حكومة فيشي الى السلطة في فرنسا، تغيرت الصورة التي كانت عند المجندين الجزائريين الذين شاهدوا مدى الضعف والعجز الذي كان يعاني منه الجندي الفرنسي أمام الجندي الألماني لاعتبارات التفوق العسكري التكنولوجي الألماني، وفي 3 أوت 1940 أظهر تقرير حالة المجندين في اللواء السابع للرماة ومن بين ما جاء فيه: "القوات الألمانية لا تهزم، والجيش الفرنسي قاومهم بطريقة تبعث على السخرية...على المسلمين أن يثقوا في عدالة المنتصرين لأن فرنسا لم يبق لها شيء...إضافة لعبارات معادية لفرنسا تلفظ بها العديد من المجندين في الخدمة"³. ومن خلال هذا التقرير يتضح لنا مدى انحطاط هبة فرنسا في نفوس المجندين الجزائريين. وشكل

1. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1945)، ج3، ط2، دار العرب الإسلامي، بيروت، ص 170.

2. Racham , Belkacem ,op.cit , p120

3. أكدت العديد من التقارير الفرنسية أن العديد من المجندين برعف شعارات معادية لفرنسا ففي تقرير أرسلته مقاطعة مستغانم إلى عامل عمالة وهران في 15 مارس 1940 بخصوص المجند "زيان بوزيان" من اللواء 22 رماة الذي تلفظ بعبرة "الهزيمة لفرنسا مما أدى لتوقيفه. أنظر:

A.N.O.M, Série G.G.A, Boite 3R22, Arrestation D'un Militaire Indigène Pour Outrage Agent Et Propos Anti- Français, 15/03/1940.

هذا دافعا للوطنيين الذين هم صفوف الجيش الفرنسي أو المنتهية خدمتهم، للعمل على نشر الوعي وإظهار الصورة الحقيقية للوضع على الجبهات حتى يتضح للرأي العام الجزائري ما هم غافلون عنه ويعيد المناضلون في الداخل إعادة بعث نشاطهم والرفع من سقف مطالبهم وهو ما سيتضح بعد سقوط باريس ومن خلال مطالب المقدمة لحكومة بيتان وبعد نزول الحلفاء بالجزائر أين تبين الضعف الكبير من خلال استعانة قادة فرنسا الحرة بالولايات المتحدة الأمريكية والإنجليز لتحرير مستعمراتها وفرنسا نفسها من دول المحور¹.

وقد شعرت السلطات الاستعمارية والقيادات العسكرية الفرنسية بحالة التدمير لدى المجندين الجزائريين، واحتمال تأثر هؤلاء بالنشاط الدعائي للحركة الوطنية الجزائرية، وهو ما دفعها لإخضاع رسائلهم للمراقبة والفحص من قبل السلطات المختصة، في محاولة منها في منع أي تأثير سلبي على سمعتها ومكانتها في نظر المجندين². كما جرى تعيين ضباط استعلامات لمراقبة الوضع وبيان تأثير المجندين بالدعاية من جانب الحركة الوطنية. وقد أظهرت التقارير الاستخبارية أن النضال الوطني في صفوف المجندين مس بالدرجة الأولى المجندين بالاستدعاء (إجباريا) خاصة الذين أرسلوا إلى فرنسا³.

ودلالة على هذا التأثير، دور حزب الشعب الجزائري في التمرد الذي عرفته الثكنة العسكرية في الحراش (Maison Carré) بتاريخ 25 جانفي 1941، عندما تمرد قرابة 570 مجند جزائري، اذ بعد قتل الحراس غادروا الثكنة ونزلوا الشارع مطلقين النار على المستوطنين ومردددين شعارات "الجهاد، والجهاد في سبيل الله"⁴. ولكن سرعان ما تم القضاء عليه، ويتضح لنا، من أن هذا التمرد لم يأت من عدم وإنما جاء نتيجة وجود وعي وطني في صفوف المجندين ناتج عن تراكمات السياسية الفرنسية وعدم المساواة التي ميزت عملية التجنيد، إضافة إلى ذلك الشعارات التي رفعها المتمردون لم تأت تلقائيا وإنما نتاج وعي ديني، فالدعوة للجهاد هدفه الكفاح ضد المحتل وإخراج الغازي من البلاد وليس المطالبة بالمساواة مع الجنود الفرنسيين مثلما ادع قادة الجيش الفرنسي⁵.

وتأكيد على تنامي الوعي الوطني لدى المجندين الجزائريين، فقد كشفت تقارير استخبارية فرنسية أن عملية تفتيش الأسرى من الجنود الجزائريين العائدين بعد تحرير فرنسا بتاريخ مارس 1945 أفضت إلى العثور على رسائل تؤكد هذا الاتجاه، ومنبين هذه الرسائل: رسالة كتب فيها: "أخي العزيز إذا أردنا الحرية والاستقلال فعلينا التضحية، ولا يجب

1. عبد القادر بلجة، المرجع السابق، ص 184.

2. المرجع نفسه، ص 185.

3. Racham , Belkacem ,op.cit , p.126

4. Ibid ; p .196

5. Racham Belkacem, op.cit, p 199.

- الفصل الأول: الحرب العالمية الثانية (1939-1945) وتأثيراتها على نشاط الحركة الوطنية الجزائرية -

أن نتحجج بانعدام الأسلحة. لا بد من الاقتداء بالقوات الفرنسية الداخلية، التي استطاعت التخلص من الاحتلال". أما الرسالة الثانية: "لا زالت الأوضاع على حالها، ولا زال هؤلاء الأوغاد الفرنسيين يتحكمون في البلاد ولكن هذا لن يدوم طويل"¹. ومن تحليلنا لهاتين الرسالتين يتبين لنا مدى تخوف سلطات الاحتلال من المجندين العائدين من خلال عملية التفتيش والمراقبة التي كانوا يتعرضون لها، والتدقيق في الرسالتين يؤكد النزعة الثورية وتشبعهم بفكر جديد ونظرة جديدة تجاه فرنسا، وذلك راجع للضعف الذي ظهرت فيه فرنسا أمام القوات الألمانية في جبهات القتال فلولا تدخل الحلفاء وتحريرهم لها لضلت تحت السيطرة الألمانية.

أما الفترة التي تلت نزول الحلفاء بشمال إفريقيا بشكل عام -والجزائر بشكل خاص في 8 نوفمبر 1942- عرفت زيادة في عدد المجندين الجزائريين استعدادا لمرحلة القضاء على تواجد المحور في تونس واسترجاع الأراضي الأوربية التي استولى عليها الألمان بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، خلال المراحل الأولى استدعاء المجندين الجزائريين للحملة على تونس لم تكن هناك استجابة كبيرة وهذا يدل على درجت الوعي التي أصبح عليه الشباب المستدعى للخدمة ويرجع ذلك لعدة أسباب، وهي²:

- إدراكهم لمدى الضعف الذي أصبحت عليه فرنسا بعد هزيمة 1940 ولجؤها إلى دول أخرى لاسترجاع أراضيها.

- تدني وضعية المجندين في صفوف الجيش الفرنسي بفعل المعاملة العنصرية من طرف قيادات الجيش الفرنسي.

- نضال الحركة الوطنية في صفوف المجندين الجزائريين ويمكن اختصار ذلك من خلال التحول الذي طرأ على موقف فرحات عباس والذي صرح قبل الحملة على تونس: "لا تعبئة للجزائريين، إلا إذا أدركوا لماذا يحاربون".

كل هذه الأسباب كانت مقنعة للشباب الجزائري للهرب من التجنيد أو الفرار من الخدمة بعد الالتحاق، ففي 29 سبتمبر 1943 رصدت سلطات الاحتلال الفرنسية حالات عدة لفرار المجندين خصوصا إلى منطقة القبائل، وأكدت التقارير الاستخبارية أن أعضاء من حزب الشعب الجزائري نشطت في تحريض الشباب الجزائري على عدم الالتحاق بصفوف الجيش الفرنسي³.

إن تطورات الحرب العالمية الثانية وضعت ولاء المجندين الجزائريين لفرنسا على المحك، وأن رضوخ المجندين له حدوده، وقد عرفت الثكنات وجبهات القتال نشاط وطني من

1. عبد القادر بلجة، مرجع سابق، ص 199-200.

2. شارل روبر أجيرون، المرجع السابق، ص 19.

3. Christine, Levisse - Touzé, op-cit, P 344-345

حزب الشعب الجزائري حيث علق أحمد محساس في هذا الشأن، قائلا: " إن تعاليم الحركة الوطنية قد انتشرت بين العساكر الجزائريين"¹. وهو ما أشارت له التقارير الفرنسية المختلفة، فقد ورد في أحد التقارير بتاريخ 13 أفريل 1945 عن مخطط لبعض الوطنيين بالتنسيق مع مجندين من أجل إعلان انتفاضة بداية من فرار المجندين من الثكنات مع أسلحتهم وبدأ الهجمات، وذكر التقرير أن المخطط برمج بداية بهجوم من سطيف على كتيبة الدرك والحرس الجمهوري والثكنات ومقر البلدية للاستيلاء على الأسلحة. وقد وجهت أصابع الاتهام إلى المدعو دجاكتا إبراهيم ملازم أول من مدينة بريكا والمساعد سعيدي ومجموعة من ضباط صف يقفون وراء هذا المخطط².

كما ذكرت مصلحة الاستعلامات أن مجموعة من مناضلي حزب الشعب تسعى لتشكيل خلية وسط المجندين، وفي العلمة (Saint - Arnaud) قامت مجموعة من أحباب البيان بالاتصال بفرقة من الرماة لإعلان الجهاد، وفي 8 ماي 1945 لم يشارك مناضلو حزب الشعب في المظاهرات لاتصالهم مع مجندين في صفوف الجيش الفرنسي، واتفقهم معهم على جلب السلاح الموجود في المدرسة العسكرية لتنظيم مقاومة، وفي سعيدة ذكرت التقارير أن خلية حزب الشعب هي من كانت وراء عملية التخريب التي طالت دار البلدية وقد تم العثور أثناء اعتقالهم على وثائق لحزب الشعب، أما في تلمسان فإن التقرير دلت على وجود خلية من المناضلين لحزب الشعب كانت على اتصال ب فرقة للرماة³.

نستنتج من خلال هذه التقارير أنه مهم كانت درجة تضارب المعلومات الموجودة فيها فإن هناك تأكيد لمسؤولية الحركة الوطنية في التخطيط لعمليات مسلحة عارمة شملت أجزاء واسعة من الجزائر (سعيدة - وهران - تلمسان - سطيف - قالمة) والذي منع تنفيذها هو العمل المستمر للاستعلامات الفرنسية والجيش الفرنسي والذي وجهت له تعليمات بقمع كل تمرد بكل الوسائل قبل انتشارها، والخلاصة المراد الوصول إليها هي أنه رغم التضحيات المادية والبشرية التي ساهم بها الجزائريون في تحرير فرنسا من السيطرة الألمانية، لم تشفع لهم لدى إدارة الاحتلال التي نكلت بهم في مظاهرات 8 ماي 1945 وقمعت كل نوع من محاولة الانتفاض، كل هذا زاد من وعي الجزائريين سواء المجندين أو المناضلين في مختلف التيارات الوطنية، وساهمت عملية التجنيد في تغير مفاهيم النضال الوطني خاصة فرحات عباس الذي تجند في صفوف الجيش الفرنسي وشاهد التمييز المسلط على الجزائريين .

1. أحمد محساس، المصدر السابق، ص 186.

2. عبد القادر بلجة، المرجع السابق، ص 220.

3. المرجع نفسه، ص 222.

وشكل تجنيد الجزائريين خلال الحرب العالمية الثانية رافعة ساهمت في خلف جيل من الجزائريين المتمرسين في الحرب والمتمسكين بوطنهم، وقد ساهم نشاط المناضلين من حزب الشعب الجزائري والتيارات الأخرى في وسط المجندين الجزائريين في الرفع من الروح الوطنية وهو ما ذهب بهم في بعض الحالات إلى الفرار من الخدمة والتمرد ضد السياسة الفرنسية المطبقة على المجندين الجزائريين¹. كما لم تسلم الجزائر من الدعاية الأجنبية المتضاربة لدور المحور والحلفاء التي كان لها التأثير على مختلف فئات المجتمع بما فهم المجندين، وعمدت لاستخدام مختلف الوسائل للتأثير على علمهم. فما طبيعة الدعاية المتضاربة التي تعرضت لها الجزائر من الأطراف المتصارعة؟

رابعا: موقف الحركة الوطنية من مسألة التجنيد:

أما موقفقوى الحركة الوطنية الجزائرية من مسألة التجنيد فقد اظهر تباينا، ففي تجمع أقامه مصالي الحاج في أفريل 1937 خاطب الشباب المقبل على التجنيد قائلا: " إذا رفضت فرنسا أن تعطينا رغيف الخبز الذي هو من حقنا، فلا تعول علينا للدفاع عن خط ماجنو Maginot"². وفي ديسمبر من نفس السنة نشر الحزب دعوة تحريضية تحث المسجلين للتجنيد على عدم الالتحاق بالثكنات³. وقد زاد نشاط الحزب تجاه المجندين لإبراز موقفه المعارض للتجنيد من خلال توزيع المنشورات، ففيمنشور وزع بتاريخ أكتوبر 1938 وجاء فيه: " مسلمو فرنسا الذين يشكلون ثلث الجيش الفرنسي لا يريدون أن يكونوا مرتزقة في حرب لا تعنيهم... نعم للدفاع عن الحرية ومن أجل حقوق الجميع، لا للحرب من أجل ملك بروسيا"⁴. من خلال قراءة مركزة للمنشور، يتضح لنا أنحزب الشعب أراد إيصال رسالة للسلطات الفرنسية بأن الشعب الجزائري لن نقدم شيئا بدون مقابل.

أما جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رغم تظاهرها بالحياد أثناء قيام الحرب العالمية الثانية، إلا أن شارل روبر أجيرون قد أشار أن الشيخ ابن باديس صرح في سبتمبر 1939 بأن هذه الحرب لا تعني الجزائريين وأكد لتلاميذه أن أي تمرد ضد فرنسا سيكون هو على رأسه إذا أعلنت إيطاليا الحرب عليهما. ولكن، علبالرغم من رفض الجمعية المشاركة في الحرب وهو موقف معروف عند كافة الشعب الجزائري، لكن مشاركة الشيخ ابن باديس في تمرد هو في رأي معلومة مبالغ فيها يراد منها مقاصد أخرى هي بعيدة عن فكر ابن باديس ومبادئه⁵.

1. عبد القادر بلجة، المرجع السابق، ص 223.

2. Racham, Belkacem, op.cit, p 120.

3. Ibid, p122.

4. Journal El Ouma, 25 October 1938.

5. شارل روبر أجيرون، المرجع السابق، ص 940.

بينما جاء موقف فدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين مغايرا للمواقف السابقة، حيث نشرت جريدة (écho d'Oran) برقية لرئيسها بالقطاع الوهراني جاء فيها: "في الظروف الصعبة التي نمر بها لا بد أن نجدد لكم باسم السكان المسلمين الجزائريين وباسم المنتخبين الذين يمثلهم تعاطفنا الوطني وارتباطنا الخالص بفرنسا"¹. وقد أكد قادة النواب مساندتهم لفرنسا في حربها وتطوع كل من: ابن جلول وفرحات عباس في الجيش الفرنسي تجسيدا لأفكارهم التي تشبعوا بها من تعليمهم في المدارس الفرنسية والشعارات البراقة (الحرية والديمقراطية) التي لم يروها على أرض وطنهم².

وفيما يخص موقف الحزب الشيوعي الجزائري فلم يكن حرا فارتبط موقفه بالعلاقات السوفيتية الألمانية ومدى بقاء معاهدة الصلح الموقعة بين الطرفين في 23 أوت 1939، وتعرض الشيوعيون نتيجة ذلك لحملة اعتقال واسعة مست معظم المنخرطين، وقامت سلطات الاحتلال بمصادرة المنشورات القادمة من الاتحاد السوفياتي وبقيت جريدة النضال الاجتماعي (La lutte social) التي كان شعارها معاديا للإمبريالية³. كما تم تعطيل مجالس منتخبة يوجد فيها أعضاء شيوعيين مثل: مجلس المحمدية ومنع أعضائه الشيوعيون من حضور الجلسات وعموما بقي موقف الشيوعيين ملتبسا في بداية الحرب لكن مع قيام الألمان بالهجوم على الاتحاد السوفيتي ودخول الأخير الحرب لجانب الحلفاء أصبح موقف الشيوعيين الجزائريين واضحا وهو مساندة الحلفاء والدعوة الى مشاركة الجزائريين فيها ضد العدو المشترك الذي أصبح يهدد معقل الشيوعيين⁴.

وما يمكن استنتاجه من خلال هذه المواقف المتباينة من طرف التيارات السياسية للحركة الوطنية فإن المشاركة الجزائريين في جهات القتال كانت محسومة، فقد لجأت سلطات الاحتلال إلى سن قوانين تتيح لها السير في مخططات التجنيد وهو ما تطرقنا له سابقا والتساؤل المطروح هنا - إلى أي حد ساهم التجنيد الإجباري في ترسيخ الوعي الوطني في صفوف المجندين الجزائريين؟

1. نقلا عن: فاطمة زهراء آيت بلقاسم، الحرب العالمية الثانية وتأثيراتها على الحركات لوطنية المغربية الجزائرية والمغرب الأقصى أنموذجا دراسة مقارنة (1939-1956)، أطروحة شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016-2017، ص 44.

2. المرجع نفسه، ص 45.

3. عز الدين زايدي، المرجع السابق، ص 93.

4. المرجع نفسه، ص 94.

المبحث الثاني: تأثير الدعاية الخارجية على الجزائريين

تضاربت الدعاية بين دول المحور والحلفاء تجاه الجزائريين، واختلفت في أهدافها وتأثيرها في شعوب المستعمرات ومنها الجزائر، فاستعملت وسائل دعائية متعددة كان لها تأثيرها على الجزائر قبل واثناء الحرب، فتباينت نتائجها وردود الأفعال اتجاهها، وسنتناولها كما يلي:

أولاً: دعاية دول المحور:

نشطت الدعاية الموجهة لدول المغرب العربي في ألمانيا نفسها، اعتماداً على دراسات أكاديمية علمية للبلدان (اللغة - الدين - التاريخ)، كما أسست جمعيات إسلامية، معهد خاص باللغة العربية، كما اهتمت جل الجامعات الألمانية بتدريس اللغة العربية فيكل من (برلين وهامبورغ وميونخ)، فيما تأسست ببرلين لجنة الدفاع عن المغرب العربي، الاتحاد لتحرير الإسلام، الجمعية الألمانية للدراسات الإسلامية التي لعبت دور الجامع لكافة الجمعيات. إضافة للجمعيات التي أسسها العرب في برلين كالنادي العربي، الذي كان عبارة عن همزة وصل بين الأقطار العربية، وأصدرت العديد من المؤلفات باللغة العربية قاربت 60 مؤلفاً¹.

أما في العاصمة النمساوية فيينا فقد أسس تحت رعاية شكيب أرسلان و رئاسة البارون النمساوي المسلم عمر ردولف فون ارينفلس (Von Ehrenfels) الرابطة الثقافية الإسلامية سنة 1933 وضمت العديد من الشخصيات ومن جنسيات مختلفة ولها عدة فروع في أوربا². ونشطت القنصليات الألمانية في الدول العربية بالتعاون مع المخبرين ونسقوا عملياتهم مع وزارة الدعاية، فحسب ما أوردته جريدة مانشستر غارديان (Manchester Guardian) أن وزارة الدعاية بالتعاون مع وزارة الخارجية أرسلت 50 عميلاً ألمانيا إلى إفريقيا والشرق الأوسط كان لهم الدور الكبير في نشر الدعاية الألمانية³.

كما قدمت ألمانيا نفسها للعالم العربي -خاصة منطقة المغرب العربي- كمخلص من الظلم والاستعباد الذي تمارسه فرنسا، وذلك على الرغم من نظرة هتلر المحتقرة للعرب والمسلمين، كما حاولت الدبلوماسية الألمانية إظهار نفسها كمساند للشعوب المستعمرة وداعمة لتحررها. فقد أدت الانتصارات الدبلوماسية التي حققتها ألمانيا في مؤتمر ميونيخ في 30 سبتمبر 1938 حسب تعبير ونستون تشرشل (Sir Winston Churchill) إلى زيادة نشاطها في شمال

1. Bernard Vernier, la politique islamique de l'Allemagne, centre d'étude de politique étrangère section d'information, p n5, paris, 1962, p. 48-49.

2. Bessis Juliette, Chakib Arslan et le fasciste in Maghreb Questions d'histoire, paris, L'harmattan, 2003, pp 25

3. Bernard Vernier, op-cit, p. 48-49.

إفريقيا قبيل اندلاع الحرب بإرسال مجاميع استخباراتية مكونة من ضباط ألمان درسوا اللغة العربية لإرسال إحصائيات عن حجم تأثير الدعاية الألمانية في المنطقة¹.

كما ركزت الدعاية الألمانية في منطقة المغرب العربي على وسائل متعددة، منها: الحصص الإذاعية التي كان يبثها (راديو برلين) والذي بدأ الإرسال باللغة العربية نحو مناطق المغرب العربي في 25 أبريل 1939². فقد أشارت وثيقة أرشيفية صادرة عن المركز الجهوي للمعلومات بوهران بتاريخ 20 سبتمبر 1939 أن راديو برلين بث في 19 سبتمبر باللغة العربية ترجمة لخطاب هتلر ألقاه في مدينة دانزينغ (Dantzig)³. وفي نشره معلومات سرية صادرة عن المركز الجهوي للمعلومات بوهران، بثت حصة أخرى لراديو برلين بتاريخ 27 فيفري 1940 بيانا باللغة العربية الفصحى جاء فيه: "منذ أسبوعين دخل الجزائريين القادمون من الحج من بينهم الجاسوس قدور بن غبريط المصنف حسب الحملة الدعائية للإذاعة على أنه من أذئاب الاستعمار الفرنسي وأتبعته الحصة كلامها بأن قدور بن غبريط كان الضامن الوحيد للحجاج الذين ذهبوا ولم يرحس لهم"⁴. إن أهداف الدعاية الألمانية من نشر هذه الأخبار بث التفرقة في أوساط الجزائريين ومحاولتها تهميش النخبة الجزائرية المتعاملة مع فرنسا لإبعادها على الجماهير حتى تجد لها موطئ قدم لدعايتها فكانت تلعب على الوتر الحساس ونقاط ضعف السياسة الفرنسية من خلال التفرقة الاجتماعية التي طبقتها وسط المجتمع الجزائري. وهناك العديد من الحصص الإذاعية التي بثها راديو برلين تظهر غايات الدعاية الألمانية الموجهة الى الجزائريين في النقاط التالية:⁵

- الحصة 1: يوم 4 ديسمبر 1939 تساءل المعلق عن سبب وقوف الجزائريين لجانب فرنسا قائلا: (نحن نتساءل كيف للمسلمين مساعدة فرنسا وهي التي حرمتهم من حقوقهم).

1. تشرشل وتسون، مذكرات تشرشل، ج1، منشورات مكتبة المنار، بغداد، د ت، ص 56-57.
2. تم تأسيس راديو برلين الناطق باللغة العربية بعد اجتماع الرابطة الألمانية بالقاهرة تقرر فيه إنشاء إذاعة ناطقة باللغة العربية تنطلق من برلين، ورشح شكيب أرسلان ويونس بحري لتولي الإشراف عليها (هنا برلين حي العرب) بهذه العبارة افتتحت الإذاعة بثها، وذلك على الساعة السابعة من يوم 7 أبريل 1939 وأصبحت أول إذاعة ألمانية ناطقة باللغة العربية. تولى الدكتور تقي الدين الهلالي (مغربي) ترجمة البلاغات الرسمية القادمة من الإدارة الألمانية وانضم إليه عبد الرحمان ياسين (تونسيالجنسية) وتولي الإشراف على القسم الموجه للمغرب العربي. أنظر: يونس بحري، هنا برلين حي العرب، ج4، مطبعة الجهاد، بيروت، دت، ص 5-6.

3. A.W.O, cart4476, N0 366, lettre secret de renseignement de centre d'information et d' d'étude au préfet d'oran (propagande Allemande), 20/09/1939.

4. Ibid, p 3.

5. عبد القادر بلجة، المرجع السابق، ص 166-169.

- الفصل الأول: الحرب العالمية الثانية (1939-1945) وتأثيراتها على نشاط الحركة الوطنية الجزائرية -

- الحصة 2: يوم 5 جانفي 1940 انتقد المعلق العراقي يونس بحري ارتفاع ضحايا وباء الحمة الصفراء في صفوف الجزائريين.
- الحصة 3: بتاريخ 7 جانفي 1940 تعليق ضد رئيس فدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين في القطاع الوهراني المدعو (المكي) بعدما بعث رسالة تهنئة لدلادي بمناسبة رأس السنة باسم المسلمين الجزائريين¹.
- الحصة 4: بتاريخ 20 فيفري 1940 بث راديو برلين تعليق موجه للمجندين المغاربة حث فيه على العصيان وعدم الالتحاق بالجيش الفرنسي جاءت فيه العبارة التالية (لا تدافعوا على الذين إضطهدوكم وأغرقوكم في البأس والحرمان).
- الحصة 5: في افريل 1940 أذاع راديو برلين نبأ خلافة الشيخ البشير الإبراهيمي بعد وفات الشيخ عبد الحميد ابن باديس مما ترك انطباعا باطلاع ألمانيا على ما يحدث في الجزائر، تضيف إلى ذلك استغلال الدعاية الألمانية للمناسبات الدينية لتقديم التهنئة للمسلمين².
- وهنا لابد من الإشارة إلى اعتماد ألمانيا على محطات دعائية أخرى مثل: إذاعة شتوتغارد (stuttgart) الناطقة بالفرنسية التي تتابع خاصة من طرف الجزائريين وإذاعة ميونيخ (Munich)، صار بروكن (Sarrbrucken)، فرنكفورت (Frankfort) التي توجهت دعائها هي الأخرى لمنطقة المغرب العربي ببيانات رسمية بالعربية والفرنسية، إلا ان الملاحظ، من ان هذه الاذاعات لم يكن لها تأثير مثل راديو برلين³.
- وبعد سقوط باريس في 16 جوان 1940 سيطر الألمان في 20 جويلية 1940 على المحطة الفرنسية باريس مونديال (Paris Mondial) التي كانت تبث الدعاية المضادة الفرنسية وأصبحت في خدمة الدعاية الألمانية، فطوعوا عددا من المغاربة للعمل كمذيعين ومثقفين لإلقاء محاضرات مساندة للألمان استعملت اللغتين العربية والقبائلية⁴.
- كما أسس الألمان مكتب الدعاية النازية المختص بالمغرب العربي (الجزائر-تونس - المغرب) أطلق عليه خلية الشؤون الإسلامية وكان على رأس الخلية الجزائري (بلقاسم

1. المرجع نفسه، ص 166-167.

2. المرجع نفسه، ص 169.

3. Charles Robert Ageron, les populations du Maghrab face à la propagande allemande, Revus d'histoire de la Deuxième Guerre Mondial, n0 114, 1979, p14.

4. Charles Robert Ageron, op-cit, p14.

راجيف)¹ وعناصر أخرى أمثال: محمد إقاربوشان وسي جيلالي وغيرهم، خلال الفترة التي تلت سقوط باريس إلى غاية نوفمبر 1942 مالت الكفة للدعاية الألمانية في الأوساط الجزائرية ومال الأوربيون لدعم نظام فيشي حفاظا على مصالحهم². ويذكر فرحات عباس أن 80 % من المعمرين الفرنسيين في الجزائر كانوا مواليين لحكومة فيشي التابعة للألمان وكان همهم الوحيد عندئذ، الاحتفاظ بالجزائر تحت سلطتهم، كما ظهرت فهم روح التمرد على حكومة باريس حتى أن المسؤولين منعوا مقالا لهم من الظهور جاء فيه: "لقد ارتكبت فرنسا أخطاء، وعليها وحدها أن تدفع الثمن ولسنا على استعداد لدفعه بدلها"³.

والملاحظ أنا طوال فترة الحرب العالمية الثانية وما سبقها، فعلى الرغم من قوة الدعاية الألمانية عبر الراديو لم يكن لها تأثير يذكر، لكون غالبية الجزائريين لم يمتلكوا مذياعا نظرا لظروفهم المعيشية، ويمكننا القول، أنها مست طبقة من الجزائريين الذين سكنوا المدن والكولون الذين توفرت لهم أجهزة المذياع،

وبناء على ما سبق، لم يعتمد الألمان على المحطات الإذاعية فقط، وإنما عملوا على تنوع ادواتهم الدعائية، والتي شملت⁴: الصحف التي كانت تصدر في المانيا، نذكر منها: (Le Parizer zeitung –Deutche kolonial zeitung das reich Francfurter Signal) ، فضلا عن الصحف الكولونيالية الصادرة في الجزائر والتي استخدمها نظام فيشي مثل: لاديبيش ألجيريان (la Dépêche algérien) ، لافواي كولون (la Voie des colonial) ، وكانت هذه الصحف تنشر أخبار عن الألمان وحكومة بيتان وشعارات الدولة الفرنسية وتنتقد اليساريين والإنكليز. الى جانب إرسال الأعوان إلى منطقة المغرب العربي⁵.

كما عمل الألمان لضرب عملية التجنيد في منطقة المغرب العربي بشكل عام والجزائر بشكل خاص، ركزت الدعاية الألمانية من خلال مختلف محطاتها الإذاعية على دعاية تحريضية

1. بلقاسم راجيف: ولد في 19 سبتمبر 1909 بدوار اوالمو بتيزي وزوا، في أواخر 1930 انخرط في نجم شما إفريقيا وبعد اجتماع سنة 1933 عين بالمكتب السياسي رفقة مصالي الحاج وعمار عماش وسي جيلالي وبانون اكلي، كان من مؤسسي حزب الشعب الجزائري، تعاون مع الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية خدمة لاستقلال الجزائر وذلك من خلال العمل في حصص إذاعية في راديو باريس مونديال موجهة لشعوب المغرب العربي. أنظر: قدارة شايب، الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعب الجزائري (1934-1954) دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، 2007، ص 318-319.

2. عبد القادر جيلالي بلوفة، المرجع السابق، ص 57-58.

3. المرجع نفسه، ص 137.

4. المرجع نفسه، ص 54-55.

5. عبد القادر بلجة، المرجع السابق، ص 137-138.

تسعى من خلالها إلى تشجيع المجندين على عدم الإلحاق بئكتناتهم والفرار من جبهات القتال نحو القوات الألمانية. ومن خلال بيان بث عبر راديو برلين باللغة العربية بتاريخ 7 ديسمبر 1939 جاء فيه مايلي:¹ "تونسيون ومغاربة وجزائريون تم اعتقالهم من طرف الألمان في الحدود الغربية، جميع هؤلاء المساجين يعتقدون بإيعاز من الفرنسيين أنهم إذا وقعوا في الأسر سوف يتم قطع رؤوسهم، الفرنسيون أطلقوا دعايتهم في وسط المجندين الأهالي لاعتقادهم الراسخ أنهم سيسلمون أنفسهم للألمان... وقد تم علاج المساجين المصابين"².

أخذ الدعاية الألمانية والإيطالية تترك تأثيرها في صفوف الحركة الوطنية، لاسيما عدد من مناضلي حزب الشعب الجزائري الذين كونوا لجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا في اجتماع عقد ببباريس في شهر فيفري 1939، ترأس اللجنة وأشرف على تسييرها كل من: الرشيد أو عمران، عبد الرحمن ياسين، محمد هني، الحاج شرشالي، محمد طالب، بقدم عبدون، الشريف ساحلي، مصطفى باشا وآخرون. وفي 20 جوان 1939 توجه عدد منهم إلى ألمانيا يقودهم كل من الرشيد أو عمران وعبد الرحمن ياسين، تمرسوا خلالها على طرق التخريب وحرب العصابات ووعدهم الألمان بالمساعدة، وبعد العودة اتصل قادة اللجنة الثورية بمصالي الحاج في سجنه بالحراش الذي رفض ما قام به المناضلون وطالبهم بالاستقالة من حزب الشعب الجزائري³. واعتمدت اللجنة على بعض المساعدات المالية المقدمة من قبل القنصلية الإيطالية، فقد كان الدعم المالي للمحور ضعيفا ولم يصل للمستوى المطلوب، وسرعان ما تغيرت الأوضاع مع احتلال الألمان لفرنسا في جوان 1940 حيث أعيد تنظيم الحزب من قبل المهاجرين في فرنسا وساهم كل من اتحاد عمال شمال إفريقيا، لجنة اللاجئيين السياسيين لشمال إفريقيا ببرلين، اللجنة السرية للنشاط الثوري بفرنسا في ذلك⁴. وقامت اللجنة بعدة أعمال داخل الجزائر منها تنظيم مظاهرات في 30 سبتمبر 1943 احتجاجا على السياسة الفرنسي تجاه مطالب الحركة الوطنية الجزائرية وسجن زعمائها، وقامت بإصدار (جريدة العمل الوطني) التي ترأس تحريرها سيد علي عبد الحميد⁵.

ما يمكن الخروج به من خلال دراسة عمل اللجنة الثورية لشمال إفريقيا أنها أحييت فكرة العمل المسلح داخل حزب الشعب رغم الخلافات التي ظهرت نتيجة التوجه نحو الألمان، لكنها أخفقت في تجسيد فكرتها في القيام بثورة من أجل تحرير الجزائر، وهي الفكرة التي امن

1.A.W.O, Boite 4476, N0 366, bulletin Des Renseignements secret de Centre de Départemental d'information d'oran au préfet d'oran (propagande Allemande), 2/1/1940.

2.Ibid.

3.عبد القادر بلجة، المرجع سابق، ص 142.

4.المرجع نفسه، ص 41-42.

5. فاطمة الزهراء آيت بلقاسم، المرجع سابق، ص 57.

بها اعضائها عبر التعاون مع قوة مناوئة لفرنسا¹. وذلك لعوامل عديدة منها نقض الألمان لتعهداتهم وعدم تقبل فكرتهم من طرف جميع أعضاء حزب الشعب الجزائري. رافقت الدعاية الإيطالية في الساحة الجزائرية حليفها الألمانية لاسيما في المناطق الشرقية منه، لكونها تتاخم حدودها في الأراضي الليبية، فركز الإيطاليون في الجزائر بداية على الاستعلامات من خلال الحصول على معلومات حول القوة الفرنسية العسكرية الموجودة بالجزائر، فجددت قنصليتها العامة التي كان يقودها القنصل العام كاليس (Calisse) ونائبه بينا كاربوني (Pinacarboni) ونواب القنصل المتواجدين في مدن: وهران، قسنطينة، عنابة، جيجل، وقد اعتمدت في دعايتها كذلك على الجالية الإيطالية التي بلغت 10000 إيطالي و23000 متجنس توزعوا على مختلف المدن، مثل: الجزائر، عنابة، وهران، سكيكدة، قسنطينة، تبسة، سطيف، باتنة، سيدي بلعباس، سوق أهراس، بجاية، ومن بين الأسباب التي دفعت إيطاليا للاهتمام بالجزائر هو الاستحواذ على الثروات الطبيعية والإمكانات الزراعية التي تزخر بها والتي تعتبر عمادا للصناعة الإيطالية².

لقد عرفت الجزائر نشاطا مكثفا للدعاية الإيطالية، والتي انتشرت بشكل كبير في عمالة قسنطينة، وتمكنت هذه الدعاية الإيطالية من تحقيق نتائج مهمة لا يمكن الاستهانة بها في إطار الصراع القائم بين القوى الأوروبية في كسب سكان منطقة المغرب العربي. وقد اتبع الإيطاليون في عملهم ذات الأساليب الدعائية التي اتبعها الألمان في نشاطهم تجاه منطقة المغرب العربي، والتي تمثلت في:

- النشاط الدعائي عبر موجات الراديو، وذلك من خلال تخصيص حصص اذاعية عبر محطاتها الاذاعية، مثل محطة راديو باري³ الناطق باللغة العربية، وكما جرى إصدار نشرية شهرية كانت توزع في الجزائر¹.

1.Mohamoud Abdoun, Témoignage D'un Militant Du Mouvement Nationaliste, Edition Dahleb, Alger, 1990, p. 46.

2 عبد القادر بلجة، مرجع سابق، ص 144.

3 قامت إيطاليا منذ منتصف الثلاثينيات بوضع برامج إذاعية ناطقة باللغة العربية موجهة إلى شمال إفريقيا والمشرق العربي، الغرض من ذلك بث الدعاية الفاشية نحوها، وتم افتتاح محطة باري في سنة 1934، لتكون بذلك إيطاليا أول دولة تبث حصص إذاعية موجهة نحو العالم العربي، ومنذ سنة 1937 أصبحت محطة باري تبث يوميا، جندت خلالها إيطاليا العديد من رجال الإعلام العرب مقابل المال، كما أصدرت نشرات بالعربية واستعملت في بعض الأحيان اللهجات المحلية. عملت الحكومة الإيطالية على استغلال مواقف المثقفين العرب الذين يستطيعون التأثير في شعوبهم، واستقطابهم نحو الدعاية

- استعمال الجواسيس في التحرك داخل الجزائر.²
- كما اعتمدت الدعاية الإيطالية على أساليب دعائية أخرى، كالتواصل مع مراسلي الجرائد العربية والإيطالية منهم؛ حسان صالح وهو تونسي كان يعمل مراسلا لجريدة الوادي المصرية الذي قام بزيارة لقسنطينة في 24 ديسمبر 1937 والتقى بمجموعة من التونسيين والجزائريين وحدثهم عن التطور الذي شهدته إيطاليا في عهد موسوليني وأكد لهم أنه مستعد لدعم المسلمين أينما وجدوا.³
- سعت إيطاليا من خلال دعايتها التأثير على الجنود لضرب الليف الأجنبي والمجندين الجزائريين عن طرق تشجيعهم على الفرار من الجيش الفرنسي، وفي هذا الاتجاه، تمتجنيد القس فينوتو ((finotto المقيم في مدينة سعيدة للعمل على إقناع الجنود الأجانب الذين يترددون على الكنيسة على الفرار من الخدمة، ومن هنا تتضح استراتيجية إيطاليا في محاربة فرنسا كمنافس لها في مستعمراتها وذلك بإضعافها من خلال:⁴

- الحرب النفسية للتأثير على عقول الجزائريين والمجندين.

- إثارة الرأي العام وتحريضهم على الثورة.

- تفعيل الدعاية الإيطالية بمساعدة الألمان بكل الوسائل (المناشير- الصحافة - حصص الراديو باللغة العربية والفرنسية والدارجة...).

خلاصة القول إن الدعاية الإيطالية وغيرها من النشاطات لم يكن لها ذلك التأثير على الكبير على الرأي العام العربي بشكل عام والجزائري بشكل خاص ، رغم ما امتلكته من وسائل على عكس الدعاية الألمانية التي كان لها طريق في أوساط الجزائريين وذلك راجع لأن ألمانيا ليس لها ماضي استعماري فيالبلدانالإسلامية في حين أن الإيطاليين كانت دعايتهم منافية للحقائق ، من جهة تقول أنها تحترم الإسلام والمسلمين ومن الجهة الأخرى احتلت ليبيا

الإيطالية، كما حرصت إذاعة باري على تأخير مواعيد حصصها الإذاعية بداية من 1 سبتمبر 1938، حتى تتوافق مع البث الذي توجهه محطة دافنتري « Daventry » نحو شمال إفريقيا للمزيد أنظر:

Khaled Ahmed , Documents secrets du 2 em bureau Tunisie Maghreb sous la conjoncture de pré-guerre (1937-1940) , Ed STD , Tunis , 1983 , p67 ;Grange Jean Daniel , « Structure et technique d'un propagande ; les émissions arabes de radio bari » , in Relation internationals , n 2 , novembre 1974 , pp 165-185.

1. نشرية شهرية لمحطة باري روما اللاسلكية، السنة 2، ع 9، روما، سبتمبر 1939، ص 1.

2.A.N.O.M, Série H, 9H42, Le Journaliste Hassen Sialah Suspect De La Propagande Pour Le Compte De L'Italie, 18/1/1933.

3. IBID.

4.A.N.O.M, Série H, Boite 9H42, Le Journaliste Hassen Sialah Suspect De La Propagande Pour Le Compte De L'Italie, 24/12/1937.

- الفصل الأول: الحرب العالمية الثانية (1939-1945) وتأثيراتها على نشاط الحركة الوطنية الجزائرية -

، فاضطر العديد من الليبيين إلى الهجرة ، كل هذه الأسباب شكلت عائقا أمام توغل الدعاية الإيطالية في منطقة المغرب العربي بشكل عام و الجزائر بشكل خاص¹. وعلى العموم في ظل الدعاية الإيطالية والألمانية تحركت دول الحلفاء بدورها في نشاط دعائي مضاد لما كانت تقوم به كل من ألمانيا وإيطاليا.

ثانيا: دعاية دول الحلفاء (الفرنسية - البريطانية):

مثلما عمدت ألمانيا وحليفها إيطاليا على الدعاية كوسيلة للتأثير على المصالح الفرنسية، وإضعاف وجودها في الجزائر وباقي مناطق المغرب العربي، كان لفرنسا جهدا مقابلا في المجال، لصد والحد من النشاط الدعائي لأعدائها.

1. الإجراءات الوقائية الفرنسية ضد دعاية المحور:

بعد إدراك فرنسا أن الدعاية الألمانية والإيطالية أصبحت تشكل خطرا على مستعمراتها في منطقة المغرب العربي عامة والجزائر خاصة، شرعت في تطبيق برنامج للتصدي لدعاية دول المحور من خلال تطبيق جملة من الإجراءات، وهي²:

- مراقبة المجندين الجزائريين.
- الرفع من قيمة المنح العائلية لقدماء المجندين المسلمين ومنحة الخدمة العسكرية، وتشجيع الشباب على التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي من خلال الإغراءات المالية المقدمة مستغلة الظروف المعيشية القاسية. فأجبرت الدعاية الألمانية والإيطالية سلطات الاحتلال الفرنسيالرد على هذه الحرب وبأساليب متنوعة كالترخيص للمجندين الجزائريين وقدماء المحاربين المسلمين لتأسيس النوادي التي أصبحت بدورها مراقبة من طرف المخابرات الفرنسية وقد أطلق عليها (دار العسكر) وأشرفت عليها لجنة الصداقة الإفريقية³.

1. عبد القادر بلجة، المرجع السابق، ص 146-147.

2 المرجع نفسه، ص 147-148.

3. تأسست سنة 1935 مقرها مدينة ميثز الفرنسية بقرار من وزير الحرب تهدف للتصدي للدعاية الألمانية والإيطالية في شمال إفريقيا. ينظر:

A.N.O.M, Série G.G.A, Boite 3R22, Lutte Contre Propagande Anti – français
Création de foyer Régimentaire, 1935.

- فشكلت النوادي مركزا لتجمع المجندين الذين كان لهم دور في العمل العسكري للقيام بالعمل الاستخباراتي من دون تتبع العناصر المشتبه فيهم.¹
- مراقبة الصحافة المحلية والأجنبية
 - إعادة تنظيم برامجها الإذاعية الناطقة باللغة العربية في منطقة شمال إفريقيا من أجل التخفيف من وطأة الدعاية المعادية على الأهالي، وتمتأسيس إذاعة باريس مونديال «ParisMondial» في جانفي 1938 لتعوض مكان راديو مونديال، فيما اقتصر مكتب البرامج العربية في برمجته على شرح السياسة الفرنسية والتحذير من مخاطر الدعاية المعادية، وشرعت في استغلال المحطة الحكومية راديو كولونيال «RadioColonial» سنة 1937 الذي يبيث من باريس مع تخصيص حصصا ناطقة باللغة العربية.²

لكن هزيمة فرنسا أمام الألمان في جوان عام 1940 ومن ثم التوقيع على الهدنة التي مثلت انهيار للجمهورية الثالثة، ورغم الانشقاق الذي وقع داخل البيت الفرنسي فلم يكن هناك اختلاف في طريقة التعامل مع الأوضاع سواء من طرف حكومة فيشي أو حكومة المنفى فكلا الطرفين كانا يسعيان لهدف واحد وهو السيطرة على السلطة لفرض الأجندة المتعلقة بحلفائهم.³ وقد ركز نظام فيشي في الحفاظ على وحدة الصف للدفاع عن الإمبراطورية ومستعمراتها خاصة في شمال إفريقيا لموقعها الاستراتيجي المهم وقرىها من أوروبا، فسخر جميع الوسائل الدعائية بدعم من الألمان، من خلال محطات إذاعية مختلفة، أهمها إذاعة الجزائر وقامت الاستعلامات بمراقبة مختلف النشطاء السياسيين الذين أظهروا معارضتهم لنظام المارشال بيتان.⁴

كما شرعت المخابرات في إصدار نشرة يومية توزع على كل المناطق الهدف منها إطلاع السكان على الأحداث اليومية أطلق عليها "الدليل"⁵، ولعبت حكومة فيشي على وتر الإصلاحات الوهمية التي شكلت وسيلة لإنجاح دعايتها. أما المستوطنين الفرنسيين فقد مثل ضمان حكومة فيشي لمصالحهم في الجزائر أمرا إيجابيا وهو ما يبين الولاء الأعمى للمصالح الشخصية

1. الأسعد الغرياني، سياسة المحور والحلفاء الدعائية تجاه البلاد التونسية (نوفمبر 1938 إلى حدود 1940)، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، تونس، السنة الجامعية 2005، ص 63-64.

2. المرجع نفسه، ص 65.

3. عز الدين زايدي، المرجع السابق، ص 112.

4. Benjamin Stora, Ils venaient d'Algérie, fayard éditions, paris, 1992, p91.

5. A.W.O, Boite 4473, Affaire musulmanes N0 14339 /2, Alger le 3/12/1940.

بدل الوطن الأم¹. وقامت حكومة فيشي بدراسة تحليلية لتبيين درجة تأثير الدعاية الألمانية بالجزائر، أظهرت خلالها أنها المناطق الغربية هي أقل تأثراً بها لذلك شرعت في نشاط من خلال مصالح الأمن والاستعلامات فأكدت المراسلات بينها وبين السلطات المركزية ضرورة تفادي أي مشاكل مع العائدين من فرنسا وألمانيا².

أما حكومة المنفى فعملت هي الأخرى على استدراك ما فات في الحرب وهو ما جاء في نداء الجنرال ديغول بتاريخ 18 جوان 1940 حيث قال: "خسرت فرنسا المعركة ولم تخسر الحرب، لم تخسر شيئاً لأن هذه الحرب عالمية، لذا أطلب من جميع الفرنسيين أينما كانوا أن يتحدثوا معي في العمل والتضحية، لمواجهة الخطر، لندافع من أجل إنقاذ فرنسا، فهي ليست وحيدة، لها إمبراطورية واسعة خلفها"، وهو نفس موقف قائد الأركان للجيش الفرنسي في شمال إفريقيا- الجنرال نوغيس- حيث قال: "إذا أراد هتلر جزءاً من الإمبراطورية الفرنسية سيواصل الفرنسيون وشعوب المستعمرات المقاومة في شمال إفريقيا، لا بد من حماية الوجود الفرنسي من فاس إلى صفاقس"³.

من خلال هذه المواقف يتضح موقع الجنرال ديغول كزعيم للمقاومة الفرنسية، دفع الحكومة البريطانية للاعتراف بالمقاومة ودعمها، مما خلق الشقاق مع حكومة فيشي، استعملت المقاومة في فرنسا مختلف الوسائل من تحريض النقابات الفرنسية على العصيان سعياً منها لعرقلة الاقتصاد الداعم للمجهود الحربي في فرنسا⁴. ووزعت منشورات في باريس تتضمن مجموعة نصائح يجب على المقاومين الالتزام بها⁵.

ركزت لجنة فرنسا الحرة بمساعدة البريطانيين من خلال دعايتها على إضفاء صفة الشمولية على الحرب من خلال الخطاب الدعائي الفرنسي القائم على التخويف من الألمان وكراهيتهم من جهة والرغبة في الانتقام من جهة أخرى، فقد شكلت هزيمة 1940 نكسة للروح المعنوية القتالية بالنسبة للفرنسيين، وخلقت فكراً جديداً ارتكز على المقاومة، عموماً إنما كان يقدم من خطاب دعائي بين سنتي (1930-1945) هدفه دمج سكان المغرب العربي في الصراع الفرنسي الأوروبي، فركز على بعض النقاط الأساسية كإظهار ألمانيا على أنها مهدد للحضارة البشرية، إستعاب أساليب وأليات إيديولوجية وثقافية ولغوية ضمن الخطاب الدعائي،

1.A.W.O, Boite 4476, GGA, direction des affaire musulmanes, CIE N0 551, Alger le 12/04/1941.

2. عز الدين زايدي، المرجع السابق، ص 114.

3 بسام العسلي، نهج الثورة الجزائرية، ط2، دار النفائس، بيروت، 1986، ص 100.

4. Henri Noguères et autres, Histoire de la résistance en France (juin 1940- juin 1941), Robert laffont, paris, 1967, pp 468-469.

5. Henri Noguères et autres, op-cit, p 475.

كما قدمت دعاية لجنة فرنسا الحرة الحرب على أنها حرب مخاض من أجل الحضارة البشرية¹.

وفي نشرية ما وراء البحار « Bulletin des Armées d'Outre-mer » و هي نشرية الرسمية صادرة عن مركز دعم القوات القادمة من مستعمرات الإمبراطورية الفرنسية فيما وراء البحار مؤرخة في شهر أفريل 1940 و على الصفحة الأولى صورة للرسام إيتيلين دينيه (نصر الدين دينيه) وتحت الصورة نجد العبارة التالية: " هذه الصورة لمجد الجنود الأفارقة، بريشة إيتيلين ديني، الذي كان خطيبا عظيما للإسلام"، وهي محاولة من الدعاية الفرنسية للإنقاص من المفهوم الإيديولوجي والعنصري ورفع الفوارق بين مختلف سكان المستعمرات، لكن الدعاية الإيديولوجية كانت بعيدة عن ما يحدث في أرض الواقع خاصة في الجزائر وما تعرض له الشعب الجزائري من محاولات لطمس هويته فالذهنية الاستعمارية الفرنسية واضحة لا تحتاج إلى دلائل².

كانت حكومة المنفى بقيادة الجنرال ديغول تبث دعايتها من لندن وشكلت الحصص التي بثتها إذاعة لندن بداية لإيصال صوتها للفرنسيين وشعوب المستعمرات في شمال إفريقيا عامة و الجزائر بشكل لا سيما في صائفة 1942، استعداد لفتح جبهة قتال جديدة، فدعا الجنرال دارلان رغم ميوله السابقة إلى حكومة فيشي في ديسمبر 1942 بعد نزول الحلفاء بالجزائر إلى دعم جيوش الحلفاء وحكومة فرنسا الحرة، وهو ما يشير إلى استمرار الدعاية الديغولية في شمال إفريقيا حتى بعد السيطرة عليها التي ركزت على تشجيع تجنيد الجزائريين في الحرب مقابل تقديم وعود إصلاحية، في ظل هذه الظروف بعث ديغول تعليمة إلى رؤساء العمالات الثلاثة حثهم فيها إلى العمل على تغيير ذهنية الجزائريين تجاه حكومة فرنسا الحرة³. عملت الدعاية الفرنسية في هذه المرحلة على استغلال الظروف الاقتصادية الصعبة للجزائريين فشرعت في الاهتمام بالمجندين القداماء وتوزيع المواد الغذائية بالمجان، إضافة لفتح مراكز لعرض الصور الدعائية وتوزيع المناشير والدوريات العربية والفرنسية التي تشير في معظمها إلى المجهود الحربي الذي يسخره الحلفاء للقضاء على النازية، بيعت المجلات ومختلف المناشير بأثمان رمزية، نذكر منها: جريدة (المستمع العربي) وجريدة (النصر)، والتي كان هدفها

1. إدريس المغراوي وآخرون، عميان عن التاريخ؟ العرب وألمانيا النازية واليهود، تر: محمد جديد، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2007، ص 208.

2. المرجع نفسه، ص 208-209.

3. عز الدين زاويدي، المرجع السابق، ص 114

تسليحة الجندي وإبعادهم عن واقع الحرب¹، عن طريق طبع القصص والحكايات. فكانت صحيفة (الأخبار) من الوطن في أعدادها المتتالية تلخص أحوال البلد الأم في سطور توضح فيها الأحوال الاجتماعية والاقتصادية². وصرح الجنرال جيرو في العدد الصادر في جوان 1943 من جريدة النصر وبلغة جديدة بما يلي: "أنا أعرف أنني أستطيع في المستقبل أن أعتد عليكم لكي أتابع القتال في سبيل فرنسا الخالدة. ومثلما حدث في الماضي، أظهرتم أن أبناء الإسلام هم قضيتنا العادلة والمقدسة"³. ومن خلال قراءة التصريح يتبين حجم الدعاية المسلطة على بلدان المغرب العربي بشكل عام والجزائر خاصة ولم تقتصر على المقالات الصحفية وحسب بل تعدته إلى تصريحات الجنرالات وهو ما يشير إلى الدور الفعال للجندي الجزائري والشمال إفريقي بشكل عام في المجهود الحربي أثناء الحرب العالمية الثانية.

كما ركزت الدعاية الفرنسية على مشاهد البطولة من خلال التنويه بدور الجنود من شمال إفريقيا وقد وأشادت الدعاية بالتضحيات التي قدمها الجنود الذين سقطوا في الجبهات ويتم إظهار قوائمهم في صفحات جريدة النصر بأسمائهم مع تبين أعمالهم البطولية، وقد تعمدت الجرائد الدعائية في خلق أبطال يمكن أن يلهموا الآخرين العزيمة في القتال⁴. ما يمكن قوله إن الاطلاع على الخطاب الدعائي الفرنسي يظهر في كثير من الأحيان تناقضا، فالتمييز المتواجد بين المجندين الجزائريين في الرواتب والترتب لا يوحى بما يصرح به في الدعاية والتي تجعل من المجندين في منطقة المغرب العربي أبطال ولكن برواتب ضئيلة، ماذا يعني هذا؟ اعتراف في الجرائد الدعائية وإنقاص من قيمة المجند الجزائري، وهي عقلية تمييزية كانت تميز حكومات الاحتلال خلال مرحلة الحرب العالمية الثانية.

2. أساليب الدعاية البريطانية:

وصفت الدعاية البريطانية بأنها أقل ضجة ولكنها أكثر مكرًا وخداعًا من الدعاية الألمانية، فكان تأثيرها مباشرة على الجزائريين، واستعملوا كل الوسائل لصالحهم بما في ذلك الإذاعة والأعوان الذين كانوا يستفيدون من العناية الخاصة تقديرا لعملهم المتميز، وكان

1. ولم تكن جريدة النصر الوحيدة التي كانت موجهة للجنود ففي سنة 1939، أصدرت السلطات الفرنسية صحيفة (يللا) أي (ياالله) أو (هيابنا) لم يستمر نشرها طويلا، توقفت عن الصدور بعد سقوط فرنسا في جوان 1940. انظر: إدريس المغراوي وآخرون، المرجع السابق، ص 214-215.

2. المرجع نفسه، ص 215-216.

3. An-Nasr, juin 1943, p. 19.

4. إدريس المغراوي وآخرون، المرجع السابق، ص 225-226.

أغلب رجال الدعاية البريطانية من اليهود¹. وكان اليهود يعيشون حينذاك معية المسلمين بلا أدنى خوف، وساهمت الإجراءات قامت بها حكومة فيشي ضد اليهود بتوجيه من السلطات النازية²، بتقوية اواصر اللحمة بين الطرفين، لاسيما وان سياسة حكومة فيشي عاملتهما بذات الطريقة من الاحتقار والتهميش، واستغلت بريطانيا إجراءات حكومة فيشي تجاه اليهود وعملت على تجنيد أعوان منهم عبر التراب الجزائري، وشجعتهم القوانين النازية تجاههم على مساندة قضيتهم كفرنسيين³. وتمثلت أمانهم المستقبلية في إمكانية انتصار بريطانيا فيحتل هؤلاء الأعوان مهامًا تساعدهم على القيام بالوساطة لدى المسلمين، فامتلكوا وسائل تمويل معتبرة إذ ليس هناك أدنى شك في كونهم جاهزون لاستعمالها عند الضرورة. كما تجزم البعثات البريطانية في تقاريرها أنها لم تلاحظ أدنى إشارة لمعاداة اليهود في سلوك وتصرفات المسلمين، بل بالعكس فإن صورة تقارب واضحة بين نبلاء الطرفين، وقد تركت انتصارات الإنجليز على الإيطاليين في ليبيا أثرا بليغا في نفوس الجزائريين ومعمري الجزائر، فساهمت الانتصارات في مضاعفة هيبة إنجلترا وارتفع عدد المؤمنين بالنصر النهائي للقوات الإنجليزية، ما أضعف هبة فرنسا في نفوس الجزائريين⁴.

هذا واعتمدت بريطانيا في نشر دعائها من خلال الأثير على محطة (BBC) الناطقة باللغة العربية التي افتتحت بداية سنة 1938، لبث حصص دعائية موجهة نحو الرأي العام العربي، تخدم المصالح البريطانية حيث جاءت كرد فعل على الإذاعات المضادة التي أطلقتها الدولة الفاشية نحو العالم العربي والإسلامي، وقد خصصت لشمال إفريقيا حصتين في اليوم، تلتقط الحصّة الأولى على الساعة 16:00 مساءً والثانية على الساعة 11:14 ليلاً⁵، واعتمدت في بثها على اللغة العربية الفصحى واللهجات المحلية المغاربية حتى تكون مفهومة من طرف فئة واسعة من سكان شمال إفريقيا، لكنها تعرضت للتشويش من قبل حكومة فيشي بمساعدة الألمان، فلجأ البريطانيون لإعاقة أي تعاون بين الأهالي وجيوش المحور، كما عملت على إلقاء المنشورات المحررة بالعربية بالطائرات، فقد عمد سلاح الجو الملكي البريطاني والقوات الجوية

1. يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 146.

2. جرد يهود الجزائر من جنسيتهم الفرنسية التي نالوها، بموجب قانون كريميو 1870 وذلك بعد إلغائه، وأعيدوا إلى وضعهم السابق. أنظر: فرحات عباس، المصدر سابق، ص 165 - 166.

3. يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 143، 144.

4. المرجع نفسه، ص 144-145.

5. عبد المجيد الجمل، بريطانيا وتونس بين (1940-1956)، شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1999، ص 14.

- الفصل الأول: الحرب العالمية الثانية (1939-1945) وتأثيراتها على نشاط الحركة الوطنية الجزائرية -

الأمريكية بعد دخولها الحرب إلى رمي المنشورات بصورة مكثفة على المدن المغاربية التي تسيطر عليها قوات المحور¹.

لقد شكلت الحرب بالنسبة للجزائريين وقادة الحركة الوطنية فرصة لأخذ التجارب، وبعد انهيار الدولة الفرنسية امام الألمان وسيطرة حكومة فيشي على الحكم، بدأ نشاط-وإن كان محتشما-لبعض المناضلين السياسيين.

1 فريزر لندلي، الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم، تر: عبد السلام شحاتة، دار الطباعة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1960، ص 57.

المبحث الثالث: وضعية الحركة الوطنية الجزائرية خلال فترة حكم فيشي (1940-1942):

شكلت الهجمات السريعة للقوات الألمانية في الجبهة الغربية من أوروبا كارثة بالنسبة للقوات المدافعة خاصة بعد عقد ميثاق عدم الاعتداء مع الاتحاد السوفياتي في أوت 1939، فقد سيطر الألمان بضربات خاطفة على هولندا ولوكسمبورغ، وبعدها بلجيكا التي لم تصمد طويلا لتصل القوات الألمانية لخط الدفاع الفرنسي البريطاني، وقد ساهم ضعف القوات المدافعة في إحداث ثغرات كبيرة دفعت البريطانيين للانسحاب وترك المجال مفتوحا لغزو فرنسا، وساعد على الانهيار السريع للقوات الفرنسية والبريطانية التفوق الألماني التسليحي في المجال الجوي والمدرمعات، والعمل المخبراتي والتخطيط المحكم للمعارك، من خلال الالتفاف على خط ماجينو الذي أقامته فرنسا للدفاع على حدودها¹. وتمكنت القوات الألمانية من الوصول الى العاصمة باريس، واجبر الفرنسيون على توقيع الهدنة في 22 جوان 1940.

كان للهزيمة السريعة لفرنسا في الحرب وقع على شعوب المغرب العربي عامة والجزائر بشكل خاص، فقد أدركوا مدى ضعف فرنسا وتأكدت بذلك مقاصد الدعاية الألمانية التي ركزت على وهن فرنسا ونظامها الاستعماري القائم على استغلال الشعوب، فزاد ذلك من أمل الشعوب في التحرر من خلال جعلهم من الشعارات التي كانت تطلقها الدعاية الألمانية ذريعة لرفع مطالب وطنية، وكما هو متوقع انعكست الأوضاع في فرنسا على الجزائر، وبعد توقيع الهدنة أسس المارشال بيتان في مدينة فيشي (vichy) حكومته وشرع في تغيير النظام بعد سقوط الجمهورية الثالثة، وعقدت الجمعية الوطنية اجتماعا في 10 جويلية خرج بقرار منح جميع الصلاحيات لبيتان لتغيير القوانين. كما أعلن نفسه في 12 جويلية رئيسا للدولة الفرنسية، وشرع في تنصيب ممثليه في المستعمرات الفرنسية فنصب الأميرال أبريال (Abrial) مكان لوبو (Le peaux) كحاكم عام للجزائر في 19 جويلية 1940².

وعملت السلطة الاستعمارية الجديدة منذ تنصيبها على كسب الجزائريين، فأصدرت عدة تعليمات لمختلف الإدارات المحلية لتحسين أسلوب التعامل معهم منعا للتصادم، وتجنبيا لتوجه بعضهم للأفكار المعادية لتوجه حكومة بيتان، لأنها كانت متيقنة أن الدعاية الألمانية قد أثرت في التوجهات الوطني للجزائريين، فقد اعتبر بعض الجزائريين الهزيمة الفرنسية على يد الألمان بمثابة نصر لهم³. فأصبحوا يواجهون أعوان الإدارة الفرنسية علانية، وعلى سبيل المثال، أشار تقرير فرنسي الى حادثة تترجم هذا الواقع، ففي منطقة سوقر بمقاطعة تيارت

1. رومان لاوند، الحرب العالمية الثانية، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 2006، ص 52.

2. مصطفى أوعامري، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945).

ط1، منشورات دارالقدس العربي، الجزائر، 2013، ص 65-66.

3. المرجع نفسه، ص 73.

- الفصل الأول: الحرب العالمية الثانية (1939-1945) وتأثيراتها على نشاط الحركة الوطنية الجزائرية -

لاحظ حارس الغابات بتاريخ أوت 1940 أن قطيعا من الغنم كان يرعى في منطقة محظورة، وعند قيامه بحجزه، فوجئ برد صاحب القطيع المدعو هاملي عبد القادر بأن الجزائر تابعة لألمانيا، والجزائريين لن يخضعوا للإدارة الفرنسية مجددا¹.

ساهمت الدعاية الألمانية التي بثت باللغة العربية والعامية في أوساط المساجين والمجندين الجزائريين الذين عادوا للجزائر وأكدوا على المعاملة الحسنة للألمان لهم، في كسب تأييد عدد من الجزائريين، فقد صرح الصحفيان ياسين عبد الرحمان ويونس بحريفي إحدى الحصص بتاريخ 1941 عما يلي: " أمها الجزائريون إن خلاصكم قد قرب، لقد منح المستشار هتلر في هذا الصدد لشكيب أرسلان". وعلى الرغم من هذه الآمال التي شغلت أذهان الجزائريين في الحرية والتحرر بمساعدة الألمان، لكنها بقيت حبرا على ورق خصوصا بعد انتهاج المرشال بيتان سياسة التعاون مع الألمان وكسبه المعمرين لجانبه"²، فقد عرفت فترة حكم بيتان تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للجزائريين، ونتيجة لفقدان المواد الغذائية، كان الأهالي يؤكلون الأعشاب ويشربون من الآبار العفنة، مما أدى لانتشار الأمراض³.

وبالتوازي مع تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي عاشها الجزائريون في عهد حكم فيشي برز النشاط السياسي للحركة الوطنية الجزائرية من خلال مطالب وعرائض، حاول خلالها قادة الحركة الوطنية استغلال الظروف الدولية والهزيمة الفرنسية وتوقيع الهدنة مع الألمان.

أولا: النشاط السري لحزب الشعب الجزائري:

لم يسلم حزب الشعب الجزائري قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية من مضايقات وقمع سلطات الاحتلال الفرنسية، والتي انتهت بها المطاف الى حل الحزب وإيقاف (جريدة الأمة) و(البرلمان) بتاريخ 20 جوان 1939⁴. ولم تتوقف مضايقات السلطات الاستعمارية عند هذا الحد، وانما عمدت الى اعتقال قياداته، وفي يوم 4 أكتوبر 1939 أوقفت السلطات الفرنسية 41 مناضلا، كان من بينهم مصالي الحاج الحجة القيام بأعمال معادية لفرنسا، ولم يطلق سراحه الا بعد شهرين⁵.

وشكلت أساليب السلطات الاستعمارية الفرنسية في التعامل مع نشاط الحزب وفشل الإصلاحات التي قدمت من خلال مطالب المؤتمر الإسلامي 1936، عوامل لتطور النضج

I.A.W.O, Boite 4480, rapport du procureur général d'Alger a Mr le préfet de département d'Oran, du 25 /09/1940.

2. مصطفى أوعامري، المرجع سابق، ص 74.

3. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 185.

4. عبد القادر بلجة، المرجع سابق، ص 180.

5. احمد محساس، المصدر سابق، ص 185.

السياسي للتيار الثوري وانتقال العمل للسرية فأصبح التجنيد على مستوى القاعدة أكثر حزمًا وانتقائية.¹

وبعد احتلال الجيش الألماني لفرنسا وتولي حكومة فيشي السلطة، حاولت سلطة الاحتلال الجديدة التقرب من مصالي الحاج لكسب ولائه، لكنه رفض، مما جعل سلطات الاحتلال تحيله على المحكمة العسكرية مع عدد من أعضاء الحزب، فحكم عليه يوم 28 مارس 1941 بالسجن 16 سنة مع الأشغال الشاقة وتجريده من الحقوق المدنية والنفى لمدة 20 سنة.² وعلى الرغم من قساوة الأحكام التي صدرت بحق مصالي الحاج وباقي قيادات الحزب³، وما تسببت به من ذهول لقواعد حزب الشعب ولاسيما في مدينة تلمسان مسقط رأس مصالي الحاج، ولكن ذلك لم يثني الوطنيين عن مواصلة النضال تحت قيادة بديلة⁴، وعليه، كانت الخطوة الجديدة هو الانتقال إلى العمل السري، عبر أنشطة الجمعيات الخيرية كواجهة لهم. ففي مدينة سطيف قام شباب بتأسيس جمعية الخيرية التي عرفت مضايقات من طرف سلطات الاحتلال، وفي المشربية بالجنوب الغربي فتحت مدرسة الشيخ (تبون الحاج أحمد) التي شكلت غطاءً لنشاط الحزب في المنطقة، وفي المدينة قام الحاج حسين مسؤول خلية الحزب برفقة مجموعة بإعادة بعث نشاط الحزب برفقة عدد من شباب الكشافة الإسلامية.

وفي ظل هذه الظروف، أرسل أعضاء لجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا وأعمارة للاجتماع بالألمان ومعرفة موقفها من محاكمة مصالي الحاج ورفقائه، لكن رد الألمان كان مفاجئاً " نحن نتعامل معكم من أجل المعلومات ومقابل ذلك ندفع لكم المال " فما كان على اللجنة سوى الانسحاب، وعاود بعض أعضائها التوقيع بين مناضلي حزب الشعب الجزائري الناشطين في سرية.⁵

1. احمد محساس، المصدر سابق، 185.

2. عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1936-1945)، ج2، ط2، منشورات الساحلي، الجزائر، 2008، ص 264.

3. صدرت احكام على رفاق مصالي الحاج، وهي: ممشاوي محمد (15 سنة مع الأعمال الشاقة) ومعروف بومدين (15 سنة مع الأعمال الشاقة) وتركي عبد القادر (5 سنوات سجنا) نكسة لحزب الشعب الجزائري رغم حضور المحاكمة عدد من الأصدقاء وكل من المحامي بومنجل ودروليد، لم تقتصر الأحكام على مصالي وقيادات الصف الأول بل تعدته إلى 27 مناضلاً تراوحت الأحكام بين حضر الإقامة والحرمان من الحقوق المدنية وغرامات متفاوتة قدرت في مجموعها ب 161000 فرنك. للمزيد من المعلومات ينظر: مصطفى أعامري، المرجع السابق، ص 90-91.

4.A.W.O, Boite 4481, rapport du sous-préfet de Tlemcen a Mr le préfet du département d'Oran, 2 avril 1941

5. عبد القادر بلجة، المرجع السابق، ص 181-182.

كما شرع مناضلو حزب الشعب من الشباب الذين لم يكونوا معروفين للسلطات الاستعمارية الفرنسية في تشكيل تنظيم سري جديد، ومن أهم أعضائه: أحمد مزغنة، أحمد بودة، حسين عسلة، الأمين دباغين، مقري حسين، محمد طالب وغيرهم. وشرعوا في ابتكار أساليب جديدة للدعاية أكثر فعالية من المناشير والجرائد، عبر كتابة الشعارات الوطنية والمنددة بالاحتلال الفرنسي على الجدران، وكان سلاحاً أربك الإدارة الاستعمارية الفرنسية، نذكر منها: (الجزائر للجزائريين)، (يحيا مصالي الحاج)، (يحيا حزب الشعب الجزائري)، (حزب الشعب هو المنتصر) - (مصالي القائد الأعلى للجزائر)¹. وعجزت السلطات الاستعمارية من الإمساك بأعضاء هذا التنظيم السري، وارتبط هذا العمل مع بداية محاكمة قيادات حزب الشعب الجزائري. وعلى سبيل المثال: شهدت مدينة تلمسان في 18 مارس 1941 يوم زيارة الحاكم العام الفرنسي ويغان مكسيم (Wiganmaxime) ظهور كتابات حائطية معادية لفرنسا، بالإضافة إلى نزع العلم الفرنسي من الساحة العمومية².

ولم تقتصر دعاية الحزب السرية في أوساط الشعب، بل تعدتها للمجندين في صفوف الجيش الفرنسي من خلال تحريضهم على الفرار من الخدمة العسكرية عبر توزيع المنشورات السرية مثل: جريدتي العمل الوطني (L'action Algérienne) وصوت الأحرار (Le voit des indépendants) الناطقتين باللغة الفرنسية. واستعمل حزب الشعب الجزائري تنظيمات جمعوية مثل: الكشافة الإسلامية لتوسيع مساحة نضاله خاصة في المناطق النائية، ولم يتوقف النشاط عند هذا الحد، وإنما نشط بعض أعضاء الحزب، في محاولات فردية محلية من خلال التنسيق مع بعض الشخصيات الوطنية من أعضاء جمعية العلماء المسلمين والشيوخيين لتوحيد الجهود في النضال ضد المحتل الفرنسي. فعلى سبيل المثال، في مدينة معسكر ظهر تجمع وطني تحت إسم الإصلاح فيفري 1941 انخرط فيه بعض مناضلي حزب الشعب ومثل التنظيمات السابقة الذكر فربما يكون من تخطيط فرحات عباس، ولقي دعماً من طرف المنتخبين المحليين والمدرسة الإصلاحية لبابا علي³.

أما عن نشاط حزب الشعب في فرنسا، وبعد أن عفا المارشال بيتان عن عدد كبير من المعتقلين السياسيين من الحزب، الذين حاولوا استغلال الأوضاع وشرعوا في الاتصال بمختلف الأوساط الفرنسية اليسارية والنقابية وتربطهم بعلاقات بالألمان لمعرفة نواياهم تجاه شمال إفريقيا، ترأس المجموعة المناضل السابق لحزب الشعب عبد الرحمن ياسين مكتب الدعاية

1. محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1939-1951)، ج2، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2011، ص

2. جيلالي بلوفة عبد القادر، المرجع السابق، ص 48.

3. المرجع السابق، ص 48-49.

- الفصل الأول: الحرب العالمية الثانية (1939-1945) وتأثيراتها على نشاط الحركة الوطنية الجزائرية -

الألماني الموجه للبلدان الإسلامية، وكان يدير الفرع كل من راجيف بلقاسم وإغريوشن محمد. شهدت فترة حكم فيشي قيام كل من (سي جيلالي) وعمار خيضر بتأسيس (اتحاد عمال شمال إفريقيا)¹ سنة 1942 الذي أتهم بالعمالة للألمان، لكن هذه التهم هي مجرد رد فعل على النشاط الفعال للوطنيين الجزائريين من طلبة وعمال ومحاولة لخلق ذرائع تشوه بها المطالب الشرعية للجزائريين، فقد سمحت نشاطات الاتحاد لمناضلي حزب الشعب الجزائري المنتمين إليه بالعمل تحت غطاء قانوني بعيدا عن أعين نظام فيشي².

خلاصة القول، إن نشاط حزب الشعب الجزائري تواصل في فترة حكم فيشي علما رغم من الاعتقالات والمحاكمات التي تعرض لها قادة الحزب، وكان لسلوكيات حكومة فيشي أثرها في الكشف عن حقيقته، وإن الوعود الدعائية التي روج لها الألمان من دفاع عن الحرية ومساندة الشعوب المستعمرة، فشكلت صورة جعلت بعض المناضلين من حزب الشعب الجزائري المنخرطين تحت راية لجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا لإعادة النظر في توجههم نحو الألمان³.

ثانيا: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ونشاطها العلني:

سعت جمعية العلماء المسلمين منذ تأسيسها في ماي 1931 إلى تحقيق مقاصد وغايات من خلال نشر الدعوة الإسلامية وتطهيرها من الشعوذة والخرافات، ظهر ذلك من خلال الغاية التي حددها الشيخ عبد الحميد ابن باديس من إنشاء هذه الجمعية، وذلك في مقال حمل عنوان (مبادئنا وغاياتنا وشعارنا) نشر في جريدة المنتقد، حين قال: "إن الأمة الجزائرية قامت بواجبها نحو فرنسا في أيام يسرها وعسرها ومع الأسف لم نرى الجزائر نالت على ذلك ما يصلح أن يكون جزاءها فنحن ندعو فرنسا إلى ما تقتضيه مبادئنا الثلاثة التاريخية (الحرية والمساوات والأخوة) من رفع مستوانا العلمي والأدبي...وتشركنا في إدارة شؤون وطننا سياسيا واقتصاديا"⁴. ومن هذا المقال يتضح موقف الجمعية الواضح فقد أشار للدور الذي لعبه الجزائريون في مختلف المراحل الصعبة التي مرت بها فرنسا بما فيها تجنيد الجزائريين خلال الحرب العالمية الأولى و مختلف حروبها الخارجية ، لكن في المقابل لم يحصل فيها

1. اهتمامات عمال شمال إفريقيا خاصة بالدفاع على العمال الذين وظفتهم المؤسسات المدنية الفرنسية لصالح الألمان، وقد حصل خيضر بصفته رئيس اتحاد العمال على رخصة الدخول للورشات الحمراء الممنوعة والاتصال مع عمال شمال إفريقيا، كما عمل على فتح فروع في كل من (لوريون - براست- لاروشال-بورردو...). ينظر: محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 827-828.

2. المرجع نفسه، ص 826-827

3. المرجع نفسه، ص 828.

4. نقلا عن: صالح فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر المعاصر، 1912-1962، ط1، جامعة قلمة، قلمة، 2011، ص 22.

الجزائريون على الحد الأدنى من حقوقهم المدنية و السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، مما يشر إلى درجة الخيبة من ردود الفعل الفرنسية، هذه المواقف من الجمعية هي التي سوف تنعكس على موقفها من الحرب العالمية الثانية من خلال البقاء على الحياد ظاهريا ورفض مشاركة الجزائريين في حرب لا تعنيهم فقد صرح الشيخ ابن باديس في هذا الصدد: "إن هذه الحرب لا تهم المسلمين، ولا دخل لهم فيها"¹.

ساهمت سياسة الاحتلال الفرنسي قبيل الحرب العالمية الثانية في اتخاذ قيادة الجمعية قرارا بإيقاف مختلف جرائدها لتفادي استخدامها من طرف سلطات الاحتلال في دعايتها أثناء الحرب، بمعنى حتى لا تكون جرائد الجمعية بوقا للتحريض ضد المحور ودعوة الشباب الجزائري الى التجنيد ما يتنافى مع مبادئها، وردا على السياسة الفرنسية التي جعلت الجمعية تحت رحمة مجموعة من القوانين التعسفية كمشروع (ميشال). وفي ظل هذه الظروف وقع خلاف داخل الجمعية بين الشيخ الطيب العقبي والشيخ عبد الحميد ابن باديس، حيث اتهم الشيخ الطيب العقبي رئيس الجمعية أنه أعطى للجمعية وجهة سياسية أكثر من اللازم، فأصبح في نظر الشيخ الطيب العقبي التفاهم مع الباديسيين مستحيلا مما دفعه للاستقالة من الجمعية، وأعلن عن تأسيس جمعية (الإصلاح الوطني) وشكلت كل من جريدة البلاغ والإصلاح والواجهة الإعلامية له وأظهر ولائه لفرنسا في حرمانها رفقة فرحات عباس وابن جلول².

شكلت المرحلة القريبة من الحرب واندلاع الحرب العالمية الثانية مرحلة مهمة بالنسبة للحركة الوطنية عامة والجمعية على وجه الخصوص، فقد عرفت مخاضا سياسيا، اختلفت فيه المواقف، وأخرجت للوجود مجموعة من الوطنيين لهم طريقة تفكير مغايرة، خاصة بعد وفات الشيخ عبد الحميد ابن باديس في 16 أفريل 1940 وفرض الإقامة الجبرية على كل من الشيخ البشير الإبراهيمي في آفلو منذ أفريل 1940 لمدة ثلاثة سنوات والشيخ بيوض في بلدته بالغرارة لمدة أربع سنوات خوفا من التأثير على أتباعه³.

الملاحظ انه بعد وفاة الشيخ ابن باديس شهدت الجمعية ظهور صراع خفي حول من يخلفه، بين المؤيد للطيب العقبي المستقيل من مجلس الإدارة في سنة 1938 والداعم للشيخ البشير الإبراهيمي الموجود تحت الإقامة الجبرية بالأغواط، فبسبب ظروف الحرب إضافة للتضييق المسلط على الجمعية لم يسع الوقت لعقد اجتماع موسع، ففي 7 نوفمبر 1940 اجتمع خمسة أعضاء بارزين في المجلس الإداري للجمعية بقسنطينة لاختيار رئيس

1. المرجع نفسه، ص 24.

2. Jacques Carret, l'association des Oulamas d'Algérie, Alem el Afkar, Alger, 2008, p53.

3. عبد القادر بلجة، المرجع السابق، ص 177.

للجمعية وتوافق الحاضرون على الشيخ البشير الإبراهيمي، الذي رغم الحصار المفروض عليه كان يسير الجمعية عن طريق المراسلات المتبادلة مع أعضاء الجمعية وبعض الزوار الذين ترددوا عليه في مقر الإقامة الجبرية في الأغواط¹.

مع تولي حكومة بيتان للسلطة بفرنسا وتعيينها الحاكم العام أبريال واصل أعضاء جمعية العلماء المسلمين نضالهم من أجل الإسلام والعروبة والنهضة العلمية بالبلاد حتى أثناء الحرب، بوتيرة متناقلة نظر للمضايقات التي تعرضت لها من قبل إدارة الاحتلال، لكن بعد تعيين الجنرال ويقاند (Waygand) حاكما عاما للجزائر وشتال (Chatel) نائبا له في 16 جوان 1941 وإعلانه عن إصلاحات في 23 أوت 1941 مع إلغاء بيتان سنة 1940 لقانون 1904 الذي كان يمنع التعليم الحر في الجمعيات بعث أعضاء الجمعية في 19 سبتمبر 1941 عريضة² إلى الجنرال ويقان بعد موافقة الشيخ البشير الإبراهيمي عليها طالبوا فيه بحرية الوعظ والإرشاد والتعليم وإطلاق سراح الشيخ الإبراهيمي. جاء الرد على مطالب العلماء في 13 سبتمبر 1941، حيث قدم ويقان وعودا لهم بأن مطالبهم سوف تدرس من طرف لجنة خاصة تشمل لهذا الغرض، وهو ما أكده الأمين العام الشيخ العربي التبسي من خلال إشارته أن الحاكم العام وافق على فتح المدارس وتعليم اللغة العربية أما المطالب الآخر ستدرس لاحقا³.

لوحظ على الإدارة الفرنسية في هذه المرحلة إظهار بعض الليونة ما أكدته نشرية صدرت في جويلية 1941، جاء فيها أن الإدارة الاحتلال سمحت للشيخ البشير الإبراهيمي بالتوجه لحمام بوحنيفية بغرض الاستشفاء رفقة عائلته في الفترة ما بين 28 جوان و 11 جويلية 1941 ووافقت على استقبال أصدقائه القادمين من تلمسان لزيارته ثم التوجه لمدينة سيدي بلعباس لمدة 48 ساعة بعدها لكل من غليزان وتيارت، وهي رسالة أرادت من خلالها الإدارة الفرنسية إظهار حسن نيتها أو محاولة تسوية الغرض منها إخماد غضب العلماء ومؤيديهم⁴.

1. عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص 220-221.

2. من المطالب التي قدمت للجنرال ويقان، فهي: - الإفراج عن الشيخ البشير الإبراهيمي- إطلاق صراح أعضاء الجمعية المعتقلين في 21 ماي - معاملة جمعية العلماء المسلمين مثل بقية الجمعيات المسيحية - السماح لجمعية العلماء بممارسة دورها الديني في الوعظ والإرشاد والتعليم - معاملة القرآن الكريم واللغة العربية مثلما تعامل الديانات واللغات الأخرى- حرية الوعظ في المساجد- إلغاء مرسوم 8 مارس 1938 - حرية تعليم اللغة العربية. وقد أمضي هذه المذكرة كل من الشيخ العربي تبسي والأمين العام أحمد معيزة والأمين العام للصندوق سهلي سعيد ، ومساعد أمين الصندوق خير الدين ومبارك الميلي وبلقاسم الحباني ومحمد طاهر جيجلي. ينظر: مصطفى أوغامي، المرجع السابق، ص 83-84.

3. عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص 222 - 223.

4. مصطفى أوغامي، المرجع السابق، ص 82-83.

فقد ورد في تقرير للشرطة الفرنسية بتاريخ نوفمبر 1941 أن أعضاء الجمعية عقدوا اجتماعا في قسنطينة بتاريخ 22 نوفمبر درسوا جواب الوالي العام، وبعد تحليله خرج أعضائها متفائلين من الوعود التي قدمها واعتبروا مطالبهم ستوضع محل الدراسة. فشجع رد الحاكم العام جمعية العلماء على اتخاذ قرار بعث عمل الجمعية العلني على المستوى الوطني، تبين ذلك من خلال رسالة بعث بها الشيخ العربي تبسي إلى مختلف فروع الجمعية عبر الوطن.¹ نستنتج أن نشاط الجمعية خلال فترة حكم فيشي كان متناميا وجمع بين السرية والعلنية، وعلى الرغم من الإجراءات المشددة من جانب الفرنسيين، إذ لم يتوقف بل أصبح أكثر تنظيما، الأمر الذي أثار مخاوف إدارة الاحتلال نشاطها المتزايد، ونهت من تنامي قوتها، وعلى الرغم من توقف صحفها عن الصدور فإن نشاطها الدعائي داخل الجزائر لم يتوقف.

ثالثا: النواب الجزائريون ومطالبهم للإدارة الموالية للألمان:

قبل التطرق لنشاط النواب خلال حكم فيشي لابد من التذكير بأن الحرب العالمية الثانية لم تؤثر على نشاط النواب الذين هم أصلا كانوا منقسمين، فبعدها خاب أملهم من مشروع بلوم فيوليت وموقف الإدارة الفرنسية من مطالب المؤتمر الإسلامي 1936، حدث شرخ داخل فدرالية المنتخبين المسلمين ما عجل بتفككها، فأسس فرحات عباس (الإتحاد الشعبي الجزائري) سنة 1937 ونشط ابن جلول تحت راية (التجمع الفرنسي الإسلامي) أبريل 1938، علما أن الحركتين لم يكن لهما تأثير على الساحة السياسية الوطنية لأن مطالبهم كانت متشابهة فكل من الحركتين طالبتا بالمساوات بين الجزائريين والفرنسيين.²

إن نشاط النواب خلال حكم فيشي تركز في شخص فرحات عباس، ومشاركته في الحرب العالمية الثانية دفاعا عن الحرية والديمقراطية رمز الثورة الفرنسية أثر في رأيه، فالتفرقة العنصرية التي عاشها بين المجندين الجزائريين والفرنسيين ساهمت في تغيير مواقفه تجاه الاحتلال الفرنسي بالجزائر، فبسبب مواقفه السابقة التي تغيرت بعد عودته لمدينة سطيف في أوت 1940 رأت فيه فرنسا ذلك المثقف الجزائري المهذب لمصالحها³. ونستنتج أن تأثير الحرب العالمية الثانية على نشاط التيار الاندماجي فرحات عباس مع بدايتها كان واضحا، وشكل تأييده لفرنسا في حربها نقطة تحول في تحديد فرحات عباس معالم طريق جديدة في تعامله مع الإدارة الفرنسية⁴. أما مواقفه من حكومة فيشي فتمثلت فيمذكرة الاحتجاج ضد قرارات الحاكم العام أبريالاتي أرسلها له في 16 سبتمبر 1940 بخصوص تعيين أعضاء اللجنة

1. عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص 226.

2. عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، المرجع السابق، ص 238.

3. عبد القادر بلجة، المرجع السابق، ص 179.

4. مصطفى أوعامري، المرجع السابق، ص 93.

المالية الجديدة المكون من ستة أعضاء وفق مرسوم 10 ديسمبر 1940، الذين كان معظمهم من شيوخ المرابطين الغير واعيين سياسيا، أما الممثلون الأوربيين (12عضوا) فقد اختيروا من الشخصيات المعادية للعرب والمسلمين¹.

إن تعيين الحاكم العام لأعضاء اللجنة المالية يدل على النوايا السيئة للحاكم العام في الجزائر الذي أراد شبه تمثيل للجزائريين حتى يكون قادرا على العمل بكل حرية، ومن جهة آخر محاولة لترضية المستوطنين المعارضين لسياسة منح الحقوق للجزائريين، ويظهر ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها فرحات عباس لأصدقائه في (عين أولمان) و(رأس الواد) التي شرح فيها رد الحاكم العام: "تلقيت رسالتك التي أعتبرها سابقة، وكان بإمكانني أن أمتنع عن الرد، لكنني استدعيتك لأقول لك أن الأعضاء الذين اخترتهم هم محل رضي الإدارة، فهم من بعض المثقفين المعارضين لمصالح فرنسا مثلك، أما بالنسبة للفلاحين الذين تحدثت عليهم، فأنت لا تحبهم بل تستعملهم لمخططاتك"². فوجه فرحات عباس رسالة، كان مضمونها إيصال رسالة لأصدقائه جاء فيها: "أنتم الذين تحكمون إذ كنتم قد استعملت الفلاح خدمة لمخططاتي، أم الفلاح هو الذي استخدمني للتخفيف من معاناته الدائمة، أنتم الذين تقولون إنني لا أفكر إلا في مصلحتي، أم أن تفكيري من مصلحة تلك الأعداد الهائلة من الأفواه الجائعة"³. ويتضح من خلال محتوى الرسالة التي وجهها فرحات عباس لأصدقائه، أن هدفه الحقيقي ليس تبليغهم برد الحاكم العام في الجزائر وإنما إيصال رسالة للإدارة الاستعمارية، كونه على علم أن الاستخبارات الفرنسية تراقب تحركاته ووجود هذه الرسالة في الأرشيف الفرنسي يؤكد ما ذهب إليه فرحات عباس، فهو رد غير مباشر على التهم التي وجهها له الحاكم العام بالجزائر⁴.

وبعد الرد الغير متوقع من طرف الحاكم العام أبريالوتهديده لفرحات عباس، قرر الاتصال مباشرة بالمارشال بيتان، وفي 10 أبريل 1941 أرسل تقريرا عن طرق عامل قسنطينة ماكس بونافوس (Max Bonnafous) من خلالها تحدث له عن الاستغلال الاستعماري الذي تتعرض له الجزائر منذ سنة 1930، واقترح مجموعة من الإصلاحات للأوضاع الراهنة⁵. لكن المارشال بيتان وحكومته لم يعجبا التقرير الذي تضمن تنديدا بالنظام الاستعماري، ورد

1. A.N.O.M, Séri H, Boite 9H43, Activité de la Fédération Des Elus – Lettre de Farhat Abbas a M. G.G.A-16/12/1941.

2. عبد القادر بلجة، المرجع السابق، ص 176.

3. المرجع نفسه، ص 177.

4. عبد القادر بلجة، المرجع السابق، ص 178.

5. اقترح فرحات عباس قائمة من الإصلاحات عنوانها "مخطط تحديث الجزائر المسلمة" شمل مختلف القطاعات الزراعية - الاعتناء بالتعليم - بناء المدارس - المساوات في الخدمة العسكرية - والمساوات في التوظيف. ينظر: شارل روبر أجيرون، المرجع السابق، ص 897.

المارشال بيتان أننا سنأخذ رأي فرحات عباس بعين الاعتبار وفي 9 ديسمبر عين الحاكم العام شتال عضوا في اللجنة المالية فأدرك فرحات عباس أن مصير المذكرة قد اتضح¹.

إن طريقة تقديم مذكرتي الاحتجاج من طرف فرحات عباس للحاكم العام بالجزائر أو للمارشال بيتان كانت أكثر حدة من تلك المستعملة في مطالب فدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين، نتيجة التغير الذي طرأ على تفكيره بعد مشاركته في الحرب العالمية الثانية واختلاطه مع المجندين الفرنسيين والمستعمرات الفرنسية، فقد شاهد الفوارق الموجودة في فترة كان فيها المجندون من المستعمرات يخدمون فرنسا، لذلك سعى فرحات عباس منذ عودته للجزائر إلى تحرير المذكرات لتقديمها لممثلي الحكومة الفرنسية بالجزائر وفرنسا، ففي مارس 1942 قدم مذكرة لوزير الداخلية انتقد فيها الممارسات التي يقوم بها شيوخ البلديات، من خلال التمييز بين الأوروبيين والجزائريين، كما دافع فيها عن العلماء وطالب بإطلاق صراحهم². وما يمكن استخلاصه من التقارير والمذكرات التي رفعها فرحات عباس لسلطات الاحتلال، أنه بالرغم من التحولات التي طرأت على فرنسا والعالم، لم يخرج في مطالبه عن الإطار العام، ظل متمسكا بالمطالب الإصلاحية التي لم تزعج سلطات الاحتلال الفرنسي، فلم يتعرض للاعتقال والمضايقات، كل هذا يبين أن فرحات عباس ظل وفيا لبرنامج النواب ومعلقا آمالا على سلطات الاحتلال الفرنسية المتعاقبة. وبعد تعيين الجنرال ويقان كحاكم عام على الجزائر في 16 جويلية 1941 وشاتيل (Chatel) نائبا له، شرع في تطبيق جملة من الإجراءات منها إقالة بعض النواب الذين تحوم حولهم شكوك، فوجهت لهم تهم العمل ضد مصالح فرنسا، وعلى سبيل المثال قام أحد المستشارين المحسوب على جناح فرحات عباس بشتم شيخ البلدية فتم اعتقاله.

ولم تقتصر طريقة تقديم التقارير والمذكرات على فرحات عباس فقط، حيث أن الدكتور ابن جلول قام ببعض المبادرات، ففي 27 أوت 1942 قدم مذكرة للمارشال بيتان وإلى رئيس الحكومة الفرنسية لافال (Laval) وإلى الحاكم العام بالجزائر شاتيل حمل فيها المسؤولية للسلطة في ضعف الإصلاحات السياسية، وسيطرة المعمرين على الحياة الاقتصادية، وأشار في مذكرته على التباعد الكبير بين الأغلبية المسلمة والأقلية الأوروبية³. والملاحظ أن ابن جلول رغم نوعية المطالب التي قدمها والتي تميزت بالجرأة في الطرح لكنه بقي وفيا للمطالب التي نادى بها قبل الحرب العالمية الثانية فمثلا لم تكن مطالب استقلالية تحريرية وإنما مطالب إصلاحية تماشت مع مرحلة الحرب.

1. André Nouchi, La naissance du nationalisme algérien (1914-1954), Edition de minuit, paris, 1962, p 130-131.

2. مصطفى أوعامري، المرجع السابق، ص 77-78.

3. مصطفى أوعامري، المرجع السابق، ص 78-79.

ما يمكن استنتاجه أنا حكومة فيشي همشت العناصر الوطنية من النواب الذين دافعوا عن مطالب إصلاحية لتحسين ظروف الشعب الجزائري، وعضوتهم في بعض المناطق بمشايخ طرقيين يخدمون مصالحها السياسية، فتسببت سياستها في خيبت أمل ظهرت على فرحات عباس خاصة بعد رفض جميع مطالبه المقدمة، مما غير صورة فرنسا لديه، فعجل برسم طريق مغاير لما كان عليه النواب سيتضح لاحقا.

رابعا: نشاط حزب الشيوعي الجزائري:

كان ارتبط الحزب الشيوعي الجزائري بنضيرة الفرنسي في مصيرهما السياسي واضحا ، فمع بداية الحرب وتوقيع ألمانية والاتحاد السوفياتي على معاهدة عدم الاعتداء، حلت الحكومة الفرنسية الحزب الشيوعي الفرنسي، ولقي الحزب الشيوعيين الجزائريين المصير نفسه بعد صدور مرسوم 26 سبتمبر 1939، وتضمن الأمر منع صدور الصحافة الشيوعية بداية من 29 أوت 1939 وتم توقيف بعض مناضليه من بينهم بلقاسم قدور الأمين العام، بسبب مواقفه المساندة للتحالف الذي اعتبره خطوة لتحقيق السلم العالمي، كما أغلقت بعض مقراته وقدم " بكرط استقالته بعد توقيع الهدنة ¹.

وقد كتب العربي بوحالي أحد قادة الحزب الشيوعي الجزائري عن أمر حل الحزب قائلا: " في سبتمبر 1939، وعلى إثر موقفه الثابت المدافع على الاتحاد السوفياتي بعد توقيعه على اتفاق عدم الاعتداء مع ألمانيا، تم حل الحزب الشيوعي من قبل الإدارة الاستعمارية وتم رمي مناضليه في السجون والمحتشدات ². علما أن شعبية الحزب الشيوعي الجزائري كانت منعقدة، فلم تكن للجزائريين ثقة بحزب حارب وطنية النجم وحزب الشعب، حتى أنه لم يحرز شيئا من الجبهة الشعبية والتي كان الحزب الشيوعي الفرنسي عضوا فيها ³.

لم يبرز نشاط الحزب الشيوعي الجزائري كثير في هذه الفترة فقط عدد لجريدة " الكفاح الاجتماعي" الذي صدر في سبتمبر 1939 والذي لم يوزع بشكل واسع، إلى غاية استسلام فرنسا للألمان في جوان 1940 وتولي المارشال بيتان الموالي للألمان الحكم، أين نجح الشيوعيون في تكوين منظمة سرية في نوفمبر 1940 وتركيب مطبعة صغيرة وإخراج عدة أعداد من جريدة الكفاح الاجتماعي، وعدد كبير من المنشير والإعلانات، ركز خلالها الشيوعيون في دعايتهم على مناهضة حكومة فيشي والمطالبة بتحرير الشعب الجزائري من العبودية، فقد ورد في عدد

1. محمود أيت مدور، الحركة العمالية في الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية (1830-1962) بين النضالات الاجتماعية والكفاحات التحررية، ط1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص 228.

2. Jaques Jurquet, La révolution nationale algérienne et le parti communiste français (Le mouvement nationale algérien et le P.C.F DE 1939 a 1945, T3, Edition du centenaire, paris, 1979, p 25

3. محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 812.

نوفمبر 1940 من الجريدة (الكفاح الاجتماعي) مايلي: "أيها الشعب الجزائري، لقد حان الوقت لإنهاء العبودية... نطالب باستقلال الجزائر، لإقامة حكومة جزائرية ديمقراطية في بلدنا".¹ استنتاج من خلال ما كتب في جريدة الكفاح الاجتماعي أنه مجرد دعاية من طرف الشيوعيين محاولة لاستغلال ظروف الحرب لكسب أكبر عدد من الجزائريين للانضمام للحزب، فالنظام الشيوعي السائد في العالم (الاتحاد السوفياتي) ليس له علاقة بالحرية والديمقراطيات بل ارتكز في معظمه على الحكم الفردي الديكتاتوري.

في هذه المرحلة بالذات لم يقتصر النشاط الدعائي للشيوعيين الجزائريين فقط بل تعداها إلى منظمة (المساعدة الشعبية الجزائرية)² التي شرعت في توزيع منشور تحريضية في مارس 1941 كانت تطالب بنظام لتحسين معاملة السجناء، وسياسة القمع والتجنيد الإجباري للجزائريين، ساهمت هذه الدعاية في خلق صعوبات لدي إدارة الاحتلال الفرنسي خاصة في التعبئة، لذلك يمكن القول إن الحرب كانت لها تأثير كبير على الجزائر، فقد كان الجزائريون هدفا لدعايات متعددة استخدمت فيها مختلف الوسائل حتى المنظمات.

أما بعد غزو الألمان لأراضي الاتحاد السوفياتي في جوان 1941، غير الشيوعيون من توجهات دعايتهم فكلمات الحرية والاستقلال تحولت إلى دعاية ضد النازية، مشكلة توجهها جديدا للحزب الشيوعي الجزائري، من خلال تطابق مواقفه مع الحزب الشيوعي الفرنسي و(الكومنترن) الذي هيمن عليه الاتحاد السوفياتي إذ ورد في جريدة (الكفاح الاجتماعي) خريف 1942 ما يلي: "إن الحزب الشيوعي الجزائري، الذي يشرف عليه الحزب الشيوعي الفرنسي الكبير، والأممية الثالثة، هو الوحيد الذي يستطيع أن يقود الكفاح من أجل التحرر".³

عموما رغم الاعتقالات التي تعرض لها الشيوعيون في الجزائر والمضايقات مع بداية الحرب، فإنهم تمكنوا من إعادة تنظيم أنفسهم ففي جويلية 1941 انعقد المؤتمر الرابع للحزب وذلك رغم المضايقات من طرف حكومة فيشي، وتكونت لجنة من 31 عضوا يرأسها مناضل

1. مصطفى أوعامري، المرجع السابق، ص 105.

2. (المساعدات الشعبية الجزائرية) Secours Populaires D'Algérie عبارة عن منظمة ذو توجه شيوعي، كانت تسمى في نوفمبر 1936 (المنظمة الجزائرية للمساعدة الحمراء الدولية). كان هدفها المعلن هو تقديم المساعدة المعنوية والمادية والقانونية لضحايا القمع الامبريالي. اتخذت من محل في حي روفيجو بالجزائر. اهم أعضائها مورييس بريو و بوعلي العربي بن بلقاسم تجلى نشاطها في تنظيم تجمعات و حفلات وأسابيع تضامنية لمساعدة ضحايا الفاشية الدولية، و العفو عن الذين قاموا بإضراب 30 نوفمبر 1938، وقاموا بحملة تضامنية مع الشعب الإسباني خلال الحرب الأهلية للمزيد من التفاصيل ينظر: محمود أيت مدور، المرجع السابق، 230.

3. Emmanuel Sivan, Communisme et la nationalisme en Algérie, presses de la fondation nationale des sciences politiques, paris, 1976, p 119.

إسباني وغير أسم الحزب في سبتمبر 1942 كتمويه إلى (جبهة الحرية). نجح الحزب في ترتيب بيته الداخلي وإعادة نشاطه في عمالة وهران وبعض المناطق الداخلية حيث لعب العناصر الإسبانية دورا كبيرا، فلم تكن فعالة في عمالة الجزائر، فوجهوا دعايتهم عن طرق وسائل عديدة مثل المناشير التي كانت توزع في الأحياء بوهران و غليزان ومعسكر و بريقو (المحمدية) ، إضافة إلى جردة الكفاح الاجتماعي السرية التي كانت تصل لمختلف المدن .

كما عمل الشيوعيون على التغلغل في الأوساط العمالية للتأثير على النشاط الاقتصادي، من خلال التحريض على الإضراب، خاصة مع تدهور الأوضاع منذ بداية الحرب العالمية الثانية¹، ومن بين الإضرابات التي نظمت إضراب في 28 سبتمبر 1940 بمصنع الكهربي الواقع في واد البارد التابعة لبلدية مايو المختلطة، وإضراب عمال التبغ في منطقة القبائل من أجل رفع الأجور، وإضرابات أخرى في كل من بوحنيقية قرب معسكر والقنادسة قرب بشار، وفي شهر جويلية 1942 أضرب 500 عامل في ميناء وهران².

أمام المحاولة من طرف الحزب الشيوعي لبعث نشاطه السري، وكفاحه ضد حكومة فيشي الموالية للألمانية في ظل التوجه الجديد للحزب، شرعت الشرطة الاستعمارية في إلقاء القبض على العديد من المناضلين، فما بين 26 و 27 نوفمبر 1941، قدم 21 شيوعيا للمحاكمة بتهمة إعادة تكوين حزب، أدانت 18 منهم، بعدها أصدرت المحكمة العسكرية بالجزائر الحكم في حق 41 شيوعيا آخر أمثال (الأمين السابق للشبيبة الشيوعية بمدينة سيدي بلعباس الملقب ب(ابن عمر)³ ، كما أرسلت العديد منهم لمعتقل جنين بورزق منهم (قدور بلقاسم الذي توفي هناك)، ووقعت عدة عمليات اغتيال لشخصيات تنتمي للحزب الشيوعي الجزائري مثل اغتيال (على رابية) والحكم غيابيا على ناشطين شيوعيين (أحمد إسماعيل) الذي حكم عليه بالإعدام غيابيا⁴.

إضافة للأحكام الصادرة من طرف الإدارة الفرنسية في حق الشيوعيين الجزائريين، ضاقت الإدارة الفرنسية الأفراد الذين تثبت صلتهم بالنشاط الشيوعي إما بالتهديد بحرمانهم من وظائفهم، أو الحرمان منها مباشرة خاصة الممارسين لمهنة التدريس، خوفا من تأثير أفكارهم على التلاميذ في المدارس، ولا يتم إرجاعه للعمل إلا بتقرير من طرف الشرطة بحسن سلوكه وابتعاده عن الأفكار الشيوعية، ففي مراسلة بين محافظ مركز الشرطة بمدينة معسكر ورئيس دائرة معسكر بتاريخ : 12 فيفري 1942 أكد فيه تقرير الشرطة على السلوك الحسن

1. مصطفى أوعامري، المرجع السابق، ص 107.

2. محمود أيت مدور، المرجع السابق، ص 238-239.

3. مصطفى أوعامري، المرجع السابق، ص 108.

4. عز الدين زاويدي، المرجع السابق، ص 181-182.

- الفصل الأول: الحرب العالمية الثانية (1939-1945) وتأثيراتها على نشاط الحركة الوطنية الجزائرية –

للسيد غلاب مختار مناضل سابق في الحزب الشيوعي أثناء حكم الجبهة الشعبية، وقد أكد التقرير على تصحيحه لأخطائه السابقة وتوبته و صرح له التقرير بإجازة تشغيله في المدارس الابتدائية للجزائريين¹.

إن نشاط الحزب الشيوعي الجزائري ظل مرتبطا بالحزب الشيوعي الفرنسي ويمكن تقسيمه نشاطه لمرحلتين المرحلة الأولى من تولي المارشال بيتان الحكم إلى غاية اشتعال الحرب بين ألمانية والاتحاد السوفياتي، أما الرحلة الثانية فبدايتها من نهاية المرحلة الأولى إلى إنزال قوات التحالف في شمال إفريقيا، وتميز نشاطه بالانسجام مع الواقع في الجزائر من خلال التركيز على النشاط السري والظروف الدولية وحدد اتجاهه بالتوازي مع وضعالاتحاد السوفياتي².

1 A.W.O, B 4476, Rapport de police (Service de securité) envoyé à Monsieur le Sous –Prefet de L'arrondissement de Mascara, 12/02/1942.

2. عز الدين زايدي، المرجع السابق، ص 182

المبحث الرابع: مسار الحركة الوطنية بعد الإنزال الأنجلو-أمريكية (1942-1945):

نتيجة تطورات الحرب العالمية الثانية برزت الولايات المتحدة الأمريكية كعنصر فاعل في ميادين القتال، وشكلت منطقة المغرب العربي نقطة حاسمة في تغيير نتائج المعارك في أوروبا، كما ساهمت عملية الإنزال بسواحل شمال إفريقيا بشكل عام والجزائر بشكل خاص في التأثير على الحركة الوطنية الجزائرية في ظل تغير القوى المسيطرة على الأرض، فسعى قادة الحركة الوطنية الجزائرية على رأسهم فرحات عباس لإعادة بعث نشاطهم مستغلا الوضع العام الذي سيطر على الجزائر لرفع مطالب واستمر الوضع على هذا الشكل إلى غاية 1945.

أولا: الإنزال الأنجلو-أمريكي بسواحل الجزائر:

دخلت الولايات المتحدة الأمريكية طرفا في الحرب نتيجة الهجوم الياباني على قاعدة بيرل هاربر (pearl Harbor) في 7 ديسمبر 1941، وفرضت استراتيجية الحرب مع المحور بأهمية السيطرة على منطقة المغرب العربي والقضاء على تواجد قوات المحور فيها، فاتخذ القرار في اجتماع بين القيادات البريطانية والأمريكية وحكومة المنفى الفرنسية في لندن يوم 23 جويلية 1942 وسميت العملية في بداية الأمر سوبر-جيمناست (Super-Gymnaste)¹، ثم استبدل اسمها باقتراح بريطاني فسميت عملية تورش (Operation Torch)².

وعلى هذا الاتفاق، تقرر الانطلاق في عملية التحضير لعملية الإنزال بمنطقة المغرب العربي، من خلال استحداث بعض الهيئات مثل مكتب التسليح يديره هاري ل. هوبكينس (Harry L.Hopkins) من أجل استغلال المواد الغذائية والأولية واليد العاملة وإمكانات الإنتاج والنقل بين الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، برزت مطالب ملحة للاتحاد السوفياتي في ضرورة فتح جبهة ثانية للتخفيف على الجيش الأحمر الذي أصبحت معركته مع

1. اعتبر وينستون تشرشل ان شهر جويلية 1942 هو الشهر الذي تقرر فيه كل شيء بخصوص العمليات العسكرية على قوات المحور، فمن العمليات التي كانت تقرر نتيجة اللقاءات السرية والتي كانت عبارة عن مجموعة من الرموز نذكر منها: أكروبات (Acrobat) عملية التوسع في الأراضي الليبية: بوليرو (Bolero) وهي عملية الإنزال الكبير في الأراضي الفرنسية؛ جيمناست (Gymnast) عملية الإنزال في الجبهة الغربية من شمال إفريقيا ، أعيد تسميتها بعملية تورش؛ جوبيتر (Jupiter) هي عملية في الأجزاء الشمالية من النرويج؛ روند أوب (Round-up) الهجوم على المناطق الأوربية الواسعة الواقعة تحت سيطرة الألمان، سميت لاحقا ب" أوفر لورد "وسليدغهامر (Sledgehammer) وهي عملية مهاجمة إحدى المدينتين براست (Brest) أو شربون (Cherbourg) في سنة 1942. ينظر: عز الدين زايدي، المرجع السابق، ص 182

2. عبد القادر جيلالي بلوفة، المرجع السابق، ص 59.

- الفصل الأول: الحرب العالمية الثانية (1939-1945) وتأثيراتها على نشاط الحركة الوطنية الجزائرية -

الألمان في ذروتها ، فشككت المطلب السوفياتي بالنسبة للرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت¹ أمرا مهما، لإدراكه أن انهيار الجيش الأحمر يعني انتصار الألمان وتناقص آمال الانتصار عليها، فراسل على جناح السرعة وينستون تشرشل ليطلعه بضرورة تنفيذ عملية إنزال على السواحل الفرنسية. وشكل الخبر صدمة للبريطانيين الذي اتصلوا بروزفلت واقترحوا عليه استبدال العملية في أوروبا التي أطلق عليها سليدغم (Sledgehammer) بـ(جيمناست) في منطقة المغرب العربي. وتوجه تشرشل لموسكو من أجل مناقشة الوضع مع جوزيف ستالين (Joseph Iossif Staline)²، ليعلمه باستحالة فتح جبهة ثانية في أوروبا، مما أدخل الطرفان في نقاش حاد، لكن حنكة البريطانيين اقنعت ستالين بالعملية المرتقبة على السواحل الشمال الإفريقية مع نهاية 1942³.

إن مقترح تشرشل لعملية الإنزال في المغرب العربي له أهداف استراتيجية وعسكرية، وتمثل منعرجا حاسما في الجبهة الغربية، خاصة مع الانتصارات البريطانية في معركة العالمين بقيادة الجنرال برنارد مونتغمري (Bernard Montgomery) ضد الألمان بقيادة الجنرال إروين رومل (Erwin Rommel) الذي انسحب مضطرا نحو الأراضي الليبية. كما أن اقتراحا أمريكيا سابقا بفتح جبهة في أوروبا، لم يكن منطقيا بالتعداد العسكري الذي كان موجودا في سنة 1942، مقارنة بحجم العملية والمخاطر المترتبة عنها في حال فشلها، واعتبرها البريطانيون مغامرة عسكرية⁴.

في ظل هذه الظروف شرع الحلفاء في التحضير لعملية الإنزال بكل سرية في المغرب والجزائر ووهران، وبدأت عملية (الشعلة، بالتركيز على استمالة الضباط الفرنسيين المتواجدين

1. ولد فرانكلين هايد بارك سيرينغ روزفلت سنة 1882، وهو رجل دولة أمريكي انتخب رئيسا سنة 1932، قام بعدة إصلاحات، وعمل على تحسين العلاقات الخارجية خاصة مع روسيا، كان له الدور الكبير في التحالف مع أوروبا ضد الألمان، انتخب ل أربع مرات متتالية، كان آخرها سنة 1944، لكنه توفي قبل أن ينهيا سنة 1945، بسبب الإرهاق. ينظر: عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.م، 1979، ص 843.

2. ولد في جورجيا سنة 1879 اشتهر بنشاطه السياسي، إشتراك في العمل الثوري سنة 1898 حيث تعرض للنفي عدة مرات، شغل منصب رئيس تحرير جريدة الرافدا، معروف عنه نظرتة المركزية للإدارة، أصبح أمينا للحزب الشيوعي السوفياتي سن 1922 وبعد وفاة لينين سنة 1924 أصبح الزعيم الأول للشيوعية السوفياتية، أعدم كل من عارضه (تروتسكي - كمينيف) وحكم الإتحاد السوفياتي بيد من حديد، قاد المعركة الفاصلة ضد الألمان (1941-1945)، توفي سنة 1953. ينظر:

Grand dictionnaire encyclopédique Larous, T9, Librairie L'Arous, paris, 1983,p9783.

3. عزالدين زايدي، المرجع السابق، ص 183.

4. المرجع نفسه، ص 184.

- الفصل الأول: الحرب العالمية الثانية (1939-1945) وتأثيراتها على نشاط الحركة الوطنية الجزائرية -

في الجزائر والمغرب، خصوصاً للذين أبدوا تأييدهم لعملية الإنزال، فقد أراد الحلفاء تفادي الأحداث الدامية التي وقعت في سوريا ومدغشقر والتركيز على الدخول لشمال إفريقيا بأقل الخسائر، تمهيدا للمعركة الكبرى ضد الألمان في أوروبا.

ويمكن الإشارة هنا لوجود محاولات عديدة لربط الاتصال مع قيادات داخل نظامي فيشي، فمع مطلع سنة 1940 حل بالجزائر فريق سري مكون من (النقيب بوفار (Bouvar)- والرائد فاي (Vay)-والمقدم جوس (Josse) فربطوا اتصالات مع القنصل الأمريكي " مورفي " (Murphy)¹ وطلبوا منه تأمين المساعدة الأمريكية للشروع في عملية تسليح تمكن الفرنسيين من الوقوف ضد الألمان، لكن الخطة باءت بالفشل وتم توقيف " بوفر" وإطلاق صراحه فيما بعد².

لذلك وضع الأمريكان تحضيرا للإنزال خطوط تواصل مع مجموعة من الفرنسيين، والذين لم يكن لهم أي تفويض لا منبئان أو ديغول للتفاوض مع الأمريكان والدافع الأساسي لهم هو تخليص الأراضي الفرنسية بما فيها شمال إفريقيا من وجود المحور، وتكونت المجموعة من خمسة³ شخصيات، هي: جو لومقر ديبروي (J. Lemaigre-Dubreul)، جون ريقولت (Jean Rigault)، الكولونيل جوس (Colonel Jousse)، الكولونيل فان هوك (Colonel Van Hecke)، هنري داستي دولا فيقري (Henri D' Astier de la vigerie).⁴ عناصر كان لها دور كبير في جلب العديد من الشخصيات لجانب الحلفاء، والتي سيكون لها وزن في عملية الإنزال أمثال الجنرال البثوارن (Bethouard) قائد الدار البيضاء، والعقيد لوربار (Lorber) قائد فيلق بونة ، والجنرال ماست (charle mast)⁵.

1. وصل مورفي للجزائر في ديسمبر 1940 حيث كان قد شغل منصب موظف سامي في السفارة الأمريكية لدى حكومة فيشي، كان يعيش في فرنسا منذ 1930، وانحصرت مهامه في جمع المعلومات السياسية والعسكرية حول الأوضاع في شمال إفريقيا، وارسالها للسلطات الأمريكية. ينظر:

Rey – Goldzeiguer Annie, Aux Origines de la guerre d'Algérie (1940-1945) de Mérs el kébir aux massacres du Nord Constantinois , Casbah éditions , Alger , 2002, p113.

2. Christine, Levisse - Touzé, op-cit, P.218-219.

3. شرعت الشخصيات الخمسة لعمليات التحضير للإنزال وفق مراحل تدريجية: اولها: تعتمد على الاستعلامات من خلال توفير جميع المعلومات المرتبطة بالمنشآت العسكرية والمدنية. وثانها: تجنيد أكبر عدد ممكن من السكان المحليين (الجزائريين) والأوروبيين. وثالثها: خوض الحرب أثناء عملية الإنزال من خلال القيام بعمليات تخريبه والتنسيق مع القوات المهاجمة. ينظر:

Aron robert, Histoire de Vichy (1940-1944) les grandes études contemporaines, Librairie arthème Fayard, paris, 1954, p.542.

4. Jacques Mordal, L 'empire entre Dans Lutte (le Groupe des cinq), Historia hors-série 15, paris, décembre 1969, p. 4-5

5. Aron robert, op -cit, p 542.

تشكل في هذه المرحلة خلاف حول الشخصية التي تقود مجموعة الخمسة، فشكل كل من الجنرال ديغول و الجنرال ويقان إحدى الشخصيات المقترحين للمهمة، لكن بسبب الماضي السيء لديغول في الحروب، وتعنت ويغان من بقاءه وفيما لحكومة بيتان لعدم اقتناعه بالحجج المقدمة من طرف الأمريكيين و مجموعة الخمسة، توجهت المجموعة إلى خيار ثالث تمثل في الجنرال هنري جيروا (Henri Giraud) بداية من ماي 1942 الذي كان موقفه واضحا واعتبر أن خلاص فرنسا من الاحتلال الألماني لن يكون إلا بدعم الجيش الفرنسي و إعادة تسليحه ورأى أن الدور الأمريكي يجب أن يقتصر على الدعم فقط¹.

ساهم التحاق الجنرال جيرو بالمقاومة في تشجيع ديغول للاتصال به رغبة في التعاون، كما شجع الأمريكيان على التفاوض مع مجموعة الخمسة بداية من جوان 1942، أرسل خلالها روزفلت العقيد (سولبارغ) للجزائر، للقاء مجموعة الخمسة والجنرال جيرو، فخرج اللقاء بتوصيات أهمها: الاعتراف بالمجموعة كممثل للتفاوض معهم حول جميع المسائل المرتبطة بالعمليات في شمال إفريقيا. لكن العمل على الميدان كان مخالفا، فالتخوف الأمريكي من تسرب المعلومات جعلهم لا يمنحون الثقة الكاملة للمجموعة.

وما يؤكد ما ذكرته ، قيام كل من روزفلت و تشرشل في جويلية 1942 باتخاذ قرار الإنزال في شمال إفريقيا من دون علم مجموعة الخمسة أو استشارتها، ولم تتسرب المعلومات إلى مع بداية شهر نوفمبر 1942 أين أطلعهم (مورفي) على المعلومات السرية والتوجيهات التي يجب إتباعها أثناء العملية و شكل قرار تعيين الجنرال الأمريكي دوايت إيزنهاور (Duoight Eisenhower) قائدا عاما للقوات في شمال إفريقيا مفاجئة للفرنسيين، علما أن جيرو قد طالب بالمنصب واعتبره أحد شروط للاتحاق بصفوف المقاومة، دفع ذلك الجنرال إيزنهاور للتواصل مع جيرو ومنحه قيادة القوات الفرنسية التي أسندت سابقا تحت القيادة العامة الأمريكية².

في ظل هذه الظروف تم عقد لقاء بين الأطراف المعنية بعملية الإنزال في مدينة شرشال القريبة من الجزائر في 22 أكتوبر 1942 بمساعدة أحد المحامين من الجزائر في سرية تامة، وقد وقع الاختيار على المكان لبعده عن الأنظار وقربه من الشاطئ. جمع اللقاء: من الجانب الأمريكي السيد روبرت مورفي (M.Robert Murphy)، الجنرال ماجور مارك ولتسون كلارك (-Le major Lebrignadier-général Lemnitzer)، الكولونيل هامبلن (le colonel Hamblen)، قبطان السفينة جيروولد وريقت (le capitaine de vaisseau Jerauld Wright)، الكولونيل جولياس هولمس (le colonel Julius Holmes)، قدموا عبر غواصة بريطانية رفقة ثلاث ضباط أمنوا

1 Charles Reibel, pour La justice La Vérité sur les origines du Débarquement Allié en Afrique du Nord (8 Novembre 1942, les presses Alpha, paris, 1947,p.11.

2 عز الدين زايدي، المرجع السابق، ص 194.

عملية الإنزال. ومن الجانب الفرنسي الكولونيل جوس ((le colonel Josse)، قائد السرب درتواز (le capitaine de frigate)، قبطان الفرقاطة بارجوت (le commandant d'aviation Dartois)، الجنرال شارل ماست (Ch. Mast) وأحد المدنيين رجولت (Rigault).

وقع الاجتماع في ظروف خاصة فقد سرب التحالف معلوماً بتجدد غارات من طرف قواته على قواعد المحور والموالين له، وسهر مجموعة من المدنيين على تأمين المدينة، واختير كل من هنري داستي ((Henri d'Astier ورجولت (Rigault) لتحديد مكان الاجتماع، وأمن كل من فون هيك (Van Heck) وواتسون (Watson) بواسطة سيارات مدنية نقل الضباط لمكان الاجتماع حتى لا يلفت الأنظار¹. أما بخصوص جدول الأعمال فقد ورد في تقرير رفع للجنرال جيرو بتاريخ 22 أكتوبر 1942 حرر من طرف (جون ريقولت) بتوجيه من الجنرال ماست، إن الطرف الفرنسي أراد الإجابة على أربعة أسئلة²:

- أ. ما نويا شركائنا؟
- ب. ما أسباب قراراتكم الأخيرة؟
- ج. ما الوسائل المراد توفيرها؟
- د. كيف ستكون القيادة؟

إن المتمعن في هذه الأسئلة يدرك مدى حالة الالتباس وعدم الثقة في علاقة الأمريكي بالفرنسيين، فالأمريكيين لا يمكنهم أن يضعوا ثقتهم في مجموعة لا تتمتع بصفة رسمية، بل أكثر من ذلك فرق متمرد على دولتهم و معرضة للاختراق من طرف الألمان ، أما حول تاريخ العملية فلم ترد أي معلومات دقيقة ، إذ أعطى الأمريكيان تواريخ مثل 23 أو 30 نوفمبر، علماً أن الجنرال جيرو حدد المدة ما بين 14 و 18 يوماً للتحضير للعملية، كما أشارت مذكرة سلمت للجنرال كلارك بواسطة الجنرال ماست أثناء عقد مؤتمر شرشال في 22 أكتوبر 1942 لأهم الملاحظات حول التدخل الأمريكي وجميع النقاط الحساسة والرخوة التي تساعد القوات الأنجلو- سكسونية في السيطرة على منطقة شمال إفريقيا بما فيها الإنزال في موانئ بونة وتونس بالتوازي مع الإنزال في المغرب، وهران، الجزائر ما كان يعتبرونه الأمريكيان مغامرة، لتواجد قوات ألمانية في تونس وقرب الحدود الجزائرية³. وأمام كل هذه التناقضات في العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية والمجموعة الفرنسية المناهضة لتواجد حكومة بيتان العميلة للألمان، دفعت الأطراف للإسراع في إيجاد حلول تخدم مصالح الحلفاء، فجاء لقاء شرشال الذي فتح باب الحوار بين الأطراف، وتدعم بثلاث رسائل أرسلها روبرت مورفي (Robert

1. Charles Mast, Histoire d'une rébellion (Alger : 8 Novembre 1942), Librairie Plon, 1969, pp 127-128.

2. لمزيد من التفاصيل أنظر: Ibid, p 479 (راجع ملحق رقم 1)

3. لمزيد من التفاصيل ينظر: Ibid, pp 468-469 (راجع ملحق رقم 2)

الاستراتيجية خاصة العسكرية والتي تأثر بشكل مباشر على عملية الإنزال¹. وللتوضيح أكثر، لم تكون عمليات السيطرة على المواقع بالوسائل العسكرية فقط، فقد اختلفت الأساليب بين التفاوض مع القيادات أو التأثير على عسكريين وقيادات مناوئين لنظام فيشي من خلال التواصل معهم مسبقاً، فقد كان للأمر السري الذي بعث به الجنرال جيرو في 7 نوفمبر 1942 أثر في تغير توجه الكثير من القيادات الفرنسية في الجزائر².

أما عن سير عملية الإنزال في الجزائر، ووفق الخطة المرسومة، قاد العملية الجنرال الأمريكي شارل وولكوت رايدر (Charles W. Ryder) وقسمت القوات المهاجمة إلى قسمين القوة الشرقية والقوة الغربية مكونة من وحدات بريطانية وأمريكية، قدر الجنرال ماست عدد القوات البريطانية بـ(23000) جندي والأمريكية بـ(10000) جندي، وكان الإنزال في الجهة الغربية ما بين الكاستليو (Castiglione) ورأس أكرا (RasAcra) في سيدي فرج. أما الإنزال في الجهة الشرقية، فكان في شرق خليج الجزائر ما بين جون بارت ((Jean Bart)) إلى غاية فم واد رقية (oued Reghaia'l) وعرفت عملية الإنزال اختيار بعض المناطق الثانوية مثل (Pointepescade) وشاطئ عين طاية التي أنزلت فيها قوات محدودة.

وأعطيت لكل منطقة إنزال اسمها السري مثل: منطقة النزول (أ) أطلق عليها اسم (Apples) قسمت لمنطقتين لرسو سفن الإنزال (Green) و (White) من (Castiglione) إلى واد مزفران. وبعد الإنزال على السواحل القريبة من مدينة الجزائر شرعت القوات الأمريكية والبريطانية في السيطرة على المناطق العسكرية الحساسة كالمطارات في كل من البليدة، الدار البيضاء، وجميع الثكنات ومراكز الجيش في كل من بير خادم، الأبيار، بوزريعة، روية، أولاد فايت، بير مراد رايس. وقد وجدت الطريق مفتوح أمامها نتيجة للعمل الكبير الذي قامت به المجموعات المتمردة على حكم فيشي³.

ما يمكن استنتاجه أن عملية الإنزال كانت سلسلة فلم تجد مقاومة مقارنة بالإنزال في وهران نتيجة العمل الذي قام به الضباط والعسكريين والمدنيين المتطوعين المناهضين لحكومة فيشي العميلة للألمان، وقد ساعد التواصل الذي أقيم بين مجموعة الخمسة المنظمة للمقاومة الدور الكبير في اختراق المنظومة العسكرية الموجودة في مدينة الجزائر مما سهل السيطرة على المواقع المختلفة، وزاد في تردد القادة العسكريين الفرنسيين في استمرار مواليتهم لنظام فيشي، كما ساهم الأمر العسكري السرية التي بعث بها الجنرال جيرو قبل مغادرته

1. Ch.Mast, op – cit, p150.

2. Ibid, pp 172-173.

3. Ibid, p175.

للجزائر لجميع الوحدات، يحثهم فيها على الالتفاف حول القوات الأمريكية لإعادة مجد فرنسا في التأثير على قيادة الوحدات العسكرية الفرنسية في مدينة الجزائر .

وفيما يخص سير عملية الإنزال في وهران، وإذا كان الإنزال في مدينة الجزائر قد تم بسلام، بفضل شجاعة المقاومون المعارضون لنظام فيشي، فإن الأمر اختلف بالنسبة الى الانزال في وهران، فقد استمرت المعارك لمدة ثلاثة أيام إلى غاية يوم 10 نوفمبر 1942 ولم تنته إلا بعد صدور أمر من الجنرال دارلان والجنرال ألفونسو جواناللدان وقعا أسيران ليلة الإنزال، وبعد ضغط من الجنرال الأمريكي كلارك مارك (Clark Mark) عليهما حيثأرغما على اصدارالأوامر قواتهما في وهران والمغرب الاقصدبإيقاف القتال¹. وقدر عدد القوات الحلفاء المجهزة لعملية الإنزال بحوالي 39 ألف جندي موزعين بين المشات والمدفعية والمظليين تحت قيادة الجنرال راندال، ففي ليلة 7 نوفمبر بدأت العمليات عبر الإنزال في نقاط محددة (خليجأرزيو، خليج الأندلس، شاطئ بوزجار، سبخة وهران). وبنفس الخطة العسكرية التي اعتمد عليها في الجزائر، اعتمد الحلفاء على توزيع قواتهم بين المناطق الشرقية والغربية:²

بخصوص الجهة الشرقية من مدينة وهران: في مناطق سان كلود (قديل) وأركول (بير الجير) والتي شهدت معارك عنيفة مما عرقل تقدم القوات الأمريكية والمكونة من 12 ألف جندي، وفي نواحي سان لوسيان(زهانا) أخرت تقدم قوات مدرعة تابعة لفيشي، وبالمقطع تعرض قوات التحالف للقنص من طرف فرقة قادمة من تيارت، لكن هذه المحاولات لم تكن لها نتيجة نظرا لنوع التسليح لدى القوات المهاجمة. اما الجهة الغربية من مدينة وهران: كذلك شهدت الجهة الغربية معارك قوية بين القوات الامريكية وفرقة من المشات الاهلية جندت من طرف حكومة فيشي.كما تم القيام بإنزال جوي لقوات بريطانية بالقرب من سبخة وهران، الهدف منه السيطرة على مطار طفراوي والسانية، وبعد عملية الإنزال الجوي لحقت قوات قادمة من شاطئ بوزجار تحت قيادة (ويني) إلى مطار السانية ووقوات نزلت في خليج أرزيو تحت قيادة (والتر) إلى مطار طافراوي، وعرفة المناطق الغربية عملية قصف من طرف قوات التحالف والألمان أدت لتهجير السكان إلى المناطق الداخلية³.

لم تكن عملية الإنزال سهلة لوجود مجموعة من المقاومين المعارضين لوجود قوات الحلفاء على رأسهم روجي كاركاسون (Roger Carcassonne) والأب تييري (Père Théry) والعقيد توسطان(Tostain) والأميرال ريول(Riout)، كما عارضوا بشدة عملية الإنزال مما جعل المعارك أكثر دموية وسقط أكثر من 750 من الجنود الفرنسيين لعدم تكافئ الطرفين في

1. عز الدين زايدي، المرجع السابق، ص 200.

2.عبد القادر جيلالي بلوفة، المرجع السابق، ص 61-62.

3. عز الدين زايدي مرجع سابق، ص 106-107.

- الفصل الأول: الحرب العالمية الثانية (1939-1945) وتأثيراتها على نشاط الحركة الوطنية الجزائرية -

العدة والعتاد¹. وعلى الرغم من المقاومة التي واجهت قوات الحلفاء، إلا أنها استطاعت السيطرة على الوضع والقضاء على سيطرة حكومة فيشي الموالية للألمان على جزء من شمال إفريقيا (الجزائر وتونس)، في ظل الظروف الجديد تعرض سكان الجزائر لحملة دعائية من طرف المحور خاصة عن طريق الراديو (برلين - شتوتغارد- باريس موندريال) ، والمناشير التي كانت توزع بأعداد كبيرة تدعوا المسلمين الجزائريين للتمرد على الحلفاء والانضمام للمحور ، ظهرت هذه المناشير في كل من مستغانم ومعسكر، ومن الوسائل الدعائية الأخر الجرائد (سينيال - باريزر زيتونغ - الجهير)².

كما ظهرت دعاية الإنكليز والأمريكان التي استعملت وسائل متنوعة كالتوزيع المجاني للمواد الغذائية، وربط علاقات مع بعض المثقفين الجزائريين مثل (ابن خدة بلعربي مستشار عام و(لالوت) أخ مستشار سيدي بلعباس.)، وأصدر الأمريكان والإنجليز بمساعدة الفرنسيين مجلات وجرائد ناطقة بالعربية والفرنسية (المستمع العربي - النصر - أخبار الأسبوع)، وعمدت دعاية الحلفاء إلى مختلف الطرق للتقرب من الجزائريين في المناسبات كالأعياد الدينية وتقديم التهاني³.

ساهمت عملية الإنزال الأنجلو - أمريكي في الجزائر والظروف الدولية التي تلتها في تحسن العلاقة بين الوطنيين الجزائري والوافدين في ظل الإغراءات ميثاق الأطلسي⁴ ومواده التي تقر في حق الشعوب في تقرير مصيرها، وقد اعتبرها الوطنيون الجزائريون أمثال فرحات عباس فرصة لاستئناف نشاطهم السياسي وإيصال مطالبهم للحكومة الجديدة مع تواجد قوات الحلفاء على الأرض.

ثانيا: النشاط السياسي في الجزائر في ظل تواجد قوات الحلفاء (1942 - 1945):

شكلت عملية الإنزال الأنجلو- أمريكي في منطقة شمال إفريقيا ، نقطة تحول مهمة أثرت على الحياة سياسيا بالجزائر، فمرحلة حكم نظام فيشي لم تعرف سوى محاولة سياسية من فرحات عباس الذي قدم مجموعة مطالب للمارشال بيتان قوبلت بالرفض، أما الأنشطة السياسية الأخر بقيت سرية، لكن سيطرة قوات الحلفاء على الجزائر جعلت الحركة الوطنية

1Jean Quellien, La Seconde Guerre mondiale (1939-1945), édition Tallandier, paris, 2017, p 561-562.

2.مصطفى أوعامري، المرجع السابق، ص 125-126

3. المرجع نفسه، ص 128-129

4. هو ميثاق يعبر عن أهداف الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في الحرب العالمية الثانية، وكان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فرانكلين روزفلت ورئيس وزراء بريطانيا ونستون تشرشل قد أقر اعلان للحرب في اوت 1941 في مؤتمر عقد على ظهر سفينة على مقربة من سواحل كندا. أهم ما جاء في الميثاق احترام كل الشعوب في اختيار نوع الحكومة التي تعيش تحت حكمها.

- الفصل الأول: الحرب العالمية الثانية (1939-1945) وتأثيراتها على نشاط الحركة الوطنية الجزائرية -

تسترجع بعض أنفاسها خاصة بعد إطلاق سراح الكثير من مناضلي حزب الشعب الجزائري ومناضلي الحزب الشيوعي الجزائري، أما جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فزادت نشاطها التعليمي والديني، ومما شجعهم على ذلك خطاب الرئيس الأمريكي روزفلت المناهض للاستعمار.

1. النواب الجزائريون وطروحاتهم الجديد من خلال البيان 10 فيفري 1943:

في ظل ظروف الحرب، وجهت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا دعايتهما نحو الجزائريين تحثهم على التجنيد في صفوفها، وذلك بتأييد من ممثل حكومة ديغول دارلان (Darlan)، الذي دعمهما من خلال رسالة وجهها في 11 ديسمبر 1942، فاستغل النواب على رأسهم فرحات عباس¹ دعاية الحلفاء من أجل مشاركة الجزائريين في الحرب وشرع في صياغة مذكرة في 20 ديسمبر 1942 قدمها لممثل للجنرال ديغول وممثل الولايات المتحدة الأمريكية بالجزائر.² وربط فرحات عباس من خلال مذكرته مشاركة الجزائريين في الحرب بمجموعة شروط اهمها: وضع دستور سياسي واقتصادي واجتماعي للمسلمين؛ المساوات والعدالة الاجتماعية؛ ضمان الحرية السياسية للجزائريين.³

لكن السلطات الفرنسية رفضت الرد عليها، بحجة اشراك دول آخر في حل مشكلة داخلية، أما الحلفاء ممثلين في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا فاعتبروا أن المشكلة الجزائرية داخلية و تخص فرنسا وحدها، دفع ذلك فرحات عباس لتحرير مذكرة ثانية معدلة عن المذكرة الأولى بتاريخ 22 ديسمبر 1942 ورفعها للإدارة الاستعمارية بالجزائر، ممثلة في الجنرال جيرو (Giraud) كمسؤول معين من طرف الحلفاء وبيروتون (Peyrouton) كحاكم عام بالجزائر منذ 17 جانفي 1943، لم تأخذ بعين الاعتبار وتذرعوها بحجة الانشغال بالحرب، وأنا شعلم الشاغل ملاحقة قوات النازية والقضاء عليها.⁴

ما يمكن استنتاجه إن المواقف السلبية من الإدارة الاستعمارية الفرنسية و ممثلي قوات الحلفاء بالجزائر، دفعت النشاط السياسي إلى مرحلة أكثر فعالية من خلال طرح

1. قام فرحات عباس بربط صلات مع سياسيين ودبلوماسيين منهم ممثل الرئيس روزفلت (مورفي) وقد تناولت المحادثات معه تطبيق ميثاق الأطلسي، وكان هدف الممثل الأمريكي كما كتب (شارل أندري جوليان) هو الوصول لتوافق يسهل توحيد القوى الجزائرية لمساندتهم في الحرب ضد النازية، وما يمكن قوله إن مفهوم الفيدرالية الذي ظهر في مختلف المصادر الخاصة بتاريخ الجزائر، كان موجودا في سياسة الإدماج التي كان يناادي بها. للمزيد ينظر: أحمد محساس، المصدر السابق، ص 191-192.

2. Charles robert Ageron, Histoire de l'Algérie contemporaine ..., op-cit, p558.

3. عبد الراحمان بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 277-278.

4. مصطفى أوعامري، المرجع السابق، ص 130-131.

مطالب أكثر جرأة من السابقة، وقد شكلت التجربة السياسية لفرحات عباس بسبب معرفته بخبايا الإدارة الاستعمارية وطريقة التعامل معها، إلى تغيير الأسلوب كي يلفت انتباهها، فسعى إلى التأسيس لعمل سياسي موحد يضم مختلف التيارات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية، وطبعاً لم تكن لتوافقه التيارات الأخرى لولا التغيير الواضح في توجهه السياسي الذي اقترب أكثر من التطلعات الوطنية للشعب الجزائري. وقد ساهم الوضع الجديد العالمي والمحلي وتجربته المبررة مع الاحتلال الفرنسي، وكل التضحيات التي قدمها في سبيلها كمجنّد في الجيش الفرنسي، لم تشفع له في قبول ولو الجزء البسيط من مطالبه.

إذا شكل رفض سلطات الاحتلال الفرنسي للمذكرتين دافعاً لفرحات عباس والنواب بشكل عام، لتوسيع حركتهم للضغط على سلطات الاحتلال الفرنسي. في هذا الشأن يقول أحمد توفيق المدني: "ففي شهر جانفي 1943 اتفق فرحات عباس والحكيم ابن جلول على الدعوة لعقد اجتماع سياسي تأسيسي يضم النخبة الصالحة من رجال الشعب الجزائري لكي يضع أساس مطالبه ورغباته، ويقول كلمته الصريحة في شأن مستقبله، وكنت مدعوا لحضور ذلك الاجتماع. وقد اشعروا السيد (مورفي) بذلك إتقاء لما قد تفعله فرنسا ... ففي مكتب الأستاذ بومنجل المحامي وفي قاعة فسيحة منه، اجتمع في الوقت المعين تحت رئاسة الأخ ابن جلول نحو الخمسين شخصية من أجمع رجال المجتمع السياسي الجزائري، ووقعت المداولة صباحاً ومساءً فاتفق الجميع على أن يقع تحرير مذكرة عامة عن الوضعية الجزائرية، وما تطالب به الجزائر بعد التطورات الأخيرة والحال الجديد، وقدم اغلبنا للمكتب ورقات بها ما نراه من الرغائب التي تستجيب لما يفكر فيه الشعب، وكانت ورقتي. يذكر فيها عشر نقاط تعطي بمجموع معناها العام (الاستقلال التام للجزائر)"¹. ومن خلال النص يتضح مدى جدية ما ذكرناه حول التغيير في موقف النواب، على رأسهم فرحات عباس، فحجم الاجتماع وتنوع الحضور السياسي الذي طبعه يظهر التوجه الجديد في الساحة النضالية السياسية الوطنية، فمن الشخصيات التي حضرت الاجتماع الدكتور تامزالي رئيس فرع القبائل بالمفوضية المالية، غريسي أحمد نائب مالي، قاضي عبد القادر مستشار عام ورئيس جمعية الفلاحين²، الدكتور الأمين دباغين وحسين عسلة عن حزب الشعب الجزائري، الشيخ تبسي والشيخ خير الدين وأحمد توفيق المدني عن جمعية العلماء المسلمين، الدكتور ابن جلول وفرحات عباس مستشارين عامين، محمد الهادي جمام رئيس جمعية الطلبة المسلمين، والدكتور سعدان النائب العمالي³.

1. أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 367-369.

2. عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 278.

3. عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 280.

في الاجتماع 7 فيفري 1943 طرحت مختلف الشخصيات آرائها حول ما يمكن المطالبة به في البيان المراد رفعه للسلطات الفرنسية بالتوافق مع مختلف الحضور، كما أسندت مهمة تحرير البيان إلى السيد فرحات عباس لخبرته في التعامل مع السلطات الفرنسية، وقد ذكر فرحات عباس قائلاً: " عند رجوعي إلى منزلي بمدينة سطيف كتبت (بيان الشعب الجزائري)، على أن يعرضه عليهم في اجتماع أوائل فيفري 1943".¹ فكان ذلك الاجتماع بتاريخ 10 فيفري 1943 بعد الانتهاء من صياغته، مطلقاً عليه شعار الجزائر أمام الصراع العالمي " بيان الشعب الجزائري"². وذكر أحمد توفيق المدني بأن المصادقة على البيان تمت في منزل الدكتور عبد النور تامزالي، وبعد صدوره في 10 فيفري 1943 اثار زوبعة في الأوساط السياسية بين الرافض (الشيوعيين) والمتحفظ على بعض بنوده (حزب الشعب رغم مشاركته فيه)، أما المستوطنون فاعتبروه خطراً عليهم، في حين أن الإدارة الفرنسية تظاهرت بعدم الاهتمام تجنباً لأي تصعيد خاصة في ظروف الحرب.³ وقد أكد الصحفي هنري بنازات (Henry benazet) في كتابه (L'Afrique française en Danger) ما يلي: " قرر فرحات عباس طرح الوثيقة بكل تفاصيلها، وتم إمضاءها من قبل الطلبة المسلمين والعلماء ومجموعة من الحاضرين، وعرفت رفضاً قاطعاً من طرف الكولون بعد 10 فيفري 1943"⁴.

والملاحظ أن البيان أصدر باسم الشعب الجزائري في 10 فيفري 1943، وتميز بجرأة في الطرح، لم تعدها إدارة الاحتلال وأبرز النقاط التي جاءت فيه:

1- إدانة الاستعمار وإنهائه، بمعنى التوقف عن استغلال الشعوب، واعتبره البيان نوع من أنواع العبودية.

2- تطبيق مبدأ تقرير المصير على جميع الشعوب.

3- منح الجزائر دستورا خاص بها يضمن لها ما يلي:

أ- الحرية والمساوات المطلقة لكل سكانها بدون تمييز عرقي أو ديني.

ب- إنهاء الملكية الإقطاعية بتطبيق نظام إصلاح زراعي.

ج- الاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية إلى جانب الفرنسية.

د- حرية الصحافة وحق التجمع.

هـ- التعليم المجاني والإجباري لجميع الجزائريين ذكورا وإناثا.

و- حرية الدين لجميع السكان، وتطبيق مبدأ فصل الدين على الدولة.

1. المرجع نفسه، ص 282.

2. Farhat Abbas, Guerre de révolution d'Algérie (la nuit colonial), Ed Julliard, paris, 1962, p 140.

3. عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 280-281.

4. Henry benazet, op-cit, p 44.

4- المشاركة الفعلية للجزائريين في حكومة بلادهم، مثلما فعلت بريطانيا في مستعمراتها.

5- إطلاق جميع المعتقلين السياسيين مهم كانت انتماءاتهم السياسية. وأشار البيان أن تحقيق النقاط الخمسة، سيضمن لفرنسا والحلفاء مشاركة فعالة للجزائريين في الكفاح من أجل انتصار الحرية.¹ وفي 31 مارس 1943 تم تسليم البيان إلى الوالي العام (مارسيل بيروتون)، وسلمت نسخة منه إلى ممثل الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا، وإلى الجنرال ديغول في لندن، وللحكومة المصرية بالقاهرة.²

شكل البيان صفة قوية للشيوعيين الذين ظهرت نواياهم الحقيقية، فيما اختلفت الآراء حول من وراء صياغة البيان، فمنهم من اتهم (روبيرت مورفي) ممثل الولايات المتحدة الأمريكية، أما البعض الآخر جاء بفرضية أن البيان جاء بتشجيع من الإدارة الفرنسية، لكن فرحات عباس نفى هذه الادعاءات، وأكد أن الفرنسيين والشيوعيين لم يتقبلوا فكرة تقديم المطالب للأمريكان. كما حاولت بعض الأطراف أن تنسب البيان لبعض الشخصيات الفرنسية، لكن ذلك عار عن الصحة لعدة أسباب أهمها³:

- إن المطالب لم تكن وليدة اليوم بل تدرجت عبر مراحل بداية من الثلاثينات إلى غاية التقرير الذي رفع للمارشال بيتان (أفريل 1941) والمعنون ب(جزائر الغد).
- أن فرحات عباس من مثقفي الجزائر وأحد رموز الحركة الوطنية المطالبة، فهل كان لينتظر العون من أطراف خارجية أو معادية له، كانت تريد منه الرضوخ لأوامرها.
- كما أن ظروف الحرب لم تدع الفرنسيين أنفسهم ليسمحوا بإصدار بيانات، قد تتركها في الرد عليها بالإيجاب أو السلب.

إن إصدار البيان لم يمد دون انتقادات وتأويلات، حول الشرعية التي اكتسبها فرحات عباس من تحرير البيان فهناك أطراف جزائرية نفت أن يكون عباس هو كاتب البيان، فقد نسب لشخصيات عديدة أمثال (الأمين دباغين)⁴، وذلك استنادا لشهادة أحد المجاهدين

1. Claude Collot et Jean Robert Henry, op-cit, p 164.

2 محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص 227.

3. عز الدين زايدي، المرجع السابق، ص 289-290.

4. استنادا لتصريح المجاهد (بوسلامة محمد) حيث صرح: (كنت اتردد على زيارته في منزله بالقصبة، وكانت تربطني علاقة متينة مع الأمين دباغين وهو أحد الأقطاب المتينة في الحركة الوطنية الجزائرية، وكيف وجد نفسه المسؤول الأول عن التنظيم خاصة بعد سجن زعيم حزب الشعب مصالي الحاج وتكلم عن دوره في تحرير البيان فقط فكرت بالاتصال بالمناضلين لإعادة نشاط الحزب في ظل غياب مصالي الحاج

(بوسلامة محمد) ضابط سابق جيش التحرير الوطني الذي جزم بذلك.¹ وذهب بن يوسف بن خدة من خلال كتابه (جذور أول نوفمبر 1954) إلى القول: "أن دباغين هو الذي عرض على عباس فكرة تدوين بيان تحت إسم (إلى القوة المحتلة مهم كانت). وقد كتب المسودة معتمدا أسلوبا عنيفا... لكن عباس أدخل تعديلات عليها تتماشى مع أسلوب اللباقة السياسية"، ومهما يكن فإن هذه الأقوال نسبية ولا يمكن التأكد منها إلا من خلال الوثائق التاريخية وتعدد الشهادات الحية.² والملاحظ أننا نلاحظ اختلاف الآراء حول من كتب البيان فإن مجمل هذه الشهادات الحية غير مرتكزة على وثائق تاريخية تؤكد صحة من أوجد فكرة صياغة البيان ومن حرره، ما يهمنا هنا أن وجود فكرة محل نزاع بين النواب وحزب الشعب، حدث يصب في مصلحة الجزائر وشعبها، فقد ساعدت الخلافات في إصدار بيان في نهاية الأمر.

أما مصالي الحاج فعلى الرغم من عدم توقيعه على البيان لوجوده في سجن (لومباز)، فإنه بعد إطلاق صراحه في يوم 26 أفريل 1943 ووضعه تحت الإقامة الجبرية في منفاه (ببوغار)، تواصل وهو في طريقه للمنفى مع فرحات عباس في مدينة سطيف، الذي هنئه على الإفراج وقدم له دعمه المناهض للإدماج.³

وكما ذكرنا سابق في يوم 31 مارس 1943 توجه كل من ابن جلول والسايح عبد القادر والحكيم تامزالي وأورايج بن علي شريف والحكيم الأخضرى وفرحات عباس للحاكم العام مارسيل بيروتون (M. Peyrouton) لتقديم البيان، الذي قام باستقبال الوفد وصرح بما يلي: "أنه يستقبل هذه الوثيقة مبدئيا كقانون أساسي لمستقبل الجزائر، على أن يؤسس لجنة لتحرير برنامج مطالب مستعجلة"⁴. وبالفعل بعد ثلاثة أيام أصدر الوالي العام أمرا بتأسيس لجنة تحت إسم (اللجنة الإسلامية لبحث المطالب الاقتصادية والاجتماعية)، وقد اجتمعت اللجنة مرتين: الأولى خلال الفترة (14 إلى 17 أفريل) والثانية خلال الفترة (23 إلى 26 جوان

وكان الحلفاء قد دخلوا للجزائر و فكرن في إطلاعهم بواسطة بيان يعرفهم بالشعب الجزائري ورغباته وأنه شعب يرد الحرية كان هو من حرر البيان ولكن عندما وصلت للنقطة الحساسة التي تتعلق بحق تقرير المصير قمت أنا بتحريرها). للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد بوسلامة، دباغين هو صاحب فكرة البيان، مجلة الحقيقة، السلسلة الثانية، ع 26، 16 سبتمبر 2006، ص 24.

1. عز الدين زايدي، المرجع السابق، 292.

2. بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، تر: مسعود حاج مسعود، ط2، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 125.

3. بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص 187.

4. عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 288.

- الفصل الأول: الحرب العالمية الثانية (1939-1945) وتأثيراتها على نشاط الحركة الوطنية الجزائرية -

(1943) وبحضور ممثل الحكومة الفرنسية م. بيرك (berque.M) المدير العام للشؤون الإسلامية والولاية العامة)¹.

وخلال الاجتماع حررت الأحزاب المعنية تقارير (عن الحزب الشيوعي عمار أوزقان ، عن جمعية العلماء المسلمين محمد البشير الإبراهيمي ، عن حزب الشعب الجزائري مصالي الحاج، كما تقدم فرحات عباس والسايق عبد القادر بتقرير). من خلال التقارير صيغت لائحة المطالب الفورية والتي عرفت (بملحق البيان الجزائري)، التي قسمت إلى قسمين: وكان الأول اهتم بالمطالب التي يؤجل تنفيذها بعد الحرب وشملت ما يلي: "عند انتهاء العمليات الحري ستقام دولة جزائرية مجهزة بدستور حقيقي يحرر بواسطة مجلس تشريعي يتخرج بواسطة الاقتراع العام الموحد من طرف جميع سكان القطر الجزائري". أما القسم الثاني فيعالج المطالب المستعجلة التي توجهها الظروف، وهي:

أ. تحويل الولاية العامة إلى حكومة جزائرية مكونة من وزراء مسلمين وفرنسيين على السواء.

ب. تمثيل المسلمين والفرنسيين في الجمعية المنتخبة، وفي كل المجالس (المجلس الأعلى للحكومة، النيابة المالية، المجالس الإقليمية والبلدية، الغرف التجارية والفلاحية وجميع المصالح الإدارية واللجان والنيابات).

ج. الإدارة الذاتية للدواوير والقرى طبقا لقانون 1884 المتعلق بالبلديات وتصبح الجماعة مجلسا بلديا، وشيخها هو مجلس الدوار.

د. منح المسلمين جميع الوظائف، من ضمنها مجالس السلطة، ويطبق عليهم ما يطبق على الفرنسيين من شروط الانخراط في سلك الوظيفة العمومية والترقية وغيرها.

هـ. إلغاء جميع القوانين الاستثنائية، وتطبيق القانون العام على الجميع.

و. إلغاء التجنيد الأهلي والخدمة العسكرية، والمساوات في التجنيد من خلال الرواتب والترقيات والتقاعد والتعويضات العائلية... الخ.

ز. إعطاء الراية الجزائرية للجنود الجزائرية الذين يحاربون لجاني الحلفاء، حتى ترفرف لجانب الراية الفرنسية لأن ذلك يرفع من معنوياتهم². وعند انتهاء

1- Farhat Abbas, op-cit, p 145.

2. محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص 228-229.

اللجنة من صياغة الملحق سلم الوالي العام (كاترو) ¹ يوم 25 جوان 1943 بإمضاء 21 شخصية، لكن رغم ما أبداه رجال الحركة الوطنية من مرونة في طرح الملحق البيان الجزائري فإن جزء بسيط من البيان لم يرى النور، إذ تعقدت الأمور بعد أن أصبحت الجزائر تحت حكم (اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني) تحت قيادة الجنرال ديغول الذي أبدى معارضة شديدة لأي دستور جديد للجزائر، وهو ما شكل صدمة لأصحاب البيان وملحقه حيث أن القيادة الجديدة لم تلتزم بأي شيء مع الجزائريين².

في ظل المستجدات الدولية الجديدة من سيطر الحلفاء على شمال إفريقيا، والانتصارات المتتالية في أوروبا على مختلف الجبهات، وانتهاء الصراع الذي كان قائما بين الجنرال جيرو وديغول حول السلطة، فإن فرنسا لن تفرط في مستعمراتها خاصة الجزائر، ما يبرر التغيير المفاجئ في تعامل الحكومة الجديدة مع مطالب الحركة الوطنية الجزائرية، فقد شكلت الحرب العالمية الثانية تأثيرا واضحا على مسار الحركة الوطنية الجزائرية، ما يجعلنا نقول أن انتهاز الفرص من طرف قادة الحركة الوطنية لطرح المطالب لم يكن الخيار الأفضل، فالحرب نتائجها متغيرة، لا يمكن التكهن بالمنتصر فيها.

عموما لقد عرفت الحركة المطالبة الجزائرية في منتصف سنة 1943 تطورا ملحوظا، وأكثر جرأة من سابقها (مطالب المؤتمر الإسلامي 1936) في صبغتها الوحدوية، شملت مختلف التيارات السياسية الوطنية مما أربك سلطات الاحتلال الفرنسي فجعلها تدق ناقوس الخطر، خصوصا في ظل الجرأة التي تميزت بها المطالب (تقرير المصير، دستور جزائري... إلخ) وهي المطالب الغير مألوفة في ظل التوافق، فبالرغم من الرفض الذي تعرض له البيان والملحق من طرف كاترو، فإن ذلك زاد من ثقة فرحات عباس ورفاقه، وقرروا عدم التعامل مع الإدارة الفرنسية، ورفضوا الحضور للمجلس الاستثنائية للمفوضية المالية الذي انعقد في 23 سبتمبر 1943، مما دفع الحاكم العام للقيام بحل المفوضية المالية الخاصة بالأهالي واعتقل فرحات عباس وسايح عبد القادر بتهمة الحث على العصيان المدني³. ويقول فرحات عباس:

1. كان خبيرا في الشؤون الإسلامية والعربية فهو من مواليد سعيدة بالغرب الجزائري وسبق له ان تقلد مناصب إدارية في الشام والغرب الأقصى، وبعد تعيينه في الجزائر، فتح مجال الحوار وأشرك الجزائريين فيه، وحتى يبين حسن النوايا أطلق بعض المعتقلين السياسيين وعين لجنة الإصلاح الإسلامية وهي مكونة من 16 عضوا. للمزيد من التفاصيل ينظر: أحمد مريوش، محاضرات في تاريخ الجزائر (1900-1954)، ج2،

ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 323.

2. محمد الطيب العلوي المرجع السابق، ص 229-230.

3. مصطفى أوعامري، المرجع السابق، ص 143.

إن كل هذه الأعمال كانت بهدف الكشف عن نوايا المستعمر من جهة، ولإثارة الحلفاء ومعرفة مواقفهم من جهة أخرى " ¹.

وفي ظل ممارسات سلطات الاحتلال عبر الجزائريون عن رفضهم لهذه الأعمال القمعية، من خلال الخروج في مظاهرات ² في كل من قسنطينة وسطيف والجزائر ومدن أخرى، مثلا في مدينة تلمسان توصلت أجهزة الأمن إلى معلومات أن المسلمين ينوون القيام بمظاهرات بعد صلاة العيد، يطالبون فيه كاترو بالاستقالة والإفراج عن فرحات عباس والسايح عبد القادر ³. ولكن يبدو أن الإجراءات التي قام بها كاترو هي مجرد إجراءات تأديبية للتيار الوحدوي للحركة الوطنية، فبمجرد خروج المظاهرات الشعبية، سارعت سلطات الاحتلال للإفراج عن فرحات عباس ورفاقه، لكن تأثير تلك الإجراءات كان كبير على ناحيتين: الناحية الأولى أحدث شرخا كبيرا في صفوف النواب فانقسموا إلى ثلاثة أقسام: فريق اعتبر أن هذه الطريق مجرد مجازفة لا تحمد عواقبها وهم الذين كان يعبر عنهم بي (بي نعم ... نعم). أما الفريق الثاني فرأى أن السبيل الوحيد للخلاص هو الاندماج مثل الدكتور ابن جلول، والتحليل تدريجيا حتى الوصول للهدف. أما الفريق الثالث، فثبت في موقفه ومثله فرحات عباس، واندفع في خطة (البيان الجزائري) حتى بعد خروجه من السجن اعتبر ما قام به الدكتور تامزالي خيانة للعهد بسبب تقديم تصريح باسم المندوبية المالية للأهالي، مما اعتبره فرحات عباس رجوعا للعهد السابق في التعامل مع المحتل الفرنسي ⁴.

أما من الناحية الثانية، فقد وقعت تأثيره في الحكومة الفرنسية المؤقتة، فبعد سياسة الحاكم العام التي ضربت صف النواب في الصميم، فقد قام الجنرال ديغول بعد خطابه بقسنطينة في 12 ديسمبر 1943 باسم اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني، الذي أحيا فيه آمال الجزائريين، بتعيين لجنة أخرى لبحث حقوق الجزائريين من جديد ⁵.

1. Farhat Abbas, Guerre de révolution d'Algérie..., op-cit, p150.

2. يذكر بن يوسف بن خدة عن اسباب قيام هذه المظاهرات قائلا: " لقد كان من أسباب هذه المظاهرات، زيادة على اعتقال فرحات عباس وعبد القادر السائح، اعتقال جماعة أخرى ومنهم: الأمين دباغين، مزغنة، بن خدة، وجماعة أخرى من شباب البليدة والجزائر العاصمة، بسبب أنهم كانوا يدعون ضد التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي، والدعوة إلى الوقوف مع مطالب البيان الجزائري "، للمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 292.

3. A.W.O, Boite 4477, rapport N 4363 du 29 septembre 1943.

4. عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 292-293.

5. Anny Rey –Goldzeiguer, op- cit, p196.

تكونت اللجنة الثانية¹ في 14 ديسمبر 1943 و هي مكونة من 16 عضوا لدراسة الإصلاحات، وقد عقدت اللجنة عدة لقاءات، دامت ثلاثة أشهر استقبلت خلالها قادة الأحزاب الوطنية² لتقديم تقاريرهم مكتوبة تعبر عن مواقف أعضاء كل تيار وطني، فكانت نتيجة مشاورات اللجنة إصدار أمرية 7 مارس 1944 واختصار هي نسخة عن مشروع (بلوم فيوليت) 1936 وأهم ما جاء في الأمرية أن الجزائريين يتمتعون بنفس الحقوق و الواجبات مثل الفرنسيين وهم متساوون أمام القانون و ان بعض الجزائريين سيمنحون الجنسية الفرنسية، وفتح للجزائريين جميع الوظائف المدنية و العسكرية و توسيع التمثيل النيابي³.

إنأمرية 7 مارس 1944 أنها نتاج فعلي لما ورد في بيان 10 فيفري 1943 وملحقه، وقد تميزت ردود الفعل الوطنية بالتفاوت بين المرحب به خاصة من التيار المعتدل، ورفضه الإصلاحيون والاستقلاليون، في حين طالب البيانون بضرورة تعزيز العلاقات بين الفرنسيين والجزائريين وأظهروا عدم قناعتهم بما قدم للجزائريين، اما الشيوعيين الجزائريين فطالبوا بتعزيز الحقوق للجزائريين⁴. وصرح فرحات عباس في كلمات وضحت موقفه أن هذه الإصلاحات تجاوزها الزمن، ذلك ما جعله يقوم بتأسيس حركة أحباب البيان والحريات في 14 مارس 1944 بمدينة سطيف وأجرى اتصالات مع المنتخبين وحزب الشعب و العلماء والكشافة الإسلامية وعادة الأمانة العامة لفرحات عباس الذي كان هدفه مواصلة النضال من أجل تحقيق المطالب التي جاءت في البيان و فقا لبنود قانونها الأساسي⁵، فقد ورد في كتاب فرحات عباس (ليل الاستعمار) ما يلي: " اتصلت بمختلف التنظيمات ... جمعية العلماء لم تتأخر في الانخراط ... و جرت بيبي و بين مصالي الحاج اتصالات مشجعة و مثمرة ، أما الشيوعيون فرفضوا الانخراط و أسرعوا في تأسيس (أصحاب الديمقراطية و الحريات)"⁶.

1. تكونت اللجنة من الطيب العقبي، تامزالي عبد النور، ابن جلول، الشيخ القاسمي، وقاضي عبدالقادر، وابن قانة وستة من الفرنسيين وأربعة من موظفي الإدارة الفرنسية، وقد اختيروا بعناية تامة وعرفوا بمولاتهم للإدارة الفرنسية والمهادنة معها. ينظر: أحمد مريوش، المرجع السابق، 323.

2. من زعماء الأحزاب الذين قدموا رأيهم عبد القادر السايح، فرحات عباس، مصالي الحاج، محمد البشير الإبراهيمي، عمار أوزقان، إبراهيم بيوض، بصفتهم ممثلين عن التيارات التالية: جمعية النواب والبيان الجزائري، حزب الشعب الجزائري، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الحزب الشيوعي فرع الجزائر، وممثل عن أبناء واد ميزاب. ينظر: عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 294.

3. Ageron Charles Robert, Histoire de l'Algérie contemporain..., op-cit, p150.

4. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ... المرجع السابق، ص 217.

5. CAOM, SLNA, 4I14, le statut des AML, RM, mars 1945.

6. Farhat Abbas, Guerre de révolution d'Algérie..., op-cit, p 182.

وأصدر فرحات عباس جريدة المساوات في 15 سبتمبر 1944 لنشر أفكار الحزب الجديد وقد ردد عدد الملتحقين بالحركة في السنة الأولى من التأسيس 500 عضو¹، وفتحت لها فروع بلغت مع حلول شهر أبريل من سنة 1945 (257) فرعا توزعت بين (115 في عمالة قسنطينة، 86 في عمالة الجزائر، 56 عمالة وهران)². وقد كان فرحات عباس انتقد أمرية 7 مارس في الاجتماعات الرسمية، ففي المجلس العام بقسنطينة (22 إلى 27 ماي 1944) طالب بإطلاق مصالي الحاج ومناضلي حزب الشعب الجزائري و إيقاف الإجراءات التعسفية ضد الوطنيين أمثال الشيخ البشير الإبراهيمي، أما في تلمسان وأثناء انعقاد المخيم الكشفي الفدرالي الأول (23 إلى 30 جويلية 1944) استغل فرحات عباس بصفته نائب رئيس فدرالية الكشافة الإسلامية الفرصة لزيارة المنطقة الغربية والاتصال بالفعاليات الوطنية والشبابية، وكانت له زيارات لمختلف المناطق شرقا وغربا أراد من خلالها شرح مطالب حركة أحباب البيان العادلة للشعب الجزائري ولا ننسى الدعاية التي كانت تقوم بها مختلف التيارات ، خاصة خلايا حزب الشعب والجمعيات المنخرطة في حركة أحباب البيان والحريات³.

ما يمكن استنتاجه أن المرحلة الأخيرة من الحرب عرفت نشاطا كبير للحركة الوطنية الجزائرية عموما، و فرحات عباس بوجه خاص، فقد دخل في مواجهة حقيقية مع الإدارة الفرنسية نظرا للمواقف الغير المعتادة التي كانت أكثر جرأة من خلال بيان الشعب الجزائري وملحقه ، وهو ما بين مدى درجة الوعي السياسي التي وصل إليه، فتأثير الحرب العالمية الثانية والظروف الدولية بات واضحا عليه من خلال تغيير مواقفه التي تحولت من الاندماج إلى المطالبة بتقرير المصير وتأسيس دولة جزائرية ديمقراطية، كما سعى لجذب جميع التيارات السياسية الوطنية لجانبه، سعيا منه للضغط على إدارة الاحتلال و توحيد المواقف، التي أصبحت أكثر تقاربا من مما كانت عليه سابقا .

1. ساهمت عوامل عديدة في انتشار حركة احباب البيان والحريات وزيادة عدد المنخرطين فيها منها:

- أنها حركة توحيد جمعت معضه التيارات الوطنية ما عدا الحزب الشيوعي.
- الظروف الوطنية والدولية فرضت على الجزائريين التوحيد في تيار واحد.
- ساهمت مواقف الإدارة الفرنسية في رفض البيان وماحقه في زيادة تكتل الجزائريين.
- تغير التوجه الشخصي لفرحات عباس من النظرة الاندماجية إلى مطالب أكثر جرأة أكسبه شعبية وسط المجتمع. ينظر: محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص 232

2. مصطفى أوعامري، المرجع السابق، ص 188.

3. المرجع نفسه، ص 182-183.

2. مواقف جمعية العلماء المسلمين في ظل المستجدات أثناء الحرب:

مع نزول الحلفاء بالجزائر قدمت الحركة الوطنية الجزائرية ممثلة في فرحات عباس عدة مطالب لممثلي الحلفاء والإدارة الفرنسية تطورت إلى وثيقة جماعية ضمت جميع الاتجاهات السياسية بما فيها جمعية العلماء المسلمين أطلق عليها (بيان الشعب الجزائري) في 10 فيفري 1943، ساهمت فيها الجمعية من خلال ممثلها كل من (الشيخ العربي تبسي، خير دين، أحمد توفيق المدني) في إبداء رأيهم بما سيرد في البيان بمكتب المحامي بومنجل¹. ومن المطالب التي وردت في البيان وأثبتت أن الجمعية أبدت رأيها في صياغته، مجانية التعليم وحرية الديانة لجميع السكان والاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية وتحرير جميع المعتقلين وحرية الصحافة، لأنه كما هو معلوم أن صحافة العلماء كانت متوقفة منذ بداية الحرب العالمية الثانية. فقد شكل البيان نقلة كبيرة بالنسبة للجمعية، من خلال انخراط أعضائها في النضال السياسي بالتوازي مع النشاط التعليمي والديني جراء رفض الجنرال ديغول للبيان وملحقه الذي صدر عن اللجنة الإسلامية الأولى أبدت الجمعية من خلال قائدها الشيخ البشير الإبراهيمي الذي أطلق صراحه في 28 ديسمبر 1942 رفقة بعض أصحابه رفضها لسلوك إدارة الاحتلال رفقة جميع المشاركين في صياغته، مما انجر عنه ردود فعل معادية شملت اعتقال فرحات عباس، مما جعل قادة الحركة الوطنية ينضمون مظاهرات للمطالبة بالإفراج عن المعتقلين وإعادة النظر في البيان وملحقه². وأمام الضغط الحاصل في الشارع، أمر ديغول بتأسيس لجنة إسلامية تدرس مطالب الجزائريين، قدم قادة الحركة الوطنية تقارير للجنة، حيث جاء في تقرير الشيخ البشير الإبراهيمي بتاريخ 3 جانفي 1944 ما يلي: "باسم جمعية العلماء المسلمين وبصفتي رئيسا لها... اضع هذا التقرير أمام اللجنة... لرغبتها معرفة نظرتي إزاء القضية... وإذا كان الجانب الديني هو المهمة الحقيقية للجمعية فليس من المستبعد اهتمامها بالقضايا السياسية... فإذا كنا (الشعب الجزائري) مرتبطين مع فرنسا بوحدة مصلحة فله الحق في الحياة على كل حال... ولشعبنا حق ممارسة ديانته مثل الآخرين... وأنا بصفتي جزائري لي الحق في أن تأخذني الجيرة من أجل وطني."

وبعدها أعطى الشيخ البشير الإبراهيمي سياقاً لتقريره، ثم حلولا يختم بالإصلاحات السياسية: "أستسمح اللجنة في إبداء رأيي في بعض المسائل ذات العلاقات السياسية... ذلك

1. عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 278.

2. بعد نزول الحلفاء بالجزائر وعرض البيان على الحلفاء، ونتيجة ردة فعل حكومة ديغول المعارضة له وإحتجاج الشيخ العربي تبسي على ذلك، تم اعتقاله في مارس 1943 من طرف السلطات الفرنسية بتهمة التآمر مع الألمان. ينظر: عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، 226.

أن القرار الرسمي أعطي لعدة آلاف من المسلمين الجزائريين الجنسية الفرنسية بدون استشارة الشعب ... إن الشعب الجزائري يرى في إعطائه جنسية غير جنسيته طريق إلى الاندماج في حين أنه لا يرضى بفقد شخصيته". وختمها بجملة إصلاحات سماها الجديدة ارتكزت على ما يلي:

- أ. منح الجنسية الفرنسية بدون تمييز لا في دين ولا العرق.
- ب. تغيير المقاييس الاستعمارية بمقياس حكومة جزائرية مسؤولة.
- ج. حق الجزائري في الوصول لجميع الوظائف.
- د. اعتبار اللغة العربية رسمية في درجة واحدة من الفرنسية.¹
- هـ. حرية الدين والمعتقد.
- و. الحالة الشخصية الإسلامية تصدر عن التشريع الإسلامي.

في الأخير شكر اللجنة وطلب لها التوفيق في مهامها لسعادة الجزائر وفرنسا.² إن قراءة متمعنة في نص التقرير الذي ألقاه الشيخ البشير الإبراهيمي على لجنة الإصلاح الإسلامية الثانية، يتبين لنا مدى الحنكة السياسية التي تميز بها، فطريقة طرحه للمطالب جاءت مباشرة وقد ركز على جملة مواضيع كالتجنيس، حرية التعليم والمعتقد، مكانة اللغة العربية، وهي عناصر تمثل ثوابت الأمة الجزائرية، وقد حاول الشيخ الإبراهيمي التلميح للاختلاف الواضح بين ثقافة الأوربيين والمسلمين الجزائريين حتى يبين الفرق الواضح بين الشعبين.³ كما عارضت جمعية العلماء المسلمين أمرية 7 مارس التي جاء بها الجنرال ديغول، فقد ساهمت في الحركة المضادة لها حيث أعلن أحد شيوخها (الهادي سنوسي): "إن كل من سجل نفسه في القسم الانتخابي يعتبر مرتدا"، أما الشيخ الإبراهيمي فندد بالأمرية واعتبرها: "خطوة نحو الإدماج لا يرضى بها الشعب الجزائري".

ساهمت الحملة الدعائية التي قام بها الشيخ الإبراهيمي وفرحات عباس في إلغاء اللجنة الإسلامية الثانية في 3 أوت 1944 والتي كانت تضم في عضويتها موظفين فرنسيين،

1. عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 302-307

2. للمزيد من التفاصيل حول محتوى تقرير جمعية العلماء المسلمين الذي ألقاه الشيخ البشير الإبراهيمي على لجنة الإصلاح الإسلامية الثانية التي نصّبها (كاترو) ينظر: عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 302-307.

Claude Collot et Jean Robert Henry, op-cit, p. 187-183.

3. للمزيد من التفاصيل حول محتوى تقرير جمعية العلماء المسلمين الذي ألقاه الشيخ البشير الإبراهيمي على لجنة الإصلاح الإسلامية الثانية التي نصّبها (كاترو) ينظر: عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 302-307.

Claude Collot et Jean Robert Henry, op-cit, p. 187-183.

واعتبرها العلماء انتصارا لهم¹. ويذكر أحمد توفيق المدني في كتابه (حياة كفاحي): "أن الرد الفرنسي المخيب، قد أدى لانتشار الوعي السياسي في الطبقة الشعبية التي أجمعت على اليأس من استماع فرنسا لصوت الحق"².

كما انعكس لسلوك الإدارة الفرنسي على تيارات الحركة الوطنية إيجابيا فزاد التلاحم، عدا الشيوعيون الذين بقوا خارج التوجه الوحدوي، فقد اتحد العلماء مع الحركة التي شكلها فرحات عباس (حركة أحباب البيان والحريات (14 مارس 1944) وساندوها سعيا منهم للعمل في إيطارالوحدوي بدل التفرقة والشتات. كما عرفت الجمعية نشاطا مكثفا خلال الحقبة التي تلت نزول الحلفاء بالجزائر، خاصة بعد إطلاق صراح الشيخ البشير الإبراهيمي الذي عمل على استئناف نشاط المدارس وفتح مدارس جديدة، فكان كثير التنقل بين مختلف مناطق الجزائر لإلقاء محاضرات الوعظ والإرشاد، مرورا بكل من قسنطينة، تلمسان وسيدي بلعباس، استغلها كذلك في جمع التبرعات ففي ماي 1943 جمع في وهران أكثر من 10 آلاف فرنك واعتمد على توزيع قسيمات مكتوبة باللغة العربية والفرنسية³.

اعتمد نشاط الشيخ البشير الإبراهيمي على طريقة تكثيف العمل في المنطقة الغربية ثم الانتقال للجهة الشرقية للجزائر، فسافر لوهران في شهر أوت 1943 ألقى فيها محاضرة دينية حول (الخمير) وعقد اجتماعا خاصا مع أعضاء جمعية (الفلاح)، وأعاد فتح المقر القديم لجمعية التربية والتعليم بحي (الحمري)⁴.

كما نشطت الجمعية بمدينة وهران من خلال دعايتها في مختلف الأوساط الشعبية والبورجوازية، التجار، الموظفين، وفي 3 أوت غادر وهران متوجها لقسنطينة للاطلاع على نشاط الجمعية في الجهة الشرقية من الجزائر. حيث يشير تقرير للشرطة الفرنسية أن الشيخ الإبراهيمي لم يسافر لقسنطينة إلا بعد تنظيم التعليم في المدارس كدار الحديث في تلمسان والتي أصبحت قطبا علميا يجذب له مئات التلاميذ من مختلف الجهة الغربية⁵.

ولابد من الإشارة إلى تنقلات الشيخ الإبراهيمي لقسنطينة أين كان يقضي هناك عدة أسابيع مرورا بالعاصمة ويتصل بالأعيان، والشخصيات السياسية (فرحات عباس) والعلماء

1. عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص 227.

2. أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 375-376.

3. أشرف على توزيع القسيمات أمين صندوق الجمعية السيد (سمغوني أحمد) وقد تم توزيع العديد منها في قسنطينة وسطيف والجزائر العاصمة وغلزيان وتلمسان. ينظر:

A.W.O, Boite 4480, rapport de police, N 2075, du 13 mai 1943.

4. مصطفى أوعامري، المرجع السابق، ص 152-153.

5. A.W.O, Boite 4480, rapport de police du 20 aout 1943.

- الفصل الأول: الحرب العالمية الثانية (1939-1945) وتأثيراتها على نشاط الحركة الوطنية الجزائرية -

المصلحين بالمدينة والشرق الجزائري عموماً¹، ولم يقتصر الإبراهيمي في دعايته على التعليم وإلقاء المحاضرات الدينية الفقهية فقط، بل حارب الطرقيين وفضل نشاطه المستمر تمكن من توسيع وسائل هياكل التعليم، حيث أعلن في فيفري 1944 عن إنشاء 17 مدرسة جديدة بالعمالة الغربية².

نستنتج من كل ما ذكرنا أن المرحلة التي تلت نزول الحلفاء بالجزائر عرفت نشاطا مكثفا لجمعية العلماء المسلمين رغم ظروف الحرب، خاصة بعد إطلاق صراح الشيخ البشير الإبراهيمي بين (ديسمبر 1942 - 1945)، فقد نشطت الجمعية بشكل علني في المجال السياسي من خلال مشاركتها صياغة محتوى البيان وملحقه فتواصلها مع الإدارة الفرنسية بعد تأسيس لجنة الإصلاح الإسلامية وإبدائها لرأيها، وبالموازاة مع العمل السياسي لم تنسي الجمعية دورها الأساسي في التربية الدينية والتعليم، والنهوض بالمجتمع الجزائري علميا وحضاريا.

3. نشاط حزب الشعب الجزائري بعد سيطرة الحلفاء:

اعتمد حزب الشعب الجزائري خلال الفترة التي تلت نزول قوات الحلفاء بالجزائر على أسلوبين مختلفين في نشاطه، الأسلوب السري من خلال فتح الفروع، الخلايا وتوزيع المنشورات والجرائد، والكتابات الحائطية، أما النشاط العلني ظهر خلال التواصل الذي كان بين قادة حزب الشعب الجزائري ومختلف قادة الحركة الوطنية الجزائرية للتشاور والإدارة الاحتلال لرفع تقارير للجنة الإصلاح الإسلامية، أثناء تحرير البيان وملحقه وعمل لجنة الإصلاح الإسلامية، استمرت طريقة نشاط حزب الشعب على حالها إلى غاية نهاية الحرب³. وعلى الرغم من حل الحزب وسجن مناضليه، مع بداية الحرب والتضييق عليه أثناء فترة حكم فيشي، إلى أنه بعد سنة 1943 تميز النشاط السري لحزب الشعب بالفعالية أكثر في ظل الانفراج السياسي الذي عرفته الساحة الوطنية، بعد إطلاق العديد من المعتقلين السياسيين مع مطلع 1943 وعودة عناصر عديدة من لجنة (CARNA) إلى الحزب، وطرح البيان الجزائري الذي يعتبر نقلة نوعية في ظل ظروف الحرب العالمية الثانية⁴.

عمل قادة حزب الشعب الغير متابعون من طرف الشرطة أو الذين أطلق صراحهم من السجون كمعتقل جنين بورزقة سنة 1943 (هني محمد، دحمان حفيظ، بن دالي محمد، بركاني، بطاوش، محي الدين حفيظ)، لإعادة بعث فدرالية عمالة الجزائر فمثلا (بركاني) قام

1. مصطفى أوعامري، المرجع السابق، ص 155.

2 A.W.O, Boite 4477, rapport de centre d'information et d'études (département d'oran), du 5 juin 1944

3. جيلالي بلوفة عبد القادر، المرجع السابق، ص 73.

4. المرجع نفسه، ص 75.

- الفصل الأول: الحرب العالمية الثانية (1939-1945) وتأثيراتها على نشاط الحركة الوطنية الجزائرية -

بجولة في سطيف وقسنطينة وبرج بوعريبيج والمسيلة وزمورة وبني يعلا حيث أعاد بعث فدرالية قسنطينة، وبعد ذلك لعب الدكتور (لمين دباغين) دور في إعادة الحزب للنشاط وفرض نفسه كمنظر له. وشرع في نشر خلايا الحزب في كل مكان شمالا وجنوبا يمكن ذكر بعضها¹:

- في سطيف تم تنظيم الخلية من قبل شاب (أوقنيبي محمد) وضمت 15 مناضلا وأخذت على عاتقهم التوعية السياسية للمناضلين ونشر المناشير الجرائد وشعارات الحزب.

- في المدية تجمع مناضلو حزب الشعب تحت قيادة أستاذ اللغة العربية (حاج الحسين)، وضمت 20 مناضلا منهم ستة طلبة.

- في الجنوب الوهراني (المشرية) تشكلت أول خلية حزب بالمنطقة بتشجيع من الشيخ تبون حاج أحمد الذي حفز الشباب على العمل السياسي.

عمل التنظيم السري الجديد إلى توحيد الجهود لتنشيط العمل النضالي، فعقدت ندوة في جويلية 1943 بمدرسة الرشاد بالجزائر برئاسة (محمد طالب) حضرها شباب من مناطق مختلفة مثل (دردور جمال) قسنطينة، (حمو بوتليليس) وهران، علما أن قيادة الحزب كانت على علم بهذا المؤتمر السري، فبارك مصالي الحاج الخطوة والذي كان قد تم إطلاق سراحه من السجن في 24 أفريل 1943 ووضع تحت الإقامة الجبرية في لامبيز (Lambése)².

من أجل تقوية فدراليتي عمالة قسنطينة وعمالة وهران، استعين بالمناضلون الجدد من الشباب الذين درسوا في مدينة الجزائر، فأنشئ فرع طلابي ضم مناضلي حزب الشعب لجمعية الطلبة المسلمين في نوفمبر 1943 الذي شكل نشاطه إضافة نوعية لنشاط الحزب من خلال توزيع المناشير والجرائد الوطنية في صفوف الطلبة وخارجها، وتلقى على مسارج الجامعات مسرحيات توحى بمقاصد الحزب وتصب في إطار دعايته³.

وكانت تركيبة المنظمة السرية التي كونها أعضاء حزب الشعب منظمة تنظيما هرميا، حيث لايسمح إلا للأشخاص الذين تثبت جديتهم وإخلاصهم العمل فيها، فمن الصفات المطلوبة (الصدق، روح القرار، الحزم، التفاني، السرية)، وتكون الحزب من عدة اقسام منها قسم مكلف بتوفير الوثائق المطبوعة لتوزيعها وقسم بتنشيط الشباب وتجنيدهم وآخر بالنشاط السياسي⁴. هذا وتجاوب الجناح السري للحزب الشعب الجزائري مع الوضع السياسي الجديد على الساحة الجزائرية من خلال:

1. محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 847.

2. جيلالي بلوفة عبد القادر، المرجع السابق، ص 73-74.

3. محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 848.

4. المرجع نفسه، ص 850.

أ. لقد كان للتواصل الذي قام به فرحات عباس مع ممثل الولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ 20 ديسمبر 1942 و الرسالة التي وجهها لإدارة الاحتلال في 22 ديسمبر من نفس السنة، والذي تميز بجرأة كبيرة في الطرح أدهشت مناضلي حزب الشعب فساندوه في توجيهه الجديد وطالبوه بضرورة الإلحاح على مطلب إطلاق السجناء السياسيين بما فيهم مصالي الحاج .فشكل الموقف الجديد لفرحات عباس نقطة إيجابية لقادة التيار الاستقلالي الذين ساندوه اثناء طرحه بيان الشعب الجزائري 10 فيفري 1943 وملحقه بحضورهم في الاجتماع الذي وضع الخطوط العريضة لنص البيان من خلال شخصيتين الأمين دباغين وعسلة، وقد اتصل فرحات عباس بمصالي الحاج بعد الإفراج عليه اثناء مروره بمدينة سطيف ماي 1943، وأبدى مصالي ثقته في المطالب المطروحة وأخبره أنه لا يثق في فرنسا الاستعمارية¹.

ب. بسبب رفض بيان الشعب الجزائري وملحقه من طرف الجنرال ديغول، قاطع فرحات عباس إدارة الاحتلال الفرنسية، مما جعلها تواجه رفضه بسجنه رفقة السايح عبد القادر وبعض المناضلين في كل من سطيف ووهران وقسنطينة نتيجة للمظاهرات التي نظمتها مختلف التيارات السياسية في الحركة الوطنية ، علما أن مصالي الحاج كان قد راسل اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني بتاريخ 11 أكتوبر 1943 من إقامته الجبرية في بوقرة أكد فيها على معانات 8 ملايين جزائري من الفقر والحرمان، كما طرح عليهم التوجه لطريقة تعامل بريطانيا مع مستعمراتها(العراق، إيران، كندا، أستراليا)، وطرح التساؤل التالي : لماذا فرنسا لا تحترم مبادئها في احترام حقوق الإنسان؟².

ج. طرح حزب الشعب مطالبه من خلال البيان وملحقه، وراسل مصالي الحاج عضو لجنة سجلات الاعتقال واللجنة الإصلاحية الإسلامية الثانية بتاريخ 7 جانفي 1944³ التي

1. عز الدين زايدي، المرجع السابق، ص 288.

2. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Jacques Simon, Messali Hadj par les Textes, n maisons d'édition, paris, N anné, p 45
(ينظر ملحق رقم 3) 46-

3. جاء في التقرير الذي رفعه مصالي الحاج للجنة الإصلاح الإسلامية الثانية ، إعادة تذكير بخطاب الجنرال ديغول في قسنطينة وما تخللها من اهتمام وبقضايا المسلمين، وعبر عن رفضه للمشاريع المشابهة لمشروع بلوم فيوليت (الاندماجية) لكونها غير ديمقراطية و معاكسة لتطلعات الشعب الجزائري، والمتطلع للتحرير، ففي بلد مثل الجزائر تسكنه أغلبية سكانية تقدر ب8 ملايين يحكمه نظام استغلالي، يحكم لصالح أقلية تحكم الجزائر وموفر لها جميع الإمكانيات لذلك طالب مصالي الحاج بتسيير الجزائر بطريقة ديمقراطية ، و تحرير المجالس المالية و انتخاب برلمان جزائري وطالب في الأخير بإطلاق جميع المعتقلين السياسيين.ينظر:

أقامها الجنرال (ديغول) بعد زيارته لقسطنطينة 12 ديسمبر 1943 لامتنعاص غضب الجماهير المحتجة على رفض البيان و ملحقه و ضد الإجراءات القمعية ضد عناصر الحركة الوطنية، و جاء رده رافضا لما جاء في أمرية 7 مارس 1944¹ التي جاء بها ديغول واعتبرها تهربا مما ورد في البيان و ملحقه.² وفيما يلي أبيات شعرية بالدارجة الجزائرية مقتبسة من قصيدة شعبية مأخوذة من كتاب (الكفاح القومي والسياسي) لعبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون للشاعر بوقطاية جاء في:

يا عمي (جوني)	لفرانسيس راهم ظلموني
بالشرقتلوني	سلطو عليا المزيرية
أنت سكسوني	ما شفناش منك الدوني
قرب لهوني	نحكيلك م صايري
لغتنا فئات	حتى جوامعنا تفرنات

والقصيدة دعائية هزلية تشير إلى النشاط الدعائي الموجه للطبقة الغير متعلمة كونها مكتوبة بالعامية الجزائرية وتطرح جميع المشاكل التي يعاني منها الشعب الجزائري من جراء السياسة الفرنسية التي عملت على طمس الهوية الجزائرية (اللغة العربية، الدين الإسلامي)³. كما اتخذ حزب الشعب الجزائري من تأسيس حركة أحباب البيان والحريات في 14 مارس 1944، وسيلة للوصول للجماهير الشعبية من خلال تواصله مع العديد من المتعاطفين مع البيان، فشرع في بث شعارات وطنية من خلال الكتابات الحائطية. ففي ليلة 17 إلى 18 مارس 1944 كتبت كتابات على الجدران في العاصمة (الجزائر أمة واحدة، عاشت الجزائر الحرة، عاش بيان الشعب الجزائري، مواطنة جزائرية (نعم)، أطلقوا مصالي الحاج)⁴. كما تمكن أعضاء حزب الشعب من طبع العديد من الجرائد بطريقة سرية بالعربية كجريدة صوت

Jacques Simon, op-cit, p. 47-45 (ينظر الملحق رقم 4)

1. جاء أمر 7 مارس 1944 بعيدا عن تطورات الجزائريين وشبه بمشروع بلوم فيوليت موسع، بفتحه باب التجنيس لما يقارب 6 ألف جزائري وحسب المادة 3 منه فإن المستفيد هم الأغوات والقياد والحاصلون على الشهادات التعليمية والوظائف الحكومية والوكلاء... الخ. كما منح حق الانتخاب لـ 1.5 مليون جزائري وهي نسبة بعيدة مقارنة بعدد السكان. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Claude Collot et Jean Robert Henry, op-cit, p 185 ; Belkacem Rachem, op-cit, p 108-109.

2. Anny Rey –Goldzeiguer, op-cit, p229.

3 عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 315.

4. محفو ظقداش، المرجع السابق، ص 889.

الأحرار وجريدة الوطن وجريدة شهرية باللغة الفرنسية (l'action Algérie)، شكل محتوى الجرائد والمناشير الدعاية للوطنية الجزائرية والمطلب الاستقلالي وتحريض الجزائريين على الفرار من الخدمة العسكرية والتجنيد في الحرب¹. وقد ورد في تقرير لشرطة الاحتلال الفرنسي بعمالة وهران يوم 11 ماي 1944 إصاق العديد من المناشير على الجدران تحمل العديد من الشعارات المرتبطة بحزب الشعب (النشيد الوطني لمفدي زكرياء " فداك الجزائر روجي ومالي" والاتحاد من أجل الانتصار" وشعارات في مدينة تلمسان تطالب الإفراج عن مصالي الحاج².

ما يمكن قوله أن حزب الشعب الجزائري عمل على تنشيط خلاياه في إطار حركة احباب البيان و الحريات، واعتمد على أطروحة الاستقلال في جذب المنخرطين ولو مغلفة في إطار الإتحاد مع فرنسا، إذ قدر عدد المنخرطين بعد سنة من تأسيسها 500 ألف منخرط في كل انحاء الجزائر، التحقوا بما مجموعه 122 خلية، شكلت فيها أعضاء حزب الشعب نسبا معتبرة فمثلا في قسنطينة التي كان تعداد خلاياها 80 خلية بلغ تمثيل حزب الشعب 65.57٪، وهو ما يبين التأثير الكبير للحزب على نشاط حركة احباب البيان والحريات³. وهو ما أكدته وثيقة أرشيفية فرنسية تحوي قائمة فروع حركة احباب البيان والحريات عبر عملات كل من الجزائر، وهران، قسنطينة ومناطق الجنوب، التي اشارت إلى سيطرة مناضلي حزب الشعب على نشاط الحركة في جميع العمالات وذلك لوجود قاعدة شعبية واسعة له⁴.

مع مطلع سنة 1945 عقد حزب الشعب مؤتمرا بمدينة الجزائر خلال الفترة (2-4) مارس 1945، شارك فيه حزب الشعب الجزائري الذي أراد استغلال الفرصة لفرض أجندته الوطنية على الحاضرين من خلال التركيز على المطلب الاستقلالي، وقد ركز خلال المؤتمر على⁵:

- الاعتراف بالجنسية الجزائرية.

- وضع دستور جزائر ديمقراطي جمهوري.

- استبدال المجالس الجزائرية بمجلس منتخب.

- استبدال الحكومة العامة بحكومة منتخبة.

- الاعتراف بالألوان الوطنية.

1. شارل روبر أجبرون، المرجع السابق، ص 586.

2-A.W.O· Boite 4481 , rapport de police spécial , n 3565 , du 11 mai 1944.

3. جيلالي بلوفة عبد القادر، المرجع السابق، ص 99.

4. A.N.O.M, Série G.G.A, Boite 9H.9, Liste des sections des Amis du Manifeste et de la Liberté existant à la date du 25 Avril 1945.

5. عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 352-353.

كان اهتمت الإدارة الفرنسية بالمؤتمر واضحاً، فاستعملت أسلوب التهديد محاولة تقسيم المواقف، حيث حذرت فرحات عباس أن فروع حركة أحباب البيان شكلها حزب الشعب بإيعاز من مصالي الحاج. وفي قرار صدر في أبريل 1945 أكد على الاستمرار وراء البيان وضرورة إطلاق المعتقلين السياسيين وتحرير مصالي الحاج من الإقامة الجبرية، والوقوف ضد جميع المحاولات التي تسعى للتفرقة من طرف الإدارة الفرنسية وأعوانها داخل الحركة. وقد استمرت الأوضاع بين الإدارة والحركة إلى غاية ماي 1945¹.

ما يمكن استنتاجه أن نشاط حزب الشعب الجزائري خلال الفترة التي تلت نزول الحلفاء بالجزائر، تميز بالتنوع بين العمل السري من جهة من خلال تنشيط الخلايا داخل المدن عبر جميع مناطق الجزائر عن طرق توزيع المنشور، الكتابات الحائطية، استقطاب الشباب توعيته والتحريض على التجنيد الإجباري. والعمل العلني من خلال التواصل مع مختلف التيارات السياسية وإبداء رأيه في مختلف المطالب المقدمة لإدارة الاحتلال على رأسها البيان وملحقه، وقد ذهب في بعض الأحيان إلى الخلط بين العلني والسري من خلال انخراط مناضلين في حركة أحباب البيان والحريات والعمل جنباً إلى جنب مع جمعية العلماء المسلمين والمنتخبين المحسوبين على فرحات عباس، هذا الأخير الذي شجعت مواقفه على إستيعاب خلايا حزب الشعب، لكن مختلف التقارير الشرطة الفرنسية التي اطلع عليها كل من محفوظ قداش و عبدالرحمان بن إبراهيم بن العقون تبين أنها كانت على إطلاع على نشاط حزب الشعب داخل حركة أحباب البيان والحريات..

4. نشاط الحزب الشيوعي الجزائري ومواقفه المخيبة:

تعرض الشيوعيون الفرنسيون والجزائريون للقمع وسجن زعمائه من طرف حكومة فيشي خاصة بعد الهجوم الألماني على الإتحاد السوفيياتي مهد الشيوعية، ومع نزول الحلفاء بالجزائر في 8 نوفمبر 1942، أطلق صراحهم (تم إطلاق 27 نائبا و400 اشتراكيا كانوا معتقلين في سجن الحراش) للاستفادة منهم في الدعاية ضد دول المحور، وفي ظل تغير موازين الحرب أصبحت خطة النضال عند الشيوعيين الجزائريين تتطابق مع الشيوعيين الفرنسيين وتتقارب مع الاشتراكيين وتبتعد عن الخط الوطني. فالشيوعيون الفرنسيون وضعوا خطة للعمل ضد المحور، لكن في المقابل لم يقوموا بشجب الاستعمار، وكانوا يقبلون بالإجراءات الإدارية الفرنسية معتبرا ذلك يندرج في إطار المساهمة في الحرب².

1. محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 909.

2. محمود أيت مدور، المرجع السابق، ص 243.

حاولت إدارة الفرنسية كسب الشعب الجزائري الى صفها عبر استغلال الشيوعيين الجزائريين، فأطلقت المعتقلين الموجودين في السجون، والرسالة التي وجهها الحاكم العام بالجزائر مرسال بيروتون (Marcel Peyrouton) لعامل وهران يأمره بالإفراج عن رئيس الحزب الشيوعي الجزائري (عمار أوزقان) في فيفري 1943، لكن سلطات الاحتلال ممثلة في ضباط مركز الاستعلامات فرضت عليه كتابة تعهد يلزمه بما يلي¹:

- الانضمام إلى قضيتنا ضد قوات المحور.

- الالتزام بعدم القيام بأي تحريض ضد السلطات الفرنسية.

- الدعاية لصالح فرنسا والتعبئة لصالح الجيش.

- تقديم المطالب للسلطات الفرنسية لا غير.

وبعد كتابته للتعهد أفرج عنه، وأصبح الحزب الشيوعي يعمل في إطار الشرعية الفرنسية، التي فرضت عليه العمل في إطار أجندتها، فأسس جريدته الأسبوعية الناطقة باللغة الفرنسية الحرة (Liberté) في جويلية 1943 وقد كتب عمار أوزقان في عددها الأول: "لولا 8 نوفمبر 1942، لم يكن في الجزائر سوى شعب من الجثث أهمله الجوع، فالشعب الجزائري لا ينتظر شيئا من هتلر، وإن كان لدى البعض أوهام في هذا الموضوع، فقد تبددت اليوم، إلا أنه لاتزال بعض المرارة، لقد تلقى الشعب الجزائري الكثير من الوعود ، فيجب أن تمنح عن طريق الأفعال و التأكيد أنه لن يصير في الغد اليتيم الفقير على أرض أجداده"².

من خلال نص المقال يتضح لنا التوجه الجديد للحزب الشيوعي الجزائري ممثلا في رأي زعيمه الذي أكد على المساندة المطلقة لفرنسا في حربها ضد المحور، رغم أنه تطرق لمخلفات سياسة الألمان في الجزائر وابتعد عن ذكر ما ترتب عن السياسة الاستعمارية في الجزائر منذ احتلال الجزائر، ما يبين التوجه الغير السليم للحزب الشيوعي الجزائري على الأقل من خلال دعايته التي لم تكن مقنعة في نظري لتجذب لها ولو فئة قليلة من المجتمع الجزائري.

وفي شهر أوت 1943 عقد أول مؤتمر للحزب اعتبر فيه (بوهالي) أحد أمناء الحزب: " أن على الشعب الجزائري أن يتخذ موقفا إلى جانب الأمم الديمقراطية " وقد حدد الحزب برنامجا ارتكز على شعار (حرية - مساوات - أخوة) وتلخص فيما يلي:

أ. أن تصير كلمة حرية واقعا معيشا.

ب. حرية الصحافة والمجتمع.

ج. الكفاح ضد هتلر حتى القضاء عليه.

د. ضمان مستقبل الشعوب المستضعفة.

1-A.W.O: Boite 4477, rapport de centre d'information et d'études (département d'oran) , du 24 février 1943.

2.Liberté, 8 juillet 1943.

هـ. التصدي للمشكل العرقي.

و. إلغاء التباين في الحقوق والواجبات بين سكان الجزائر.

من خلال دراستي لبرنامج الحزب يتبين مدى ميولها إلى الجانب الاجتماعي، ولم يرد ضمن البرنامج عنصر يشير إلى تقرير مصير الجزائر، إلا عبارة (ضمان مستقبل الشعوب) وهي عبارة ضعيفة التأثير، لا تبرز مطلباً يوضح مصير الأمة الجزائرية¹.

إذا لم يكن الحزب الشيوعي مرتبطاً بالقضية الوطنية، بل اهتم بتحسين الظروف المعيشية للجزائريين (الأجور، القوانين الاجتماعية، المساوات)² أكثر من الجانب السياسي. فعمل على جذب الطبقات العمالية من خلال عقد عدة تجمعات ولقاءات والدعاية للحزب عن طريق المناشير باللغة العربية والفرنسية، ودعم الحزب ببيع جريدة الحرية عبر مختلف المدن الكبرى، والتي حملت عدة عناوين ذات تأثير منها (المطالب الشرعية للعرب والقبائل - المسلمون ضد البربرية الهتلرية)³. وفي الفترة 23-24 أكتوبر 1943 عقد مؤتمر جهويًا للاتحاديات الكونفدرالية بوهران عالج مشكل التموين الذي يعرقل عملها، وهي الفجوات التي كان يستغلها الحزب الشيوعي للولوج للمنظمات العمالية وزرع أفكارها في أوساطها، لكسب أكبر عدد من المنخرطين في الحزب⁴.

وما يلاحظ عن قادة الحزب الشيوعي الجزائري قيامهم بعدة جولات عبر الجزائر كالزيارات التي قام بها عمار أوزقان في مدن الغرب الجزائري (وهران، تلمسان، سعيدة، غليزان) والتي ركز فيها على عمال المناجم والمزارع التابعة للكولون، ففي ناحية غليزان هاجم عمار أوزقان في تجمع حضره عمال المزارع الكولون، القياد، والعمال الإداريين للبلديات، وقد عرف تجمع الحزب الشيوعي الجزائر مما يشير إلى قلة عدد المنخرطين فيه نظراً لتوجهاته الغير منسجمة مع قادة التيارات السياسية الوطنية الأخرى⁵.

شكل رد الشيوعيين الجزائريين الرفض لنص البيان 10 فيفري و ملحقه 1943 صدمة حتى لبعض مناضليه، حتى أن بعض قادة الحزب الشيوعي اعتبروها مغامرة لا يمكن توقع

1. Liberté, 30 Décembre 1943

2. برامج ملحق إلى للإدارة الفرنسية بوهران: المساوات في الأجور للعمل نفسه: المساوات في المرتبات والمنح العسكرية: تطبيق القوانين على العمال الموجودين في شمال إفريقيا: حرية تعلم اللغة العربية: ضمان الممارسات الحرة للحقوق النقابية: منح الشعب المسلم حقوقاً سياسية؛ وضع حد لاحتكار المعمرين للأراضي. التفكير في الإصلاحات السياسية والإدارية القابلة للتطبيق. للمزيد من التفاصيل ينظر: محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 919.

3. مصطفى أوعامري، المرجع السابق، ص 167-168.

4. فاطمة الزهراء آيت بلقاسم، المرجع السابق، ص 106.

5. A.W.O, Boite 4477, rapport de centre d'information et d'études (département d'oran), du 5 février 1944.

نتائجها في ظل الحرب، يتضح موقف الحزب من خلال التقرير الذي رفعه عمار أوزقان للجنة الإصلاح الإسلامية الثانية بتاريخ 23 ديسمبر 1943 التي وضعها الجنرال ديغول مما جاء فيه: «إن البيان الجزائري كان طالبا الجنسية الجزائرية، و البيان كان محل اتفاق جميع الأطراف، لكن نظرة الحزب الشيوعي الجزائري و الفرنسي، الذي صار يرى أن الشعب الجزائري الذي هو عبارة عن أجناس أوربية و عربية و بربرية، هي غير ناضجة لتكوين أمة". كما يتضح موقف الحزب الشيوعي الجزائري البعيد كل البعد، عن ما هو حاصل في الساحة السياسية الوطنية، وإن موقفه البعيدة عن الوطنية، يبين ارتباط قراراته بأجندات خارجية ليس لها علاقة بالجزائر، وما ذكرناه سابقا حول طريقة خروجه أوزقان عمار من السجن، يبين أن قراراته السياسي ليست سيادية، فهو مرتبط بمسار سياسي مع الإدارة الفرنسية لا يمكنه تجاوزه¹.

هذا وبعد ما عرفته الساحة السياسية من صدام بين أنصار البيان وسلطات الاحتلال جراء رفضها له، دفع بهذه الأخيرة للزج بفرحات عباس وعبد القادر سايج في السجن ونخبة من مناضلي الحركة الوطنية، شكل ذلك فتىلا أشعل مظاهرات عبر المدن الكبرى في الجزائر مساندة للمحتجزين، فكان رد الحزب الشيوعي مساندا للجماهير، ورفضاً لأسلوب العقوبات والقمع وهو موقف سياسي يحسب له².

رغم ذلك مع خروج فرحات عباس من السجن سعى جاهدا للتوحيد صفوف الأحزاب الوطنية تحت راية واحدة مثلما حدث سابقا في الثلاثينيات (المؤتمر الإسلامي 1936) في إطار العمل داخل الشرعية الفرنسية، تحت شعار (حرروا و وحدوا)، فطرح فكرة تأسيس حركة أحباب البيان والحريات 14 مارس 1944 التي أيدتها النخب السياسية (حزب الشعب والجمعية سرا) أما الحزب الشيوعي الجزائري³ فاعتبر أن الحركة هي تسرع ودعوا لمساندة أمرية 7 مارس 1944⁴. وتأسس حركة أكثر عدالة. ففي سبتمبر 1944 أسس الشيوعيون (حركة أحباب الديمقراطية) وسارعوا في تشويه الأحزاب السياسية الوطنية وقادتها السياسيين كفرحات عباس ومصالي الحاج وهناك من اقترح التبليغ عليهم عند الشرطة الفرنسية من أجل

1. عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 295-297.

2. Francis et Colette Jeanson, L'Algérie Hors La loi, ENAG Edition, Alger, 1993, p. 69.

3. في تقرير أمام المؤتمر المركزي للحزب الشيوعي الجزائري في 23 سبتمبر 1944 عاب عمار أوزقان على أشباه الوطنيين حسب تعبيره الملمهمين من الإمبرياليين الأجانب تشجيع الشقاق لأعوان العملاء وعدم فهمهم بأن شمال إفريقيا غير مرتبط مع فرنسا الجديدة، (إن مصلحة الجزائر ليست في طلب الانفصال من فرنسا الجديدة). وأدان الذين وضعوا شعار الاستقلال. ينظر: محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 904.

4. Henry benazet, op – cit, p58.

- الفصل الأول: الحرب العالمية الثانية (1939-1945) وتأثيراتها على نشاط الحركة الوطنية الجزائرية -

قمعهم، لأن الشيوعيين كانوا يدركون أن وحدة التيارات السياسية في وجه الإدارة الفرنسية تعني زوالهم على الساحة السياسية الوطنية¹.

خلاصة القول، إن الحرب العالمية الثانية كان لها تأثير كبير على نشاط الحزب الشيوعي الجزائري، فقد شكل فتح الألمان الحرب مع الاتحاد السوفياتي ضربة قاسمة حرمت الحزب من النشاط في الجزائر أين تم حله وسجن زعمائه، وبعد نزول الحلفاء بالجزائر. تعرض قادته للمساومة على قضيتهم المركزية وهم بالسجن، ما دفعهم للانحراف عن التوجه العام للتيارات السياسية الوطنية، فاعتبر موقفه من البيان وملحقه ومن تأسيس حركة أحباب البيان مخيبا حتى لبعض مناضليه.

1. محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 905.

الفصل الثاني

تأثيرات الحرب العالمية الثانية على نشاط الحركة الوطنية التونسية (1939-1945)

المبحث الأول: التونسيون في الجيش الفرنسي وتأثيره على الحركة الوطنية التونسية.

المبحث الثاني: تأثير الدعاية الخارجية على تونس.

المبحث الثالث: نشاط الحركة الوطنية التونسية أثناء حكومة فيشي (1940-1943)

المبحث الرابع: الحركة الوطنية وتحولات مجرى الحرب لصالح الحلفاء (1943-1945)

تأثرت تونس بأحداث ومجريات الحرب العالمية الثانية مما انعكس سلبا على الأوضاع الداخلية، وساهمت في تعميق التناقضات بين الشعب التونسي وسلطات الحماية الفرنسية، التي شرعت مع انطلاق الحرب في تطبيق سياسة استغلالية لموارد تونس المادية والبشرية، وضيق على نشاط الحركة الوطنية التونسية سعيا منها لتوجيه جهودها الدعائية نحو مساندة فرنسا في حربها، ومع استسلام فرنسا للألمان، ومجي حكومة بيتان، خضعت تونس تلقائيا للسيطرة (المحور)، والتي طبقت بدورها سياسة مغايرة لما كان متبوع من جانب الحكومات الفرنسية السابقة، بدءا من تمركز القوات الألمانية في الأراضي التونسية، ومن ثم التضيق الخناق على قادة الحركة الوطنية التونسية ونشاطهم. ومن خلال هذا الفصل سوف نسلط الضوء على: دور التونسيين في الحرب وتأثيره على الحركة الوطنية، فضلا عن تأثير الدعاية الخارجية على التونسيين، إلى جانب تتبع تأثير المتغيرات التي شهدتها الحرب على الحركة الوطنية التونسية.

المبحث الأول: التونسيون في الجيش الفرنسي وتأثيره على الحركة الوطنية التونسية:

بعد فرض الحماية الفرنسية على تونس اقترح الجنرال فورجيمول (Forgemol) قائد قوات الحماية استمرار العمل بقانون الخدمة العسكرية السائد في تونس¹ مع تقليص مدة الخدمة إلى أربع سنوات². كان ذلك التزاما ب(معاهدة باردو) التي نصت على احترام القوانين السائدة، وبمرور الوقت تطورت الإجراءات الإدارية الفرنسية بخصوص مسألة التجنيد. وسعيا منها لن تكون في خدمة مصالحها، وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى (1914-1918) أصدرت سلطات الحماية الفرنسية العديد من الأوامر العسكرية المنظمة لعملية التجنيد³. ولاسيما وان فرنسا كانت بحاجة الى المجندين ضمنها قوات في جبهات القتال الأوروبية⁴. علما، إن مساهمة الإيالة التونسية في المجهود الحربي الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى كان فعالا، رغم تواضعها قدراتها البشرية مقارنة ببقية بلدان المغرب العربي (12٪ من المتطوعين)، حيث بلغت المساهمة الجزائرية 254 ألف جندي والمغرب الأقصى 69 ألف مجند. وقد فسر ذلك برغبة التونسيين في الهجرة كعمال بدل التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي، أما

1. صدر قانون الخدمة العسكرية في 7 فيفري 1860. ينظر: بن بلغيث الشيباني، الجيش التونسي في عهد

محمد الصديق باي (1859-1882)، ط1، دار نهى، صفاقس، 2002، ص 81.

2. فتحي العايدي، الجيش الاستعماري والمجتمع المحلي بالبلاد التونسية (1911-1943)، ط1، المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2011، ص 224-225.

3. العجيلي التليلي، أضواء على حياة محمد الشريف التيجاني وأوضاع المحليين في تونس خلال الثلث الأول من القرن العشرين، المجلة التاريخية المغربية، ع 55، السنة 1989، ص 146.

4. جريدة الزهراء، في: 1914/8/17.

بالنسبة لمقارنة عدد المجندين بالنسبة لعدد السكان. ويمكن القول، أن مساهمة التونسيين في الحرب كانت مرتفعة (3.9%) مقارنة بالجزائر (3.5%) و المغرب (1%)، و اعتبرته فرنسا نوعا من الولاء لها¹.

استمرت وتيرة التجنيد خلال الفترة ما بين الحربين، وارتبط ذلك في إرسال عدد كبير من الجنود التونسيين إلى المغرب الأقصى خلال الفترة ما بين (1921-1925) للمشاركة في القضاء على ثورة عبد الكريم الخطابي، فيما أرسل عدد آخر لمنطقة المشرق العربي (بلاد الشام) خلال الفترة ما بين (1919-1925) وقد بلغ عدد المجندين التونسيين في سنة 1925 على سبيل المثال حوالي: (7000) جندي². وبقت وتيرة التجنيد على هذا المعدل خلال الثلاثينيات³.

الجدول رقم (5)

تطور عملية التجنيد ما بين (1930-1939)⁴

السنة	عدد المجندين
1930	6000
1931	6000
1932	4353
1933	4864
1934	5481
1935	4864
1936	5639
1937	4551
1938	4128
1939	5746

ونتيجة السياسة المنتهجة من طرف سلطات الحماية الفرنسية في ميدان التجنيد عمل الحزب الدستوري على نشر دعايته المعارضة لهذا التوجه، وقد تفتنت لها المخابرات الفرنسية بعد تسرب بعض النسخ من الصحف التي وزعت ببعض الدوائر في أكتوبر 1923،

1. فتحي العايدي، المرجع السابق، ص 232.

2. المرجع نفسه، ص 248.

3. انظر جدول رقم (5).

4. المرجع نفسه، ص 231.

وخلال حرب الريف بالمغرب الأقصى (1925) عارض الدستوريون تجنيد التونسيين لقتال إخوانهم، وساهموا بدعاية كان لها دور في رفض بعض المجندين المشاركة في قمع الثورة الخطابية¹.

وزادت الدعاية التونسية المعارضة للتجنيد في الثلاثينيات خاصة بعد عملية النفي التي تعرض لها قادة السياسية بالجنوب (برج لوبوف-رمادة)²، حيث ساهم الشاذلي خير الله من خلال جولاته الدعائية بالمنطقة العسكرية (الجنوب التونسي) في جانفي 1935، في حدوث حالات من العصيان، مثل: تمرد فرقة القوم الخيالة في مدينين في مارس عام 1935، وعزوف بعض المجندين عن الالتحاق بوحدهم³. وقد اثار هذا النشاط الدعائي المعارض لمسألة التجنيد من قبل الدستوريين مخاوف القيادات العسكرية الفرنسية، لاسيما في المنطقة العسكرية في الجنوب التونسي، والذي اعتبروه خطرا على التواجد الفرنسي في المنطقة⁴. وبالتوازي مع النشاط الدستوري في الجنوب التونسي شهدت المناطق الريفية بالشمال الغربي تشكيل خلايا للحزب الدستوري، ففي سنة 1936 تكونت ثلاث شعب في كل من طبرقة، عين الدراهم وفرنانة⁵. فيما تمكن بعض المناضلين في الحزب الدستوري الجديد أمثال: عيسى الصخري في عقد اجتماع بالمنطقة يوم 27 مارس 1938 بسوق الأربعاء شجع فيه السكان على العصيان المدني وعدم الانخراط في صفوف الجيش الفرنسي، كما عقد كل من: يوسف الرويسي وسليمان بن سليمان اجتماعا بفرنانة يوم 3 أبريل 1938 للتحريض ضد عملية التجنيد⁶.

ومن هنا، نستنتج أن النشاط الدعائي المعارض من جانب الدستوريين ضد مسألة التجنيد، ونجحوا في اقناع العديد من التونسيين عدم الانخراط في صفوف الجيش الفرنسي، مما إثر على معدلات التحاق المجندين، وهو ما اجبر الفرنسيين على تغيير سياستهم من اجل جذب المجندين التونسيين عبر رفع قيمة العلاوات تحفيزية ومجاهبتها لأحداث أبريل 1938 بكل وحشية واعتقالها للقيادات التونسية المروجة للدعاية المحرصة للتجنيد.

1. فتحي العايدي، المرجع السابق، ص 408.

2. محمد ضيف الله، التراب التونسي من الخضوع إلى الرفض مثال نفاوة (1881-1956)، المجلة التاريخية المغربية، ع79-80، السنة 1995، 537.

3. المرجع نفسه، 539.

4. فتحي العايدي، المرجع السابق، ص 410.

5. الهلالي عبد الحميد، تاريخ جهة جندوبة (1956-1981) علاقة الحركة الوطنية بالأرياف، أطروحة دكتوراه في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2001، ص 211-212.

6. جريدة الزهراء في: 1938/4/7.

أولاً: تجنيد التونسيين خلال الحرب العالمية الثانية

عرفت تونس خلال الحرب العالمية الثانية تهديدات إيطالية في الجنوب رغم توقيع اتفاقية سان ريمو في 14 سبتمبر 1939 مع الحكومة الفرنسية لضمان حياد الجانب الإيطالي، فكثفت فرنسا من تواجدتها العسكري في تونس حيث قسمت البلاد لجهتين الجبهة الشمالية بقيادة الجنرال بيسيار (Bessière) وجبهة الجنوب بقيادة الجنرال بوبينال (poupinel)، كما زادت من عدد الفرق العسكرية على خط مارث على الحدود الليبية، ساهم الخطر القادم من الجنوب في الرفع من أعداد المجندين التونسيين¹.

وفرت تونس خلال الحرب العالمية الثانية خمسة أفواج عسكرية، وساهم الفوج الرابع (للتيرايور) أثناء الحملة العسكرية على تونس، في خوض العديد من المعارك ضد جيش رومل، منها معركة البلفيدير. وقد نوه الجنرال جوان بدور العسكريين التونسيين في المعركة قائلاً: "لا يمكن أن نقدر مجهود الفوج الرابع للتيرايور التونسيين بأي ثمن أثناء معركة البلفيدير"².

ولابد من الإشارة هنا، ان الدافع الذي حرك التونسيين للالتحاق بالجيش الفرنسي لم تكن الرغبة في الدفاع الديمقراطية والحرية، وإنما الظروف المعيشية الصعبة هي التي اجبرت الشباب التونسي على القيام بذلك، فالدافع ليس التضحية من في سبيل الديمقراطية والحرية، وإنما هرباً من الفقر والحرمان، وسعياً لتحسين ظروفهم المعيشية في ظل ظروف الحرب الصعبة وندرة مناصب العمل³. وهكذا، نجد ان التطوع في صفوف الجيش الفرنسي لم يكن الا محاولة للهروب من الوضع الاجتماعي المزري نتيجة سياسة سلطات الحماية الفرنسية، والتي عملت على تجريد التونسيين من حقوقهم وسلب خيرات بلادهم ومنحها للمستوطنين الأجانب. فوجد الشاب التونسي في الانخراط في صفوف الجيش الفرنسي ملجأً لضمان عيشه، مما جعله يدخل في شكل من العبودية الإرادية بسبب انسداد جميع الطرق أمامه، فشكل ذلك أمراً إيجابياً لفرنسا⁴.

استخدمت سلطات الحماية الفرنسية الحيلة والخديعة لجذب المزيد من المجندين التونسيين، وذلك عبر تحسين الخدمات التي يلقاها المجندون اثناء الخدمة، وكيف كان هؤلاء المجندون كانوا يكتبون لأهاليهم بهذا الخصوص. فعلى سبيل المثال: كتب أحد المجندين من الفوج الرابع (للتيرايور)، يقول: "وعند وصولي إلى المستشفى استقبلني المكلفون، كقبول عائلة

1. فتحي العايدي، المرجع السابق، ص 150-151.

2. المرجع نفسه، ص 248.

3. Hamed –Taouti M’Barka, Immigration Maghrébine et activités politiques en France de la 1ère G.M a la veille de fronts populaire, pub F.S.H.S, tunis, 1999, p. 27.

4. الهلالي عبد الحميد، المرجع السابق، ص 236-237: فتحي العايدي، المرجع السابق، ص 236-237.

لابنها، فألبسوني ثياب ناعمة، نقيه وغسلوا بدني وضمّدوا جراحي بلطف، لم نرى مثله مدة حياتي، فغن هؤلاء النسوة المحسنات هن أشبه بالملائكة، فقد كن سببا في اطلاعي جيدا على كون الروح الفرنساوي ومعرفة ما فيه من المحاسن واللطف. على أن إقامتي هنا قد زادني محبة للوطن الفرنساوي العظيم... وسأقاتل في سبيل هذا الوطن مثل وطني إلى آخر قطرة من دمي لطرّد الألمان الملاحين"¹. وتظهر هذه الرسالة، إن مدح المجند للمعاملة المثلى التي تلقاها في المستشفى وتغنيه بحب الوطن الفرنسي، كانت تندرج ضمن الدعاية الفرنسية المضادة للألمان. التي اعتمدت عليها لجذب أكبر عدد من الشباب التونسي للتجنيد، وذلك من خلال ترسيخ صورة مغايرة في تعامل فرنسا مع المجندين التونسيين عكس ما تظهره الدعاية الألمانية².

اخيرا، يمكننا القول إن عملية التجنيد في تونس عرفت تباينا في المواقف داخل المجتمع التونسي بين المؤيد لفرنسا والمساند لها، وبين الداعم لقوات المحور، إذ اعتبرت بعض الفئات التونسية دول المحور خطرا على البلاد وساندت فرنسا في حربها ضد الألمان من خلال التجنيد في صفوف جيشها كمتطوعين. أما الفئات الشعبية المحرومة في زمن السيطرة الفرنسية اعتبروا الوجود الألماني مخرجا من الحالة المزرية وفرصة للانتقام من مستغلبهم، خاصة جماعة القياد والمشايخ التي تسير في ركب الإدارة الاستعمارية الفرنسية.

ثانيا: مساهمة تجنيد التونسيين في نشر الوعي الوطني:

كان للموقع الاستراتيجي المتميز لتونس الدور في بروزها ضمن أحداث الحرب العالمية الثانية، إذ أن قربها من أوروبا وإطلالها على البحر المتوسط جعل منها مسرحا لتصارع القوى المتحاربة، فدخل التونسيون في الحرب كمجندين إما إجباريا أو تطوعا عن طريق سن سلطات الحماية الفرنسية لقوانين³ تضمن لها تطبيق سياستها الرامية لاستغلال الموارد المادية والبشرية لصالحها، واعتمدت على سياسة دعائية تضمن لها السيطرة على العقول المحدودة الثقافة لتجعلهم في خدمتها، وقد توافقت السياسة الدعائية للمحور (الألمان

1. جريدة الزهراء، في: 1940/9/23.

2. فتحي العايدي، مرجع سابق، ص 251.

3. وقع الباي على المرسوم الفرنسي الصادر في 21 أبريل 1939 القاضي بقمع الدعاية الأجنبية وأقرت سلطات الحماية في 31 أوت 1939 مذكرة بعثت بها للمصالح العدلية والكتاب العام التونسي لمراقبة تطبيق القوانين التعبئة، مما يجعل قراراته قد تسقط أي إجراء يتخذه الباي أو وزيره الأكبر وهنا تتضح سياسة فرنسا من خلال فرض القرارات إذا ما تعلق الأمر بهيئة ونفوذ فرنسا. ينظر: الأسعد الغريان، المرجع السابق، ص 77.

والإيطاليين) مع الدعاية السابقة و لكن خدمة لمصالحها، مع العزف على وتر دعم الشعوب العربية من أجل تحريرها تجنباً منها لنفور التونسيين منهم¹.

جاءت مواقف التونسيين متباينة منسياسة الحماية الفرنسية من التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي، كما تضاربت الآراء حول الزيارة التي قام بها الرئيس الفرنسي إدوارد دالادييه (Eduard Daladier) لتونس في جانفي 1939، بين المثلث لها والغير مبال فقد رأى فيها البعض مجرد زيارة ، لحماية نفوذ الإمبراطورية الفرنسية من الخطر الفاشي ، فيما يؤكد الحبيب ثامر في كتابه (هذه تونس) على اغتنام الشعب التونسي لفرصة الزيارة ليبين أنه غير راض على تصرفات فرنسا ضد بلاده من خلال مظاهرات في كل من (بنزرت ، تونس، صفاقس)، واجهتها سلطات الحماية باعتقال المئات من الوطنيين وحكمت عليهم أحكاماً قاسية².

أما موقف الحركة الوطنية من مسألة التجنيد فقد كانت رافضاً عموماً، خاصة بعد الأحداث التي عرفتها تونس في 8 أفريل 1938، وما تبعها من اعتقالات لزعماء ومناضلي الحركة الوطنية، إذ يذكر الحبيب قرار في كتابه (تحيا تونس): " في الساعة الرابعة من صباح 10 أفريل 1938 اقتحمت الشرطة الفرنسية بيوت الزعماء وبعض المناضلين وجمعتهم في ساحة باب سويقة ثم زج بهم في السجن المدني بتونس، ثم نقلوا للسجن العسكري وكان من بينهم الحبيب بورقيبة والمنجي سليم وشقيقة الهادي"³. وتلت عمليات اعتقال الزعماء الوطنيين بعث مناضلي الحركة الوطنية على رأسهم الدستوريين حركة الكفاح واستأنف نشاطهم بإصدار المناشير، وتشكيل مجموعات أسندت لها مهمة قطع اسلاك الهاتف، الكهرياء، إعداد المتفجرات ضد العديد من المناضلين⁴، استمرت الأوضاع على هذا الحال إلى غاية سيطرة الألمان على تونس⁵.

الملاحظ أن واقع العلاقة التي تربطها بإدارة الحماية الفرنسية التي لم تكن تظهر تفاهما ما سينعكس على موقف قادة الحزب الدستوري الجديد من عملية تجنيد التونسيين

1. الحبيب ثامر، المصدر السابق، ص 96

2، المصدر نفسه، ص 98.

3. علي الزايد، المرجع السابق، ص 491.

4. كان من بين المناضلين بشير زرق العيون، محمد بن عمارة، عمر بن حميدة، وساهم المناضل حسين التريكي في إمدادهم بها. وقد تم اكتشاف لجنة المقاومة في جانفي 1940 بعد تداير مراقبة من قبل المخابرات الفرنسية وقد علق المكلف بالشؤون الإسلامية قائلاً: "لم تقتصر مصالح الشرطة في هذه الأيام والأواخر من شهر جانفي على التعرف على مرتكبي أعمال التخريب المقترفة في تونس وضواحيها وإيقافهم، وعلى الذين أحدثوا الانفجار بسور القصبية بل على محرير البلاغات الموجهة لبرلين" للمزيد ينظر: علي الزايد، المرجع السابق، ص 491.

5. الحبيب قرار، تحيا تونس، ط1، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، د ت، ص 33.

في الجيش الفرنسي، الذي اعتبرته تسخيروا لموارد تونس البشرية لخدمة مصالحها الاستعمارية، خاصة وأن مواقف إدارة الحماية لم تكن بذلك اللين تجاه قادة ومناضلي تونس. وعملت الدعاية الحزبية الدستورية على تشويه صورة الجيش الفرنسي، وعرفت هذه الفترة اختلاطا بين السياسيين المشرفين على الدعاية والمجندين التونسيين المسرحين، وكمثال عن تجاوب بعض المجندين التونسيين ضبط الشرطة الفرنسية للمجنّد محمد بن خليفة بن مبارك وبحوزته مجموعة من المناشير الداعية للعصيان، وتبين علاقتهم بالحزب الدستوري الجديد.¹

كما عرف الجيش الفرنسي حالة من العصيان مثل ما حدث بالقيروان في 26 سبتمبر 1939، إذ تمكن عدد من الجنود من الفرار (150 جندي) ودخول المدينة ومهاجمة سجن المدينة (قرب باب الجلادين) وأطلقوا كل المساجين. أحداث دقاش (نوفمبر 1940) التي تمثلت في رفض الأهالي حضور العساكر السنغاليين بقريتهم بمساندة بعض المجندين التونسيين، وقد أرجعت السلطات أسباب التمرد إلى تسرب الدعاية الدستورية وسط المجندين، حيث لوحظ اختلاط الجنود المسرحين برخص ظرفية ببعض العناصر الوطنية الذين يقومون بدعاية مناهضة للجيش الفرنسي.²

ويذكر الجنرال باري (Barré) أن الدعاية التي عمل عليها الدستوريين ساهمت في زيادة ظاهرة العصيان و الفرار عند المجندين خاصة خلال الحرب العالمية الثانية، بخلاف المجندين التونسيين الذي كانوا في جيّات مشتتة غابت عنهم فرص الفرار، إذ ورد في رسائل عديدة تداولتها عائلات المجندين دلائل تبين مدي نفور التونسيين من التجنيد، ففي رسالة بعث بها الجندي عمار عزوز إلى عمه (نابل) جاء فيها: " لقد تأسفت عند سماعي بتجنيد ابنك حسن ... وبما أنك رب عائلة متعددة الأفراد ورجل طاعن في السجن ... (أنصحك) بتقديم شكوى إلى المراقب المدني و حتى تكون هذه الشكوى ذات اعتبار اترك شعرك يطول و ارتدي لباسا وسخا و احرص أن يكون مظهرك يرثى له عند مقابلته". من خلال الرسالة يتضح لنا أن ولاء التونسيين للجيش كان شكليا، وهو ما يفند ما روجت له الإدارة الفرنسية من اعتباره طريقة لتحقيق الأحلام من خلال الرقي وكسب الوظائف وتحسين الظروف المعيشية للتونسيين. فقد ورد في رسالة لأحد المجندين التيرايور (أحمد بن قدور) من زاوية سيدي عبد القادر بالكاف إلى أحد الأولياء سيدي عبد القادر الجيلاني مصحوبة بحوالة بريدية قيمتها 76 فرنك يطلب منه التدخل ليخلصه من الخدمة العسكرية وهناك أمثلة كثيرة تبين مدي فشل إدارة الحماية في ترسيخ ولاء المجندين.³

1. Driss Rachid, Reflet d'un combat, ISHMN, Tunis, 1996, p. 74.

2. Ibid, p. 73.

3. فتحي العايدي، المرجع السابق، ص 346-347.

كما اعتمد الدستوريون على تحريض التونسيين ضد الالتحاق بالتجنيد أثناء التعبئة العامة التي اعلنت، ومثال ذلك: إشراف سيدي صخري رئيس شعبة سوق الأربعاء على اجتماع بواد مليز في 27 مارس 1938، ركز فيها على دراسة طريقة من اجل تحريض السكان على العصيان المدني والامتناع عن التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي¹. كما سعى الوطنيون التونسيون لتوظيف المجندين لإثارة البلبلة وسط صفوف الجيش الفرنسي، وذلك للضغط على سلطات الحماية لإطلاق المعتقلين السياسيين ودليل ذلك: أحد المناشير التي وزعت على المجندين التونسيين ومن بين ما جاء فيه: "نحن الجنود التونسيون ... لا تعنينا إطلاقاً السلطة التي نخضع إليها سواء كانت مدنية أو عسكرية ... إن اعتقال الزعماء السياسيين لن يزيدنا إلا كراهية لفرنسا ... لا يمكن إطلاق التعويل على الجنود التونسيين ما لم تلبى مطالبهم الوطنية"². ويظهر مضمون المنشور مدى تأثير دعاية الحزب الدستوري على المجندين التونسيين في ترسيخ الوعي السياسي والوطني فيهم³، فكان لها الدور الكبير في خلق فئة من المجندين مشبعة بالروح الوطنية والوعي السياسي، كما ساهم اختلاط الجنود التونسيين بالمجندين من المستعمرات الفرنسية الأخرى في جبهات القتال المختلفة بأوروبا أثناء الحرب في تبلور وعي سياسي بضرورة النضال من أجل تحرير بلدانهم.

وازاء هذا النشاط الدعائي الوطني من جانب الدستوريين، كان رد فعل سلطات الحماية الفرنسية في بداية الحرب العالمية الثانية اتخاذ مجموعة من الإجراءات منها: إصدار مجموعة من قوانين⁴ تمنع المجندين وأهاليهم من الاطلاع على مناشير الدعائية للحزب الدستوري أو أجنبية وتوزيعها، وحظر على الصحافة الوطنية نشر المقالات المناهضة للوجود العسكري الفرنسي، ومنعت الدستوريين من عقد اي اجتماعات دعائية قد يكون له تأثير على المجندين وتحريضهم على العصيان والتمرد. لكن هذه الإجراءات التي اتخذتها سلطات الحماية لم يكن لها فعالية، اذ واصل عناصر الحزب الدستوري اتصالهم بالمجندين المسرحين، واستمرت حملاتهم الدعائية وسط المجندين، ومثال ذلك: اللقاءات التي كانت تجرى بالمجندين التونسيين في مقهى (الأخلفي) بشارع الحلفاوين لتوعيتهم ودعوتهم لنشر الدعاية

1. La Dépêche Tunisienne 0704/1938.

2. ISHMN, SHAT, série Protectorat tunisien, B(R105), C (1717), D2, Rapport du chef d'intérêt de la sécurité au résident Tunis, 13/09/1939.

3. رشيد إدريس، مذكرات (في طريق الجمهورية)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص 68.

4. من بين القوانين التي سنتها سلطات الحماية أممية 3 أوت 1939 من خلال فرض عقوبات ضد المخالفين لنشر مناشير دعائية (السجن - فرض غرامات مالية - النفي والإبعاد)، وصدر أمر 5/9/1939 يمنع الاستماع للمحطات الأجنبية التي تضر بمسائل الدفاع الوطني وفرض غرامات (100 و1000 فرنك) ضد المخالفين. وأممية 15/9/1939 نص على تحجير أي عمل إذاعي أجنبي في الأماكن العمومية. ينظر لكل من: جريدة الرائد الرسمي، في: 1939/9/7؛ وفي: 1940/5/28.

الدستورية وسط المجندين لخلق وعي وطني يجعل التونسيين المشاركين في حروب فرنسا أكثر وعياً¹.

ختاماً يمكن القول، أن تجنيد التونسيين أثناء الحرب، كان لها دور كبير في خلق مجموعة من المناضلين الوطنيين المناهضين للفرنسيين، وساهمت الدعاية التي قام بها الحزب الدستوري بدور فعال في هذا المجال. وكذلك تواصل المجندين التونسيين مع الجنود من المستعمرات الفرنسية الأخرى، لعب هو الآخر دوراً هاماً في توعيتهم بأهمية دورهم الوطني وتوضيح دافع فرنسا من تجنيدهم، وتشكل بذلك نواة لظهور وعي وسط المجندين التونسيين سيكون لهم دور في النضال الوطني مستقبلاً، توضحت ملامحه من خلال عمليات الفرار والتمرد داخل الفرق التونسية المسخرة لخدمة الجيش الفرنسي.

1. Driss Rachid, op-cit, p 484.

المبحث الثاني: تأثير الدعاية الخارجية على التونسيين.

تعتبر الدعاية وسيلة لخلق اتجاه معاد لأمر ما أو لخلق فكرة بعينها، وذلك عن طرق التأثير في آراء الأفراد بصورة إيجابية أو سلبية، وقد عرفها لندي فريزر بأنها فن التأثير على إحساس الجماهير وعقولهم، حتى تتخذ مواقف معينة. كما انها وسيلة تصوغ تفكير الافراد وسلوكياتهم ومحاولة لتحويل المعتقدات وتغيير الأفكار وتهدف لتشكيل الرأي العام وتوجيهه نحو الجانب العاطف¹. وكان للدعاية دور أساسيا خلال الحرب العالمية الثانية في السيطرة على عقول الشعوب والتأثير على توجهاتهم، لاسيما شعوب المغرب العربي، الذين شهدت منطقتهم صراعا بين الدول المتحاربة نظرا لأهميتها الاستراتيجية ونظرا لأهمية حسم الحرب من الأطراف المتحاربة، شكلت الدعاية وسيلة هامة لاستقطاب الأهالي عبر إغراءات عديدة مثل الوعود السياسية والاقتصادية وحتى الثقافية وتنوعت طبيعة هذه الدعاية إذ نجدها تأخذ أشكالا عدة مثل: المناشير، الجرائد، المحطات الإذاعية، الجوسسة، نشاط القنصليات الدبلوماسية، الأفلام الدعائية. وسنحاول من خلال الصفحات التالية تسليط الضوء على الدعاية الألمانية والإيطالية في تونس:

اولا: دعاية دول المحور:

الحرب الدعائية في الحروب واحدة من الأسلحة التي قد تكون فعالة ومؤثرة أكثر من استخدام السلاح. وحاولت دول المحور استغلال هذه الوسيلة للتأثير على الطرف الآخر – الحلفاء – من خلال برامج دعائية معدة مسبقا لكسب عقول سكان المغرب العربي. والتي تركزت في اتجاهين، هما:

1. الدعاية الإيطالية (الفاشية):

اعتبرت إيطاليا أن الوجود الفرنسي في تونس حاجز أمام تحقيق أحلامها التوسعية، حيث مثلت مدينة بنزرت مثلا بفضل موقعها القريب من صقلية هدفا استراتيجيا يمكنها من السيطرة على طريق الملاحة (جبل طارق – قناة السويس)، لتكون همزة وصل للعبور إلى إفريقيا الشرقية، فضلا الى موارد تونس الاقتصادية المتنوعة². وتنامت وتيرة الأطماع الإيطالية تجاه تونس أواخر عام 1938، وهو ما دفع حكومة روما الى تعزيز عدد جنودها في طرابلس الغرب حتى بلغ (130 ألف جندي)، وهو ما اعتبرته فرنسا تهديدا لوجودها في تونس لاسيما بعد إبرام ايطاليا والمانيا لاتفاقية 22 ماي 1939. والاطماع الإيطالية تلك هي

1. فريزر لندي، المصدر السابق، ص 6.

2. Levisse – Touzé Christine, op-cit, p 16.

التبعجلت بدخولها الحرب الى جانب الألمان في 10 جوان 1940¹، وبذلك مثلت الأهداف الاستراتيجية في التوسع دافعا أساسيا في بداية حرب دعائية ايطالية في تونس من خلال وسائل متطورة تقنيا، ومن أهم الوسائل المستخدمة في هذا الاتجاه²:

- استغلال وجود الجالية الايطالية في تونس كطابور خامس والعمل بين فئات المجتمع التونسي،

- تسخير نشاط القنصلية العامة الإيطالية³ في تونس كوسيلة لتمرير دعايتها في صفوف التونسيين ضد الحماية الفرنسية.

- استغلال الجمعيات الثقافية الايطالية في نشر الدعاية في صفوف التونسيين، ومثال ذلك: الجمعية الدعائية الثقافية (La Dante Alighieri)، وجمعية ما بعد العمل (Dopolavoro) التي عملت في مجال تنظيم المعارض وإلقاء المحاضرات واعتبرتها المصالح الأمنية الفرنسية أخطر الجمعيات الدعائية الايطالية، نظرا لتجذرها في تونس منذ سنة 1927.

كما عمدت إيطاليا -منذ مطلع الثلاثينيات-توظيف برامج إذاعية باللغة العربية، موجهة لسكان المغرب العربي، ونشطت في هذا المجال: إذاعة باري الناطقة باللغة العربية الذي بدأ نشاطها بداية سنة 1934⁴، وإذاعة طرابلس الناطقة باللغة العربية الذي بدأ عمله في 29 ديسمبر 1938⁵. ما اثار مخاوف سلطات الحماية الفرنسية، وقد جند الايطاليون لهذه المهمة عدد من الصحفيين العرب، كما قامت وزارة الثقافة الشعبية الإيطالية بإرسال كتيبات ناطقة باللغة العربية، وخصصت محطة راديو باري مجلة شهرية (مجلة راديو باري)

1. Piéri M. p, La stratégie italienne sur L'échiquier méditerranéen in la guerre en Méditerranée, édition CNRS, Paris, 1969, p 70.

2. الأسعد الغرياني، المرجع السابق، ص 24-25.

3. نشطت القنصلية الإيطالية في عملها الدعائيسرية تامة إلى غاية سنة 1937، بعدها تحول الأسلوب إلى العلنية حيث أشار تقرير للشرطة الفرنسية بتاريخ 20 جويلية 1937 لتواصل بين القنصلية الإيطالية بتونس والقنصليات في المشرق العربي، ما يشير إلى الاستهداف الواسع للبلاد العربية وطابع السياسة الإيطالية التوسعي ينظر:

Bessis Juliette, La Méditerranée Fasciste (L' Italie Mussolinienne et la Tunisie) , édition Kartala, Paris, 1991, p 205.

4. الأسعد الغرياني، المرجع السابق، ص 32.

5. هكذا يتبين لنا الدور الدعائي الذي أوكل للقنصلية الإيطالية في تونس من طرف الحكومة الفاشية، وذلك من خلال دورها في تحريك الجالية الإيطالية، لتحويلهم لوسيلة لتطبيق مخططاتها، من خلال التقرب من الأهالي وتحريضهم على النظام الاستعماري الفرنسي، بوسائل مختلفة كالكتيبات والمناشير من خلال التعريف بنظامها الفاشي واللعب على الجانب الاقتصادي والاجتماعي للتونسيين. لكن الدعاية لم يكن لها ذلك التأثير الكبير نظرا لمعرفة التونسيين بالإيطاليين وسياستهم في ليبيا. ينظر: المرجع نفسه، ص 35.

وهي مجلة شهرية تحتوي على البرامج التي تبثها. واستعملت في بعض الأحيان للهجمات المحلية¹. لتكون أكثر تأثيراً على التونسيين لاسيما في المناطق الريفية التونسية. وحاولت إذاعة باري رسم صورة إيجابية عن دول المحور، من خلال الترويج لاحترامها للحريات، واعتبرها الوسيلة التي سوف تحرير الشعوب المستعمرة من ظلم فرنسا وحلفائها، ومع نشوب الحرب العالمية الثانية (1939-1940) توجهت إذاعة باري إلى تشجيع التونسيين على التمرد والعصيان، وأخذت تنشر أخبار معادية للفرنسيين من أجل كسب الوطنيين التونسيين². أما إذاعة طرابلس فقد كانت تبث حصص دينية، فضلا عن آيات من القرآن الكريم يتم اختيارها بعناية، وحثت التونسيين على الجهاد والدفاع على حرمة الإسلام، واستطاعت إذاعة طرابلس من لعب دور كبير في التأثير بالشعب التونسي لسهولة التقطها بوضوح، وكان لها رواج واسع في المقاهي الشعبية³.

واستثمرت الدعاية الفاشية مختلف الوسائل المتاحة من أجل التأثير على المجتمع التونسي، وركز خطابها على مجموعة من الأهداف للوصول إلى نتائج تمكنها من السيطرة على أكبر عدد من التونسيين من خلال:

أ- التركيز على ما يجري سياسيا في تونس، وأشارت إلى النضج السياسي للقادة الدستوريين وناصرت الوعي السياسي الشعبي التونسي. ونددت بالقمع السياسي الفرنسي بعد أحداث أبريل 1938، فأصبحت الصحف والإذاعات الإيطالية مثل: جريدة لونيوني (L'Unione)، وجريدة (Le Popolo di Roma)، تكرر باستمرار ما وقع من الأحداث⁴. ودعت وسائل الدعاية الإيطالية للتمرد والثورة ضد الفرنسيين⁵. وركزت إذاعة باري على عدم رغبة التونسيين في استمرار ارتباطهم بفرنسا⁶. وركزت إذاعة باري على التأثير في قواعد الحزب الدستوري الجديد واشاعة روح التمرد في صفوفهم، وفقدان الأمل في الفرنسيين⁷.

1. Khaled Ahmed, op-cit, p. 67.

2. Bessis Juliette, op-cit, p. 279

3. I.S.H.M.N, Q.O, B100, C662, D4, SD 7, Rapport de Résident Général au Ministre des Affaires Etrangères, 12/01/1939.

4. Bessis Juliette, op-cit, p 232.

5. I.S.H.M.N, B99, R553, C2327, D1, Note de résident Général au Ministre des Affaires Etrangères de 11/ 04/1939.

6. I.S.H.M.N, Q.O, B100, C662, D1, Emission de Radio Bari, 17/12/1939.

7. اظهر تقرير استخباري فرنسي الى تأثير الدعاية الفاشية على التونسيين، لاسيما إذاعة باري بالاستعانة الى ما كتبها محمد بن الحاج علي بن محمد بن مبارك إلى: "إن الفيالق الفرنسية غير قادرة على حمايتنا ضد الإيطاليين، فالألمان قد طوقوا فرنسا وإنكلترا". ينظر:

A.N.T, série E, C550, D41, Rapport du commissaire de police au Secrétaire Général du gouvernement tunisien (Avril 1940).

ب- فضح عيوب السياسة الفرنسية الاستعمارية المتحالفة مع اليهود للسيطرة على الموارد التونسية وما ينجر عن ذلك من آثار سلبية على التونسيين. كما بينت دور السلطة الاستعمارية في دعم الجاليات الأوروبية في تونس، عن طرق تهيئة ظروف استقرارهم وتمكينهم من أخصب الأراضي التي سلبت من السكان التونسيين الأصليين الذين طردوا منها إلى مناطق جبلية، وأصبح البعض عمالا لدى المعمارين، هذا إضافة لترويج الدعاية الإيطالية لدور الشركات الاستعمارية الفرنسية في سلب الموارد الطبيعية (الحديد والفوسفات...) واعتبرها أكبر عدو لتونس¹.

ج- تحريض الشباب التونسي على عدم الالتحاق بالجيش الفرنسي، وكان ذلك من خلال دعوة التونسيين إلى ضرورة المحاربة والقتال لا من أجل فرنسا بل من أجل حريتهم واستقلالهم، فمنذ اندلاع الحرب في سبتمبر 1939 تصاعدت الدعاية الإيطالية من خلال التحريض على عمليات فرار المجندين. فقد أكد راديو طرابلس على التجنيد التعسفي الذي كان يتعرض له التونسيون من قبل سلطات الحماية لإجبارهم على القتال في جبهات أوربا². كما ركزت الدعاية الفاشية على نشر أخبار محبطة عن إمكانيات الجيش الفرنسي، ونشطت الجالية الإيطالية بهذا الخصوص، وهو ما أكدت التقارير الاستخباراتية الفرنسية³.

خلاصة القول، أن الدعاية الفاشية تجاه التونسيين لعبت دورا في الترويج لمقاصد دول المحور من خلال عدة وسائل كالمحطات الإذاعية والمنشير والجواسيس، والتركزت على انتقاد السياسة الاستعمارية الفرنسية، وازدهار آثارها السلبية من الناحية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. ورأى الفرنسيون في الدعاية الفاشية خطرا على الوجود الفرنسي في تونس وعملية التجنيد، لدورهم الفعال في القتال على الجبهات الأوروبية وفي معارك شمال إفريقيا في حال وجود خطر من قوات المحور خاصة إيطاليا الفاشية التي كانت لها مطامع توسعية، وبذلك شكلت الدعاية الإيطالية تأثير على التجنيد في تونس من خلال دفع بعض التونسيين تعويضات مالية مقابل عدم تأديتهم الخدمة رغم المنح المقدمة من طرف فرنسا الذي وصل لحدود 1000 فرنك⁴.

1. I.S.H.M.N, Q.O, B100, C662, D1, Emission de Radio Bari, 11/12/1939

2. I.S.H.M.N, Q.O, B100, C661, D1, Emission de Radio Bari, 13/03/1939.

3. A.N.T, série E, C550, D41, Rapport du préfet au directeur de service du secrétaire Général du gouvernement tunisien du 29/07/1940.

4. Chérif Faycal, L'opinion publique tunisienne sous le gouvernement de Vichy (de l'armistice à la déposition de Bey Moncef), Diplôme d'études approfondies, université de paris 04 Sorbonne, 1939-1994, p 8

2. الدعاية الألمانية (النازية):

لم يكن لألمانيا جالية كبيرة – كما كان للإيطاليين- في تونس، وهو ما إثر إلى حد ما على طبيعة النشاط الدعائي الفاشي في تونس. وعلى الرغم من ذلك، نشط الألمان في عملهم الدعائي في منطقة المغرب العربي، وهذا ما أشار إليه تقرير مدير الأمن العام في 26 جويلية 1939 حين قال: "أن ألمانيا قد كونت 300 فردا من شمال إفريقيا، تكويننا خاصا كي تستعملها في بث دعايتها في المغرب والجزائر وتونس إضافة لتعليمهم فن تصنيع المتفجرات"¹.
أمن الألمان بقوة وأهمية الدعاية في التأثير على الشعوب، وقد استغلت ما كان يكنه العرب من احترام لألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى بعد تحالفها مع العثمانيين ضد فرنسا وبريطانيا، كما اعتمدت على البعد التاريخي لألمانيا الخالي من أي وجود استعماري تجاه البلاد العربية. فعمل الألمان على بناء دعاية بدأت باستعمال قنصليتها بتونس، وشكلت تقارير القنصلية الألمانية في تونس مصدرا أساسيا للمعلومات من خلال ارسالها عدة تقارير حول الوضع العسكري والاقتصادي، فاهتمت بالمناطق الاستراتيجية مثل: قابس، صفاقس، سوسة، بنزرت، وتونس. وركزت التقارير أيضا على قدرات وتدريبات الجيش الفرنسي في تونس².

ومع تكاثف غيوم الحرب العالمية الثانية شرعت وزارة الدعاية الألمانية في مناقشة مشروع إنشاء محطة ناطقة باللغة العربية تبث من العاصمة برلين، وكلف شكيب أرسلان بالإشراف عليها والتي بدء إرسالها في 25 افريل 1939 عبر الموجة القصيرة التي مكنتها من الوصول إلى منطقة المغرب العربي، وتولى العراقي يونس بحري الإمساك بالميكرو فون لوحده، ومع تنامي متابعي المحطة في نشاطها وتزايد متابعتها البث، التحق المغربي تقي الدين الهلالي للعمل فيها، ثم انضم إليهما عبد الرحمن ياسين الذي أشرف على القسم الموجه للمغرب العرب³. وعرفت الدعاية الألمانية التي كانت تبث عبر الأثير والوسائل الدعائية الأخرى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:

تبدأ قبيل اندلاع الحرب إلى غاية الاحتلال الألماني لفرنسا في جوان 1940 حاولت خلالها إذاعة برلين كسب ود شعوب المغرب العربي من خلال العزف على نقاط ضعف السياسة الفرنسية في تونس لاستمالة التونسيين والاحتفال معهم بالمناسبات الدينية كالمولد

1. A.N.T, série F, C20, D4, SD, Rapport du directeur de sureté publique au secrétaire Général du gouvernement tunisien du 26/7/1939.

2. ليلي موسى، عمل الحزب الدستوري الجديد في خضم الدعاية الألمانية إفريقيا الفتاة مثلا (1 جانفي 6 ماي) 1942، جامعة منوبة، 2008-2009، ص 48-49.

3. يوسف بحري، المصدر السابق، ص 36-37: الأسعد الغرياني، المرجع السابق، ص 36-37.

النبوي الشريف، كما ركزت في دعايتها ضد اليهود من خلال عبارات معادية، وبثت حصص تحريضية موجهة للجنود التونسيين للعصيان على السلطة الفرنسية. داعيا للثورة وتحريض المغرب العربي¹.

المرحلة الثانية:

تمتد ما بين جوان 1940 ونوفمبر 1942، إذ سيطر الألمان على محطة راديو باريس مونديال (Paris Mondial) بعد هزيمة الفرنسيين، وأخذت تعمل لصالح الدعاية الألمانية، وقاموا بتجنيد بعض الصحفيين المغاربة للعمل بها كمنذيعين باللغة العربية واللهجات المحلية، وقد جاء في إحدى الحصص الناطقة بالعربية العبارة التالية: "من أجل إعادة الأمور إلى نصابها، فصوت المسلمين الذي عملت فرنسا على إخماده في إفريقيا الشمالية أصبح الآن من الممكن سماعه في باريس"². ولكن، الشعارات الرنانة التي كانت تطلقها الدعاية الألمانية، خالفها التقارب بين الألمان وحكومة فيشي³. مما أعطى هامشا لحكومة فيشي لتحرك، وتجميل صورة فرنسا في ظل حكمها، وعملت على مراقبة النشاط الإعلامي، الدعائي من: أفلام، أسطوانات، صور، معلقات، ومحاربة الأخبار الزائفة⁴. كما نشطت حكومة فيشي في مواجهة الدعاية لدول الحلفاء ولجنة لفرنسا الحرة⁵. وبناء عليه، فإن توقيع معاهدة الاستسلام بين فرنسا وألمانيا، أظهر كذب الدعاية الألمانية المروجة لفكرة دعم استقلال دول المغرب العربي، فسيطرة حكومة فيشي على تونس ووضعها لمخطط دعائي يبين الدعم الذي حظيت به من طرف الألمان محاولة منها التقليل من الدعاية المضادة التي تشنها القوى المعادية لها.

المرحلة الثالثة:

تبدأ من نزول الحلفاء في سواحل منطقة المغرب العربي في نوفمبر 1942 وصلت الدعاية الألمانية في هذه المرحلة لأوجها، خاصة مع دعوة الشيخ محمد الأمين الحسيني من خلال إذاعة برلين للمغاربة لمساعدة جيوش المحور. كما ضاعف يونس بحري من نشاطه الإذاعي، مثل: إعلان مواعيد كاذبة للقصف وفضح المذابح التي تعرض لها التونسيين الأوفياء لبيتان⁶. كما صدرت بتونس عدة صحف بعد دخول القوات الألمانية لتونس كجريدة تونس جورنال (Tunis Journal) التي صدر أول عدد منها في 16 نوفمبر 1942 و آخر عدد يوم 6 ماي 1943 ناطقة باسم الإقامة العامة في تونس ثم بعد 3 ديسمبر 1942 أصبحت يرأسها جورج

1. Charles Robert Ageron, op-cit, p.17-18.

2. Ibid, p 18-19.

3. Ibid, p 24.

4. I.S.H.M.N, Q O, B443, R 148, C1799, D1, Rapport d'Esteva à Vichy du 24/9/1940.

5. I.S.H.M.N, Q O, B443, C25, D1, Lettre d'Esteva a l'Amiral commandant de la marine du 28/10/1941.

6 ليلي موسى المرجع السابق، ص 135.

غليبو (Georges Guilbaud) ممثل وزارة الدعاية و الإعلام و تولى كلود مارتال (C.Martain) رئاسة تحريرها، علما أن الجريدة ناطقة باسم لجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا (CARNA) التي أسسها غليبو¹.

كما قامت ألمانيا بمساعدة عدد من قادة الحزب الدستوري الحر في تأسيس جريدة (إفريقيا الفتاة) التي صدر عددها الأول يوم 1 جانفي 1943 و صدر آخر عدد منها في يوم 6 ماي 1943، بلغت أعدادها الـ(9) عددا². وقد اشار تقرير استخباري فرنسي إلى الدعم الألماني للجريدة عندما أشار الى أن شقيق حسين التريكي (عامر) قد عاد من برلين وبحوزته دعم مالي ألمانيوزع على جريدتي (الشباب) و(تونس الفتاة)³. وهناك تقرير اخر يشير الى العديد من الأسماء التي اهتمت بالعمل ضد المصالح الفرنسية والتعاون مع الألمان والإيطاليين منهم: الحبيب ثامر، الطيب سليم، الرشيد ادريس، فريد بورقيبة، هادي سعدي، حسان التريكي، صلاح الدين بوشوشة، علي بن يوسف وآخرون، اغلهم محسوبون على الحزب الدستوري الجديد⁴.

خلاصة القول، أن الألمان خلال سيطرة قوات المحور وقوات حكومة فيشي العميلة لها على تونس، حاولوا كسب ثقة الشعب التونسي وقادة الحركة الوطنية التونسية والباي، فركزت على الجانب النفسي للتونسيين، ونقاط ضعف السياسة الفرنسية خاصة الأوضاع الاقتصادية والسياسية كمادة إعلامية خصبة تستطيع من خلالها الولوج لنفوس الأهالي التي عانت في ظل الظروف المعيشية الصعبة، مسخرتا لذلك مختلف الوسائل من محطات إذاعية، جواسيس، جرائد، المناشير المختلفة. لكن الدعاية الألمانية التي نادت بتحرر المغرب العربي قبل سقوط باريس وانقلابها على مواقفها الدعائية المؤيدة لتحررهم شكل نقطة فاصلة في نظر العديد من التونسيين وأثبتت كذب الدعاية الألمانية وزيفها مما زاد في نفورهم منها.

ثانيا: دعاية دول الحلفاء:

شكلت تونس بالنسبة للحلفاء مرتكزا عسكريا نظرا لموقعها، فقد أكد الأدميرال دارلان (Darlan) على الأهمية الكبيرة لتونس حين قال: "يجب علينا أن يكون المتوسط لنا، فالأطلسي وحدة لا يكفي". فقد اعتبر الفرنسيون تونس موقعا دفاعيا متقدما تستطيع من خلاله

1. ليلي موسى المرجع السابق، ص 123.

2. رشيد ادريس، المصدر السابق، ص 81.

3. ليلي موسى، المرجع السابق، ص 136.

4. للمزيد من التفاصيل ينظر:

A.N.T, M.N, C51, D3, une liste de personnes constitutionnelles accusées de traiter avec les Allemands, 1943.(الملحق رقم 6)

السيطرة على البحر المتوسط الغربي أمام أطماع المحور، بالإضافة للأهمية الاستراتيجية، فقد وفرت تونس المجندين للجيش الفرنسي، لذلك عملت فرنسا رفقة حلفائها على الحد من تأثير دعاية الفاشية والنازية تجاه الأهالي التونسية وطموحاتهم في المنطقة¹:

1. الرد الفرنسي على دعاية المحور قبيل الحرب:

عمدت سلطات الحماية الفرنسية في تونس منذ نهاية الثلاثينيات القرن الماضي إلى الاهتمام بضرورة توفر وسائل دعائية تكون قادرة على مواجهة أي نشاط معادي لها، وفي مقدمتها: المحطات الإذاعية مثل راديو كولونيال (Radio Colonial) الذي يبث برامجه من باريس-وهي تحت إشراف وزارة الخارجية الفرنسية²، وراديو باريس مونديال (Paris Mondial) بدأ البث في شهر جانفي 1938، وكانتا تبثان حصص باللغة العربية موجهة نحو شعوب المغرب العربي³. بالإضافة إلى هاتين الإذاعتين، شرعت فرنسا في فتح محطات أخرى مثل: راديو تونس البريدية سنة 1938⁴.

وقامت سلطات الحماية الفرنسية بجملة من الإجراءات الإدارية للحد من الدعاية الخارجية في تونس، منها: مراقبة الصحف المحلية والأجنبية التي توزع في تونس، حيث تم منع وتعطيل العديد من الصحف المحلية⁵. أما الصحف والمجلات الأجنبية-العربية والإيطالية-، فقد صدر أمر بمنع توزيعها مع بداية شهر مارس 1939، نذكر منها: جريدة الأمل القومي(دمشق)،الصحيفة الإيطالية (Il Matino Illustrato) وجريدة لونيوني(L'Unione) الإيطالية، كما تم منع الكتب بشتى أنواعها، إذا تضمنت نقدا للسياسة الفرنسية في تونس⁶. كما كثفت سلطات الحماية الفرنسية من عملية التشويش ضد المحطات الأجنبية التابعة لدول المحور مثل: محطة برلين وباري وطرابلس، لكن رغم ذلك لم تستطع فرنسا الحد من وصول تردد المحطات الأجنبية واستماع التونسيين لها، وذلك لعدم فعاليتها⁷.

1. I.S.H.M.N، Q O, B100, C660, D1, Télégramme du Résident Général au Ministre des Affaires Etrangères du 09/03/1938.

2. جاء اهتمام وزارة الخارجية الفرنسية بمسألة إطلاق إذاعة موجهة إلى منطقة المغرب العربي، لأنها شعرت بخطورة الدعاية الألمانية الموجهة إلى المنطقة. وكانت هي بمثابة محاولة للرد على الأخبار الزائفة التي تبثها المحطات المعادية حسبما تدعي. ينظر: الأسعد الغرياني، المرجع السابق، ص 64-65.

3. المرجع نفسه، ص 66.

4. جريدة الزهراء في: 1938/10/17.

5. Khaled Ahmed, op-cit, p579.

6. لأسعد الغرياني، المرجع السابق، ص 76.

7. Khaled Ahmed, op-cit, p629.

وأمام تأثير الدعاية الألمانية التي وجدت لها رواجاً في نفوس التونسيين، شعرت سلطات الحماية الفرنسية بخطورة ذلك، وهو ما دفعها إلى إرغام الباي على توقيع أمرية 7 فيفري 1940، تكملة للأمرية التي صدرت في 15 فيفري 1939، تنص على معاقبة ناشري الأخبار التي تؤثر على معنويات المواطنين والمجندين التونسيين¹.

من خلال ما سبق، نجد أن الدعاية الفرنسية المضادة لدعاية دول المحور على الرغم من تنوعها، لم تكن فعالة في وجه دعاية المحور التي سخرت جميع الوسائل التقنية المتطورة، مما دفع سلطات الحماية الفرنسية لاعتماد الأساليب القديمة من اعتقال وتعذيب للحصول على المعلومات.

2. الدعاية الأنجلو-ديغولية في تونس:

ولدت هزيمة فرنسا أمام ألمانيا واقعا دوليا جديدا، كانت له انعكاساته على الصعيد الداخلي والدولي، فعلى المستوى الداخلي ظهرت حكومة فيشي برئاسة المارشال بيتان الذي نادى بوقف القتال ووقع الهدنة مع الألمان، لكن رفض الوجود الألماني عجل بإعلان المقاومة وسارع الجنرال ديغول لتشكيل حكومة فرنسا الحرة الراضية للاحتلال الألماني، أما على المستوى الخارجي، فقد ضيققت اتفاقية الهدنة بين المارشال بيتان والألمان بشروطها السياسية والاقتصادية والعسكرية على تونس والمنطقة المغاربية فوضعت تحت رقابة لجنة الهدنة الإيطالية الألمانية. فكان من نتائج الواقع الجديد ظهور خلاف بين حلفاء الأمم تطور لقطيعة فظهر التحالف الإنكليزي-الديغولي الذي عمل على وضع دعاية لمواجهة الدعاية الألمانية والإيطالية في منطقة المغرب العربي خاصة في ظل إصرار إنكلترا على مواصلة الحرب².

كان لمعطيات الهزيمة الفرنسية نتائج جعلت من إنكلترا أكبر حليف للجنرال ديغول بل جعلت تشرشل يبارك إنشاء (اللجنة الوطنية الفرنسية) في لندن. وبعثت إنكلترا مبعوثين للقيادات العسكرية الفرنسية تحثهم على مواصلة الحرب وإدماج الأسطول الفرنسي مع القوات البريطانية، لكن تجاهل القيادة العسكرية الفرنسية لهذا الطلب دفعها لاستهداف السفن الفرنسية المرابطة بالمرسى الكبير في وهران في 3 جويلية 1940³.

تجدر الإشارة في البداية أن الدعاية الإنكليزية الموجهة نحو منطقة المغرب العربي عامة وتونس على وجه الخصوص لم تكن على درجة كبيرة من الأهمية إلى غاية صيف 1940، فلم تكن بتلك الكثافة الموجهة من طرف دول المحور. لكن بعد التوقيع على الهدنة الفرنسية

1. Khaled Ahmed, op-cit, p.630.

2. Levisse – Touzé Christine, op-cit, p. 68.

3. Ibid, p. 69.

الألمانية أواخر جوان 1940، كان عليها أن تبذل مجهودا دعائيا أكبر، لتحريض شعوب شمال إفريقيا على هذا التعاون من خلال التركيز على سلبيات دول المحور.

وخلال الفترة الممتدة ما بين احتلال ألمانيا لفرنسا إلى غاية نزول قوات الحلفاء بشمال إفريقيا 1942، جرت محاولات فرنسية لكسب المواليين للجنرال بيتان والتقليل من تأثير دعاية المحور الموجهة نحو الفرنسيين والأهالي التونسيين. فقد ساهمت الطائرات الإنكليزية بذلك من المناشير التي كانت تلقىها على المدن التونسية¹، والتي تدعو إلى رفض التعاون مع الفاشية والنازية. ومن المناشير التي ألقمتها الطائرات الإنكليزية منشور حمل عنوان (النصر الإنكليزي)، والذي أكد على الدور الذي تقوم به إنكلترا في التصدي للدعاية الألمانية والفاشية، كما بين الخطر الذي يهدد البلاد في ظل سيطرة المحور عليها، وأشارت إلى أن انتصار الحلفاء هو الحل الوحيد لبقاء البلاد تحت السيطرة الفرنسية، وغاب عن المنشور أي وعد بتحرير التونسيين².

عموما يمكننا القول، أن الدعاية الإنكليزية الديغولية بين جوان 1940 ونوفمبر 1942 ارتبطت مع بعضهما البعض، وجميع الوسائل الدعائية التي كانت عند لجنة فرنسا الحرة سخرت من طرف الإنكليز، لأن الهدف الدعائي كان واحدا، وقد ركزت على فضح أطماع دول المحور تجاه البلاد التونسية، كما بينت أن المطمع الاقتصادي كان سببا رئيسيا لسيطرة المحور على تونس. كما أن الغموض الذي ميز الدعاية الإنكليزية طيلة الفترة المذكورة، جعل التونسيين لا يولونها أهمية كبيرة نظرا لغياب الوعود الواضحة كالتحرير أو الاستقلال، ولأن أغلب محتوى الدعاية كانت تنادي بالتبعية لفرنسا إذا ما تحقق النصر للحلفاء³.

لكن الإنزال الأنجلو أمريكي على ساحل الجزائر في نوفمبر 1942، أعطى للدعاية المضادة للمحور في تونس فعالية أكبر، فقد كثفت إنكلترا دعايتها لكسب الرأي العام التونسي من خلال توضيح أسباب تدخل الحلفاء في المغرب العربي وذلك تمهيدا للسيطرة على تونس، اعتمادا على عدة وسائل منها: المحطات الإذاعية والمناشير. واعتمدت الإنكليز على محطة (BBC) التي كانت تبث برامجها باللغة العربية نحو المغرب العربي مرتين في اليوم، وتنوعت في

1. أُلقيت بتاريخ 21 سبتمبر 1940 منشورات عديدة باللغة الفرنسية على المدن الساحلية مثل صفاقس وتونس وبنزرت وسوسة وحملت عدة عناوين منها (رسالة مفتوحة من أحد جنود الجنرال ديغول) تميزت هذا المنشور بطابعه العسكري وريبت من الأعلى والأسفل بشرط يحمل الألوان الرئيسية للعلم الفرنسي وهي عبارة عن نداء موجه للجنود الفرنسية، يحثهم فيها على ضرورة عدم التعاون مع الألمان وحكومة بيتان. ينظر:

I.S.H.M.N, Q O, B444, C34, D1, Trac lancé par l'aviation anglaise sur les villes côtières de la Tunisie 21/09/1940.

2. الأسعد الغرياني، المرجع السابق، ص 96-97.

3. فريزر لندلي، المرجع السابق، ص 56.

بث الحصص على اللغة العربية الفصحى واللهجات المحلية المغاربية حتى تصل مقاصد الدعاية لأكبر عدد ممكن من سكان المنطقة¹.

لقد ركزت استراتيجية الدعاية الانكليزية على إعاقة أي تعاون بين الأهالي التونسيين وقوات المحور، عبر تكثيف إلقاء المنشورات باللغة العربية. فقد عمل سلاح الجو البريطاني والأمريكي على إلقاء المنشورات بشكل مكثف على العديد من المدن التونسية التي كانت تحت سيطرة قوات المحور. وهنا لا بد من الإشارة لدور (مصلحة الدعاية الإنكليزية بطنجة) الفعال في إعداد المناشير باللغة العربية ونسخها². وكان الغرض من دعاية الحلفاء بشكل عام تحذير التونسيين من دعاية دول المحور ومغالطاتها، ومذكرا التونسيين بالخطر الألمان للعراقيين عندما طلبوا مساعدتهم في عهد حكومة رشيد عالي الكيلاني، وجاء ذلك في منشور مبطن يحث الشعب التونسي على ضرورة التفكير قبل اختيار الجانب الذي سينحاز له، بالقول: "أهيا التونسيون افكروا هذا الدرس ... مؤكدة على بداية تغير موازين القوى لصالح سيطرة الحلفاء"³. وهكذا، عملت إنكلترا من خلال دعايتها على تحذير التونسيين من عواقب مساندتهم للألمان، فالإنكليز كانوا يعرفون من خلال جواسيسهم مخلفات السياسة الفرنسية السابقة وتأثيرها السلبي على ذهنية التونسيين، وهو دافع شجعهم على التعاطف مع الألمان ومما زاد في ذلك العداء للحلفاء عمليات القصف التي كانت تحدث على القرى والمدن التونسية كتونس والقيروان، وتأثير الدعاية الألمانية من خلال راديو برلين التي سعت لإثارة المجندين المسلمين، وتوضيح خداع الدعاية الديغولية ممثلة في اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني (F.L.N.C)⁴.

لذلك عملت إنكلترا لعقد مؤتمر بين (7-10 أوت 1943) لتنظيم الدعاية الموجهة لشمال إفريقيا، وقد ركز الحاضرون على ضرورة التعاون من خلال تسخير جميع الإمكانيات المتاحة لتحقيق الهدف وهو القضاء على تواجد المحور بشمال إفريقيا، وبعد السيطرة على تونس عمدت سلطات الحماية الفرنسية لإنشاء لجنة الدعاية الفرنسية بتونس في (12 ديسمبر 1944) والتي كان الهدف من إنشائها الحرص على خدمة الوجود الفرنسي بتونس، وكسب ثقة التونسيين التي تأثرت كثيرا بدعاية المحور⁵.

كما عملت الدعاية الأمريكية على كسب التونسيين لجانبها، ففي تقرير اسبوعي في 16 جويلية 1943، تمت الإشارة لحدوث لقاء في 11 من نفس الشهر بحضور ضابط إنجليزي والضابط الأمريكي السيد دوليتل (Doolittle.M) وشخصيات تونسية في سيدي بوسعيد

1. عبد المجيد الجمل، المرجع السابق، ص 14.

2. Chérif Faycal, La Tunisie dans la seconde guerre mondiale (impacts et attitudes), (Avril 1938-mai 1943), thèse de doctorat, université de paris sorbonne, 2001, p 399.

3. Ibid, p. 397.

4. الأسعد الغرياني، المرجع السابق، ص 159.

5. المرجع نفسه، ص 161.

القي خلالها كلمة جاء فيها مايلي: " نظرا للتحويلات التي طرأت على السياسة في تونس، الكولونيل روزفلت أعلن، أنه عند قدومه لتونس أحب فرنسا أكثر من وطني، لكن منذ وجودي هنا، كرهتها بسبب السياسة السيئة داخل البلاد"¹.

لم تخرج الدعاية الإنجليزية والديغولية وحتى الأمريكية عن محاولات طمس ما اكتسبته من وعي الوطني، رغم ما جاء في التقارير المختلفة حول الدعاية الأمريكية ومحاولتها التلبيين من سياستها تجاه التونسيين، ففي تقرير من للجنرال كاترو لمفوض الشؤون الخارجية بتونس أقر فيه بالأهداف الحقيقية لفرنسا من محاولة تنظيم الدعاية في شمال إفريقيا، وأشار إلى ضرورة تخفيف الضغط السياسي المسلط على النشاط السياسي للتونسيين خلال الحرب العالمية الثانية. ومن هنا تتضح السياسة الدعائية المضادة الفرنسية ونواياها، ويمكن القول إن الدعاية جاءت لاسترجاع هيبة فرنسا في المنطقة المغاربية عامة وتونس بوجه خاص وللقضاء على تأثير الدعاية الألمانية والإيطالية وما خلفته في نفوس التونسيين².

لقد اعتمدت إنكلترا وحلفائها أسلوبا الوعيد في المنشورات والبعث الإذاعي من خلال راديو (BBC)، وبلغة عربية بسيطة سهلة الفهم حتى تكون مقروءة من قبل عامة التونسيين، وركزوا على قوة الحلفاء وقدرتهم على النيل من قوات المحور وطردهم من تونس مثلما حدث في الجزائر والمغرب، هذا وركزت على مطالبة التونسيين بتقديم المساندة حتى يتمكن الحلفاء من طرد المحور من خلال عدم دعم الألمان والإيطاليين وإعلان العصيان ضدهم وهو نفس أسلوب المحور في الدعاية تقريبا.

1. حضر الاجتماع ضابط انجليزي وأمريكي من نفس الرتبة، وقد تراجع الضابط الأمريكي من خلال رسالة لزوجته عن سحب كل كلام جيد عن فرنسا وتراجعت عن كل كلام سيء عن العرب، للمزيد من التفاصيل ينظر:

A.N.T, M.N, C43, D1, Note du propagande américaine n= 1093, de 17/7/1943.
2.IBID, p2.

المبحث الثالث: نشاط الحركة الوطنية التونسية اثناء سيطرة حكومة فوشي (1940-1943)

مثلت الحرب العالمية الثانية دافعا للحركة الوطنية التونسية لبروز نشاطها، رغم ما تعرضت له من مضايقات بعد أحداث 8 أبريل 1938 فاعتقل زعمائها وتم التضيق على نشاطها، لكن بعد انهزام فرنسا مع بداية الحرب وعقد اتفاقية الهدنة مع الألمان ظهر ضعف فرنسا الاستعمارية من جهة و أحدث تصدعا داخل المجتمع الفرنسي بين المواليين لسياسة التعاون مع الألمان التي أقرها المارشال بيتان و دعاة المقاومة المواليين للجنرال ديغول ، والمؤكد أن حالة الاضطهاد التي سارت عليها مختلف السلطات لم تثني قادة الحركة الوطنية التونسية خاصة الحركة الدستورية عن العمل الوطني فتوخت السرية تجنبا للملاحقة و المتابعة الفرنسية وشرعت في تكوين منذ 1938 خلايا مهمتها القيام بأعمال تخريبية للضغط على سلطات الحماية الفرنسية .

اولا: النضال السري للحزب الدستوري الجديد:

مر الحزب الدستوري الحزبمراحل تنوعت بين النضال السري المسلح التي حاول من خلاله مناضلوه مقاومة سياسة سلطات الحماية الفرنسية القمعية منذ أبريل 1938، والنضال السياسي الذي جاء بعد سيطرة الالمان على تونس وإطلاقهم سراح جميع المعتقلين السياسيين، وسنحاول التطرق لنشاط الحزب الدستوري الجديد من خلال التفصيل في كل مرحلة:

1. حركة المقاومة السرية:

ترجع بداية المقاومة التونسية إلى أحداث 9 أبريل 1938 على إثر فشل المفاوضات بين بورقيبة والحكومة الفرنسية، وقد عبر الحبيب بورقيبة في تصريح له في نوفمبر عام 1937 بما يلي: "إن حزبنا يسعى لتحرير التونسيين بمساعدة فرنسا ضد الأقلية من الإقطاعيين الفرنسيين والرجعيين التونسيين المتمسكين بالخرافات القديمة، فكلاهما متعصب مثل الآخر، ولكي نحقق هذا يجب أن نوحى بالثقة لفرنسا ولأكبر عدد ممكن من الفرنسيين، ومن جهة أخرى يمكن بفضل المقاومة عرقلة كل سياسة تهدف إلى الظلم والاستغلال والدكتاتورية"¹.

بدأت اضطرابات 1938 بتجمهر الطلبة حول دار المحافظة بتونس للمطالبة باطلاق سراح المعتقلين من قبل سلطات الحماية الفرنسية، منادين بشعارات مطالبة ببرلمان تونسي وحكومة وطنية، قوبل هذا التجمع بإجراءات قمعية من قبل الفرنسيين سقط على أثرها (22

1.Bourguiba Habib, La Tunisie et la France 25 ans du lutte pour une coopération libre, Editions Julliard, paris, 1954, p251.

شهيدا و150 جريحا)¹. كما فرضت حالة الطوارئ وتم اعتقال زعماء الحزب الدستوري الجديد وعلى رأسهم الحبيب بورقيبة والمنجي سليم وأحيل زعماء الحزب للمحاكمة العسكرية بعدة تهم². وتلا ذلك، إصدار مرسوم بتاريخ 1 أفريل 1938 بحل الحزب الدستوري الجديد، ولم يتم اجراء المحاكمة لقادة الحزب بل نقلوا إلى سجن قريب من مدينة مرسيليا³. واستمرت عملية الاعتقالات بين صفوف أعضاء الحزب الدستوري الجديد، وبلغ عددهم (3000) معتقل، وقدم الكثير منهم إلى القضاء العسكري بتهم مختلفة، منها: إصاق مناشير تحريضية على الجدران ضد الفرنسيين⁴.

حاول من بقي من قيادات الحزب الدستوري الجديد تدارك الوضع وحالة الفراغ في القيادة، وبدا العمل بشكل سري تشكيل الديوان السياسي الخامس في منتصف عام 1939، وكان رئاسة الباهي الأدغم ومن أهم أعضائه الهادي خفشه والهادي سعدي⁵. وقد ساهم هذا الأخير في تكوين لجنة سرية تتولى تنشيط الدعاية الوطنية عبر توزيع المناشير لتحريض الشعب على القيام بأعمال تخريبية والمطالبة بالإفراج عن المساجين السياسيين. وتجسيدا لطرورات الديوان السياسي الخامس كون مجموعة من أعضاء الحزب (لجنة المقاومة) في منتصف عام 1939 بقيادة البشير زرق العيون⁶. فأصبح لها فروع في

1. خليفة الشاطروأخرون، المرجع السابق، ص 112-113.

2. من التهم التي وجهتها المحكمة العسكرية: العمل ضد قوانين الحكومة الفرنسية والتونسية؛ والعمل على اختراق المنظومة الداخلية للدولة الفرنسية؛ وتهمة تتعلق بالشروع في جرائم قتل؛ والاستفزاز بغرض تحويل السندات العسكرية؛ واثارت الشعب التونسي ضد قوانين المقيم العام في تونس؛ للمزيد من التفاصيل ينظر:

A.N.T, M.N, C65, D1, Note Récapitulative sur le procès des du NEO-DESTUR, Document non daté.

3. للمزيد من التفاصيل ينظر:

A.N.T, M.N, C65, D1, Note Récapitulative sur le procès des du NEO-DESTUR, Document non daté.

4.A.N.T, M.N, C65, D1, Acte d'accusation art N 69 du code de justice Militaire, le 24/8/1938.

5. ولد الهادي الأسعد سنة 1903 بتونس، تميز بنضاله في الحزب الدستوري الجديد الحر، وكان من مؤسسي الديوان السياسي الخامس، ترأس تحرير جريدة (كل شيء بالمكشوف) وهو صاحب مطبعة الإتحاد، هاجر لمصر هروبا من الإعدام وتوفي هناك في ديسمبر 1947. ينظر: محمد حمدان، أعلام الإعلام في تونس، مركز التوثيق التونسي، ط1، تونس، 1989، ص 199.

6. البشير زرق العيون هو البشير بن ابراهيم بن سليمان المعروف بالبشير زرق العيون، ولد يوم 3 جانفي 1912 بمدون بجزيرة جربة، تاجر بباب الفلة، سجن بعد أحداث أفريل 1938 لمدة سنة، ليعود للعمل السياسي السري بتوصية من بورقيبة لتكوين حركة المقاومة. ينظر: ليلي موسى، المرجع السابق، ص 88.

عدد من الجهات، وشنّت العديد من العمليات الفدائية¹. استهدفت عمليات المقاومة بمدينة تونس عدة منشآت منها: إشعال الحرائق في محافظة الشرطة بشوارع باريس، ومدرسة حكومية لأبناء المستوطنين، مستودعات قضبان الهاتف التابعة لإدارة البريد، مستودع أقمشة يملكها أحد التجار اليهود، قطع المواصلات بين تونس وحلق الوادي والمرسى، مركز الطيران العسكري بالعينات وزغوان، نسف خزائن الكهرباء بباب سعدون بواسطة الديناميت، وفي جهة بنزرت قامت المقاومة بحرق مزرعتين لمستوطنين أوروبيين، قطع مستمر و يومي للمواصلات على الطرق المادية للمدينة، أما في جهة صفاقس فهاجم المقاومون الكثير من البنايات التابعة للبلديات، وأتلفوا لوحات الإرشاد في الطرقات و إشعال الحرائق². وأكد تقرير سري فرنسي بتاريخ 31 جانفي 1940 ذلك، بالقول: "أن الحزب الدستوري الجديد كان يقوم منذ أشهر بعمليات مقاومة تمثلت في قطع خطوط الاتصالات البرقية والهاتفية والأعمدة الكهربائية وتكسير الأعمدة العازلة"، كما اشار الى بعث مراسلة إلى برلين بتاريخ 25 أوت 1939 قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية، بشأن دعم نشاط وعمليات المقاومة في مختلف المناطق التونسية³.

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية في سبتمبر 1939 شهد نشاط المقاومة بهدوء نسبي في ظل: إعلان حالة الحصار لتونس، فرض حالة الطوارئ، عثور مصلحة البريد على رسالة للجنة المقاومة في ماي 1939 تحمل ختم اللجنة وتأشيرة الإدارة المركزية للحزب الدستوري الجديد، كان ذلك دليلا على تورط الحزب في الأعمال التخريبية، مثلما أطلق عليها سلطات الحماية الفرنسية، كل هذه الأسباب جعلت عمليات المقاومة تتراجع حدتها مقارنة بالسابق⁴. لكن نشاط المقاومة عاد للبروز مجددا مع بداية شهر أكتوبر 1939، حيث أشارت عدة تقارير للشرطة إلى قطع ما يقارب من 200 سلك من خطوط الهاتف والبرقية. هذا وسجل أحد التقارير عمليات جريئة تمثلت في استهداف خطوط السكة الحديدية من خلال وضع الصخور وقضبان معدنية على السكة لإعاقة تحرك القطارات. والقيام بتعليق المنشورات التي تحوي شتائم لفرنسا ودعوة للتونسيين لمواصلة الكفاح من أجل تحرير بلادهم⁵.

1. Kraiem Mustapha, La classe ouvrière tunisienne et la lutte de la libération nationale (1939-1952), imp. U.G.T.T, Tunis, 1980, pp 36-64.

2. علي الزاوي، المرجع السابق، ص 487.

3. المرجع نفسه، ص 486.

4. تاريخ الحركة الوطنية التونسية، الحزب الدستوري الجديد في مواجهة المحنة الثانية (1938-1943) خمس سنوات من المقاومة، وثائق 9، جمع وتحقيق: محمد الصباح، نشر وزارة الإعلام، تونس، 1983، ص 227-228.

5. المصدر نفسه، ص 230

قسمت الشرطة الفرنسية من خلال تقريرها الصادر بتاريخ 5 نوفمبر 1939 مناضلي الحزب الدستوري الجديد في تونس العاصمة لثلاثة فرق أساسية هي:

أ. الفرقة الأولى: يديرها الهادي سعدي، تتكون من قدماء الحزب المكلفين بالدعاية، وهم لا يرتزقون إلا من نشاطهم في الحزب.

ب. الفرقة الثانية: تتكون من أفراد (جمعية الشبان المسلمين) والتي ضمت عددا كبيرا من طلبة الزيتونة أمثال محمد الصادق بسيس، يوسف بن عاشور الرشيد إدريس. وبعضهم من طلبة المعاهد الثانوية.

ج. الفرقة الثالثة: مكون من مجموعة من الطلبة أطلق عليهم (فرقة الجهاد) يقودهم الأخوان مصطفى وأحمد الخبثاني ومحمد المرزوقي، التابعي الأخنش، وعزوز الرباعي، وجميعهم من الزيتونيين.

استنتاج من خلال ما ورد في التقارير أن شرطة الحماية الفرنسية كانت على إطلاع بما يقوم به الديوان السياسي الخامس وجناحها المسلح من عمليات تخريبية، ودليل ذلك تصنيف مناضلي الحزب الدستوري الحر الجديد إلى فرق تراوحت بين الدعائية، جمعية الشبان المسلمين، المناضلين ذو التوجه الجهادي المسلح.

لذلك شكلت الشرطة الفرنسية فرقا خاصة لمراقبة تحركات قادة الحزب الدستوري الجديد، ففي تقرير أممي عن الحبيب ثامر في 10 نوفمبر 1939 أكد وجود اتصالات يومية بينه وبين القيادات الدستورية، وأشار التقرير أن ثامر كان يسهر كل يوم لساعات متأخرة في مقهى (باب البحر) مع كل من الطيب سليم والمحامي الهادي خفشه ومحمد الباهي الأدغم، وأفاد التقرير بمن كانوا يزودون الحكيم ثامر بالمعلومات في عيادته بنهج باب سوقة رقم 175 وهوياتهم، منهم الهادي السعدي والتابعي الأخنش بالإضافة لإعداد كبيرة من الدستوريين¹.

شكلت عمليات الرقابة والملاحقة التي قامت بها مصالح الشرطة الفرنسية والدرك دورا في اكتشاف أعضاء الديوان السياسي الخامس ومراسليه داخل تونس في نوفمبر 1939. كما ألقت القبض على المسؤولين عن (لجنة المقاومة) خلال شهر جانفي من سنة 1940. فقد كان عدد الموقوفين في الديوان السياسي الخامس (14) فردا، وجهت لهم تهمة: الاعتداء على أمن الدولة، حث المجندين التونسيين على العصيان، النشاط السياسي في وسط منظمة منحلة،² بينهم كل من الهادي السعدي، احمد الخبثاني، حسونة القروي، مبروك عبد

1. سلسلة تاريخ الحركة الوطنية التونسية، الحزب الدستوري الجديد في مواجهة المحنة الثانية (1938-1943) خمس سنوات من المقاومة، وثائق 9، جمع وتحقيق: محمد الصباح، وزارة الإعلام، تونس، 1983، ص 227-230.

2. المصدر نفسه، ص 230-231.

الصمد ومحمد بن عثمان بن ناصر الورتاني. وجه المعتقلون للمحكمة العسكرية بتونس يوم 14 فيفري 1940 وأصدرت أحكام تراوحت بين (20-25) سنة سجنًا مع الأعمال الشاقة¹. أما بالنسبة لسجناء لجنة المقاومة، فقد بلغ عددهم (11) عضوا وجهت لهم تهمة تتمثل في: الخيانة، المشاركة في أعمال تخريبية، عدم إعلام السلطات بمرتكبيها، وبعد عرضهم على المحكمة العسكرية الفرنسية بتونس صدرت أحكام بتاريخ 24 جويلية 1940 على كل من الهادي سعدي، يوسف بن عاشور، محمد العيد الجباري. فحاكمت على الأول بالإعدام وخفضت الحكم فيما بعد للإعمال الشاقة مدى الحياة بأمر من الجنرال بيتان في 9 جانفي 1941 أما الآخرين فأطلق صراحهما². وفي ظل اكتشاف الديوان السياسي الخامس وبعض عناصر لجنة المقاومة، والمحاكمات العسكرية التي طالتهم، نجى الحبيب ثامر من الاعتقال بسبب موقف الهادي السعدي ونكران المناضلين المعتقلين معه. فلم ينتظر طويلا حتى جمع من حوله كل من الطيب سليم، الرشيد إدريس، الفرجاني بن الحاج عمر، جلوي فارس، صلاح الدين بوشوشة، عمار الدخلاوي، محمد بن حمودة، إبراهيم بن حميدة، وتكون الديوان السياسي السادس بعد اجتماع يوم 29 ديسمبر 1939 في صيدلية محمد بن حمودة وعبادة ثامر³.

وعرفت الأشهر الأولى من سنة 1940 هدوءا نسبيا بسبب ظروف الحرب، محاولة من أعضاء الديوان السياسي السادس ولجنة المقاومة التقاط الأنفاس لتنظيم البيت من الداخل، فانخفضت وتيرة أعمال المقاومة، لاسيما في ظروف ارتفاع وتيرة الاعتقالات، بسبب فرض حالة الطوارئ خصوصا وان الأوامر كانت مشددة للشرطة والأجهزة الأمنية الأخر بضرورة متابعة المتورطين في عمليات التخريب، وهذا شكل ضغطا على المقاومة ظل وتيرة العمليات العسكرية⁴.

إن أحداث 9 أفريل 1938 ظلت عالقة في أذهان الوطنيين التونسيين، فقد بقوا متحفظين على ما يحدث، خاصة أمام القضاء على وسائل الدعاية كالصحافة وقطع الاتصال مع المشرق العربي وبقيّة أقطار شمال إفريقيا، يضاف إلى صعوبة التواصل بين الوطنيين في الداخل بسبب الحصار المطبق من طرف أجهزة الشرطة التابعة لسلطات الحماية الفرنسية فشرعوا في اعتماد أسلوب جديد (الدعاية الشفوية).

1. سلسلة تاريخ الحركة الوطنية التونسية، الحزب الدستوري الجديد في مواجهة المحنة الثانية (1938-1943) خمس سنوات من المقاومة، وثائق 8، جمع وتحقيق محمد الصباح، نشر وزارة الإعلام، تونس، 1983، ص 56.

2. Kraiem Mustapham, op-cit, p65.

3. Ibid, p67.

4. Ibid, p64.

ما يمكن استنتاجه أنه رغم ما لحق بالحركة الوطنية التونسية خلال نشاطها السري من كشف للديوان السياسي الخامس وتفكيك لبعض خلايا لجنة المقاومة، لم تستطع سلطات الحماية الفرنسية القضاء على المقاومة نتيجة قناعة راسخة عند الوطنيين التونسيين كان لها امتداد تاريخي بداية من فرض الحماية إل غاية انطلاق انتفاضة أفريل 1938.

بينت التطورات السريعة للأوضاع الدولية وهزيمة فرنسا المفاجئة، والتوقيع على الهدنة¹ مع ألمانيا وإيطاليا، ضعيف فرنسا وعدم قدرتها على حماية نفسها، ففتح الوضع الجديد الباب للحركة الوطنية التونسية لممارسة نشاطها بكل حرية. فمثلا شهدت منطقة دقاش في أول نوفمبر 1940 احتجاجات بسبب إلقاء القبض على كل من موسى الرويسي والحاج عبد الله، والبشير بن رابح القاطن بتوزر، بموجب قرار صادر عن الجنرال القائد الأعلى للجيش الفرنسي بتونس، وفرض الإقامة الجبرية عليهم بالكاف، رد عليه بعقد اجتماعات سرية وخروج مسيرات في القرية ضمت مئات التونسيين².

بعد القمع الذي طال أعضاء الديوان السياسي السادس على رأسهم الحبيب ثامر بعد اكتشاف امره من طرف الشرطة، شرع كل من الرشيد إدريس ويوسف بن عاشور وصالح الدين بوشاشة في تشكيل الديوان السياسي السابع للحزب الدستوري الجديد ومنظمة (اليد السوداء)، استمر عمل هذه القيادة ستة أشهر قبل اعتقالهم في شهر 1940. وزع خلالها الديوان السياسي العديد من المنشورات كان أبرزها منشور بمناسبة فرض الحماية على تونس، جاء فيه: " أن فرنسا قد منيت بأفطع هزيمة في تاريخها ولم يعد لها مبرر لوجودها في تونس"³.

وفي مطلع سنة 1941 أرسل الحبيب بورقيبة من السجن رسالة يطلب من قادة الحزب الذين لا زالوا أحرارا تنظيم مظاهرات، سعيا لتأجيل محاكمته حسب القانون الفرنسي. لكن الظروف التي كان يعانيها أعضاء الديوان السياسي السادس في جانفي 1941 بعد اعتقال كل

1. وقعت اتفاقية الهدنة بين فرنسا وألمانيا في 22 جوان 1940، ومن جهة أخرى مع إيطاليا يوم 24 جوان 1940 بروما، أصبحت بمقتضاها فرنسا تحت الشروط الألمانية الإيطالية، وأصبحت المستعمرات في شمال إفريقيا تحت حضور مباشر للجان تفرعت عنها لجنتي (Weissbaden) وتوران (Turin) وبمقتضى الاتفاق وصلت لجان الهدنة إلى البلاد التونسية منذ بداية شهر أوت 1940 لمراقبة تطبيق قرارات الهدنة. للمزيد من التفاصيل ينظر: ليلي موسى، المرجع السابق، ص 90.

2. الدستوري الجديد في مواجهة المحنة الثانية (1938-1943) خمس سنوات من المقاومة، سلسلة تاريخ الحركة الوطنية التونسية، وثائق 8، جمع وتحقيق محمد الصباح، نشر وزارة الإعلام، تونس، 1983، ص 24-21.

3. Driss Rachid, op-cit, p87.

من الحبيب ثامر وطيب سليم ومحاكمتهم¹. حالت دون تنظيم مظاهرات يكون لها تأثير. فقد تطوع محمد شرشور لقيادة المظاهرات يوم 18 ماي 1941 على الساعة السابعة عصرا، وفي طريقهم للإقامة العامة الفرنسية ألقى عليه القبض من طرف الشرطة رفقة 18 متظاهرا، وأحيلوا إلى المحكمة العسكرية فأصدرت في حقهم احكام ثلاث سنوات وثلاثة أشهر سجننا مع التأجيل وغرامات مالية تراوحت بين 50 و200 فرنك².

بالإضافة للجان المقاومة التابعة للحزب الدستوري الجديد أسس حسين التريكي منظمة (اليد السوداء) التابعة للديوان السياسي السابع، التي قامت بعدة عمليات مثل: إضرام النيران في مخازن الحلفاء بميناء حلق الواد الموجود قرب محطة توليد الكهرباء مساء 17 ماي 1941، حاولت نسف مكتب البريد الكائن في نهج روستان (Roustan)، إشعال النار في مصنع الكحول في سيدي فتح الله، وضمت المنظمة 11 عنصرا لم يكن يعرف أحدهم الآخر³، كانت أعمال التخريب تتم بالتوازي مع توزيع المناشير، ففي 20 ماي 1941 علق منشور عنوانه (اليد السوداء) من خلاله تم الإعلان عن تأسيس منظمة ثورية لمقاومة الاستعمار الفرنسي بكافة الوسائل معتمدة خاصة على حرب العصابات⁴. تم اعتقال التريكي ومجموعته بعد القبض على بلحسن جراد وابن عاشور الذين عملوا في توزيع المنشورات، وأصدر في حقه المحكمة العسكرية حكما ب 15 سنة سجننا مع الأعمال الشاقة⁵.

ما يمكن استنتاجه أنه رغم الأعمال القمعية التي تعرضت لها الوطنيون التونسيون من خلال احكام بالسجن والنفي والأعمال الشاقة، فإن نشاط المقاومة السري المعادي للاستعمار الفرنسي لم تتوقف، فقد استمر في مدينة تونس وباقي المدن التونسية.

1. أحيل جميع معتقي الديوان السياسي السادس للمحكمة العسكرية الفرنسية بتونس، التي أصدرت بحقهم في فيفري 1942 أحكاما تتراوح بين العامين سجننا و20 سنة سجننا مع الأشغال الشاقة. أضيفت إليها عقوبات بتجبير الإقامة لمدة عشرين عاما وخطايا تتراوح من 500 إلى 3000 فرنك مع مصادرة مكاسب أملاكهم. ينظر: سلسلة تاريخ الحركة الوطنية التونسية، الدستوري الجديد في مواجهة المحنة الثانية (1938-1943) خمس سنوات من المقاومة، وثائق 8، جمع وتحقيق محمد الصباح، نشر وزارة الإعلام، تونس، 1983، ص 125-126.

2. علي الزايدي، المرجع السابق، ص 495.

3. خالد عبيد وآخرون، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية (1881-1964)، ط1، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية بمنوبة، تونس، 2008، ص 111.

4. سلسلة تاريخ الحركة الوطنية التونسية، الدستوري الجديد في مواجهة المحنة الثانية (1938-1943) خمس سنوات من المقاومة، وثائق 8، جمع وتحقيق محمد الصباح، نشر وزارة الإعلام، تونس، 1983، ص 161.

5. علي الزايدي، المرجع السابق، ص 498.

2. العمل السياسي للحزب الدستوري الجديد في ظل الوجود الألماني:

بعد التطرق في العنصر السابق للتطورات التي عرفها الحزب الدستوري الجديد منذ حوادث أبريل 1938 من تشكيل للدواوين السياسية (الخامس، السادس، السابع) و دورها في بعث لجنة المقاومة التي شكلت عملياتها وسيلة ضغط على سلطات الحماية الفرنسية لإطلاق القادة الدستوريين المعتقلين، لابد من الإشارة للمواقف الرسمية من أطراف الصراع الدولي القائم، فعند اندلاع الحرب العالمية الثانية كان أغلب زعماء الحزب الدستوري في السجن، إذ نقل الحبيب بورقيبة إلى سجن سان نيكولا في مدينة مرسيليا، هناك تواصل معه العديد من النازيين الفاشيين والديغوليين في محاولة لاستمالته. منهم الطالب التونسي خميس الشامخ، ناقلا رسالة من الألمان تحثه على التعاون معهم مقابل إطلاق المعتقلين السياسيين، لكن بورقيبة أبدى رفضه رغم تدخل سليمان بن سليمان محاولا الاستفادة من الموقف¹. وعلى الرغم من محاولات اغراء الحبيب بورقيبة، فقد ظل متمسكا برأيه محذرا الوطنيين من عواقب التأثير بالدعاية الألمانية، وزاد تمسك بورقيبة بموقفه بعد فشل ألمانيا في معركة الهادفة للسيطرة على لندن، إذ كان موقفه ثابتا مناصرا للحلفاء بالرغم من الإغراءات الألمانية².

ساهم الحبيب بورقيبة من داخل سجنه في توجيه رسائل تحذير للمناضلين خاصة من الحزب الحر الدستوري الجديد، فقد كان قلق من تزايد الميول للألمان في صفوفهم وأبدى تخوفه من أن ينساق بعض من هم داخل البلاد وراء الدعاية الألمانية، ويرهن مصير البلاد في ظل الصراع الدولي. فأرسل بورقيبة رسالة إلى زعيم النضال السري الحبيب ثامر في 8 أوت 1942 مع زوجته (ماتيلد) التي زارته في حصن سان نيكولا³. إن دراسة معمقة لفحوى الرسائل، تبين قدرة بورقيبة على الإمام بالأوضاع السياسية والعسكرية التي أصبح عليها العالم، وقدرته الفائقة على توقع انتصار قوات الحلفاء. ونادى بمقاومة الدعاية النازية والفاشية، وحث التونسيين على الوقوف في صف دول الحلفاء. كما طالب قادة حزبه بضرورة صد ذلك التعاطف المتزايد للتونسيين مع المحور. وللاتصال بأنصار فرنسا الحرة من الإنجليز والأمريكيين⁴.

1.Sliman Ben Sliman, Souvenirs politique, Cérés Productions, Tunis, 1989, p160.

2. Sliman Ben Sliman, op-cit, p 157-158.

3. للاطلاع على نص الرسالة التي وجهها الحبيب بورقيبة ينظر:

A.N.T, M.N, C65, D1, Lettre d'Habib Bourguiba a Habib Tamer, 08/06/1942.

(الملحق رقم 7)

4. Khaled Ahmed, op-cit, p95.

ومنذ تولي المنصف باي عرش تونس في 19 جوان 1942 سعى لإطلاق سراح المعتقلين السياسيين التونسيين من السجون داخل تونس وخارجها بما فيهم قادة الحزب الدستوري الحر الجديد، لكن الأدميرال بيار استيفا لم يلبي هذا الطلب. فحسب شهادة كل من حسين التريكي، الرشيد إدريس، وعبد الحفيظ حداد، الذين يؤكدون أن الفضل يعود للألمان في إطلاق سراحهم ممثلاً في الرائد بيزنار (Beisner)، ويذكر محمد الشاذلي النيفر ذلك بقوله: " زارني بيزنار بقصر بارنار في بيتي وأخبرني بأن الحكومة الألمانية قررت الإفراج عن جميع المساجين السياسيين التونسيين وبالطبع كان من بينهم الدكتور الحبيب ثامر. ولما اجتمعت به إثر إطلاق سراحه أعلمني بأن المقيم العام الأدميرال بيار استيفا قد ادعى هو الذي قرر الإفراج عن المساجين التونسيين فقلت له هذا غير صحيح إن السلطة الألمانية هي التي اتخذت ذلك القرار، وبعد يومين أكد لي الدكتور ثامر هذا الخبر"¹.

ومن خلال اطلاعي على بعض الوثائق الموجودة في الأرشيف الوطني التونسي، أكدت وثائق متعددة وجود عفو عام على قادة ومناضلي الحزب الدستوري الجديد الموجودين في السجون داخل وخارج تونس من طرف المارشال بيتان على سبيل المثال الوثيقة الصادرة بتاريخ 1 ديسمبر 1942 التي تحتوي على قائمة من المعفى عنهم من طرف المارشال بيتان من بينهم حسين بن محمد بن حسين التريكي، الحاج بن محمد بن بوبكر بن حمادي وغيرهم². فقد خرج معتقلو مرسيليا في 18 نوفمبر 1942، سلموا بعدها للسلطات الإيطالية التي نقلتهم إلى روما أملاً لجعلهم دعاة لفائدتها استقر الحبيب بورقيبة في قصر (فيورنتينا)، وفي أثناء تفاوضه وضع شرطاً للتفاهم مع روما وهو استقلال تونس، وفتح مشاورات لتحديد طبيعة المشاركة التونسية في الحرب³، وفي 6 أبريل 1943 جه خطاباً عبر راديو روما الذي حذر فيه من المطامع الأجنبية، مع ضرورة التوحد وعدم نسيان الواجب الوطني تجاه الأمة التونسية، منها للإغراءات التي يواجهها الفرد وحذر الشعب التونسي من الميل إلى اعتبار ان عصر الكفاح قد انتهى داعياً لشحن الهمم والاستعداد لمواجهة العواصف القادمة⁴.

في ظل الظروف الحرجة التي تمر بها المنطقة عامة وتونس بوجه خاص، وسيطرة القوات الألمانية التي سيطرة على تونس عسكرياً بسبب ما شكله الإنزال الأنجلو سكسوني

1. محمد الشاذلي النيفر، ذكرى صديقي المرحوم الحبيب ثامر، المجلة الصادقية، ع 12، جانفي 1999، ص 21.

2. ضمت الوثيقة قائمة طويلة بمجموعة من الأشخاص الذين تم العفو عنهم من طرف المارشال بيتان للمزيد من التفاصيل ينظر:

A.N.T, M.N, C51, D3, Etat Des détenus Destourien gracié par les Maréchal de France le 01/12/1942. (ملحق رقم 8)

3. احمد القصاب، المرجع السابق، ص 592.

4.A.N.T, M.N, C51, D1, Discours d'Habib Bourguiba a Radio Bari, 06/04/1943.

بشمال إفريقيا (المغرب الأقصى - تونس) في 8 نوفمبر 1942. فوجد السياسيون أنفسهم أمام ثلاثة خيارات: الأول تطبيق تعليمات بورقيبة؛ أما الثاني انتظار نهاية الحرب لعودة العمل السياسي مثلما قرر الشيخ عبد العزيز الثعالبي. بينما كان الخيار الثالث: الاستفادة من الوضع الجديد لإحياء نشاط الحزب الدستوري الجديد وتنظيم صفوفه¹. ولكن الخيار الثالث المتمثل في استغلال الظروف الحالية مع السلطة الألمانية هو الغالب على بعض العناصر، خاصة أن قوات المحور ركزت خلال حلولها بتونس على ربط علاقات مع بعض القيادات الشابة للحزب الحر الدستوري الجديد منهم الرشيد ادريس، حسين تريكي. داعيتا هذه العناصر القيادية الجديدة إلى تعاون وثيق مع الألمان، فقد عملت منظمة (الشبيبة الدستورية) التي كونها الرشيد ادريس، حسن التريكي، فريد بورقيبة على تشجيع التونسيين لمزيد من التعاون مع الألمان².

ومن نتائج ميولات بعض قادة الحزب الدستوري الجديد نحو الألمان، طرد كل من رشيد ادريس وحسين التريكي من الحزب في 28 فيفري 1943 وذلك لإبدائهم تعاوناً مع القوات الألمانية³، فقد أكد الرشيد ادريس في شهادة ما يلي: "أما بعد العودة إلى الحرية فقد وجدنا الوضع قد تغير تماماً وكم كنا نود تنفيذ التوصية التي بلغتنا ونحن في السجن في رسالة الزعيم بورقيبة، ولكن لم يعد لممثلي الحلفاء وجود في تونس"⁴. وبناءً عليه، ان الواقع الجديد على الساحة الدولية والتونسية فرض على الحبيب ثامر وزملائه، التوجه للعمل مباشرة كمحاولة منهم للوصول للهدف المتمثل في إعادة الحزب المنحل منذ أحداث 9 أفريل 1938، فكان من الصعب على ثامر مقاومة الإغراءات الألمانية، خاصة الداعية للحرية الحزبية التي ستمكن الحزب من العودة بقوة للساحة السياسية.

قسم العمل الوطني بقيادة الحبيب ثامر الذي تولى قيادة الحزب الحر الدستوري الجديد بالنيابة عن الحبيب بورقيبة إلى قسمين: القسم الأول (النشاط الصحفي) تولى فيه ادريس والتريكي مهمة العمل الصحفي بإصدار جريدة (إفريقيا الفتاة)، أما القسم الثاني (النشاط السياسي والعسكري)، وتولى الحبيب ثامر قيادة هذا النشاط بحكم الخبرة التي اكتسبها في فترة العمل السري⁵. وعمل على الاستفادة من هامش الحرية من طرف الألمان فقسم العمل الوطني إلى نوعين الجانب السياسي لإعادة الحزب لنشاطه السياسي والجانب العسكري في محاولة منه لتسليح الحركة الوطنية التونسية، وهنا تظهر نظرة الحبيب

1. ليلي موسى، المرجع السابق، ص 113.

2. الأسعد الغرياني، المرجع السابق، ص 145.

3. Bessis Juliette, op-cit, p359.

4. ليلي موسى، المرجع السابق، ص 114.

5. المرجع نفسه، ص 113.

ثامرالثاقبة عبر المزج بين الجانب السياسي والعسكري¹، وإن كانت نظرتة تتناقض مع رؤية بورقيبة وتتلاقى مع شكيب أرسلان والشيخ الأمير الحسيني اللذين اعتبرا ان الشعوب العربية في نضالهما ضد الاستعمار لا يمكن حل مسائلهم إلا بقوة السلاح². وكانت الغاية من ذلك، الاستعداد مستقبلا لمواجهة قوات الحماية الفرنسية وطردها من تونس³.

لقد ساهمت مسألة الانحياز إلى جانب دول المحور في تكريس الخلافات بين أعضاء الحزب الحر الدستوري الجديد، والتي أخذت تظهر للعلن، وهو خلاف حول مسألة استقراء نتائج الصراع الدولي، خاصة بعد قدوم قوات المحور لتونس، اذ كان هناك اتجاهين، الاول: سعى إلى استغلال ما نادى به دعاية المحور واستثمار ذلك في التخلص من الفرنسيين بقوة السلاح، أما الاتجاه الثاني: كان ينادي بضرورة التريث ومساندة فرنسا في محنتها لتفادي تبعات مستقبلية في حالة انتصار الحلفاء في الحرب. ويعلق الكاتب راي غولد زيغير على هذه المسألة بالقول: "إن هذا الطرح في شكله، أصبح شيئا فشيئا إيديولوجيا، مما ادخل الحزب الحر الدستوري الجديد في خلافات عميقة، لن تزول بمرور الزمن"⁴.

3. النشاط السياسي للحزب الدستوري التونسي القديم:

شكلت أحداث أفريل 1938 وما نتج عنها من تحولات في سياسة الحزب الدستوري الجديد، من سياسة الحوار مع سلطات الحماية الفرنسية إلى سياسة الصدام من خلال المظاهرات التي انجر عنها ردود فعل عنيفة من قبل سلطات الحماية مثل: فرض حصار على العمل السياسي عبر حملات التضييق على النشاط الصحفي، بل وحلت الحزبين الدستوريين الجديد والقديم، واعتقال قياداتهما⁵. وفي ظل المستجدات الجديدة على الساحة المحلية والدولية، حاول الحزب الدستوري القديم استجماع طاقته من اجلاستعادة نشاطه، فعقد

1. إن فكرة الحبيب ثامر القائمة على ضرورة تسليح الحركة الوطنية ومحاولة المزج و التوفيق بين العمل السياسي والعسكري سترسخ في الهجرة بالقاهرة، وستكون احدي نقاط الخلاف بينه وبورقيبة، الذي حاول ثامر إخفاء محاولته لتكوين مقاومة مسلحة وفي القاهرة انشغل ثامر بمسألة التحاق الطلبة المغاربة بالمعاهد العسكرية، وطلب من الطلبة عدم اخبار بورقيبة انهم سيلتحقون بالدراسة العسكرية، وصارح ثامر سليمان بن سليمان: "أنه ينوي تكوين تونسيين حلوا بمصر في فن المواصلات اللاسلكية ليقوموا بالواجب عندما تدق الساعة ... و ذكر له أنه لم يعلم بورقيبة بذلك لان هذا الأخير لن يكتف السر". ينظر:زهرة كريدة، الحبيب ثامر (1909-1949)، جامعة منوبة تونس، السنة الجامعية 2004-2005، ص 83-84.

2. ليلي موسى، المرجع السابق، ص 116.

3. للتفاصيل حول مسألة التسليح والتدريب على السلاح ينظر: المرجع نفسه، ص 271-276.

4.Rey Goldzeiguer Annie, op-cit, p 141.

5. محمد سعيد عقيب، المرجع السابق، ص 237.

عدة اجتماعات سرية منها: اجتماع اللجنة التنفيذية يوم 14 أكتوبر 1938 بالمرسى بمنزل الشيخ عبد العزيز الثعالبي تم خلالها تقديم عرض شامل عن الحركة الدستورية من أحداث 1938، وبعد تبادل لوجهات النظر اتفق المجتمعون على استئناف نشاطها عن طريق الصحف العربية المحلية والجرائد المشرقية¹؛ واجتماع 22 أكتوبر 1938 وذلك في فترة أعلن عن تحويل المقيم العام أرمون قيون، قررت خلال الاجتماع مواصلة الاجتماعات السرية في مدينة تونس والمرسى لمناقشة قضايا عدة، منها: موقف الحزب من المقيم العام الجديد وحالة الصحافة والجمعيات بعد مرسوم 28 جوان 1938 - ميزانية 1939، الى جانب الضرائب الجديدة - التسيير العاجل لإدارة الأوقاف - الوضع الاقتصادي².

وشكل هذا التحرك من جانب الحزب الدستوري القديم، هدفا لدعاية دول المحور بهدف استقطاب عناصره، للعمل ضد سلطات الحماية الفرنسية. وقد عملت محطات مثل: راديو برلين وباري، فلا عن الجالية الإيطالية في التأثير على الوطنيين بتونس من اجل التحرك والعمل ضد الوجود الفرنسي³. وشكل التحرك الإيطالي قلقا السلطات الفرنسية، وبرمج الرئيس الفرنسي إدوارد دالاديه (Edward Daladier) زيارة لتونس في بداية جانفي 1939 ليظهر تمسك فرنسا بتونس، فوجد قادة الحزب الدستوري الحر الجديد وبإيعاز من الحبيب ثامر الفرصة للفت أنظار العالم، من خلال رفع هتافات (تونس للتونسيين). وقد صرح دالاديه خلال زيارته، قائلا: "إن الرحلة التي أقوم بها اليوم للبلاد التونسية الجميلة تمثل العناية التي لا زالت حكومة الجمهورية الفرنسية توليها لهذه البلاد، إن فرنسا وتونس مرتبطتان بروابط لا تنفصم عراها، ناشئة عن الحقوق التي خولتها المعاهدة"⁴. ونستنتج أن التصريح الذي جاء به دالاديه لم يكن يحمل جديدا، ركز على ضرورة بقاء تونس في إطار بنود معاهدة الحماية، لم يحمل جديدا يواكب المرحلة التي يعيشها العالم والمنطقة خاصة في عشية الحرب العالمية الثانية، هذا ودعا التونسيين لمزيد من التضحيات، في وقت كانت الدعاية الإيطالية تطرح بدائل تغري من خلالها الوطنيين التونسيين. فما موقف الحزب الدستوري القديم من الأطراف المتصارعة؟

شكلت الدعاية الخارجية المركزة على تونس من طرف الحلفاء والمحور، وما واكبها من زيارات وحشد للجاليات المتواجدة بتونس لصالح الدعاية خاصة الإيطاليين، فرصة لقادة

1. A.N .O.M, Boite 26H 5, Analyse de la presse tunisienne de 1 a 15 Octobre 1938.

2. A.N.O.M, Boite 26H 5, Analyse de la presse tunisienne de 16 a 31 Octobre 1938

3. قدر عدد الإيطاليين بتونس سنة 1936 حوالي: 94289 نسمة. هذه الجالية كانت تقلق السلطات

الفرنسية لتعاطفها مع إيطاليا الفاشية مما شكل خطرا على فرنسا ومصالحها. ينظر: علي تسن فرغلي،

تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001، ص 438.

4. جريدة الإرادة، ع 385، في: 19 أبريل 1939.

الحركة الوطنية للتعرف بطروحات كل طرف، لأن إبداء أي موقف يعد مغامرة قد تكون لها عواقب وخيمة. فالحزب الدستوري القديم أظهر في البداية حذره من الطرفين المتصارعين، لكن الألمان استطاعوا تكوين لجنة الدفاع عن تونس التي ربطت علاقات مع بعض الدستوريين القدماء، أما قادة الحزب الدستوري القديم فاعتبر الصراع بين المحور والحلفاء هو الصراع للاستيلاء على المستعمرات لإعادة توزيعها بصورة عادلة فيما بينهم حتى تجد كل دولة ما تحتاجه من الموارد الطبيعية، وتأسس سوقا للترويج لمنتجاتها المصنعة¹.

لكن تحليل الحزب الدستوري القديم، لم يتوافق مع مواقف بعض الأطراف خاصة بعض المناضلين داخل الحزب الدستوري الجديد، والحزب الشيوعي التونسي، الذين اعتبروا الصراع قائم بين القوى النازية والفاشية من جهة، والقوى الليبرالية الديمقراطية من جهة آخر، عكس الحزب الدستوري القديم الذي اعتبر ان الطرفين لا يرجى منهما غير الجشع والطغيان الاستعماري، بل المسألة تتمحور حول التطاحن على سيادة العالم بين محورين شهدا تطورا صناعيا وعسكري².

وجاء موقف الشيخ عبد العزيز الثعالبي متوافقا مع مناضلي الحزب الدستوري القديم، باعتبار أن الصراع القائم لا يضمن مصلحة تونس، ولا يحقق طموحها في الاستقلال، وينصح التونسيين بعدم الانحياز لأي طرف، وبذلك ذهب الحزب الدستوري القديم لاعتبارات محلية ودولية لخيار الحياد، وهو موقف أولي لأنه سيتطور مع مجريات الحرب³.

فظهر الأطماع الإيطالية في تونس للعلن كسفتها دعايتها التي اعتبرت أن الاستعمار الإيطالي لتونس سيمنح للتونسيين حرية أكبر مما هو عليه في فترة الحماية الفرنسية، مستغلة الاعتقالات التي تعرض لها الدستوريون بعد أحداث أبريل 1938، في ظل هذه الظروف الجديد تغير موقف الحزب من الحياد الذي أصبح غير منطقيًا، بعدما أصبحت الأوضاع تشكل خطرا على التونسيين لإمكانية تحول تونس من استعمار فرنسي إلى استعمار أشد فتكا وعنفا حيث رأى الحزب الدستوري القديم أنه: "أمام خصم ثاني اشد ضررا من الأول"⁴.

كما رأى أن الأنظمة الليبرالية (الحلفاء) أقرب إليه من أنظمة دول المحور المعادية للديمقراطية وقد جاء في جريدة الإرادة في العدد الصادر يوم 15 ديسمبر 1938 ما يلي: " من ناحية المبادئ العامة فنرى أن فوز الدكتاتورية في هذه الجهة يزيد من موجة الطغيان الفردي الذي يلتهم الجزء الأكبر من أوروبا"⁵.

1. جريدة الإرادة، ع 328، في: 21 فيفري 1939.

2. المصدر نفسه، ع 385، في: 19 افريل 1939

3. المصدر نفسه، ع 282، في: 15 ديسمبر 1938.

4. المصدر نفسه، ع 286، في: 21 ديسمبر 1938.

5. المصدر نفسه، ع 282، في: 15 ديسمبر 1938.

أراد الحزب الدستوري القديم من خلال تغيير موقفه، التعبير عن رفضه للخيار الفاشي الذي هو على الأبواب، فدفع سلطات الحماية لتقديم تنازلات لإحكام ارتباطها بالتونسيين وتحسين العلاقة معهم أكثر خاصة بعد المناورات الدعائية الإيطالية وطرح فكرة تقرير المصير لتكون أكبر ضمان لمصالح فرنسا من المغامرة الفاشية، لكون تزايد مصالح فرنسا في البحر المتوسط متوازياً مع منافسين دوليين آخرين¹.

وبعد انطلاق الحرب العالمية الثانية وانهازم فرنسا في جوان 1940، عم الارتياح الشعب التونسي بطريقة عفوية بسبب السياسة الفرنسية الظالمة، لكن محمد الحبيب شلي ذكر أن عبد العزيز الثعالبي صرح له بما يلي: "الآن أن الأوان أن نفكر بعقلانية لا بعواطف ... لقد انهزمت فرنسا وأصابها ضربة قاصمة... إن انتصار ألمانيا وإيطاليا التي لم تخفي مطامعها الاستعمارية في تونس، معناها أن تونس ستكون من نصيب إيطاليا عند تصفية تركة فرنسا الاستعمارية ... لذا لا بد من التفكير بجد في مستقبلنا بعيداً عن العاطفة والانفعال"². والملاحظ أن الثعالبي بين النظرة السديدة والقراءة الجيدة للوضع التونسي والدولي، دليل ذلك عدم تسرعه في اتخاذ المواقف من الأطراف المتصارعة وتحليله بالحكمة في التعامل مع الوضع التونسي خوفاً من موقف يجعل منه منعزلاً على الساحة التونسية ويحد من نشاطه السياسي.

لكن تطور المعارك في أوروبا، وفشل الهجوم الألماني الجوي على بريطانيا خريف 1940 غير من موقف الثعالبي الذي صرح لمحمد الحبيب شلي في أكتوبر 1940 بما يلي: "الآن بدأت علامات هزيمة ألمانيا في هذه الحرب ... فثبات بريطانيا وصمودها في وجه القوات الجوية الألمانية، هذه الأمور ستكون حاسمة في هذه الحرب ... ذلك أن أمريكا سوف تدخل الحرب إلى جانب بريطانيا طال الزمن أو قصر، لأنها لن تسمح بسيطرة ألمانيا على أوروبا"³.

في ظل الظروف المحلية والدولية انقسم أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري القديم إلى فريقين: فانحاز فريق منهم إلى الرأي المتعاطف مع المحور كالأمين العام للحزب صالح فرحات، والشاذلي الخلافي، والمنصف المنستيري، ومحي الدين القليبي، أما الأعضاء الآخرون وهم الدكتور أحمد بن ميلان ومحمد الصالح ختاش، ومحمد الحبيب شلي، فقد انحازوا إلى رأي الثعالبي، فيما أتباع الحزب انحازوا للتيار الشعبي⁴.

1. محمد سعيد عقيب، المرجع السابق، ص 243.

2. محمد الحبيب شلي، موقف الحزب الحر الدستوري التونسي من المحور والحلفاء (ثلاث رسائل من الشيخ الأيمن الحسيني إلى عبد العزيز الثعالبي)، المجلة التاريخية المغربية، ع 22/21، أبريل 1981، ص 133.

3. المصدر نفسه، ص 134.

4. محمد سعيد عقيب، المرجع السابق، ص 134.

أما عن علاقة الحزب الدستوري القديم بالديوان السياسي الخامس والسادس والسابع (الحزب الدستوري الجديد) فتميزت بالتوتر وعدم وجود الثقة لاختلاف الآراء فيها بينهم، بداية بأحداث أفريل 1938 وطريقة الرد عليها فشهدت عدة محاولات لرأب الصدع منها عرض الشيخ عبد العزيز الثعالبي، فكرة استغلال فرصة كشف الديوان السياسي السادس وضعفه بعد اعتقال الحبيب ثامر في 16 جويلية 1941، لعرض الوحدة على الدكتور الماطري، لكن لم تتحقق واستهوت العديد منهم الانتصارات الألمانية، رغم معادات اللجنة التنفيذية للنظام الديكتاتورية. وكأغلبية الرأي العام التونسي في تلك الفترة الذي أظهر عدائه للحماية الفرنسية وسياستها المسيطرة على كل موارد البلاد¹.

إثر اعتلاء المنصف باي² الحكم في تونس 19 جوان 1942، عمل على استقطاب الحزبين الدستوريين القديم والجديد وحل الخلافات بينهما، مطالبا بالوحدة وهو ما يؤكد تمسك المنصف باي بقضايا وطنه، قدم في 8 أوت 1942 للمقيم العام إيستيفا (Esteva) مذكرة موجّهة عن طريقه للمارشال بيتان، ضمت المطالب 16 التي رآها ضرورية في هذه المرحلة³.
جاء موقف الحزب الدستوري القديم مساندا للمنصف باي، آملا إشراكه في الحكومة المراد تشكيلها، لكن الشيخ عبد العزيز الثعالبي لم يستشر في تقديم الوزراء. فدفعت الحالة السياسية والأوضاع الدولية الشيخ الثعالبي للانعزال السياسي، وانتظار تغير مجريات الحرب لصالح الحلفاء، عليه: (فليعلن هتلر استقلال تونس مسبقا)، كما لم يرد على رسالة يوسف بحري التي أرسلها من إذاعة برلين⁴.

1. أحمد بن ميلاد ومحمد سعود ادريس، الشيخ عبد العزيز الثعالبي والحركة الوطنية (1896-1940)، ط1، تونس، بيت الحكمة، 1991، ص 429.

2. هو محمد المنصف باي بن الناصر الحسيني، أخر البايات في تونس ولد في 4 مارس 1881، تمت تسميته ولي للعهد يوم 30 أفريل 1942، واعتلى العرش الحسيني يوم 19 جوان 1942 خلفا لابن عمه أحمد باي، اشتهر قبل الحكم بالدور السياسي المهم الذي لعبه خاصة ابان أحداث 1922، كما عرف بموقفه ومساندته لأعضاء الحزب الدستوري دافعا والده محمد الناصر لاستقباله سنة 1922، بعد صعوده لسدة الحكم لم تنل تصرفاته رضى الحكومة الفرنسية، خاصة بعد تشكيله حكومة محمد شنيق، وتسمية وزراء وطنيين فيها، تقديمها المطالب إلى الحكومة الفرنسية يوم 2 أوت 1942 و بعد دخول الحلفاء لتونس لجاءت للسلطات الفرنسية لخلعه ونفيه الى الجزائر في 14 ماي 1943 ثم لبلدة لفرنسا (بو)، و ظل منفيا في سبتمبر 1948 ودام حكمه من 19 جوان 1942 إلى 14 ماي 1943. ينظر: حمادي الساحلي، فصول في التاريخ والحضارة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 420-425.

3. سعيد المستيري، المنصف باي الحكم والمنفى، تر: هشام القروي، ط1، دار الأوقاس، تونس، 1991، ص

4. أحمد بن ميلاد ومحمد سعود ادريس، المرجع السابق، ص 441-442.

ما يمكن استنتاجه أن الحزب الدستوري القديم ممثلاً في زعيمه عبد العزيز الثعالبي كانت له مواقف مترددة فهو لم يكن يريد التورط واكتفى بالمراقبة، فأثناء حوادث أبريل 1938 حمل المسؤولية للحزب الدستوري الجديد، يعتبر هذا الموقف بمثابة استغلال للوضع الف الفراغ المترتب عن المضايقات التي تعرض لها الدستوري الجديد استغلها الثعالبي لبسط سيطرته على الساحة السياسية التونسية¹.

كما لم تكن للحزب الدستوري القديم أي مواقف واضحة لأي طرف في بداية الحرب وهو سلوك سياسي ذكي في ظل حرب غير معلوم المنتصر فيها، لكن مع زيادة الأطماع الإيطالية في تونس انحاز إلى الطرف الليبرالي وعارض القوى العالمية الديكتاتورية، وبعد تولي المنصف باي العرش تكتل مع الأحزاب الأخرى وعمل على تدارك ما فاته من أحداث ويظهر تمسكه بالتوجه الوطني².

ثالثاً: تنصيب المنصف باي على عرش تونس (جوان 1942) وتبنيه للمطالب التونسية:

ارتقى المنصف باي العرش يوم 19 جوان 1942 إلى عرش تونس على إثر وفاة أحمد باي وكان يبلغ من العمر 62 سنة، وقد شهدت فترة حكمه القصيرة (10 أشهر) العديد من الأحداث منها دخوله في صراع مع الحاكم العام بيار استيفا، كما كانت تونس مسرحاً لصراع بين دول المحور ودول الحلفاء جعلته يتعرض لضغوط لاتخاذ موقف رسمي من الأطراف المتصارعة. فما موقف الباي من الصراع القائم بين المحور والحلفاء؟³

1. المنصف باي وخيار الحياد:

إن موقف الباي من الدول المتحاربة لم تتضح في بداية الأمر، فعمل بداية للبحث عن الدعم الخارجي والداخلي، فاتصل بالحاج الأمين الحسيني في أكتوبر 1942 وبعث له برسالة ابدى فيها استعداده لقيادة حركة مناهضة لفرنسا، والرسالة تتعرض لسياسة الاضطهاد التي انتهجتها سلطات الحماية الفرنسية، بدوره المفتي أوصل رسالة الباي إلى القنصل العام الألماني بروما الهركاب (Herr Kapp) الذي أرسلها بدوره إلى برلين⁴.

1. محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص 256

2. المرجع نفسه، ص 257-258.

3. حمادي الساحلي، مساهمة المنصف باي في الحركة الوطنية (1922 – 1948)، مجلة روافد، ع 3، جانفي 1997، ص 75-76.

4. علي محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية (1919-1945)، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985، ص 114-115.

ان أدرك المنصف باي توجهات المفتي، فهل يعني أن الباي له نفس الميول أو أن موقفه كان تحت تأثير ابنه رؤوف؟ أم كان يهدف هو الآخر إلى الاستفادة من الوضع الراهن من أجل الاستقلال مثلما فعل ثامر وزملائه. ويذهب سعيد المستيري إلى نفس المسألة قائلا: (يقال إن المنصف باي نفسه كان يبدي أحيانا شيئا من التعاطف أو الإعجاب - الذي لا يسعه إخفاؤه- لبعض الانتصارات التي أحرزها الجيش الألماني). لكن المنصف باي وجد نفسه خاصة بعد نزول الحلفاء بشمال إفريقيا في 8 نوفمبر 1942 أمام ضغوط داخلية وخارجية ستساهم في تحديد موقفه في المستقبل من الدول المتحاربة:

أ. الضغوط الخارجية جاءت من مختلف الأطراف المتصارعة (المحور - الحلفاء). ففي رسالة من روزفلت سلمها المقيم الأمريكي للباي مؤرخة بتاريخ 7 نوفمبر 1942، دعت الولايات المتحدة الأمريكية الباي إلى اتباع سياسة التعاون مع الحلفاء داعيا أنه: " اصدر الأوامر للقوات الأمريكية التي لا تقهر ابدا ، للتوجه الى شمال إفريقيا والتعاون مع القوات الفرنسية ومعكم أيضا، من أجل الدفاع عن بلادكم ، وليس لها هدف سوى تحطيم عدونا المشترك في أسرع وقت ممكن (وبعد رسالة روزفلت تسلم الباي رسالة المارشال بيتان دعا فيها الباي للتعاون مع قوات المحور.¹

ب. أما الضغوط الداخلية، فقد وجد الباي نفسه أمام ضغوط من البلاط المنقسم لقسمين، فريق ذوا نزعة ألمانية ودعمه العديد من الأمراء الحسينيين، أعيان، مقربون من الباي على رأسهم الأمير (رؤوف باي) وشقيقه الباي الأصغر (محمد باي). أما الفريق الثاني المنحاز للحلفاء فتزعمه عدة شخصيات عملوا كمستشارين أهمهم الشاذلي خازندار، على كاهية، وصالح فرحات المحسوبيين على الدستوريين يضاف لهم بعض الشخصيات أمثال: محمد شنيق، عزاز الجلولي، محمود المطري ووجوه بارزة ومؤثرة في البلاط مثل محمد علي العنابي، الصادق زميرلي، والشاذلي حيدر ويطلق عليهما اسم بوجوازية الأعمال والحلفاء.²

1. سعيد المستيري، المرجع السابق، ص 39.

2. يتحدث كازماجور روجار عن هذه الجماعة وخاصة شنيق والجلولي، انهم ساعو وصول الألمان الى تونس كانوا يديرون مصنعا للنسيج، فقد كانوا يعيشون في عالم الأعمال، وهو امر سمح لهم قبل نوفمبر 1942 بإجراء اتصالات عديدة مع قنصل الولايات المتحدة الأمريكية والتحدث عن الوضع السياسي بتونس، ويضيف كازماجور ان الإنزال الأنجلو سكسوني بشمال افريقيا كان متوقعا من طرف الجماعة، وقد علم فيما بعد ان مناقشة مستقبل البلاد قد تمت مأدبة عشاء في منتصف أكتوبر. ينظر:

Casemajor Roger, L'Action nationaliste en Tunisie du pacte fondamental de Mhamed Bey a la mort de Moncef Bey (1857-1948), édition la rapide, Tunis, 1948, 188.

إن الخلاف الدائر في البلاط بين التيار ذو التوجه الألماني، والتيار الآخر ذو الميول الأنجلو سكسوني جعل الباي يتردد في اتخاذ موقفه، فشهدت هذه المرحلة محادثات بين وزراء الباي (الوزير الأكبر الهادي الأخوة ووزير القلم والاستشارة والحبیب الجلولي وزير العدل عبد الجليل الزاوش¹) وعدد كبير من رجالات البلاط و حضرها صادق زميرلي الذي ذكر ما يلي: " رأى اغلب الحاضرين انه من الأفضل اتخاذ موقف سلمي و التزام الصمت الحذر و لم يشد عن هذا الرأي سوى الأمير حسين باي و الجنرال العزيز الجلولي، الذين أكدوا الضرورة الملحة التي تملها قواعد الأدب الدبلوماسي ومصصلحة البلاد، وهي تقتضي الرد على رسالة الرئيس روزفلت بجواب مناسب. ولكن بما أن الأغلبية لم توافق على الاقتراح، فقد كان اللازم إجراء مفاوضات عسيرة لإقناعها بذلك. وفي الأخير بعد تدخل الرئيس محمد شنيق² والدكتور محمود الماطري³، وهما من اعز أصدقاء الباي، كلف سيدي المنصف الجنرال الزميرلي بتحرير الجواب المقترح". في الأخير استقر الباي، والمحيطون به على اتخاذ موقف محايد تجاه الدول المتحاربة، ووجه الباي في نفس الوقت رسائل إلى كل من جورج السادس ملك إنجلترا، فيكتور إيمانويل الثالث ملك إيطاليا، وادولف هتلر مستشار ألمانيا، تحتوي على نفس الرد ببقاء البلاد خارج النزاع الدولي⁴.

استنتج أن المواقف التي شهدها البلاط من مختلف الأطراف بين المؤيد للمحور والداعم للحلفاء، دفعت المنصف باي وقتها للحفاظ على الحياد بين كل المتحاربين، وظل الباي ثابتا أمام الضغوط الألمانية والإيطالية، رافضا تجاوز الحدود التي تجعل مواقفه

1. عبد الجليل الزاوش: من مواليد تونس العاصمة سنة 1873، درس في المعهد الصادقي، وتحصل على الإجازة في الحقوق من فرنسا، كان له نشاط في صلب حركة الشباب التونسي وناضل رفقة الأخوين محمد وعلي باشا حنبه، ولكنه تمكن من الحصول على ثقة الحكومة وتولى مناصب مثل قايد بسوسة، شيخ المدينة، وزير العدل الى حدود 31 ديسمبر 1942، توفي سنة 1946: ينظر:

Casemajor Roger, op-cit, p187.

2. محمد شنيق: من مواليد تونس سنة 1889، درس بالمعهد الصادقي، رجل أعمال ثري، تولى رئاسة غرفة الأهلية التجارية، رئيس القسم التونسي للمجلس الأكبر، كان مواليا للحكومة الفرنسية، كما كان يمول الحزب الحر الدستوري الجديد له علاقات مع مختلف الشخصيات السياسية. ينظر: Ibid, p 320 -

3. محمود الماطري: ولد في تونس 1897، درس في معهد كارنو، وواصل دراسة الطب بفرنسا، عمل كطبيب في تونس اثناء دراسته في تونس انخرط في وسط الأحزاب اليسارية، وهو امر أدى لطرده من فرنسا، وعند عودته الى تونس سنة 1927، واصل عمله في الحزب الجديد الذي تأسس سنة 1934 مع الحبيب بورقيبة الى حدود ديسمبر 1937 ليقدّم استقالته من رئاسة الحزب، ويعين في جانفي 1943 كوزير داخلية الى حدود 13 ماي 1943. ينظر: Ibid, op-cit, p338.

4. صادق الزميرلي، تونس في عهد المنصف باي (1942-1943) بين الرجاء وخيبة الأمل، تر: حمادي ساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989، ص56.

حيادية. وهناك عدة مواقف اتخذها الباي من أجل الحفاظ على موقفه منها رفضه طلب الوزير الألماني ران (Rahn) أن يدين القصف الجوي للحلفاء للقيروان (22 فيفري 1942) والمرسى (10 مارس 1942). كما رفض توقيع قانون التجنيد الإجباري للتونسيين وتشغيل العمال وكذلك عارض بعض الإجراءات التي استهدفت الجالية اليهودية¹.

2. إصلاحات المنصف باي وعلاقته بالأحزاب السياسية:

منذ جلوسه على العرش تبلورت مواقفه من خلال مخاطبته مباشرة لزمريه وشعبه عكس الماضي فلم يكن الباي يخاطب العموم، وبسبب التحريات التي قام بها في جويلية 1942 حول تصرفات موظفيه وأعوانه وأصحاب القرار من التونسيين، رأى ضرورة القيام بإصلاحات لإخراج تونس من محنتها والتخفيف على التونسيين من أعباء الحرب العالمية الثانية². وبداية قام بإصلاحات داخل البلاط تمثلت في تجريد البعض من رتبهم العسكرية وطرد البعض منهم محمد بلخوجة مستشار الحكومة، محمد سعد الله شيخ المدينة، وقد كان على تواصل مع بعض المناضلين من الحزب الدستوري القديم أمثال الشاذلي خازندار، محي الدين القليبي، صالح فرحات، الشاذلي الخلافي، الذين أشاروا له بمطالبة سلطات الحماية الفرنسية بتطبيق معاهدة البارود التي لم يتم احترامها منذ 1881³.

انطلقت عمليات الإصلاح الإدارية التونسية، فعمل الباي على اتخاذ إجراءات منذ الأسبوع الأول، كما اسمع القياد الذين دعاهم إلى قصر الباي الكلام التالي: "ممثلي الوحيدون في البلاد، ولا أنكر انكم لستم أحرار في عملكم بسبب تدخل المدنيين. ولكن لا تنسوا أنكم تمثلوني أني الملك، أما المراقبون المدنيون، فهم يتبعون أوامر الإقامة العامة، فإذا ازعجكم أحدهم لا تترددوا في المجيء واخباري". فمن خلال الكلام الذي ألقاه الباي على القياد سعي لفرض جناح مؤتمر بأوامره بعيدا عن موظفي الإقامة العامة، فرقى العديد من القياد إلى رتب رفيعة مثل رتبة (ضابط الحرس الملكي) حتى تزداد تبعيتهم له وحذرهم من أي تجاوزات⁴. كما استقبل الباي مطلع أوت 1942 ممثلي الحزبين الدستوريين اللذين تم حلهم، وصرح لهما انه قلق بسبب النزاع بين الطرفين، أحدثت هذه الخطوة من الباي قلقا عند المقيم العام استيفا،

1. صادق زميرلي، المصدر السابق، ص 73-74.

2. حمادي ساحلي، مساهمة المنصف باي في الحركة الوطنية ...، مرجع سابق، ص 75-76.

3. خالد عبيد وآخرون، المرجع السابق، ص 112.

4. سعيد المستيري، المرجع السابق، ص 45-46.

فطلب الاجتماع بالباي يوم 8 أوت 1942، خلال الاجتماع قدم المنصف باي رسميا مذكرة تحتوي (16) بندا¹.

شكلت المطالب المقدمة من طرف المنصف الباي نقلة في تونس، تلاقت مع بعض مطالب الأحزاب السياسية الوطنية في العديد من النقاط. فقد حاول الباي استرجاع هيبة وسلطة العائلة الحسينية التي فقدت ثقة الشعب بسبب تلاقي البايات السابقين مع سياسة الحماية باستثناء الناصر باي والد المنصف باي الذي أراد القيام بإصلاحات سنة 1922 لكن لم ينجح في تمرير مطالبه في ظل تعنت المقيم العام لوسيان سان (Lucien Saint). كما عين المنصف باي عزيز الجلولي شيخ المدينة عوضا من الجنرال سعد الله في 18 أوت 1942².

ومع نزول قوات الحلفاء على سواحل شمال إفريقيا (الجزائر - المغرب الأقصى) في 8 نوفمبر 1942 ونزول القوات الألمانية في تونس³، استقبل الباي يوم 18 نوفمبر 1942 قائد القوات الألمانية، أظهر خلالها الباي شجاعة عندما انهى خطابه بالعبارة التالية: " سنكون أكثر سعادة عند ما ترحلون"، وإثر حادثة وقعت يوم 30 نوفمبر 1942 اثناء انعقاد مجلس الوزراء بين الأميرال استيفا المقيم العام و عبد الجليل الزاوش وزير العدل ، استغل الباي الفرصة لإحداث تغيير بعد النقاش الحاد الذي وقع بين عبد الجليل الزاوش و المقيم العام، وفي اليوم الموالي طلب الباي من (الهادي الأخوة) الوزير الأكبر، وزير القلم والاستشارة الحبيب الجلولي، عبد الجليل الزاوش وزير العدل الاستقالة وترك مناصبهم لوزراء أكثر شبابا⁴.

عوض الباي في 1 جانفي 1943 بوزراء جدد منهم محمد شنيق وزير أكبر، ومحمود المطري وزيرا للداخلية، صالح فرحات وزيرا للعدل، محمد العزيزي الجلولي وزيرا للأوقاف، وقد جاءت ردود الفعل متباينة، فإن كان المقيم العام استيفا (Esteva) لم يرد على تشكيل

1. وأهم ما جاء في المذكرة: انشاء برلمان تشريعي واستشاري حيث يكون التمثيل التونسي مشرفا؛ ارتقاء التونسيين للوظائف الإدارية مع دفع نفس المستحقات التي يتمتع بها الفرنسيون وتحسين أوضاع التونسيين عامة؛ إعادة هيكلة الإدارة المركزية للبلاد في إطارها التونسي وتحديد صلاحيات المراقب المدنية. للمزيد من التفاصيل ينظر: سعيد المستيري، المرجع السابق، ص 63.

2. المرجع نفسه، ص 63-64.

3. في يوم 9 نوفمبر 1942 بعد الظهيرة نزل أوائل العسكريين بمطار العوينات بقوات عسكرية مكون من 284 ضابطا ورجال فرق، نقلوا عن طريق جسر جو (تشكيلة طائرات من صنف جونكر 88) تستوعب ما بين 25 و30 راكبا. وفي 10 نوفمبر بدأت القوات الألمانية بالسيطرة على النقاط الحيوية لمنطقة تونس (محطات رتل، مكاتب بريد، دار حسين، الميناء... الخ) وسلم الأميرال ديريال قاعدة بنزرت، مما أوسع في مستوى الإنزال الألماني الإيطالي. وفي 13 نوفمبر وصل الوزير راهن بدوره ومعه فريق من الدبلوماسيين كمبعوثين من طرف وزير الشؤون الخارجية الألمانية (فون ريبنتروب). ينظر: سعيد المستيري، المرجع السابق، ص 64.

4. المرجع نفسه، ص 75-76.

الحكومة الجديدة سلبا أو إيجابا، فاعتبره تمردا قام به الباي من دون استشارته، أما الباي كان يسعى لتحقيق المساوات بين الفرنسيين والتونسيين في الوظائف فالغاء الأمر المؤرخ في 30 جانفي 1896 القاضي بتمكين المستوطنين من الأراضي¹.

نستنتج أن التغييرات العميقة التي قام بها الباي على الحكومة التونسية، أراد من خلالها اظهار استقلال السلطة التونسية وإمكانية اتخاذ الباي الممثل للسيادة التونسية قرارات بعيدا عن المقيم العام وحكومة الحماية الفرنسية ما لم يحدث منه 1881، هذا وحرص الباي على عدم اتخاذ مواقف علنية لصالح طرف من الأطراف خلال فترة الحرب لكون مستقبل البلاد كان مرهونا بنتائج المعركة.

أما فيما يخص علاقة المنصف باي بالأحزاب السياسية فيمكن القول إن الباي كان مهتما بمصير الزعماء التونسيين الموجودين في السجون، فمنذ ارتقائه للعرش بذل جهودا كبيرة للإفراج عن القادة الدستوريين المسجونين في فرنسا، الجزائر، تونس. فتكلت جهوده بالإفراج عنهم واستقبل بعضهم في القصر منهم الحبيب ثامر، الطيب سليم، والرشيد ادريس، وحسين التريكي وأعرب لهم عن عزمه تسخير جميع طاقاته لخدمة تونس وشعبها².

فأعاد الحزب الدستوري الجديد نشاطه بقيادة الحبيب ثامر ونشطت الشعب الدستورية بإصدار الحزب جريدة (إفريقيا الفتاة)، لكن بعد تشكيل حكومة شنيق أعرب بعض الدستوريين عن استيائهم بسبب عدم ادراجهم في مناصب وزارية أمثال الرشيد ادريس، حسين التريكي عكس مناضلي الحزب الحر الدستوري القديم، مما دفع الحبيب ثامر للانفصال عن المعارضين الذين ادلوا بمواقفهم الراضية للحكومة الجديدة في جريدتهم الجديدة (الشباب) التي أسست بدعم من الألمان³.

أما الحبيب بورقيبة فإنه لم يستطع العودة لتونس مع رفاقه إلا في أفريل 1943 بسبب المفاوضات التي كان يديرها مع الإيطاليين، فقام بالتواصل مع البلاط لتشكيل حكومة جديدة تضم رموز النضال الوطني وبعض الشخصيات الممثلة للنخبة التونسية. لكن هذه المساعي لم تكلل بالنجاح بسبب المعارضة الفرنسية والألمانية التي كانت على أبواب حرب⁴.

1. ليلي موسى، المرجع السابق، ص 195.

2. حمادي ساحلي، المنصف باي والحركة المنصفية (1942-1948)

ACTES du Séminaire sur l'histoire du Mouvement National (La Tunisie de 1939 à 1945), Ministre de l'éducation de l'enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique – Programme National de Recherche (P.N.R) du Mouvement National, Tunis, 1989, p190-191.

3. المرجع نفسه، ص 193.

4. حمادي ساحلي، المرجع السابق، ص 190-191.

بالرغم من أن برنامج الباي لقي صدى إيجابيا في أوساط الشيوعيين التونسيين، إلا أنه سرعان ما سيتم التعبير عن الاحتراز من قدرة الباي في الدفاع عن مصالح الشعب، لذلك أظهر الشيوعيون مدى التباين بين افكار ومطالب الباي رغم إقرارهم بأنه سيقوم بمساعي لتحقيق إصلاحات جديدة لصالح الشعب التونسي على حسب ما استخلصه حبيب القردعلي فإن الشيوعيين قد اعتبروا الباي مزاحما عنيد لأفكارهم، وحسب دراستي لمسار الحزب الشيوعي فإن ارتباطه بالأممية الشيوعية سيدفعه لاتهم الباي بالتعامل مع الألمان¹.

رابعا: مواقف الحزب الشيوعي التونسي في ظل المتغيرات الدولية:

بداية لم يبقى التونسيون بعيدين عن تأثير النشاط الشيوعي، وسجلت حالات ترك مناضلو الحزب الدستوري مواقعهم والتحقوا بشعب الحزب الشيوعي² لقد عمل الحزب الشيوعي على الترويج لأفكاره وعقيدته بين صفوف أبناء الشعب التونسي، والتي يظهر أنها لم تكن تلقى الاستجابة الكبيرة، وهذا راجع لنظرة التونسيين السلبية لمبادئ وأفكار الحزب³.
عموما عمل الشيوعيون الفرنسيون على الترويج لأفكارهم من خلال التوجه للأماكن التي ينشط فيها الطلبة كجامع الزيتونة والتأثير على المسجونين منهم ، لكن مجاهرة الشيوعيين بالإلحاد وما كان رائجا في أوساطهم عن معاداتهم للأديان بما فيها الدين الإسلامي، نفر المسلمين التونسيين عامة خاصة من الحزب الشيوعي التونسي، هذا علاوة على تبعية هذا الأخير للحزب الشيوعي الفرنسي، وعدم استقلاليته في تقرير مواقفه و تحديده مساره السياسي، وهذا خلافا لما صدر عن المؤتمر السادس للأممية الشيوعية سنة 1928 بخصوص تحول المنظمات الشيوعية في شمال إفريقيا إلى منظمات مستقلة⁴.

1.حبيب القردعلي، تطور سياسة الحزب الشيوعي التونسي خلال الحرب العالمية الثانية (سبتمبر 1939 – ماي 1943)،

ACTES du Séminaire sur l'histoire du Mouvement National (La Tunisie de 1939 à 1945), Ministre de l'éducation de l'enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique – Programme National de Recherche (P.N.R) du Mouvement National, Tunis, 1989, p. 173-174.

2. ولد علي جرادة سنة 1911 بالمطوية ونزح لتونس عام 1922 فدرس بجامع الزيتونة ونشط في الحركة الطلابية، بدأ نشاطه في الشعبة الدستورية بالحلفاوية، سجن سنة 1926 انضم بعد خروجه من السجن إلى الشعبة الشيوعية بتونس، ثم أصبح منذ جوان 1936 كاتباً عاما للحزب الشيوعي التونسي وأعيد انتخابه في هذا المنصب خلل المؤتمر الأول (ماي 1936) والثاني للحزب (1946)، عمل من أجل استقلال الحزب الشيوعي التونسي في مواقفه وسياساته عن باريس وموسكو. ينظر: علي زايدي، المرجع السابق، ص 629.

3. علي زايدي، المرجع السابق، ص 630.

4.Ahmed Khaled, op-cit, p 533-534.

في منتصف الثلاثينات بعد أن تولي علي جرادة الكتابة العامة للحزب الشيوعي التونسي في ماي 1936، استعمل في دعايته العامل الديني لمناصرة الحلفاء ، وقد برر مناصرة الاتحاد السوفياتي لسبب مهم هو وجود أربعة ملايين مسلم ، رغم هذه المحاولات بقي الحزب الشيوعي في حالة عزلة لمواقفه السابقة، ففي أحداث أفريل 1938 وضع الحزب الشيوعي في موقف معقد أمام الرأي العام التونسي، ستظهر نتائجه من خلال تحالفه مع السلطة الفرنسية التي شنت حملة واسعة من الاعتقالات ضد الوطنيين التونسيين، ورغم موقف الحزب الشيوعي من معاهدة جوان 1938 التي تفرض على كل تنظيم سياسي احترام معاهدة باردو و حقوق الدولة الحامية كشرط للنشاط العلني فإن تأثيره في الأوساط التونسية لم يعرف تحسنا، أما أبرز ما قام به سنة 1939 هو عقد مؤتمره الأول في جوامبالاة للأوضاع التي كانت تمر بها تونس، والمطالب بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين¹. وإلى جانب العزلة التي عرفها الحزب الشيوعي في الوسط السياسي التونسي، كان عليه أن يواجه مصاعب جديدة مع بداية سنة 1939 ناتجة عن التباينات التي ميزت سياسة الاتحاد السوفياتي، بداية بعقد معاهدة عدم الاعتداء المتبادل مع الألمان 23 أوت 1939، والتي ولدت ردود فعل داخل الحزب الشيوعي التونسي ووسط الحركات النقابية والسياسية. إذ أن إمضاء معاهدة بين الاتحاد السوفياتي وألمانيا كان يعني عمليا نشوب حرب في الجهة الغربية بين ألمانيا وفرنسا². إن الاعتقاد الراسخ عند الشيوعيين في العالم مرتبط بالقرارات التي تتخذها القيادة السوفياتي ولها ما يبررها من حيث مصلحة الحركة الشيوعية العالمية والمحافظة على الدولة الاشتراكية. أما بالنسبة لقيادة الشيوعية الفرنسية فسارعوا للموافقة على المبادرة السوفياتية واعتبرت محاولة لردع هتلر والحفاظ على السلم³.

أما الشيوعيين التونسيين فلم يكن للشيوعيين صحيفة يعبرون من خلالها عن مواقفهم، و لكن يعتبر ما كتبه فيليو سبانو⁴ رفقة أميندولا في صحيفة (الجورنالي) الناطقة باسم الإيطاليين المعادين للفاشية، واللذين كانا عضوان في المكتب السياسي للحزب الشيوعي التونسي كممثل للمجموعة الشيوعية الإيطالية، استعملا فيه حججا مختلفة دون أن تكون

1. Ahmed Khaled, op-cit, p 535.

2. حبيب القردغلي، المرجع السابق، ص 185-186.

3. المرجع نفسه، ص 182-183.

4. فيليو سبانو، من مواليد في 15 جانفي 1905 في توليدا وهي قرية بجزيرة سردينيا، انخرط سنة 1923 في جامعة الشبيبة الشيوعية و إثر منع الحزب الشيوعي الإيطالي هاجر لفرنسا حيث هاجر في صفوف المهاجرين الإيطاليين، قدم لتونس سنة 1938 للإشراف على الشيوعيين الإيطاليين حيث أصدر مع أميندولا صحيفة (الجورنال) المعادية للفاشية، وسيقود الحزب الشيوعي التونسي خلال الحرب العالمية الثانية و عند تحرير إيطاليا انتقل ليتحمل مسؤوليات قيادية في الحزب الشيوعي الإيطالي. ينظر: المرجع نفسه، ص 181.

متناقضة، مؤكدين على مواقفهم المساندة لقرارات الاتحاد السوفياتي. فتم مصادرة هذا العدد وهو المنبر المتبقي للشيوعيين في تونس بعد توقف صحيفتي (الطلیعة - المستقبل الاجتماعي) عن الصدور لأسباب مادية¹.

لكن دعوات الكاتب العام للحزب الشيوعي التونسي علي جراد للتريث في اتخاذ مواقف، كان تعبيراً عن الغموض الذي يسود الساحة الدولية وانقطاع الاتصال بالشيوعيين الفرنسيين، خاصة في ظل رد السلطات الفرنسية على الحزب من خلال منعه وغلق مقراته بحجة تواطئ الشيوعيين مع الألمان. ففي 18 فيفري 1940 أصدر قرار بإبعاد عدد من الشيوعيين التونسيين المعروفين إلى مناطق مختلفة داخل البلاد، فأرسل علي جراد إلى مكث، وصالح بن أحمد السبعي إلى طبرقة، وحسن السعداوي إلى الكاف، ومحمد جراد إلى قليبية وبمقتضى قرار آخر تم نقل السعداوي والسبعي إلى محتشدات القطار في ديسمبر 1941².

والملاحظ أن السلطات العسكرية للاحتلال الفرنسية اتخذت هذا القرار، تجنباً لأي عمل تخريبي قد يقوم به الشيوعيون التونسيون وذلك في ظل موقفهم المعادي للحرب. لكن ذلك لم يمنع النشطاء الشيوعيين الغير معروفين لدى مصالح الأمن الفرنسية من محاولة لإعادة نشاط الحزب الشيوعي، فقد شهد شهر مارس 1940 إصدار منشور سرية التي حملت عنوان (المستقبل الاجتماعي) تتضمن مواقف الأممية الشيوعية، لذلك سيعرف الشيوعيون في تونس حملة اعتقال أخرى ففي 17 أبريل 1940 تم اعتقال 10 شيوعيين ونفي البعض منهم، تنوعت جنسياتهم بين التونسيين والإيطاليين بتهمة إعادة تكوين منظمة وقع حلها³.

لكن نفي الشيوعيين التونسيين لم يدم طويلاً، فبمجرد هزيمة فرنسا أمام الألمان في جوان 1940، أصبحت تونس تابعة لحكومة فيشي المهادنة مع الألمان، وعين (استيفا) مقيماً عاماً في جويلية 1940، وفي ظل الظروف الجديدة فتح نقاشاً بين الشيوعيين في تونس على رأسهم (فيليو سبانو- مورييس نيزار- روبريمون - فردينان بوزار)، تبلور في شكل ندوة بدأ نقاشها في شهر أبريل 1941 ولم ينتهي إلى غاية جوان 1941، خرج خلالها بما يسمى (أطروحة جوان) عالجت جانبين (النظري و السياسي)، النظري ركز على اعتبار تونس قائمة

حبيب القردغلي، المرجع السابق، ص 181.

2. المرجع نفسه، ص 177-178.

3. الاعتقالات شملت الشيوعيين اليهود والإيطاليين، وهم موسى شمامة حكم عليه 4 سنوات سجن، فكتور ستروك 3 سنوات سجن، جورج شمامة 4 سنوات سجن، جورج زراح 4 سنوات سجن، قزلان بن حمان سنة سجن، كوهين إسحاق 3 سنوات سجن، وايدوارد ممووجاك بلعيش وقد أكد جاك بلعيش انه قد ألقى عليه القبض بسبب طبعه للمناشير السرية وقضى 17 شهراً في لسجن منها 7 سنوات في سجن الحراش بالجزائر (حسب حوار جرى بين حبيب القردغلي و جاك بلعيش بباريس 10 سبتمبر 1985). ينظر: المرجع نفسه، ص 179.

على هياكل اقتصادية وسياسية، وقد حددت الأطروحة طبيعة عمل الحزب الشيوعي التونسي ، ونضاله من أجل تونس، هذا الهدف لا يمكن تحقيقه الا بالاستقلال، كما توضح الأطروحة نوعية مهام التي يجب القيام بها في تونس المستقلة¹.

الجدير بالذكر أن المجهود الذي قام به الشيوعيون في تونس شكل سابقة هامة في تاريخ تونس، خاصة إذا ما علمنا أن أغلب البرامج التي تبناها الحزب سابقا، فقد تم إعدادها في لجنة المستعمرات التابعة للحزب الشيوعي الفرنسي من طرف شيوعيين عديمو المعرفة بالوضع التونسي وهو ما يقلل من مصداقيتها. هذا وسنلاحظ تغير مواقف الشيوعيين من فرنسا وزيادة التضيق عليهم من طرف الألمان وعملائهم خاصة بعد الهجوم الألماني على الاتحاد السوفياتي في جوان 1941. ففي صبيحة 22 جوان 1941 قامت القوات الألمانية بهجوم على الاتحاد السوفياتي، انتهت بعدها كل النقاشات حول طبيعة الحرب وتوحدت الأهداف داخل الحزب الشيوعي عامة نحو مقاومة العدو المشترك للاتحاد السوفياتي والقوات الحليفة الأخرى².

أما في تونس ركز الشيوعيون على مقاومة هتلر، وبذلك سيدخلون في مواجهة مباشرة مع السلطة الفرنسية الموالية للألمان. لكن التحول من العمل السياسي إلى المواجهة مع الألمان وحلفائهم يعني التحول من طور الحلقات التثقيفية إلى مرحلة الخلايا التي ستعمل على طرح دعاية بطريقة سرية كتوزيع المناشير والصاقها على الجدران، فكان أول منشور صدر بعد أسبوع من الهجوم على الاتحاد السوفياتي بتاريخ 30 جوان 1941 ركز على جميع الاعمال الوحشية التي قام بها هتلر في ألمانيا والدول الأخر التي احتلها جيشه ودعي المنشور جميع التونسيين للحقد على النازية والفاشية وتعاطفهم مع الاتحاد السوفياتي³.

بداية من شهر أوت 1941 سيبدأ الشيوعيون في إصدار صحيفة (المستقبل الاجتماعي) الناطقة بالفرنسية الشهرية وصحيفة (الطلیعة)، اعتمد الشيوعيون كما ذكرنا سابقا على التحريض المباشر ودعاية ومواقف الشيوعيين من القضايا الجوهرية والتي اعتبرت امتداد لأطروحة جوان 1940⁴.

1. حبيب الفزدغلي، المرجع السابق، ص 178.

2. المرجع نفسه، ص 175-176.

3. المرجع نفسه، ص 174-175.

4. أهم ما جاء في أطروحة جوان 1940: دعت لمناصرة فرنسا الديغولية انطلاقا من موقفه من المسألة الوطنية التونسية والمستعمرات عامة؛ الدعوة لمناصرة الاتحاد السوفياتي اتخذ منحي ديني، ففي هذا البلد يوجد 40 مليون مسلم يواجهون ببسالة الألمان، ويحذرون في نفس الوقت من الدعاية الألمانية القائلة بصداقة هتلر للمسلمين. كما استغل الشيوعيون ظروف المقاومة التونسية من خلال نضال الحزب الدستوري التونسي الجديد الحرفي هذه المرحلة بعد احداث أفريل 1938 وأصدر منشور دعا فيه

ما يمكن استنتاجه أن التحول الذي طرأ على موقف الحزب الشيوعيين في تونس من خلال تطور موقفه الوطني (المطالبة بالاستقلال) لم يقنع التونسي، واطلاق السجناء السياسيين ممثلين في القادة الدستوريين الموجودين في السجون الفرنسية ، كان يمكن الحصول عليه من خلال التفاوض مع الألمان لأن لها سلطة على حكومة فيشي ، هذا ما جعل كل المجهود الذي قام به الشيوعيون على أهميته بقي سطحيا وعاجزا على الإقناع ، فالعنصر البشري الذي قام بهذا المجهود كان في معظمه اجنبي ، لا ينتمي للمجموعة السكانية التونسية المسلمة والتي تمثل الأغلبية¹.

شهدت تونس في 19 جوان 1942 بروز شخصية جديد على الساحة السياسية، تمثلت في اعتلاء المنصف باي العرش الذي قدم مذكرة في 2 أوت 1942 للإدارة الفرنسية مكونة من 16 نقطة ركزت في مجملها على الحفاظ على الشخصية التونسية وساعدة التونسيين في تجاوز مخلفات الحرب عليهم والسؤال المطروح: ما موقف الشيوعيين من هذه المذكرة؟ لقد وجدت المذكرة صدى عند الشيوعيين، لكن انتقادهم لها جاء مرتبطا بتاريخ حكم البايات في تونس، واعتبروا الشيوعيون أن البايات في جميع مراحل الحماية كانوا متواطئين مع الاستعمار، لذلك جاء رد الشيوعيين حذرا². ويمكننا القول إن الشيوعيين في تونس رأوا في الباي مزاحما عنيدا، لذلك أرادوا الترويج لفكرة عمالة الباي لفرنسا مثل من سبقه من البايات، وشككوا في قدرة الباي على تغيير الأوضاع والحصول على الاستقلال.

لكن تطور الأحداث في منطقة شمال إفريقيا أثر على نشاط الشيوعيين، ففي 8 نوفمبر 1942 تمت عملية الإنزال في الأمريكي الإنجليزي بالمغرب والجزائر بقيادة إيزنهاور، فكان ذلك مناسبا لتقديم الشيوعيين تأييدهم لحلفاء الاتحاد السوفياتي، إلا أن الأحداث ستتالي بسرعة ففي 9 نوفمبر 1942 نزلت قوات المحور في تونس، فاتجه الشيوعيين للتنسيق مع الدستوريين لكن دون جدوى.

فاقترح الشيوعيون عقد لقاء مع الديوان السياسي للحزب الدستوري السابع بغية أخذ موقف موحد ضد المحور، إلا ان الدستوريين بعد الموافقة تراجعوا بحجة أن

للتحالف بين الدستوريين والشيوعيين المعادين للألمان. وركز على طرح مطالب وطنية كإطلاق المساجين السياسيين من بينهم الحبيب بورقيبة، والتحق الشيوعيين بالمطالب الوطنية سيظهر للعلن في شعار صحيفة (الطليلة) أبريل 1942 "أيها الشعب التونسي جاهد في سبيل الاستقلال". ينظر: أحمد بن ميلاد ومحمد مسعود ادريس، المرجع السابق، ص 439-440.

1. قمر بندانة والحبيب بلعيد، وثيقة ارشيفية عنوانها (Chronologie du mouvement national tunisien)، مجلة وثائق، ع26، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، منوبة، 2010، ص 121-122.

2. المصدر نفسه، ص 121-122.

الدستوريين ليس بإمكانهم أخذ موقف سياسي في ضل الأوضاع الراهنة،¹ وذلك رغم الموقف الواضح الذي أبداه بورقيبة في سجنه والداعم للحلفاء منذ أوت 1942.²

ان هذا التباين في المواقف بين الدستوريين والشيوعيين سيزداد اتساعا فسرى الحزب الشيوعي يهاجم صحيفة " إفريقيا الفتاة" ويعتبرها ورقة حقيرة للدعاية الألمانية ولا علاقة لها بالشعب التونسي، وينتقد حكومة شنقي التي شكلها بموافقه المنصف باي ويعتبر مواقف الدستوريين تصب في سياسة واحدة، ويدعوا للتحالف مع الجماهير الدستورية. بعد دخول قوات الحلفاء لتونس يوم 7 ماي 1943 سىرى الشيوعيون في ذلك فرصة لرجوع الحياة الى البلاد ويفتح أمام شعبها مستقبلا زاهرا.

نستنتج أن هذه الفترة من تاريخ الحزب الشيوعي التونسي هامة، فبالرغم من المواقف المترنحة والتي لم تكن في بعض الأحيان في مصلحة الشعب التونسي، حيث ارتبطت مواقف الشيوعيين بتونس بالظروف الدولية ومسار الحرب خاصة علاقات الاتحاد السوفياتي وموقعه بين سلامه مع الألمان ودخوله في الصراع، وقد وجد الشيوعيون صدهم في موقف الحبيب بورقيبة العقلاني وتأييده للحلفاء.

1. ان المبادرة التي سيقوم بها بعض الدستوريون كمقابلة ممثل المانيا بتونس الوزير (راهن) يوم 30 ديسمبر 1942، وإصدار صحيفة " إفريقيا الفتاة" وإعادة هيكلة الحزب واغتنام التسهيلات المقدمة من طرف الألمان للقيام بإصلاحات واجتماعات علنية، كل هذه الأعمال ستجعل الشيوعيين يعتقدون أن الدستوريين اتجهوا نحو قبول الحضور الألماني والتعامل الإيجابي معه، ان التطورات التي حدثت ستجعل الشيوعيين يعقدون ندوة في الليلة الفاصلة بين 1942-1943 لتدارس الأوضاع واتخاذ المبادرات. ينظر: ليلي موسى، مرجع سابق، 88.

2. المرجع نفسه، ص 89.

المبحث الرابع: الحركة الوطنية وتحولات مجرى الحرب لصالح الحلفاء(1943-1945)

في مطلع سنة 1942 أصبحت الحرب العالمية أكثر اتساعا مما كانت عليه قبل هذا التاريخ، فقد اندلعت المعارك في الجبهة الشرقية لأوربا من خلال معركة ستالينغراد والجبهة الغربية من خلال الحصار الذي حاولت ألمانيا فرضه على الإنجليز، فأدرك قادة الحلفاء أن السلام لن يتحقق إلا بهزيمة ألمانيا، تبين مع تراجع القوات الألمانية في شرق أوربا بفعل تمكن الجيش الأحمر التابع للاتحاد السوفياتي من التصدي له عسكريا والشروع في الهجوم المضاد. أما في منطقة شمال إفريقيا فقد شرع الحلفاء بقيادة الولايات المتحدة في التخطيط لإنزال عسكري في 8 نوفمبر 1942، وجرى الإنزال في سواحل الجزائر والمغرب الأقصى، كما ذكرنا في الفصل الأول. ردت عليه قوات المحور بعملية إنزال بواسطة المظليين والقوات المحمولة جوا لتعزيز وجودها بتونس. كما شرعت قوات الحلفاء في التحضير للسيطرة على تونس، وبهذا ستتحول تونس ساحة معارك طاحنة ستفضي لسيطرة الحلفاء على تونس، وسينتج عن ذلك تغير في مطالب الحركة الوطنية التونسية¹.

اولا: سيطرة قوات الحلفاء على تونس:

إن الحملة على تونس التي عرفت بمعركة تونس هي جزء من المعارك التي عرفتتها منطقة شمال إفريقيا خلال الفترة المحصورة ما بين (13 نوفمبر 1942 - 13 ماي 1943)، جعلت القوى المتصارعة وجها لوجه، كما شكلت نقطة فاصلة في الحرب العالمية الثانية فتحت الباب واسعا لاسترجاع أوربا من يد الألمان الذين كانوا بدورهم قد حشدوا لهذه المعركة وجعلوها نقطة ارتكاز للهجوم الاستراحة بسبب التحصينات والخطوط الدفاعية المشيدة قبل سيطرة المحور عليها، إضافة لقرمها من خطوط الإمداد الأوروبية:

1. الحشد الألماني في تونس بعد عملية تورش (Torch):

شهدت تونس قبيل بداية الحملة على تونس حشدا للقوات الألمانية، فشكروا فيلقا (XC) جديدا تولى قيادته الجنرال والتر نهرنغ (Walter Nehring) الذي وصل في 16 نوفمبر 1942 دعم لوجستي تم انزالها جوا بواسطة الطائرات والمكونة من 15 ألف جندي و581 طن من العتاد². بينما قامت السفن الألمانية بنقل 175 دبابة و131 مدفع و1152 مركبة و13 ألف طن من مختلف العتاد، لكن الماضي العسكري المليء بالهزائم العسكرية للجنرال والتر نهرنغ دفع الرايخ الثالث لاستبداله بالجنرال جيرجين فون أرنييم الذي كان يتولى

1. محمد بوذينة، الحرب العالمية الثانية في تونس (8 نوفمبر 1942 – 13 ماي 1943)، ط1، منشورات محمد بوذينة، تونس، 1997، ص 18.

2. المرجع نفسه، ص 14

قيادة الفيلق 39 فيروسيا، وعين الجنرال (هينريزقلمر) نائبا له¹. وبذلك تكون قوات المحور قد نجحت في بناء تشكيل عسكري كبير ضم وحدات مشاة ثقيلة تابعة لفيلق فون برويش (Von Broich) المرابط في بنزرت، والفيلق العاشر (10 Panzer Division) لمنطقة الوسط الى جانب الفيلق الإيطالي (Superiga)، فقدرت القوات التي نقلت من أوروبا بين منتصف شهر نوفمبر 1942 الى غاية جانفي 1943 بـ 112 ألف جندي و101 ألف طن من العتاد والتجهيزات لتونس². وامتلكت قوات المحور ميزة إضافية مقارنة بقوات الحلفاء، قرب قواعد التمويل الموجودة في الأراضي الإيطالية، وهي ليست ببعيدة عن تونس ويفصل بينها البحر لمسافة قصيرة. بالمقابل كانت خطوط الحلفاء بعيدة عن موقع الحدث، مما اضطر قوات الحلفاء التي نزلت في شمال إفريقيا لوضع قاعدة متقدمة في جبل طارق، وبالنسبة لأهم الموانئ التي جهبها الحلفاء في شمال إفريقيا والأقرب لمسرح المعارك ميناء عنابة (300 ميل) إضافة لميناء الجزائر ووهران³.

أما عن الوضع العام للقوات الألمانية بتونس وعلاقته بالسكان المحليين، فقد أورد الكاتب محمد بوذينة في كتابه (الحرب العالمية في تونس) من خلال نشرية صادرة عن القوات الألمانية باللغة العربية تحت عنوان (الحالة في تونس و سيرة الجنود الألمان) بتاريخ 19 نوفمبر 1942 ما يلي : "نظن أن قراءنا الكرام يعرفون حق المعرفة الصداقة المتينة والتفاهم التام بين المسلمين التونسيين وأصدقائهم الضيوف الألمان...الوطنية التونسية استأنفت جهادها...لا يتلاقى جندي ألماني مع تونسي إلا ويرفع يديه يحييه بيديه و بثر باسم...و إذا استدعى التونسيون أصدقائه الألمان لبيوتهم لا يدخلون البيوت قبل نزع أحذيتهم احتراماً لصاحب البيت...و إذا دخلوا مقهى يحيون الناس بكامل التحية..... هذه كلمة موجزة نقدمها لقرائنا الكرام عن حال تونس عند وصول جيوش المحور إليها"⁴.

ومن خلال ما ورد في النشرة يتبين أن سياسة القوات الألمانية في تونس كانت قائمة على كسب ود السكان المحليين لتفادي أي صدام، يتضح ذلك من خلال المعاملة الحسنة لهم، فقد عمد التونسيون الى التشفي من الفرنسيين وكل من ساندتهم، فكثرت التونسيين المتطوعون كمخبرين⁵. وتصدرت الفياق الألمانية كمرشدين في العديد من المعارك على غرار

1.محمد بوذينة، المرجع السابق، ص 15-16.

2. Churchill Winston Léonad Spencer, Mémoires sur la deuxième guerre mondiale, L'heure tragique, L'Angleterre seule, mai-décembre 1940, Plon éditions, T4, v2,paris, 1949, p225.

3. محمد بوذينة، المرجع السابق، ص 9-10.

4. المرجع نفسه، ص 20.

5.A.N.T, M.N, C13, D9, Rapport de police de Hammamet au commissaire principal chef de la 2 eme région du 25/05/1943.

حسن النوري من منطقة البطان الذي رافق الجيش الألماني الى جهة المخفورة بمجاز الباب¹. كما نجد من التونسيين من تطوع في الجيش الألماني وحمل السلاح، كمجندين وقاموا بحراسة بعض الأماكن الاستراتيجية، مثلاً كلف 15 جندياً بحراسة جبل سالم لمراقبة تقدم البريطانيين².

لكن سيطرة قوات الحلفاء على تونس والمغرب الأقصى، جعل الألمان يشعرون بالخطر، فوضع الجنرال رومل خطة للتراجع نحو خط مارث على الحدود التونسية الليبية والذي إذا استولى الحلفاء عليه فإنهم سيسمح لهم بالسيطرة على مدخلين طبيعيين مؤديين الى تونس من ناحية الشمال والجنوب، ففي 23 جانفي 1943 عندما تراجعت القوات الألمانية إلى الغرب سيطرت القوات البريطانية على طرابلس. وبتاريخ 31 جانفي 1943 بدأ الألمان في هجمات ضد قوات الحلفاء الذي كان الهدف منه الدفاع المتحرك، لكن بسبب الخسائر التي لحقت بسلاح الدبابات أوقف الهجمات وقررت قوات المحور حشد قواتها للسيطرة على الطرق والممرات المؤدية لوسط تونس لإفشال خطط الحلفاء للسيطرة على ممر فايز القريب من مدينة سيدي بوزيد بمساعدة قوات رومل القادمة من ليبيا³.

2. زحف قوات الحلفاء على تونس:

بدأت القوات البريطانية بالتقدم نحو تونس فوصلت إلى منطقة سيدي النصير في 18 نوفمبر 1942، ثم منطقة مجاز الباب في ليلة 19 نوفمبر. كان هدف الحلفاء هو اختراق الخطوط الدفاعية للمحور لتقسيمها إلى قسمين للسيطرة على مدينتي تونس وبنزرت، كما شرعت في 21 جانفي في الهجوم على ممر (فايز) لاسترجاعه من قبضة الألمان، لكن الألمان صدوا الهجوم البريطاني باستعمال مدافع المورترو والمدافع المضادة للدبابات.

في نفس الوقت شرع الحلفاء في تهيئة القواعد العسكرية والمطارات لاستقبال الطائرات التي بدأت تحط في الجزائر والمغرب، ونقلت الوحدات الأمريكية نحو الوحدات القريبة من تونس، وشرع الحلفاء في وضع مخطط تقسيم للوحدات العسكرية للسيطرة على تونس، في الشمال توجد قوة (Eastern Task Force) بقيادة الجنرال كينيث أندرسن التي تكونت من 5 فيالق إضافية التحقت بالفيلق البريطاني السادس للدبابات و38 للمشاة البريطانيين. أما في الجنوب نجد الجيش البريطاني المكون من فيلقين وفي الوسط الجيش الأمريكي الثاني الذي يضم 6 فيالق هي (1، 3، 9، 34 للمشاة) و (1، 2 للدبابات)، علماً أن الأمريكيين قاموا

1.A.N.T, M.N, C13, D9, Rapport de la gendarmerie du 14/06/1943.

2.Ibid, plainte à la Commandature allemande du 26/03/1943.

3. محمد بوزينة، المرجع السابق، ص 33.

بوضع مركز لوجستيكي في الجزائر وتونس قرب جبال الأطلس، لتمويل القوات المكلفة بوقف التقدم الألماني القادم من الجنوب بقيادة رومل¹.

وبداية من شهر ديسمبر 1942 شنت قوات المحور هجوما مضادا على مراكز الحلفاء سعيا منها للمباغثة، لكن قوات الحلفاء نجحت في الدفاع عن (مجاز الباب)² بالرغم من الخسائر التي تكبدها، فشرعوا في التجهيز لعملية كبيرة والتخطيط لها، إذ بلغت قوات الحلفاء (20 ألف جندي بريطاني، 11 ألف 800 جندي أمريكي، 7 آلاف جندي فرنسي)³.

في ظل تغير الوضع العسكري ووصول تجهيزات جديدة لقوات الحلفاء، شرعت بداية من 17 ديسمبر 1942 في التوغل لمدينة المكناسي واختراق الخطوط الأمامية لقوات المحور في محاولة للوصول الى التلال الواقعة بين مجاز الباب وتبورا التي تطل على سهول " مجردة "، حتى تكون الطريق مفتوحة نحو مدينة تونس، لكن في 26 ديسمبر 1942 قاد الألمان هجوما مضادا تمكنوا خلالها من وقف زحف قوات الحلفاء، وأرغمهم على التخلي عن مواقعهم التي سيطروا عليها متكبدين خسائر قدرت ب 534 جندي وفشلت المحاولة الأولى للاستيلاء على تونس.

من خلال ما ذكرنا نستنتج أن الأوضاع وصلت لطريق مسدود بسبب مجريات المعارك، فقد اغتيل الجنرال دارلان (Darlan) في 24 ديسمبر 1942 وعين الجنرال جوانمكانه، فبدأ صراع بين القيادات الفرنسية في أوروبا وشمال إفريقيا انتهت بانتصار الجنرال ديغول على منافسيه، وعلى إثر ذلك كانت الأوضاع على الجبهة التونسية مطلع سنة 1943 غير مستقرة لصالح طرف معين، إذ تارة نجد قوات المحور تحقق تقدما وتارة أخرى تتمكن قوات الحلفاء من تحقيق على حساب قوات المحور⁴.

لكن بعد عقد مؤتمر أنفا خلال الفترة 14 - 24 جانفي 1943 بمدينة الدار البيضاء بين الرئيس الأمريكي روزفلت و رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل و الجنرال الفرنسي شارل

1. عز الدين زاويدي، المرجع السابق، ص 231-232.
2. تقع مجاز الباب هذه المدينة الصغيرة التي أسسها الأندلسيون في أرض خصبة تبعد 58 كلم عن العاصمة وبها جسر طوله 200 متر بني سنة 1677 ويمثل النقطة الحساسة بهذه المنطقة، وتمثل بحكمها الجغرافي أهمية بالغة باعتبارها ملتقى الطرقات الاستراتيجية القادمة جنوبا ن زغوان وقبلاط وشمالا من بنزرت وماطر عبر طبرية، الطريقة الوحيدة التي امتدت قرطاجة وتونس نحو الجزائر لا تزال تمر عبر مجاز الباب. ينظر: محمد بوذينة، المرجع السابق، ص 38.
3. المرجع نفسه، ص 37.
4. محمد حمدي، معارك عام 1943 " بريطانيا وحلفائها "، ج 4، ط 1، مطبعة الفسطاط، د-ت، ص 40-41.

ديغول بحضور محمد الخامس، عين الجنرال ألكسندر جورج (Alexander Georges)¹، أما قيادة القوات الجوية فقد عين للمارشال آرثر تيدر (Arther Tedder)² مع احتفاظ الجنرال (إيزنهاور) بالقيادة العامة.

على إثر هذه التعديلات التي جرت على مستوى القيادة العسكرية الأمريكية، تمكنت القوات الأمريكية من دخول الأراضي التونسية عبر مرتفعات الأطلس الجزائري، مما سمح لها السيطرة على مناطق جبلية تتخللها سهول، وتقسيم جيش (أفريكا كوريس) الألماني بقيادة الجنرال فون أرنييم (Von Arnim) إلى قسمين، وهو ما دفعهم للاستنجاد بالجنرال (رومل) التي شرع في قيادة هجوم على القوات الأمريكية قبل أن تستقر على الأراضي التونسية،³ مما أجبر القوات الأمريكية على التراجع نحو السهول بمنطقة (سبيلطة) مشكلة خط دفاع لها هناك. إلا أنها لم تستطع الصمود أكثر وتخلت عن المدينة في ليلة 17 فيفري مما مكن القوات الألمانية من السيطرة على جميع السهول الداخلية لتونس والتقدم نحو مرتفعات (سبيلطة والقصرين)⁴.

في 19 فيفري 1943 تقدم رومل نحو منطقة القصرين محدثا خسائر كبيرة في صفوف الحلفاء (6 آلاف جندي أمريكي وتدمير تلي الدبابات الأمريكية)، مما جعل القوات البريطانية في 21 فيفري 1943 تتقدم لمساعدة الأمريكيين فوصلت إلى منطقة (مدنين) ريثما يصل الدعم

1. هو جورج هارولد ألكسندر أول كونت ملقب بألكسندر تونس مارشال انجليزي ولد بلندن سنة 1891، تقلد مناصب عسكرية عديدة منها، قائد القوات المتحالفة بإيطاليا ما بين 1943-1944، ثم قائدا في منطقة البحر المتوسط ما بين (1944-1945)، ثم تقلد منصب حاكم كندا ما بين (1946-1952)، ثم وزيرا للدفاع ما بين (1952-1954)، توفي سنة 1969. ينظر:

Petit dictionnaire Larous..., op-cit, p.1102.

2. هو آرثر تيدر مارشال بريطاني ولد في (Glenguin) بمقاطعة اسكتلندا سنة 1890، عين قائدا للقوات الجوية المتحالفة على تونس سنة 1943. ثم أصبح مساعدا للجنرال ايزنهاور في قيادة القوات المتحالفة التي قضت على الألمان ما بين (1944-1945)، توفي سنة 1967. ينظر:

Petit dictionnaire Larous..., op-cit, p. 1723.

3. استمرت المعارك مع نهاية جانفي 1943، لتصل إلى مواجهة القوات الألمانية لبعض القوات الفرنسية، حيث اصطدم الفيلق 21 المدرع بهذه العناصر في منطقة (فايد) التي تعتبر ممرا رئيسيا بين السفوح الجبلية الشرقية والسهول الساحلية وقضت عليهم، ثم قامت بتطويق منطقة كان يوجد بها فرقتين أمريكيتين، فحاولت قوات الفيلق الأول الأمريكي للدبابات وقوات فرنسية نجدتهم لكنها لم تستطع لقوت الجيش الألماني المهاجم، وبعد 3 أيام من المعارك الضارية تنازل الأمريكيون عن المواقع واقاموا خطا دفاعيا عند مدينة سبيلطة. ينظر:

Churchill Winston Léonad Spencer, T4, op.cit, p 260-290.

4. عز الدين زايدي، المرجع السابق، ص 233-234.

للأمريكان، فقرر (رومل) التراجع في 22 فيفري 1943 نحو (خط مارث)¹ الموجود تحت السيطرة الألمانية².

وفي 23 مارس 1943 تجاوزت القوات الأمريكية الثانية المرتفعات التونسية وحاصرت الفيالق العاشر الألماني في منطقة القطار، تكبد فيها الألمان خسائر كبيرة، تلتها معارك أخرى ضد الجنود الإيطاليين المتمركزين في المنطقة ومع وصول الدعم البريطاني اضطرت قوات المحور لمغادرة مدينة قابس نحو الشمال، وعمدوا على استنزاف قوات الحلفاء عبر عمليات تعتمد مبدأ الكر والفر³.

في نفس الوقت قام الجيش البريطاني الثامن بهجوم على خط (مارث) عبر محورين: الأول على المناطق الساحلية بين بلدي مارث والبحر، أما الثاني فيتمثل في عملية التطويق عبر مدينة الظهرية التونسية. امتدت هذه المعارك إلى غاية 28 مارس 1943 عندما تمكن الجيش البريطاني من إجبار قوات المحور على إخلاء المواقع الدفاعية بخط (مارث) والتوجه شمالاً⁴. وفي 7 ماي 1943 دخلت القوات البريطانية مدينة تونس، وسيطر الجيش الأمريكي على مدينة بنزرت وبقية مناطق مثل (طقرونة، جبال زغوان) بيد قوات المحور وحاولت بشتى الطرق الحفاظ عليها لكن مع حلول 16 ماي تمكنت قوات الحلفاء من السيطرة عليها.

1. يوجد خط المارث الدفاعي بالجنوب التونسي بمنطقة (مارث-توجان) من ولاية قابس، ويرجع تشييد هذا الخط لسنة 1936 من قبل الجيش الفرنسي وذلك لصد هجوم محتمل على تونس من طرف القوات الإيطالية انطلاقاً من الأراضي الليبية التي كانت خاضعة آنذاك للاحتلال الإيطالي. يمتد هذا الخط الذي يسمى خط (ماجينو الصحراوي) على طول 45 كلم بين البحر ومرتفعات مطماطة ويعتمد أساساً على وادي (زقواو) ويحتوي على 40 حصناً للمشاة و8 حصون كبيرة للمدفعية و15 مركزاً للقيادة و28 نقطة مساندة وقد بنيت كلها بالإسمنت المسلح. إلى جانب ذلك تم حفر خنادق ووضع أسلاك شائكة وزراعة حقول الغام غداة هزيمة الجيش الفرنسي في جوان 1940. وبعد السيطرة الألمانية على فرنسا وتوقيع الهدنة ثم تجريد الخط من أسلحته، وبعد تراجع الجيشين الألماني والإيطالي بقيادة المارشال رومل بداية من 5 نوفمبر 1942 قادماً من ليبيا باتجاه تونس، بسبب ضغط المعارك التي وقعت ضد الجيش البريطاني بقيادة مونتغمري قررت قيادة المحور إعادة تسليحه. ينظر: محمد بوزينة، مرجع سابق، ص 124-125.

2. قام الأمريكيون بتحليل كل المعارك السابقة وخرجوا باستنتاجات هامة جعلتهم يعتمدون على التقارير التي كانت تصدر من القيادة العسكرية، ثم قاموا بحركة واسعة في الضباط السامين وأسندت قيادة الجيش الأمريكي الثاني للجنرال جون باتون بمساعدة عمر برادلي، وتقرر إبقاء أكبر الوحدات العسكرية في ساحة المعركة بدل تشتيتها، وهي الاستراتيجية الحربية التي ستصح النقائص الحاصل في الجبهات. ينظر:

Churchill Winston Léonad Spencer, T4, op.cit, p 368-369.

3. Ibid, p p370-371.

4. محمد بوزينة، المرجع السابق، ص 126.

من خلال ما سبق نستنتج أن المعارك التي شهدتها تونس خلال الحرب العالمية الثانية شكلت نقطة فاصلة لإنهاء تواجد قوات المحور في شمال إفريقيا رغم صعوبتها، فبسبب الهزائم التي تعرضت لها القوات الموالية للمحور في كل من الجزائر والمغرب وليبيا، انسحبت جميع القوات لتونس، مشكلة قوتا ضخمة صعب القضاء عليها لولا تعاون القوات الفرنسية المحسوبة على الجنرال ديغول التي شكلت دعما أساسا في هذه المعركة. مما جعل الأمريكان والبريطانيين يعترفون للفرنسيين بتقلد مناصب قيادية فطلب من الجنرال جيروا (Jeran) من أن يكون ضمن الجيش الذي سيقود العمليات على التراب الإيطالي¹.

كما شهدت تونس بعد نهاية الحملة العسكرية عمليات تطهير في مختلف المناصب الإدارية، بداية بتعيين الجنرال جوان مقيما عاما بالنيابة في انتظار تنحية الباي. وانطلقت في مارس 1944 محاكمة ضباط من الكتيبة الإفريقية²، رغم ذلك تلقى الجيش الإفريقي اشادة كبيرة من الرئيس الأمريكي (روزفلت) الذي صرح: " أقدم لكم إقرار الشعب الأمريكي الذي يحي مساهمة القوات الفرنسية الكبيرة، والتي توجت أمس بتحرير تونس وبزرت. إن الجنود الفرنسيين اثبتوا قوتهم في مقاومة العدو النازي، هذه السابقة سوف تجعل الأمم المتحدة تعمل ضد الظلم لإرجاع فرنسا لشعبها"³.

كانت الحملة على تونس صعبة على جميع الأطراف المتحاربة لخسائرها الكبيرة، وعدم التكافؤ في التسليح بين الطرفين خلال مراحل الحرب المختلفة فمثلا مع بداية الحرب لم يكن للفرنسيين أن يستطيعوا مواجهة الدبابات الألمانية لعدم وجود أسلحة مضادة لها، واقتصرت على الأسلحة التقليدية التي قدمها لهم الحلفاء، أما القيادات العسكرية الأمريكية والبريطانية فشكلت معركة تونس مدرسة لتعلم فنون الحرب والتخطيط⁴.

ثانيا: النشاط السياسي في تونس في ظل تواجد قوات الحلفاء (7ماي 1943-1945):

شهدت المرحلة التي تلت سيطرة الحلفاء على تونس تطورا في نشاط الحركة الوطنية التونسية و ذلك على الرغم من إجراءات الإدارة الفرنسية بإزاحة التونسيين الذين أظهروا مساندة لدول المحور من القيادات الدستورية⁵ مما اضطرها للهجرة الى خارج البلاد، فلجأ

1. Churchill Winston Léonad Spencer, T4, op-cit, p p359-360.

2. Levisse Touzé Christine, op-cit, p 337.

3. IBID, 338-339.

4. عز الدين زايدي، المرجع السابق، ص 236.

5. عملوا خلالها على الدعاية للقضية التونسية من خلال بث إذاعي اطلق عليه اسم (افريقيا الفتاة) في صيف 1943 ، و أسس في برلين الرئيس ادريس و حسين التريكي مكتب المغرب العربي للتعريف بالقضية الوطنية وسط العمال المغاربة و الأسرى ، و سيعملون بعد التوجه لباريس لإعادة نشاطه في أواخر 1944 من خلال اصدار جريدة (المغرب العربي) مع بداية 1945، وذلك بعد أن اسسوا حركة الدستور الوطني الشمال افريقي سنة 1943 ، و ضمت وطنيين جزائريين و مغاربة و تونسيين، ومن النشاطات الفعالة التي

الحبيب ثامر ويوسف رويحي وحسين التريكي والطيب سليم والرشيدي ادريس والهادي السعيد وغيرهم إلى روما ثم لألمانيا وفرنسا وأخيرا إسبانيا بين سنوات (1943-1946) وحتى أصحاب المواقف المحايدة أمثال: المنصف باي جاءت ردود فعل سلطات الحماية معارضة لهم ولبقيهم، لكونها اعتبرهم خطرا على سلطتها في تونس¹.

1. ظهور الحركة المنصفية:

بعد تقلد محمد المنصف باي الحكم في تونس 19 جوان 1942، نشأ تيار يحذوه أمل التغيير للأفضل، علق التونسيين آمال كبيرة عليه للتغيير، نظرا لميولاته الوطنية. ومما يدل على تمسك المنصف باي بتوجهه الوطني، استقباله وبصفة رسمية ممثلي الحزبين السياسيين الدستوري القديم والجديد، ومحاولته إصلاح الخلاف القائم بينهما وكانت هناك توقعات أن يقدم هذا الباي إصلاحات من أحب النهوض بأحوال شعبه، لكن بعد دخول الحلفاء لتونس أصبح مصير المنصف باي غامضا².

أ- خلع المنصف باي 14 ماي 1943:

بعد دخول قوات الحلفاء العاصمة تونس يوم 7 ماي 1943، طلب الجنرال جوان من المنصف باي التنازل عن العرش فرفض الأخير، مما دفع الجنرال جيرو (Giraud) كممثل لجنة التحرير الوطني الفرنسية في 14 ماي 1943 لإصدار مرسوما جاء فيه: " باعتبار أن وجود سمو باي تونس على العرش في الظروف الحالية من شأنه أن يثير بعض المشاكل في سبيل استتباب الأمن الخارجي والداخلي للإيالة ". ونصب ولي العهد محمد الأمين باي في يوم 15 ماي 1943، وتقرر نفي المنصف باي إلى مدينة الأغواط في الجنوب الجزائري من هناك تنازل عن العرش يوم 6 جويلية 1943 ونقل في شهر جويلية الموالي إلى مدينة تونس ومنها لمدينة (بو) في الجنوب الفرنسي وبقي هناك إلى غاية وفاته³.

أشرفت عليها الحركة، القيام بأيام احتجاجية بمناسبة عزل المنصف باي وحوادث 9 أفريل 1938 .

للمزيد من التفاصيل ينظر: خالد عبيد وآخرون، المرجع السابق، ص 121.

1. خالد عبيد وآخرون، المرجع السابق، ص 122.

2. محمد سعيد عقيب، المرجع السابق، ص 246-247.

3. حمادي ساحلي، المنصف باي والحركة المنصفية (1942 – 1948)

ACTES du Séminaire sur l'histoire du Mouvement National (La Tunisie de 1939 à 1945), Ministre de l'éducation de l'enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique –Programme National de Recherche (P.N.R) du Mouvement National, Tunis, 1989, p p 188-189.

قدمت السلطات الفرنسية مجموعة من الحجج الواهية ضد المنصف باي، مدعيتا أن له علاقة بقوات المحور والألمان¹، وذلك رغم حرصه على اتباع سياسة الحياد تجاه الأطراف المتحاربة، لكن السبب الحقيقي وراء عزله وهو رغبته في ممارسة سلطة كاملة، وتقديمه لمصالح التونسيين من خلال تقريبه للوطنيين التونسيين، فاعتبرته سلطات الحماية شخصية تشكل خطرا على مصالحها في تونس². وقد ذكر سعيد المستيري في كتابه المنصف باي أن المراقب المدني بالمغرب الملحق بالإقامة العامة بالكاف روجي غرومان وجه تقريراً إلى الدكتور أبادي والعضو في حكومة جيرو اقترح فيها ما يلي: "اقترح نفي الباي وحكومته إلى مدغشقر، وتعويضهما بمجلس الإيالة، والغاء نظام خلافة الأكبر سنا للعرش، دون المس بمبدأ الحماية". ويضيف ر. كازماجور الذي كان ناطقا باسم الجالية الفرنسية بتونس من خلال كتاباته حسب المستيري سعيد تحت عنوان (قلق لدى الفرنسيين): "إن الباي ورجاله يتحملون وحدهم مسؤولية الإهانة التي سلطوها على ما بقي من مجد فرنسا"³.

من خلال قراءة متأنية لتقرير روجي غرومان وما كتب ر. كازماجور نجد أن قضية عزل الباي لم تكن وليدة مرحلة سيطرة الحلفاء على تونس ولكن هي نتاج تراكمات عند سلطات الحماية وزاد في ظهورها للعلن تقارير بعض المحسوبين على المستوطنين الفرنسيين الذين تضررت مصالحهم من بعض التعديلات التي أدخلها الباي في تسيير تونس أثناء تواجد قوات المحور. كما أظهر تقرير (روجي) أن مشروع خلع الباي كان جاهزا ولم يتطلب عناية الدراسة من طرف سلطات الحماية⁴.

ب- ردود الفعل التونسية:

تأثر الشعب التونسي بعزل المنصف باي عن عرش تونس، وظهرت للعلن منذ الأيام الأولى مطالب لإعادة المنصف باي لمنصبه وعدم الاعتراف بالباي الجديد. ففي لقاء جمع بين

1. فقد ذكر سعيد المستيري في كتابه المنصف باي ما يلي: "في 12 أبريل 1943 كانت القوات الحليفة تدخل لسوسة والقيروان، وفي ذلك اليوم كان المنصف باي يعلق لعديد من الضباط السامين والجنرالات الألمان والإيطاليين أوسمة ونياشين الافتخار. ففي اليوم الموالي اذاع النبا راديو الجزائر ونشرته الصحف اليومية الجزائرية، مضخمة للخبر إلى الحدود القصوى ومستدلة به كحجة دامغة على تعاون المنصف باي ووزرائه مع المحور، وذلك بإيحاء من أطراف معينة في الجزائر (بيروتون) لتوريط المنصف باي ووزرائه نهائيا، فسقط فيه هؤلاء دون وعي منهم، ويؤكد شنيق على ذلك بقوة. للمزيد ينظر: سعيد المستيري، المرجع السابق، ص 119-120.

2. محمد سعيد عقيب، المرجع السابق، ص 252.

3. سعيد المستيري، المرجع السابق، ص 177-178.

4. المرجع نفسه، ص 179.

الحبيب بورقيبة ومدير الشؤون السياسية للإقامة العامة بونفاس (Boniface) في 10 جوان 1943، أكد بورقيبة أن خلع المنصف باي عن عرش تونس يعد خطأ ارتكبه السلطات العسكرية. وفي 17 ماي 1943 أعاد بورقيبة اثار هذه القضية عندما استقبل من طرف قنصل الولايات المتحدة الأمريكية الذي بدوره وعده بدراسة قضية الباي مع سلطات الحماية الفرنسية.¹

في ظل هذا الوضع السياسي نشأ نوع من التقارب بين مختلف القوى السياسية في تونس، اتخذ شكل جبهة وطنية جمعها المطالبة بإعادة محمد المنصف الى الحكم، وضمت الدستوريين من أتباع الديوان السياسي، المستقلين، مشايخ جامع الزيتونة، أعضاء المجلس الكبير، أتباع المنصف باي السابقين، أصدقاء وأمرء العائلة الحسينية، فت بلور هذا التقارب تشكل تيار سياسي جديد عرف بالحركة المنصفية، التي أظهر لها الحزب الشيوعي التونسي المعارضة من خلال التهم الموجهة ضد المنصف باي بالتعاون مع المحور، ونعته لقادة الحزبين الدستوريين القديم والجديد خاصة صالح فرحات بالخونة². واستقطبت الحركة المنصفية مختلف القوى السياسية والاجتماعية التونسية ضد سلطات الحماية الفرنسية، ولم تبرز زعامات، غير انها جمعت افراد العائلة الحاكمة³. ورفضت الحركة الاعتراف بالأمين باي واعتبرته غير مؤهل لإمضاء اية اتفاقية لكونه لم يحصل على البيعة من الشعب التونسي، وهددت بالقيام بالمظاهرات واقترحت القيام باستفتاء لصالح المنصف باي طبقا لمبادئ الميثاق الأطلسي⁴.

لقد افشلت الحركة المنصفية الجهود المبذولة لسلطات الحماية الفرنسية على الساحة السياسية التونسية، فأدخلت الخلافات حتى داخل البيت الحسيني، وشوشت على عمل الإقامة العامة بتونس، مما خلق انتقادات واسعة لسياسة سلطات الحماية في تونس من طرف منظمة فرنسا المكافحة (La France Combattante) ومن طرف المجلس القومي للمقاومة (Conseil National de Résistance) وتزعم هذا التيار الجنرال "كاتروا". دفعت هذه المواقف الحركة للتصعيد من لهجتها ضد الفرنسيين من خلال عبارة كانت متداولة بين قادة

1. حمادي ساحلي، المرجع السابق، ص 188.

2. الرشيد ادريس، سنوات الهجرة الأولى، الكراسات التونسية، ع 115، السنة 1981، ص 115-116.

3. نخص بالذكر الأمير حسين باي اخ المنصف باي واخوهما محمد، وابن الملك المخلوع الأمير رؤوف وعديد الموظفين العاملين سابقا مع المنصف باي أمثال الصادق زميرلي، على كاهية، محمد بذرة، عزيز الجلولي، والذين كانوا يجتمعون عند حسين باي. ينظر: جلول ريدان، حسن حسني عبد الوهاب (1883-1968)، ط1، مؤسسة بوجميل للطباعة والنشر، تونس، 2010، ص 313.

4. المصدر نفسه، ص 315.

الحركة الوطنية: "إما عودة المنصف باي أو الانتفاضة فاختاروا أيها السادة الفرنسيين"، وقد ظهرت الحركة المنصفية بأسماء عديدة منها (القوى التونسية الداخلية)¹.

عموما ان الحركة المنصفية خلقت جوا من الكراهية ضد الفرنسيين، واستقطبت مختلف التيارات الوطنية، دفع ذلك المقيم العام الى محاولة احتواء الأوضاع والالتفاف على البعض ممن عملوا مع المنصف باي، حيث استقبل الجنرال ماست عزيز الجلولي وشخصيات أخرى في عدة مناسبات، سعيا منه للحد من الاتصالات التي كانت مع القنصلية الإنكليز والأمريكية و التي لم تكن تأمل منها الحركة المنصفية شيئا²، كما تجاوزت الحركة المنصفية حدود البلاد التونسية، حيث قام بعض قادة الحزب الدستوري الجديد الذين غادروا تونس بعد سيطرة الحلفاء عليها، بحملات في الخارج للدفاع عن قضية المنصف باي ومثال ذلك اجتماع بباريس في 25 جوان 1944 برئاسة الدكتور الحبيب ثامر للاحتجاج على خلع المنصف باي³.

نستنتج ان الاتصالات التي كانت بين الحركة المنصفية والأمريكان والإنكليز، لم تكن ذو فائدة تذكر فحلفاء فرنسا، لم يكونوا جاهزين للتضحية بتحالفهم مع الفرنسيين، فقد تماطلوا في التسوية وتقديم الحجج الواهية، أما الحزب الدستوري الحر الجديد، فعمل الى التصالح وإزالة البرودة بين الحزب والمنصفين على رأسهم حسين باي.

2. العمل السياسي التونسي الوحدوي في ظل المتغيرات الجديدة:

بعد سيطرة الحلفاء على تونس، تغيرت موازين القوى في أوربا، فظهرت ملامح لانتصار الحلفاء، التي ستغير وتعيد التوازن المنتظر في السياسة الدولية، خاصة ما تعلق بالنظام الاستعماري، ضمن نفس السياق عقد في مدينة برازافيل عاصمة الكونغو في أفريل 1944 مؤتمرا برئاسة الجنرال شارل ديغول لبحث علاقة فرنسا بمستعمراتها، فخرج المؤتمر بمبدأ جديد هو (الوحدة الفرنسية)⁴.

فبدأت فرنسا بتونس التي لم تخرج فيمها سياسة الحماية الفرنسية عن تقاليدها، اعتمادا على سياسة الإصلاحات التي جابهت بها الحزب الدستوري في السابق، فقام الحاكم العام ماست بتأسيس لجنة إصلاحية مكونة من 24 عضوا نصفهم فرنسيين والنصف الآخر تونسيين و كلف الطاهر بن عمار نائب رئيس القسم التونسي بالمجلس الكبير بالتواصل مع

1. جلول زيدان، المرجع السابق، ص 314.

2. المرجع نفسه، ص 316.

3. حمادي ساحلي، المرجع السابق، ص 187.

4. محمد الحبيب شلي، خلفيات مؤتمر الاستقلال 23 اوت 1946، المجلة التاريخية المغربية، ع 23-24.

نوفمبر 1981، ص 321.

مختلف الشخصيات منهم الحبيب بورقيبة الأمين العام للحزب الدستوري الجديد و صالح فرحات الأمين العام للحزب الدستوري القديم. لكن اتفاق صالح فرحات والحبيب بورقيبة بعدم المشاركة، جعل جهود المقيم العام تخفق في مقاصدها، رغم التواصل الذي حاول من خلاله المقيم العام اقناع صالح بن يوسف كاتب سر الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد الموافقة على الإصلاحات السياسية بدلا من دستور لتونس، فإن صالح بن يوسف رفض طلب الجنرال ماست لأنها مخالفة لما يتطلع له التونسيون¹.

أ- صياغة بيان الجبهة الوطنية التونسية:

سعى من الحزبين الدستوريين القديم والجديد زيادة التنسيق فيما بينهما وعملا بالاتفاق الموقع بين زعيمي الحزبين الناتج عن الاجتماع الذي عقد في شهر اوت 1944 في كازينو لاجوتاي بحلق الواد، تشكلت لجنة مكونة من 7 أعضاء تمثل مختلف التيارات الوطنية²، التي بدورها عقدت اجتماع لها في 30 أكتوبر 1944 بمكتب صالح فرحات وخرج بمجموعة من النقاط أهمها المطالبة بالاستقلال الداخلي وفق الأسس الديمقراطية والتوقيع على الميثاق التونسي³.

ما يلاحظ من نتائج الاجتماع خروج النضال الوطني التونسي عن المألوف (الإصلاحات السياسية) و اشتراكهم في مطلب الاستقلال الداخلي (Self-government)، و ساعد على ذلك الأوضاع السياسية الذي أتاحت التقارب بين مختلف التيارات . أما في اجتماع عقد يوم 13 نوفمبر 1944 بمكتب الطاهر الأخضر بنهج السراجين، وسعت اللجنة السابقة ليصبح عدد أعضائها سبعة عشرة عضوا⁴. والملاحظ غياب صالح بن يوسف ودخول المنصفين بقوة وقد

1. احمد بن ميلاد، وثائق عن مؤتمر ليلة القدر 23 اوت 1946، المجلة التاريخية المغربية، ع 23-24، نوفمبر 1981، ص 335.

2. أعضاء اللجنة السبعة: صالح فرحات، الحبيب بورقيبة، الطاهر بن عمار، مصطفى الكعك، محمد بن رمضان، حمادي بدر، الفاضل بن عاشور (زيتوني) وحضر معهم في اللحظات الأخيرة الطاهر لخضر. للمزيد ينظر:

Mohamed sayah, histoire du mouvement national tunisien - pour préparer la troisième épreuve (le néo – destour brise le silence 1944-1949, documents x, achevé d'imprimer sur les presses de l'imprimerie officielle, 1972, p158.

3. محمد الحبيب شلبي، المرجع السابق، ص 223.

4. الأعضاء السبعة عشر: البير بسيس، محمد الماطري، محمد شنيق، عزيز جلوي، أحمد زاوش، طاهر زاوش، نور الدين زاوش، البحري قيقة، المنصف المنستيري، علي كاهية، الشادلي بن رمضان، صالح فرحات والحبيب بورقيبة، مصطفى الكعك، الطاهر بن عمار، محمد بدر، الفاضل بن عاشور وغاب

خرج التقرير الختامي بما يلي: "في غياب محمد بن رمضان والفاضل بن عاشور، تقرر أن نص 30 أكتوبر 1944 لا يمثل سوى جزء من التقرير الختامي للجنة الدراسات، ينبغي أن تطلع عليه مجموعة أوسع. وبعد مناقشات الموضوع في العمق ابدت ملاحظات بغية الغاء عبارة (الحكم الذاتي) بسبب عدم دقتها، ويهدف الغاء النظام المرغوب من الآن بوصفه ملكية دستورية"¹.

تلى الاجتماعين السابقين عدة اجتماعات، خرجت باتفاق على عقد مؤتمر يضم مختلف الشخصيات من بقية القطر التونسي حتى تكتسي قراراته الشرعية، كما حررت اللجنة نصا نهائيا لعرضه على المؤتمر. كان آخرها اجتماع في مساء 22 فيفري 1945 ضم ثمانية شخصيات تونسية من بينهم اللجنة التنفيذية وأعضاء الديوان السياسي، دارت نقاشات حول الاتفاق بالإجماع على النص النهائي لقرار اللجنة الذي ركز على مبدأ الاستقلال الداخلي وأن يكون تونسيا ديمقراطيا تسيره هيئة منتخبة بالاستشارة الشعبية. وبعد مرور عام على تأسيس لجنة الاستقلال الداخلي في أكتوبر 1945، اتصل علي الهلولي بصالح فرحات كمبعوث من الديوان السياسي، تمخض عن ذلك وضع لجنة مشتركة بين الدستوريين القديم والجديد لجنة (التنسيق المزدوجة)² مكونة من ثمانية أعضاء نصفهم من اللجنة التنفيذية والنصف الآخر من الديوان السياسي.

عقدت اللجنة عدة اجتماعات كانت في معظمها بمكتب صالح فرحات ومنزله بالكرم، ففي أول اجتماع لها حدث خلاف بين الجانبين، ذلك أن الديوان السياسي يرى ضرورة التمسك بمخرجات المؤتمر السابق والتي ركزت على الاستقلال الداخلي، أما مناضلي الدستوري القديم فركزوا على الالتزام بما جاء في المؤتمر الدستوري السري في سبتمبر 1944، لأن ما خرج به اجتماع الثمانية تعتبر وثيقة ظرفية تحفظ عليها صالح فرحات، وقد سجلت تحفظاته في نهاية الوثيقة، وبعد اجتماعات دورية توصل الحزبين لتوافق فيما يخص مطلب الاستقلال التام. وقد ساهمت المبادرة التي قام بها مدرسو جامع الزيتونة من المشايخ بتحرير عرائض تضمنت مطالب الشعب التونسي بالاستقلال التام، فكان لهذه المطالب الأثر الكبير في

عن اللقاء محمد بن رمضان، الفاضل بن عاشور. للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص 263: 159. Mohamed Sayah, op – cit, p 159.

1. سعيد المستيري، المرجع السابق، ص 243.

2. أعضاء هذه اللجنة عن الدستوري القديم: صالح فرحات، الشادلي الخلافي، المنصف المنستيري، محمد الحبيب شلي. أما عن الدستوري الجديد فهم: صالح بن يوسف، المنجي سليم، الهادي نويرة، علي البلهواني. ينظر: محمد سعيد عقيب، المرجع السابق، ص 265.

دفع لجنة التنسيق بين الحزب الدستوري القديم والجديد، نحو الاتفاق على مطلب الاستقلال التام توافقاً مع الرغبة الشعبية¹.

يمكن القول إن انفتاح الأحزاب السياسية التونسية على مختلف الأطراف التي ستشكل مستقبل الجبهة الوطنية التونسية بما فيها الزيتونيين، ساهم في بلورة موقف موحد، في ظرف كانت تونس تمر فيها بركود سياسي، صاحب احتدام المعارك في أوروبا وتراجع قوات المحور من شمال إفريقيا.

ب- نشاط الحبيب بورقيبة مع التحولات على الساحة السياسية:

شكلت عودة الحبيب بورقيبة لتونس قبيل سيطرة قوات الحلفاء على تونس ونزوله في حمام الأنف، حاول الألمان استمالاته، قفزة في نشاط الحركة الوطنية التونسية، حيث ذكر الحبيب بورقيبة في كتاب (حياتي آرائي جهادي) ما يلي: " أثناء تواجدي في حمام الأنف دعاني سفير ألمانيا (راهن) مرتين لزيارته ورغب ان يسلمني جانبا من المال متظاهرا انه يريد ان يجنبي الحاجة في مباشرتي لتنظيم أمور الحزب لكنني لم اتسلمه وقلت له: ربما دعني الحاجة في المستقبل للمال اما الآن فلا"².

من خلال قراءتي لما جاء فيه الحبيب بورقيبة يتضح موقفه الراض لتواجد قوات المحور بتونس، فرفضه دعم السفير الألماني يؤكد معارضته التعامل معهم، وهو ما سيتعكس على نشاطه بالإيجاب بعد دخول قوات الحلفاء لتونس، فتسلم الحبيب بورقيبة مقاليد الحزب الحر الدستوري الجديد ودعا المكتب السياسي للاجتماع واتخذ قرارا حاسما أثناء اجتماع ما تبقى من المكتب السياسي للحزب في مكتب صالح بن يوسف بباب سويقة من خلال منشور جاء فيه: " ان كل من يحب الدفاع عن وطنه يبقى داخله ولا يغادره ". وهي رسالة موجّهة للدستوريين الذين تعاملوا مع الألمان وهاجروا قبل دخول الحلفاء لأوروبا، ومحاولة لسيطرة الحبيب بورقيبة على الحزب الدستوري الجديد³.

لكن مواقف الحبيب بورقيبة المعارضة لتواجد قوات المحور بتونس لم تشفع له عند الفرنسيين و الحلفاء ، ففي حادثة وقعت بعد أسبوع من سيطرة قوات الحلفاء على تونس ، تمثلت في دعوة قنصلية الولايات المتحدة الأمريكية أعيان البلاد التونسية والحكومة لمشاهدة شريط سينمائي دعائي عنوانه (المجهود الحربي الأمريكي) حضره الحبيب بورقيبة ، فكانت ردة

1. المشايخ هم: محمد الفاضل بن عاشور، الشاذلي بن القاضي، الطيب التليلي، الحبيب بن خوجة، المختار

بن محجوب. ينظر: محمد سعيد عقيب، المرجع السابق، ص 265.

2. الحبيب بورقيبة، المصدر السابق، ص 143.

3. المصدر نفسه، ص 145.

فعل الفرنسيين عند مشاهدته يقولون (حسب ما جاء به الحبيب بورقيبة) : " ان بورقيبة الذي اتى به الألمان و الطليان اصبح اليوم بجانب الأمريكان " ، وقد صرح كاتب المراقب المدني في صفاقس بما يلي : " عن بورقيبة ليس مع فرنسا ، والفرق واضح بين الموقفين " ¹.

أرغمت المواقف السلبية من إدارة الحماية الحبيب بورقيبة للتواصل مع قنصل أمريكا بالجزائر من خلال محمد رخامة كاتب شعبة الحزب الدستوري بمكنين الذي كتب في رسالة وجهها لبورقيبة بتاريخ 12 جويلية 1943 ما يلي: (ان إرادة عضويتكم تعلقت بأن أقابل السيد قنصل أمريكا حين مروره بالمكتب وان أقدم لسيادته تقريرا فيما وقع عندنا ... لكم نسخة حرفية منه)، وقد احتوى التقرير على أوضاع الشعب التونسي وما يعانیه من اليأس والحرمان في مكنين، إضافة للمضايقات التي تتعرض لها الدستوريون من غلق للنادي الدستوري و نادي جمعية الشباب المسلمين وسجن العديد من المناضلين جراء المضايقات من الجندرية والبوليس ².

ففي رسالة وجهها الحبيب بورقيبة إلى ملك إنجلترا، حسب وثيقة عثرت عليها في الأرشيف الوطني التونسي ما بين شهري ماي وجوان 1943، جاء فيها ما يلي: (اسمح لشخص دعت ثقة مواطنيه لقيادة الحزب الوطني التونسي (الدستوري) والذي تجسد لربع قرن، نطلب من فرنسا نحو حماية تضمن للتونسيين حريتهم، نحو نمط مشابه لنمط مصر، اسمح لهذا الرجل أن يرحب بالنيابة عن الشعب التونسي بانتصار قوات الحلفاء ... انه يلتمس من ملك بريطانيا العظمى أن تصبح دولة حرة) ³.

إن الموقف الواضح للقنصلية الأمريكية و البريطانية من الحبيب بورقيبة ومعرفتها بمواقفه الراضية للتعامل مع الألمان، لم تشفع له بفرصة اللقاء مع القنصل الأمريكي الذي حدد له موعدا، كمحاولة منه لتلطيف العلاقة السيئة بينه و بين المقيم العام، أما موقف إنجلترا فكان مطابقا لرد الحلفاء الذين اعتبروا أن الشأن التونسي شأن فرنسي، هذه المواقف جعل صالح بن يوسف ينصحه بمغادرة تونس نحو القاهرة تجنباً للمخاطر التي كانت تحوم

1. الحبيب بورقيبة، المصدر السابق، ص 147.

2. كما أشار التقرير الى إطلاق سلطات الحماية يد أعوانها من التونسيين لمضايقة الشعب التونسي وذكر كمثال قيام العون عبد الرحمان بمضايقة الباعة على الطرقات ومصادرة سلعهم ومواجهتهم بوابل من الشتائم والضرب المبرح. للمزيد من التفاصيل ينظر:

A.N.T, M.N, C65, D1, lettre de Mohammed zakama a Habib Bourguiba, le 12/06/1943.

3. وقد عرج الحبيب بورقيبة في رسالته لملك إنجلترا على تاريخ النضال التونسي وما عرفته الساحة السياسية بعد احداث 9 افريل 1938 من قمع وترهيب واعتقال. للمزيد من التفاصيل ينظر:

A.N.T, M.N, C65, D1, Lettre adressée par le Président Habib Bourguiba a le Roi d'Angleterre, Mai – Juin 1943.

حواله، جراء التضيق الذي كان يتعرض له من الشرطة الفرنسية كالمراقبة المستمرة لتحركات الحبيب بورقيبة عبر مختلف المناطق التونسية¹.

ففي رسالة موجهة من المفوض الأول ورئيس المخابرات بجهة سوس إلى رئيس مصلحة المخابرات في تونس تناولت موضوع تحركات الحبيب بورقيبة بين 6 و8 أكتوبر 1944، تحدثت بالتفصيل عن المحطات التي مر بها²:

● 7 أكتوبر 1944: قدم بورقيبة لسوس على الساعة 10 و40 د، قادما من المنستير واتجه مباشرة إلى مركز شرطة المدينة وفي الواحدة بعد منتصف النهار وبعد تجوله في المدينة توقف في مقهى جيلاردي، وقد التقى مع يوسف محجوب محامي بالمحكمة الجهوية بسوس، وتقابل وجها لوجه مع السيد محمد القاسم طبيب محلي ثم عاد للمنستير.

● 8 أكتوبر 1944: على الساعة 9 بورقيبة غادر المنستير في سيارته ودخل تونس مع امه وشقيقته وأطفاله.

كما استدعى إلى تونس من طرف صالح فرحات الوزير السابق للعدل وعضو الدستوري القديم، والزيارة كانت بدافع المؤتمر العربي الذي ينعقد بالإسكندرية، ويضم مختلف الجنسيات العربية بما فيها الموجودة تحت الاحتلال، وسيكون بورقيبة ممثل تونس في المؤتمر³. ومن خلال محتوى الرسالة نستنتج أن نشاط الحبيب بورقيبة داخل تونس شكل هاجسا لسلطات الحماية مما جعلها تكثف من مراقبة نشاطاته داخليا وخارجيا مع مختلف الشخصيات كصالح فرحات والمنظمات العربية، ودليل ذلك تركيز الرسالة الموجهة للمفوض الأول ورئيس المخابرات الفرنسية بتونس على تمثيل الحبيب بورقيبة لتونس في المؤتمر العربي

1. قرر الحبيب بورقيبة في ضل الظروف الأمنية المتردية مغادرة تونس، فبدأ بالإجراءات القانونية من خلال تقديم طلب للمقيم العام ماست للترخيص له بالذهاب الى مكة للحج وحضور مؤتمر تأسيس الجامعة العربية. لكن السلطات الفرنسية كانت قد حجرت عليه الخروج من العاصمة تونس، لكنه انتهج طرف تموهية للتهرب من ملاحقة الجندرية الفرنسية، من خلال الدعاية الكاذبة عن توجده قبل التحرك مما جعل الفرنسيين يفشلون في تقفي أثره، وبعدها ذاقت عليه السبل قرر السفر للمشرق من خلال الإقلاع بزورق والتوجه به الى ليبيا ومنها للقاهرة. للمزيد من التفاصيل ينظر: ارتور كونت، اسطورة بورقيبة، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، د-ت، ص 65.

2. A.N.T, M.N, C43, D1, lettre de commissaire principal chef de la sécurité Régional de Sousse a Monsieur le directeur de services de sécurité à Tunis, le 09/ 10 / 1944.

3. للمزيد من التفاصيل ينظر:

A.N.T, M.N, C43, D1, lettre de commissaire principal chef de la sécurité Régional de Sousse a Monsieur le directeur de services de sécurité à Tunis, le 09/ 10 / 1944. (الملحق رقم 21)

بالإسكندرية، الذي شكل خطرا على الاحتلال الفرنسي بتونس لبرنامج الذي ركز على دعم الفلسطينيين وشعوب شمال إفريقيا من أجل التحرر.

عموما ان قرار الحزب الدستوري الجديد بقيادة بورقيبة العمل مع من كانوا خصوما له، ودخوله في جبهة نضالية موحدة يحتاج من مناضلي الحزب نضجا سياسيا وهو ما تطرقنا له سابقا، كما سيكون بورقيبة بحاجة للجبهة الوطنية التونسية وجامع الزيتونة بعد هجرته للمشرق واتصاله بالسياسيين العرب والجامعة العربية (22 مارس 1945) حتى يكون بيده ورقة قوية يمكنه التحدث بها في القاهرة¹.

3. الخلاف النقابي بين فرحات حشاد والشيوعيين وظهور النقابات المستقلة التونسية:

قبل التطرق لنشاط الحركة النقابية التونسية في هذه المرحلة لابد من الإشارة للانقسام النقابي الذي تعرضت له بعد الأحداث التي عصفت بالنقابة الفرنسية في المركز (فرنسا) وتونس بعد انهزام فرنسا ماي 1940، وأرجع محمد لطفي شايبي في كتابه (الحركة الوطنية التونسية والمسألة العمالية النقابية) أن الانقسام مرده لاستراتيجية (الفيدرالية الأمريكية للشغل) في التصدي للنقابات البلشفية بداية من سنة 1938 الى غاية 1944، تاريخ تأسيس لجنة النقابة المستقلة الأمريكية (Free Trade Union Committee) الناتج عن مؤتمر الفيدرالية الأمريكية للشغل، والتي جاء بها ألبار بوزنكي (Albert Bouzanquet) ضرورة تأسيس النقابات المستقلة بالجنوب (19 نوفمبر 1944).

وقد أكدت عدد من الكتاب الفرنسيين حسبما أثارة محمد لطفي الشايبي على وجود اتصالات بين إرفينق براون (Irving Brown) والبار بوزنكي (Albert Bouzanquet) للتخطيط معا لإنشاء نقابة مستقلة للتونسيين كنواة للدفاع عن العمال التونسيين، وتكليف فرحات حشاد والمسؤول الجهوي النقابي في (اتحاد النقابات الفرنسية) لقيادة النقابة التونسية².

1. لعب الزيتونيون دورا في تنشيط العمل السياسي ونشر الوعي الوطني خارج العاصمة تونس، في مختلف المناطق التي ينتمي لها طلبة الزيتونة ومنهم الطيب بن بلقاسم ناجح الذي أسس شعبة سرية للحزب الدستوري الجديد وتراسها. ونشطت شعبة الحامة علنيا من خلال تقديم عريضة للحاكم العام ماست اثناء زيارته لها، مما جاء فيها إعادة المنصف باي والمطالبة بالاستقلال التام لتونس. وفي صفاقس كانت شعبة الدستوريين من تلامذة الفرع الزيتوني من أمثال محمد الهنتاتي، ومحمد بوليلة، وعبد السلام الوكيل، وحامد خنفيير، واخوه المختار، كانوا على اتصال مع بعضهم وينظمون لقاءات دورية لمناقشة الأوضاع السياسية التي كانت تمر بها تونس. ينظر: علي الزيدي، المرجع السابق، ص 544.

2. محمد لطفي الشايبي، الحركة الوطنية التونسية والمسألة العمالية النقابية معا لافتكالك الاستقلال (1944 – 1946)، ط1، ج1، مركز النشر الجامعي، تونس، 2016، ص 61.

لكن فرحات حشاد استقال من رئاسة الاتحاد، وارجع محمد لطفي الشابي أسباب ذلك الى نتائج انتخابات الهيئة الإدارية وفوز القائمة الشيوعية على حساب القائمة الاشتراكية 19 مارس 1944، اذ لم تتعرض مذكرات رفاق فرحات حشاد وقادة الاتحاد العام التونسي للشغل أمثال الحبيب عاشور (1913 – 1999)، والنويري بودالي (1919-2009)، وعبد العزيز بوراوي (1923-2008)، محمد كريم إلى أسباب ايدولوجية لانفصال فرحات حشاد عن (اتحاد النقابات الفرنسية) وتوافقات مع النقابات الأمريكية للتصدي للنقابات الشيوعية¹. فقد أشارت الشخصيات التي ذكرناها سابقا والتي واكبت فرحات حشاد خلال مراحل النضال، إلى إصراره على الاستقالة، وأشار النقابي عبد العزيز بوراوي الى الدعم الذي كان يتلقاه فرحات حشاد لتأسيس النقابة المستقلة من (بوزنكي) فأشار إلى: " تواصلت اجتماعاتنا تارة في دار شقيقي، وتارة أخرى عند الحبيب عاشور في ذلك المستودع الكائن قرب القصبه في صفاقس ... وكان بوزنكي يوفده إلى كثير من المؤسسات الاقتصادية كالمناجم التي كان يهيمن عليها الشيوعية"².

ما يمكن استنتاجه أن تحركات فرحات حشاد قبل وبعد انعقاد مؤتمر اتحاد النقابات الفرنسية (18-19 مارس 1944)³، هدفها الأساسي تأسيس النقابات الأساسية الموالية لبوزنكي

1. للمزيد من التفاصيل ينظر: بوراوي عبد العزيز، نضالات نقابية زوابع وانفجارات (1943-1988)، ط1، صفاقس، 2013، ص 31-32.

Achour Habib , *Ma vie politique et syndicale –Enthousiasme et déceptions (1944-1981)* , Tom 1 , Alif , Tunis ,1989 , pp 11-12 ; NouriBoudali , *L' Union Général Tunisienne du Travail Souvenirs et récits* , Alif , Tunis , 1998 , pp 23-25 ;Kraiem Mohamed , *Feuillets d'une vie Du Mouvement Syndical au Gouvernement* , L'Or du Temps , Tunis , 2013 , pp 14-20.

2. بوراوي عبد العزيز، المصدر السابق، ص 44.

3. يشير تقرير الإقامة العامة المؤرخ في 23 جويلية 1945 الى ما يلي: " انعقد بتونس سنة 1944 مؤتمر (الهيئة الإقليمية للكونفدرالية العامة للشغل) أو (اتحاد النقابات الفرنسية بتونس) و تحصلت الهيئة الإدارية التي كان يديرها منذ سنوات عدة بوزنكي و روبرت بجاوي على نسبة الأقلية رغم مكانة بوزنكي و استقطابه للكثير من الأنصار المتحمسين و الذي كان من بينهم المدعو فرحات حشاد نائب نقابة أعوان الشركة التونسية للنقل بالسيارات بالساحل (STTAS) في سوسة ثم بصفاقس و هو من تلامذة بوزنكي المولعين به ... و اثر إزاحة بوزنكي، لم يتمكن فرحات حشاد بدوره من الحصول على الأصوات الكافية لانتخابه من ضمن 24 الجدد للهيئة . و اثر انتهاء المؤتمر رجع فرحات حشاد لصفاقس و قدم استقالته للاتحاد المحلي ل (اتحادات النقابات الفرنسية) و من عضويته للكونفدرالية العامة للشغل، ولم يكفي بذلك بل قادة حملة ضد الكونفدرالية العامة للشغل مصرحا ان انتخاب كل من بروبان و ميمون و بلعيش (Poropane , Meimoun , Bellaiche) في المؤتمر الأخير جعلها حبيسة الحزب الشيوعي مباشرة . للمزيد من التفاصيل ينظر:

Bessis Juliette, *Les fondateurs index biographique des cadres syndicalistes de la Tunisie coloniale (1920-1956)*, Le Harmattan, Paris, 1985, p 85.

في الهيئة الإقليمية (Union Départementale) لمقارعة الهيمنة الشيوعية في المناجم، الموانئ التونسية، فشكّلت عملية الانقسام النقابي داخل (اتحاد النقابات الفرنسية) ضرورة حتمية، في ظل المتغيرات الدولية وفي سياق التوجه الجديد الذي رسمته النقابة الأمريكية للتصدي للنقابات الشيوعية في فرنسا ومستعمراتها بين (1938-1944) والذي أشرف عليه (براون وبوزنكي) بالتحالف مع الديغوليين.

كان من نتائج مؤتمر اتحاد النقابات الفرنسية تصدر الشيوعيين للانتخابات وسيطرتهم على اللجنة الإدارية، مما دفع فرحات حشاد للاستقالة من عضويته في الاتحاد المحلي لاتحاد النقابات الفرنسية بجهة صفاقس، فشرع في حملة دعائية وسط النشاط النقابيين التونسيين، أثمرت محاجاته وفصاحه لسانه نتيجة تكوينه النقابي التفكيك التام للكونفدرالية العامة للشغل بصفاقس، حتى أنه بعد مضي شهر لم يبق سوى بضعة المئات من المنخرطين، واستقبل جميع العمال المنفصلين تحت راية (النقابة المستقلة التونسية) التي قام بإنشائها¹.

شمل الانخراط في النقابة المستقلة على العمال التونسيين من شركة صفاقس-قفصة، التي كان عمالها منقسمين منذ السيطرة على تونس من طرف الحلفاء بين ذو التوجه الفرنسي والتوجه التونسي، فاستغل فرحات ببراغته العمال ذو الميول التونسيين على رأسهم الدستوري مسعود بن مسعود والعامل بورشة صفاقس-قفصة، واستقطب النقابيين الأكثر نشاطا في قفصة من عمال الرصيف والجمالون، فأصبحت النقابة المستقلة تضم أكثر من 8000 منخرط مختلفة التركيبة بعد ثلاثة أشهر من تأسيسها².

ساهم النجاح الذي حققه فرحات حشاد في صفاقس في توسيع نشاطه النقابي إلى وسط وشمال تونس من خلال الزيارات إلى مختلف المناطق، لكن نشاطه في العاصمة تونس

1. محمد لطفي شايبي، المرجع السابق، ص 65.

2. وضع اتحاد النقابات المستقلة بصفاقس نظاما مماثلا للكونفدرالية العامة للشغل: مكتب منتخب من قيادات النقابات المجتمعة تحت رايته -يشرف علي هذا المكتب كاتب عام (فرحاتحشاد) و ثلاثة كتاب مساعدين الحبيب عاشور و رشيد القلاع و محمد الحلواني. جل النقابات المنخرطة في هذا الاتحاد المحليمتكونة من نقابات كانت منضوية سابقا في الاتحاد المحلي للكونفدرالية العامة للشغل ومنها ما هو جديدي، حسب هذه القائمة: أعوان الأشغال العمومية - أعوان الاقتصاد العام - الموانئ وعمال الرصيف - الجمالون - الكرارطية - النقابة التونسية لصفاقس قفصة - أعوان وعمال المطاعم والمقاهي - أعوان وعمال المطاحن والمخابز - أعوان الورشات الميكانيكية والمستودعات - أعوان معامل RENO - أعوان الشحن. في حين بقيت بعض النقابات حتى (جويلية 1945) منضوية تحت (الكونفدرالية العامة للشغل) منها عمال وأعوان صناعة الصابون - عمال معاصر الزيتون - نقابة المعلمين -النقابة الفرنسية لصفاقس، أعوان البريد - أعوان البنوك - أعوان محلات الترفيه. للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد لطفي الشايبي، المرجع السابق، ص 66-67.

شكل القاعدة المهمة لفرض وجوده بسبب النفوذ الذي ثبته الحزب الشيوعي وسط العمال المسلمين، فمع نهاية الحرب العالمية الثانية بلغت شعب الحزب الشيوعي التونسي بالقطر التونسي نحو 150 شعبة موزعة على مختلف البلاد، من خلال عملة على التغلغل في مختلف شرائح المجتمع التونسي حتى تصل أصغر المداشر. ومما يثبت توسيع فرحات حشاد لنشاطه النقابي حضور الهاشمي بلقاضي أشغال مؤتمر النقابات المستقلة بصفاقس في 14 جويلية 1944 وترأسه لجلسته وهو النقابي المنتمي سابقا للكونفدرالية العامة للشغل (شركة ترامواي) والكاتب الحالي للنقابة الأولى المستقلة التي أنشأت في تونس - وهو دليل على توجه حشاد نحو الشمال¹.

أما بالنسبة لتوجهات النقابات المستقلة، لم يلاحظ في بداية تأسيسها أي مطالب وطنية سياسية، غير أنه مع انتصار الحلفاء يوم 9 ماي 1945 خرج بصفاقس مظاهرات جمعت المنخرطين المستقلين والدستوريين، وليس من الصدفة وجود مكتب اتحاد النقابات المستقلة بالجنوب في سوق الفزياني بالقرب من مكتب الهادي شاکر رئيس الحزب الدستوري القديم بصفاقس، أما الحبيب بورقيبة فدعم مشروع فرحات حشاد وادرك نجاحه بفضل مساندة مناضلي الحزب الدستوري الجديد للعمال، الذين سنجدهم ضمن المكاتب المسيرة لاتحاد النقابات المستقلة للجنوب والشمال وللجامعة العامة للعمال التونسيين والبيت انعقدت مؤتمراتها التأسيسية طوال سنتي 1944-1945².

من خلال ما أشرنا له سابقا، نجد أنه لا وجود لأياد خلفية فرنسية أو تونسية منتسبة للنقابات الفرنسية في تأسيس النقابات المستقلة، والحقيقة أن إنشائها هي مبادرة شخصية لفرحات حشاد الذي ظل غايتها بعيدة عن زملائه في النضال، ويرجع نجاحه الى قوة شخصيته والدعم الذي لقيه من الموظفين التونسيين السامين، مما شجع العمال التونسيين على الانخراط في تجمعه الجديد والذي كانت قياداته المحلية تلقى قبولا من طرف السلطات بصفاقس³.

عموما إن استقالة فرحات حشاد من اتحاد النقابات الفرنسية لم تكن ارتجالية، بل بسبب الظروف التي كانت تقدمها الكونفدرالية العامة للشغل ذات الأغلبية الشيوعية بخصوص المسألة الوطنية وهو الانضمام (للاتحاد الفرنسي) وليد قرارات مؤتمر برازافيل 30 جانفي - 8 فيفري 1944. الذي جاء بمشروع مبني على أسس جديدة للاستعمار. فمشاركة

1. بوراوي عبد العزيز، المصدر السابق، ص 48-49.

2. ليلي بوجلال ونور الدين ثنيو، النضال النقابي في الحزب الدستوري التونسي الجديد (الوجه الآخر للكفاح التحرري)، المجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع20، جوان 2018، تونس، ص 217.

3. محمد لطفي الشايبي، المرجع السابق، ص 70-71.

الشيوعيين في الحكومة الفرنسية (3 جوان 1944 – 27 أكتوبر 1946) وتعاقب 5 وزراء شيوعيين (فرنسوا بيو Francois Billoux، شارل تيون Charles Tillon، موريس طوراز Maurice Thorez، أمبرواز كرواز Ambroise Croizat، بول مرسال Paul Marcel)، هو ما يشير إلى التأثير الشيوعي الكبير في الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية، من خلال انحياز إدارة الحماية الى الاتحاد الإقليمي الشيوعي وعرقلة مساعي فرحات حشاد في عضوية (اتحاد النقابات المستقلة الجنوبية) بصفاقس ضمن اللجنة الجهوية المكلفة بالأجور. يعد هذا سببا مقنعا جعل من فرحات حشاد يستقيل من النقابات الفرنسية، لأن سيطرة الشيوعيين عليها وتغير مواقفهم أثناء الحرب حسب توجهات الاتحاد السوفياتي، وهو ما يعكس دعمها للشيوعيين على حساب النقابيين الوطنيين الذين لم يأمنوا بما جاء في مؤتمر برازافيل¹.

إن نضال العمال التونسيون ضد الاحتكار والسياسة الاستعمارية وأصبح التحرر السياسي والتحرر الاجتماعي قضية واحدة، فكانت مهمة القيادات النقابية على رأسهم فرحات حشاد بلورة وعي العامل ليعرف حقوقه المادية والوطنية ودوره في التحرر، إن توصيات الحبيب بورقيبة للديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد انحصرت في مواصلة إحياء تشكيلات الحزب المحلية والجهوية، وانجاز مشروع انخراط المنظمات القومية (النقابة المستقلة التونسية، الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة، والاتحاد التونسي للفلاحين...) والشبابية في جبهة وطنية لمقاومة الاستعمار والضغط على مؤسسة الحماية. ومما لا شك فيه أن هذا عن طريق سياسة العمل المباشر الوضع الذي ساهم في جعل الكثير من العمال ينخرطون في الأحزاب السياسية الوطنية وخاصة في الحزب الدستوري الجديد، فنتج عن ذلك في بعض الحالات تشابك الأنظمة والمسؤوليات النقابية والحزبية².

4. نشاط الحزب الشيوعي التونسي في ظل المتغيرات الجديدة:

كان لنزول الحلفاء بالجزائر والمغرب الأقصى تأثيره المباشر على نشاط الحزب الشيوعي التونسي، فبعد سيطرة حكومة بيتان الموالية للألمان على تونس، شرع الشيوعيون التونسيون في إعادة هيكلة أنفسهم، متخذين من تحالف الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية ولجنة فرنسا الحرة، وسيلة للضغط على المقيم العام، ومبررة ذلك بموقفه الذي تحول من

1. ISHMN, Série Tunisie, Dossier le syndicalisme tunisien des origines jusqu'à 1946, Fonds de la Résidence, Notes sur organisé par L'Union locale des syndicats Tunis le 24/04/1945.

2. ليلى بوجلال، نور الدين ثنيو، المرجع السابق، ص 217.

مساندة التونسيين على التحرر إلى التخلي عن هذه المهمة والابتعاد عن الخط الوطني وعارضت أي نقابة مستقلة عن النقابات الاستعمارية¹.

حاول الشيوعيون خلال هذه المرحلة عقد لقاء مع قادة الحركة الوطنية التونسية وأخذ موقف من الألمان وسياستهم في العالم، لكنالديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد رفض الاجتماع بعد أن وافق عليه سابقا، معللا ذلك بأن ابداء أي موقف سياسي خلال هذه المرحلة يعتبر مغامرة سياسية. ففشل الحزب الشيوعي في حصوله على موقف يمكنه من التواجد على الساحة السياسية التونسية².

شجع الوضع على الساحة الوطنية التونسية والدولية ظهور أفكار سياسية جديدة وسط الطبقة السياسية التونسية، قام الحزب الشيوعي التونسي بعقد ندوة في نهاية شهر ديسمبر 1942 وبداية شهر جانفي 1943 لتحليل المعطيات واقتراح حلول تناسب الوضع الجديد، فخلص اللقاء حسب تقرير جاء به فيليو سبانو الى طرح النقاط التالية³:

- إن النضال السياسي ضد النازية متواصل، وليس بمقدور الحركة الوطنية توجيه الجماهير التونسية الى مواقع معادية لهتلر، واعتبرت الجماهير التونسية أن الإمبريالية الفرنسية هي مضطهدها الأول، فتوجهت للتحالف ضد عدوها.
- استثناء الحزب الشيوعي الحبيب بورقيبة من هذا التوجه المساند للمحور باعتباره الوحيد الذي كانت له مواقف واضحة ضد المحور، مما يبين مراهنة الحزب الشيوعي على بورقيبة لتقليص التوجه الشعبي وراء الألمان.

من خلال ما ورد في النقاط يتبين محاولة الشيوعيين ربط قراراتهم بالدستوري الجديد، لما له من مكانة وسط الشعب التونسي، فحاول بذلك ربط علاقات مع مناضليه سعيا منه لوضع قدم له في الساحة السياسية التونسية، لكن مواقفه المعارضة لتوجهات الحركة الوطنية التونسية بعد سيطرة الحلفاء على تونس، جعلت الوطنيين يبدون مواقف سلبية منه، وظهر للعلن أن موقف الشيوعيين التونسيين مرتبط بتوجه عالمي ولا يمثل توجهها وطنيا. أما بالنسبة لنشاط الحزب الشيوعي التونسي فسنحاول التطرق له من خلال ما ورد في الأرشيف الوطني التونسي، ففي تعليمة صادرة عن رئيس مصلحة الاستعلامات بتاريخ 1944/08/28 أكد خلالها قيام الحزب الشيوعي التونسي بنشاط مكثف وسط الجماهير

1. محمد الكيلاني، المرجع السابق، ص 24.

2. المرجع نفسه، ص 26-27.

3. محمد بومديني، المغرب العربي والحرب العالمية الثانية (1939-1945) الجزائر وتونس أنموذجين، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2، 2019، ص 362-363.

المسلمين و اليهود، و جمع الاشتراكات السنوية للمنخرطين، و خص النشاط الجالية الإيطالية من عمال شركات النقل (Concari -Faravelli - Sata)¹.

وبعد ظهور الحركة المنصفية ورفعها لمطلب عودة المنصف باي، اتخذ الحزب الشيوعي التونسي موقفا معارضا للحركة فقد ورد في تعليمة صادرة بتاريخ 14 سبتمبر 1944 معلومات تفيد بمهاجمة علي جراد بقوة العائلة الحسينية والقيادات الوطنية المطالبة بالإصلاح، كما اتخذ الحزب الشيوعي موقفا إيجابيا من الدستوري الجديد في العدد الأخير من جريدة (المساوات)².

قامت سياسة الحزب الشيوعي التونسي في هذه المرحلة على منع قيام مناضليه بأي تظاهرات معادية للإقامة العامة في تونس، وبت دعاية مساندة لحكومة فرنسا الحرة، باعتبارها حليفة للاتحاد السوفياتي، والابتعاد عن جميع التحالفات التي دعت لها التيارات الوطنية، خاصة بعد توحيد القوى الوطنية تحت راية الجبهة الوطنية الجزائرية التي اعتبرها مغامرة، ودعا للاهتمام أول بمحاربة دول المحور، فقام بتفعيل جميع وسائله الدعائية من جرائد و مناشير للترويج لطرحة، ففي تعليمة صادرة عن الحزب الشيوعي التونسي بتاريخ 9 فيفري 1945 اشارت الى قيام خلايا للحزب الشيوعي بتوزيع العديد من الجرائد و المناشير الخاصة بالمؤتمرات التي عقدها الحزب واهم القرارات الناتجة عنه³.

نستنتج أن نشاط الحزب الشيوعي التونسي خلال الفترة التي جاءت بعد سنة 1943 تميزت بابتعاد الحزب عن الخط الوطني التونسي وتوافقه مع الخط الشيوعي العالمي الذي كان في تحالف حرب مع فرنسا ضد المحور، وانحصر نشاطه على محاولة إيجاد موطئ قدم له في تونس من خلال تنشيط خلاياه وتوسيع عملها، أما الوطنيين التونسيين الذين خرجوا بمطالب وطنية فنعتهم القادة الشيوعيون بالفاشيين، عموما حاول الشيوعيون التونسيون الاستفادة من الوضع الجديد قدر الإمكان للوصول الى أكبر عدد من المنخرطين.

1.A.N.T, M.N, C53, D4, Note sur l'Activité de parti communiste Tunisie, le 28/ 8 / 1944.

2.A.N.T, M.N, C53, D4, Note sur l'Activité de parti communiste Tunisie (situation politique), le 14/ 9 / 1944.

3. A.N.T, M.N, C53, D4, Note sur l'Activité decellules de parti communiste Tunisie, le 9/ 2 / 1945.

الفصل الثالث

مسار الحركة الوطنية الجزائرية

من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال
1945-1962

المبحث الأول: العمل السياسي الجزائري في ظل المتغيرات الجديدة (1945-1954)
المبحث الثاني: ظهور العمل المسلح وتطوره (1947-1962)

أثرت التطورات العسكرية والسياسية التي عرفها العالم خلال الحرب العالمية الثانية على نشاط الحركة الوطنية في كل من الجزائر. وكان لهذه التطورات أثرها في ان تجبرها على اختيار أسلوب النضال السري الذي يعتمد على الخلايا الناشطة في مختلف المناطق، والذهاب إذا أتاحت الفرصة للعمل الجماعي مع مختلف التيارات، كل هذه الأساليب انعكست بالإيجاب على القضية الوطنية في الجزائر أثناء وبعد نهاية الحرب، على الرغم مما نتج عنها من انعكاسات سلبية على الشعب الجزائري في مختلف المجالات.

ولابد من الإشارة هنا، من أن توجهات الحركة الوطنية الجزائرية اختلفت عما كانت عليه قبل الحرب العالمية الثانية، إذا نوعية القيادات التي تصدر الواجهة النضالية اختلفت، إذ طغى عليها العنصر الشبابي، وهو ما أحدث سجالا بين الطرفين، إلى أن تمكن الشباب من تبوأ قيادة الحركة الوطنية، وإجبار القيادات التقليدية على الانزواء قليلا، وهو ما دفع الأمور نحو اتجاه الذي لا حل غيره، وأعني هنا، العمل المسلح، وهكذا بدا التخطيط للثورة المسلحة، التي كانت حلم الحركة الوطنية في العمل من اجل نيل الحرية والاستقلال.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

المبحث الأول: العمل السياسي الجزائري في ظل المتغيرات الجديدة (1945 – 1954).

إن الحديث عن النشاط السياسي الجزائري بعد الحرب العالمية الثانية، يدفعني للتذكير بمخلفات الحرب العالمية الثانية على النشاط السياسي الجزائري وما ترتب عنها من بروز وعي وطني سيساهم في خلق جيل من الجزائريين أكثر إدراكا بالمهمة الملقة عليهم، هذا إضافة للتغيرات الفكرة التي مست بعض النخب الوطنية المطالبة بالإدماج، وهو ما سعالجه ضمن هذا العنصر الذي سأظهر فيه تأثير الحرب العالمية الثانية على النشاط السياسي الوطني بعد نهايتها.

أولا: مجازر 8 ماي 1945 وتأثيرها على مسار الحركة الوطنية الجزائرية:

كان لعود الحلفاء والجنرال ديغول خاصة تصريحاته في مؤتمر برازافيل 1945 وظهور عدة منظمات كهيئة الأمم المتحدة، الجامعة العربية من الأسباب التي شجعت الجزائريين وشكلت دعما لأطروحتهم الوطنية، يضاف لذلك ما تمخض عن نهاية الحرب العالمية الثانية من نتائج إيجابية على الجزائريين. لكن مجريات الأحداث أنتجت نهاية مأساوية ودموية لم يكن يتوقعها أحد، حتى الذين آمنوا بفكرة فرنسا الحرة والعدالة، هذه الحقيقة أكدتها مجازر 8 ماي 1945 التي ذهب ضحيتها أكثر من 45 ألف شهيد¹.

حيث خرج العمال الجزائريون في الفاتح من ماي 1945 في مظاهرات دعت لها حركة أحباب البيان والحريات، بعد توافق كل من فرحات عباس وجمعية العلماء المسلمين وحزب الشعب الجزائري؛ فما الهدف من المظاهرات؟؛ هل أثبات مدى شعبية حزب الشعب؟؛ أمام مواجهة قوات الاحتلال الفرنسي؟².

كان حزب الشعب يهدف من خلال المظاهرات للترويج لشعبيته وتمثيله للحركة الوطنية الجزائرية ما دام الأمريكيون قد قالوا لوفد من الوطنيين أن الشعب لا يتبعهم، واستغل حزب الشعب الفاتح من ماي ليحتج ضد تحويل مصالي الحاج الى أقاليم الجنوب في البداية ثم لبرازافيل (عاصمة الكونغو)، وقرر المكتب السري المجتمع في 31 أفريل 1945 القيام بالمظاهرات

1. عامر خيلة، 8 ماي 1945 المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 72.

2. لقد ذكر محمد عباس في كتابه (رواد الوطنية) أن الشيوعيين كانوا يروجون في تلك الأثناء أن الطبقة العاملة والفلاحين مع الحزب الشيوعي. ودليل ذلك ما ورد في صحيفة (الجزائر الجمهورية) فقرر حزب الشعب الجزائري توجيه ضربة للحزب الشيوعي لنفي هذه المزاعم. للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد عباس، رواد الوطنية شهادات 28 شخصية وطنية، ط1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1992، ص 255.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

وأعطى تعليمات لمناضلي الحزب بالمقاطعات الثلاثة (قسنطينة – الجزائر – وهران) للتحضير لها في المدن الكبرى¹.

تميزت مظاهرات الفاتح من ماي بالتنظيم المحكم، عمد حزب الشعب إلى إعطائها الطابع السياسي الوطني من خلال الشعارات التي رفعها المتظاهرون (أطلقوا سراح مصالي الحاج، استقلال الجزائر، تحيا الجزائر الحرة). وقد نظمت المسيرات في مختلف المدن الكبرى²، لكن بسبب الشعارات المكتوبة على اللافتات وقع اصطدام بين المتظاهرين وقوات شرطة الاحتلال في العديد من المدن كوهان والجزائر. فقد مر موكب المتظاهرين عبر باب عزون وهو ينادي بإطلاق مصالي الحاج فحاول رجال شرطة الاحتلال نزع اللافتات تمخض عنه صدام مع المتظاهرين، أطلقت خلالها الشرطة الرصاص الحي فسقط عدد من الجزائريين شهداء منهم زيار عبد القادر، الحفاف و19 جريحا وألقي القبض على 32 متظاهرا، ونفس الأحداث عرفتها معظم المدن الجزائرية، سجل خلال ذلك اليوم عشرات الضحايا ومئات من الجرحى من الجزائريين.

من خلال قراءة متأنية لما وقع في الفاتح من ماي، يتبين أن الحالة في الجزائر تنبئ بوضع جديد يبينه إصرار الجزائريين على مجابهة فرنسا التي فقدت هيبتها خلال الحرب العالمية الثانية، فزالَت عقدة الخوف ضد الاحتلال الفرنسي، وزاد الحقد على المستوطنين الأوربيين، كل هذه المؤشرات تؤكد أن علاقة الجزائريين بسلطات الاحتلال مقبلة على مرحلة فاصلة من النضال الوطني الذي سيزداد ترسحا مع مظاهرات 8 ماي 1945.

سعى حزب الشعب الجزائري من أجل إيصال رسالته للحلفاء و الاحتلال الفرنسي في تنظيم مظاهرات أكبر من تلك التي حدثت في ماي 1945، بموافقة من حركة أحباب البيان والحريات بعد الحصول على موافقة سلطات الاحتلال، وقامت خلايا حزب الشعب الجزائري المنحل يوم 6 ماي 1945 بتوزيع المناشير بالجزائر والمدن الرئيسية، وطالب من المتظاهرين رفع اللافتات المناوئة لفرنسا (من أجل تحرير الشعوب)، (أطلقوا سراح مصالي)، (عاشت الجزائر حرة مستقلة) و(تسقط الإمبريالية)، و تحضير الرايات الوطنية، و هي شعارات كانت أشد قوة و ثورية من المتفق عليها مع احباب البيان والحريات³.

1. محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص 1003.

2. امر حزب الشعب الجزائري بتنظيم مظاهرات الفاتح من ماي في مختلف المدن الكبرى خاصة المدن التالية: (الجزائر، وهران، بجاية، تلمسان، قسنطينة، مستغانم، قالمة، غليزان، سطيف، باتنة، بسكرة، عين البيضاء، خنشلة، سيدي بلعباس، سوق اهراس، شرشال، مليانة، سكيكدة، سعيدة، عنابة، تبسة... الخ) للمزيد من التفاصيل ينظر: رضوان عناد ثابت، 8 ماي 1945 في الجزائر، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 40-41.

3. محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص 1007.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

وهكذا اندلعت مظاهرات 8 ماي 1945 مصحوبة بحوادث في كثير من المدن خاصة سطيف وقلمة و خراطة، وتميزت بحدوث مجازر راح ضحيتها 45 ألف شهيد، وقد دلت السرعة التي تدخلت بها قوات الشرطة و جيش الاحتلال الفرنسي، أن ردة فعل سلطات الاحتلال كانت مبرمجة، ففي ظرف زمني قصير حاصرت قوات الاحتلال مدينة سطيف وهو دليل على استعدادها المسبق للتدخل ضد المتظاهرين، ومن الأعمال الشنيعة التي ارتكبتها بحق الجزائريين (بتر بطون النساء، تعذيب الرجال امام الجماهير ، أحراقهم وهم أحياء) وجرى قصف العديد من القرى والمداشر في كل من سطيف و خراطة¹.

لقد اختلفت التقارير الفرنسية حول عدد الجزائريين المشاركين في المظاهرات و عدد الجرحى والقتلى، فقد ذكر الكاتب شارل أندري جوليان في تقديراته بأن 8560 جزائري تعرضوا للاعتقال منهم 3696 في عمالة قسنطينة، و 505 في عمالة وهران، و 359 في عمالة الجزائر وأصدرت أحكام بالإعدام في حق 99 معتقلا²، و في تقرير صادر بتاريخ 29 ماي 1945 عن القيادة العليا للجيش الفرنسي قسم الشؤون العسكرية للمسلمين وردت إحصائيات حول الأحداث التي عرفتها الجزائر ما بين 3 إلى 14 ماي 1945 تبين عدم مصداقية ما جاءت به المصادر الفرنسية ، فقد أورد التقرير عدم وجود ضحايا في أغلب المناطق وابتعد التقرير عن تقديم أعداد الشهداء الجزائريين واكتفى بأرقام بسيطة لا يمكن لأي مطلع على هذه المرحلة من تاريخ الجزائر أن يقتنع بها³. أما الدكتور أبو القاسم سعد الله فيشير من خلال تقرير الحاكم العام تيكسيه أن عدد الجزائريين الذين شاركوا في الحوادث بلغ (50000) جزائري، ونتج عن الأحداث مقتل 88 فرنسي وجرح 150، أما من الجانب الجزائري فما بين 1200 إلى 1500 قتيل و2400 معتقل، لكن إحصائيات الجزائريين تذهب لحوالي 45 ألف شهيد⁴.

كما ألقى القبض على مناضلي حزب الشعب الجزائري وحركة أحباب البيان والحريات، وعلى مناضلين نقابيين، عذب الكثير منهم تعديبا وحشيا، ظهرت من خلال العاهات على

1. مومن العمري، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا الى جبهة التحرير الوطني (1926-1954)، ط1، دار الطليعة للطبع والتوزيع، الجزائر، 2003، ص 64.

2. شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 264

3. للمزيد من التفاصيل ينظر: عنان عامر، شمال إفريقيا خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2017، ص 364-368؛

SHAT , 10p9, EM, section AMM, evenement de l'Algerie du 3au 14 mai 1945, PC le

29 mai 1945.

4. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، المرجع السابق، ص 234-235.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

اجسادهم، وتم اعدام العديد منهم، لتأتي مرحلة جديد من الظلم وتمثلت في توجيه المعتقلين السياسيين للمحاكم العسكرية¹.

ومن الإجراءات القمعية الأخرى حملات الإعدام ضد الجزائريين دون محاكمة، وشاركوا في تلك المجازر عناصر من اليسار الفرنسي المتطرف المحسوبة على المستوطنين، وذكر شارل أندري جوليان عن عمليات القمع ما يلي: (توجد وسائل قمع أخرى تمت ممارستها على الشعب الجزائري، فقد ألقى ببعضهم داخل الأفران في هليوبوليس (بالقرب من قالمة) كما أن السيد أشياري (Achiari) نائب عامل العمالة أطلق شخصيا النار على المتظاهرين وبعترف كتولي (Cuttoli) الناطق باسم المعمرين ورئيس بلدية سكيكدة (Philippe ville)².

لقد كان لمجازر 8 ماي 1945 التي جاءت بعد انتصار الحلفاء على دول المحور تأثيرات كبيرة على نفسية الجزائريين بشكل عام والمناضلين السياسيين من التيارات السياسية الوطنية والتي يمكن تحديدها كما يلي:

- زيادة الكراهية والحقد ضد المستعمر الذي لم يفي بالوعود التي قدمها أثناء الحرب، حتى أن مجازر 8 ماي 1945 عرت فرنسا الاستعمارية، وكشفت طبيعتها العدوانية ضد الشعب الجزائري من خلال المجازر التي ارتكبتها والتي ليس لها صلت بالإنسانية.

- إن ما نتج عن مجازر 8 ماي شكل جرحا عميقا، لا زالت آثاره باقية لحد الآن، وشكلت حاجزا بين الشعب الجزائري وسلطات الاحتلال، مما أنهى فكرة التعايش والاندماج التي كانت تروج لها³.

- كان لمجازر 8 ماي 1945 التأثير المباشر على تعميق الوعي الوطني التحرري، خاصة عند الشباب الجزائري التواق للفضال والكفاح السياسي والمسلح كحتمية للوصول لاستقلال الجزائر، وتلاشت الأفكار الداعية للقبول بالإصلاح والتي مثلت مشاريع عقيمة لا فائدة منها، وبذلك أكدت مجازر 8 ماي أن المطالب التقليدية لا يمكنها تحقيق ما يريده الشعب الجزائريمن حرية وحياة كريمة⁴. وهو ما ذهب إليهبينجامين ستورا (Benjamin Stora) بقوله: "لقد أحدثت مذابح 8 ماي 1945 بحق تمزق مع

1. محمد لحسن أغيدي، مجازر 8 ماي 1945، مجلة الذاكرة، السنة الثانية، ع2، المتحف الوطني للمجاهد، ربيع 1995، ص 34-35.

2. شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 135.

3. نادية حرز الله، حوادث 8 ماي 1945، مجلة التاريخ، ع4، المركز الوطني للدراسات التاريخية، أفريل 1977، ص 173.

4. المرجع نفسه، ص 173.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

الجالية الأوروبية في الجزائر ومست جميع الفئات الاجتماعية وجرت الجزائريين الى إعادة بلورة موقف جديد"¹.

إن ما يمكن استنتاجه من كل ما تم ذكره حول مجازر 8 ماي 1945، يجعلنا نجزم أنها كانت مؤامرة من الإدارة الاستعمارية الفرنسية ضد الجزائريين العزل، الذين كانوا ضحية عملية إجرامية هدفها تحقيق أهداف استعمارية، فمقولة أن المظاهرات عبارة عن ثورة شعبية مكيدة بمعنى الكلمة، جعلتها سلطات الاحتلال وسيلة لتبرير مجازرها الوحشية، والتي بينت طبيعة الاستعمار الهمجية و درجة قدرته على ارتكاب مختلف المجازر دفاعا عن مصالحه، وهو ما شكل قناعة عند المناضلين الوطنية الجزائرية أنه لا بد من تغيير وسيلة النضال ضد الاحتلال الفرنسي للوصول للغاية المرجوة .

ثانيا: نشاط حركة انتصار الحريات الديمقراطية 1946:

بعد إصدار قرار العفو من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي في 19 مارس 1946، كوسيلة لامتناس غضب الشعب الجزائري جراء مجازر 8 ماي 1945، أطلق سراح المعتقلين السياسيين من مناضلي ورؤساء الأحزاب السياسية الجزائرية، من بينهم مصالي الحاج الذي خيره سلطات الاحتلال الفرنسي بين الإقامة في الجزائر بشرط أن يمنع من التنقل في مدينة الجزائر وضواحيها وعدد من المناطق الأخرى أو الإقامة بفرنسا وله حرية التنقل فيها وحتى خارجها، إلا أنه اختار الإقامة بالجزائر التي وصلها بداية أكتوبر 1946².

أعاد مصالي الحاج بعد وصوله لمدينة الجزائر تأسيس حزب الشعب الجزائري المنحل ولكن تحت اسم جديد حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وظهر بتفكير جديد بعد الحرب العالمية الثانية، فسعيه للمشاركة في الانتخابات التشريعية الفرنسية في 10 نوفمبر 1946 يجعل الباحث في تاريخ الحركة الوطنية يدرك مدى التحول العميق الذي طرأ على فكر مصالي الحاج، لكن هذا الموقف الجديد أحدث شرخا داخل الحركة بين المؤيد والمعارض لفكرة المشاركة في الانتخابات³.

1. Benjamin Stora, op-cit, p 111.

2. عبد القادر جيلالي بلوفة، حركة انتصار الحريات الديمقراطية 1939- 1954 في عمالة وهران، دار الألفية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص23.

3. مما يبين الخلافات التي وقعت داخل الحركة ما جاء به بعض مناضلي الحزب وهم كالتالي: عمر بن عودة أحد مناضلي الحزب: "بعد عودة مصالي الحاج في سنة 1946 ضغط على المكتب السياسي واللجنة المركزية لكي ترشح الحركة مناضلين للمجالس الفرنسية(البلدية، الولاية، مجلس الولاية، المجلس الجزائري المجلس الفرنسي، وكان هذا بداية الانحراف الخطير الذي وقعت فيه الحركة، مما جعلها تفقد نشاطها وتحركاتها وتصبح حركة مثل الحركات الأخرى." اما عبد الحميد مهري بقوله: " إن مسألة المشاركة في الانتخابات لم تكن بالأمر الهين والسهل خاصة بعد المجازر الرهيبة التي عرفتها الجزائر

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

فقد ذكر محمد حربي انه داخل اللجنة القيادية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، كانت هناك جماعتين متخاصمتين، لكل منهما مناطق نفوذها وقادتا الحزب معا بين سنتي 1943 إلى 1946، وقد قسمهما كالتالي:

- الجماعة الأولى: يقودها حسين عسلة معروفة بجماعة الجزائر العاصمة، تميزت بعلاقاتها مع عالم التجارة، ومحاولتها كسب ود مصالي الحاج وحسين الأحول، وتكونت المجموعة من محمد طالب، الحاج شرشالي، وعبدون، ... الخ، وقد ذكر محمد حربي أن الحاج شرشالي أحال الأمين دباغين للمجلس التأديبي بتهمة التسبب في أحداث سطيف وحجته في ذلك تواجهه هناك أثناءها.
- الجماعة الثانية: قادها الأمين دباغين وضمت كذلك كل من أحمد بودة، وعبد الله الفيلاي، ومسعود بوقدوم، سيطرت هذه الجماعة على لجنة التنظيم وهو مركز السلطة الحقيقي، وتميزت بنفوذها الواسع في كل من: قسنطينة، القبائل، الجزائر (بلكور)، وهران. وقد استمدت نفوذها من خلال التمسك بموقف الحزب المتخذ منذ سنة 1939¹.

في ظل الأجواء المتوترة بين مناضلي حركة انتصار الحريات الديمقراطية سعي مصالي الحاج في اجتماع القيادات ببوزريعة في أكتوبر 1946 للم شمل ودعا للجمع بين النضال الشرعي وغير الشرعي، وعدم ترك المجال أمام الخصوم للتسلل داخل الحزب، فأشار لنصيحة عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية الذي قال له: " إن مشكلتكم غير معروفة، عرفوا بها إذا اردتم ان تخرجوا من الحوار الثنائي مع فرنسا، دعوا الرأي العالمي يقف إلى جانبكم "، وقد أراد مصالي الحاج من خلال هذا الطريقة جمع الأطراف المتصارعة داخل الحزب².

كان من الضروري على إطرارات حزب الشعب الجزائري الرد على هذا الإشكال قبل إجراء انتخابات 10 نوفمبر 1946، وبعد نقاش وإجماع مناضلي الحزب تقرر وضع قوائم مرشحي حزب الشعب الجزائري، إلا أن السلطات الاستعمارية رفضت بدعوى أن هذا الأخير قد حل منذ سنة 1939 فاستدعى الأمر تقديم قائمة المرشحين نفسها، باسم حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وقد تم توزيع مرشحي الحزب على النحو التالي:

في 8 ماي 1945، فهذا التحول الخطير أحدث تصدعا داخل الحركة، وأمام إصرار مصالي الحاج الشديد وإلحاحه رضخت اللجنة المركزية لرأيه ماعدا حسين لحول." للمزيد من التفاصيل حول الصراع القائم بين مصالي الحاج والرافضين للمشاركة في الانتخابات. ينظر: مومن العمري، المرجع السابق، ص 73-74: محمد عباس، المصدر السابق، ص 30: محمد حربي، الجزائر (1945-1962) جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ط1، تر: كميل قصبيرداغر، دار الكلمة للنشر، 1983، بيروت، ص 40.

1. المصدر نفسه، ص 41-42.

2. بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 171.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

- المقاطعة الانتخابية لعمالة الجزائر: أحمد مزغنة، محمد خيضر، محمد طالب، عمار خليل، وعبد الرحمان حفيظ.

- مقاطعة لعمالة وهران: حسين الأحول، هواري سويح، ومحمد ممشاوي.

- مقاطعة لعمالة قسنطينة: محمد الأمين دباغين، مسعود بوقادوم و، جمال دردوز.

- مقاطعة باتنة: أحمد بودة، وعبد الله بن حبيلس¹.

على الرغم من النجاح الذي حققته الحركة إلا أن الإدارة الاستعمارية وافقت على ترشيح خمسة عناصر الحركة فقط وهم: أحمد مزغنة، ومحمد خيضر عن مدينة الجزائر، الدكتور الأمين دباغين، مسعود بوقادوم، دردوز عن قسنطينة².

وفي المؤتمر الأول السري للحزب المنعقد ما بين 15-17 فيفري 1947 في بوزريعة (الجزائر)، برئاسة مصالي الحاج، وبحضور حوالي 55 مشارك وبعد نقاش طويل أقر المؤتمر: مواصلة النشاط السري لحزب الشعب الجزائري، وتنظيم حركة انتصار الحريات الديمقراطية كغطاء قانوني، وتأسيس المنظمة الخاصة، من أجل التحضير للكفاح المسلح³، إلى أن الفصل في هذه الأخيرة أجل إلى وقت آخر. ويؤكد عبد الرحمن كيوان بأن تصميم الهيكل التنظيمي للحزب كان بجناحين جناح علني نظامي تمثله حركة انتصار للحريات الديمقراطية وجناح سري بواسطة المنظمة الخاصة⁴.

إن المؤتمر زاد من انقسام الحزب داخليا وكرسه، فقد ظهرت ثلاثة تيارات هي: التيار الشرعي الذي دعا للمشاركة في جميع الانتخابات عملا بما صرح به مصالي الحاج، التيار السري الذي آمن بمبدأ الحفاظ على سرية العمل داخل الحزب، والتيار الثوري الذي آمن بالعمل الثوري المسلح وتكوين جناح مسلح مشكل من العناصر الجديدة التي لم تدخل العمل السياسي.

في الوقت الذي كانت حركة انتصار الحريات الديمقراطية تعاني من الصراعات الداخلية، جاءت انتخابات 4 أفريل 1948 الخاصة بالمجلس الجزائري الذي تقرر تكوينه في الجزائر من 120 نائبا مناصفة بين الجزائريين والفرنسيين في الجزائر، لتزيد الطين بلة بعد فشل الحركة فيها بسبب سياسة الاحتلال الفرنسي، فمن بين 59 مرشحا ألقى القبض على ثلاثة وثلاثين قبل يوم التصويت حيث منعوا من الاتصال بالشعب مثلما حدث حسين الأحول

1. بن يوسف بن خدة، المصدر نفسه، ص 72.

2. المصدر نفسه، ص 74.

3. عبد القادر جيلالي بلوفة، المرجع سابق، ص 24-25.

4. AbdelRahman Kiouane, Moment Du Mouvement National (texte et position), Edition Dahlab, Alger, 2009, p108.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

و الحاج شرشالي¹، أما يوم التصويت فقد شهد تزويرا محكما بتدبير الوالي العام مارسيل إيدمونت نيجلان (Edmond Haegelen Marcel) و هو من قادة الحزب الاشتراكي الفرنسي الذي عين خصيصا لإجراء هذه الانتخابات، فحسب الإدارة الفرنسية لو كانت هذه الانتخابات حرة لتحصلت حركة انتصار الحريات الديمقراطية على 57 مقعدا من جملة الستين الخاصة بالأهالي².

هكذا أخذت حركة انتصار الحريات الديمقراطية تنزلق نحو تعميق أزمتها الداخلية، وشكلت السياسة التي انتهجتها سلطات الاحتلال أثناء انتخابات 1947-1948 من تزوير وقمع لمرشحي الحزب سببا في زيادة التيار الثوري بالحزب إصراره على ضرورة الانتقال للعمل المسلح، بعد التأكد أن فرنسا لن تغير من سياستها أبدا³، وفي هذه الفترة عاش الحزب وتعرض لثلاث أزمات هي على النحو التالي:

1- أزمة عام 1949:

تعود أسباب أزمة سنة 1949 إلى أمرين أساسيين أزمة الزعامة بين الأمين دباغين⁴ الذي كان اثناء وجود مصالي الحاج في المنفى الرئيس الفعلي لحزب الشعب الجزائري ومصالي الحاج، واتسعت الهوة بينهما عندما طرح لمين دباغين مشروعا ثوريا على قيادة الحزب قوبل بالرفض، فكانت ردة فعل لمين دباغين قوية جاءت على شكل انتقادات للتيار الذي يمثله مصالي الحاج وهو ما تطرقنا له سابقا.

1. فقد كتب محمد حربي أن الحملة الانتخابية جاءت مكلفة، فشكلت نزيفا في المال، ونزيفا فيالرجال، وقد قال كل من حسين الأحول والحاج شرشالي اللذين أوقفا في 3 أبريل 1948 خلال لقاء جماهيري في البليدة وحكم عليهما بستة أشهر سجنا:(علينا أن نعيد النظر في سياستنا، اننا موافقون على ان نتعرض للجن، لكن على الأقل أن يكون هناك نتيجة من وراء ذلك) للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد حربي، المصدر السابق، ص51.

2. عبد الحميد زوزو، المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة (مؤسسات ومواثيق)، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 115-116.

3. يحي بوعزيز، الاتهامات المتبادلة بين مصالي الحاج واللجنة المركزية وجهة التحرير الوطني (1946-1962)، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001، ص 10.

4. ولد سنة 1917 بحسين داي، ينتمي الى الطبقة البورجوازية والمناهضة للاستعمار، انخرط في حزب الشعب عام 1939، ناضل في حركة انتصار الحريات الديمقراطية، حيث أصبح امينا عاما، انسحب من الحركة بعد الخلاف الذي حدث حول القيادة، انضم مبكرا لجهة التحرير الوطني، تقلد منصب وزير بالحكومة المؤقتة الجزائرية، بعد الاستقلال عاد لمهنته كطبيب، توفي سنة 2003، ينظر: مومن العمري، المرجع السابق، ص 201.

في ظل هذه الظروف قدم الأمين دباغين استقالته من الحزب وهو ما أكده بن يوسف بن خدة¹، وأضاف أن دباغين انتقد مصالي الحاج متهما إياه بالزنا والسكر وذلك حسب تصريح أحمد بودة²، أما أحمد محساس يذكر أن الأمين دباغين لم يستقيل بل اقبل من قبل اللجنة المركزية سنة 1949، رغم ذلك ونظر لمكانة دباغين حاولت بعض المناضلين داخل الحركة التوفيق بين الطرفين، لكن محاولاتهم باءت بالفشل³.

من خلال ما ذكرنا يمكن القول إن هذه الأزمة هي صراعات وخلافات حول القيادة بين تيارين الأول جديد مثله جيل من المناضلين الشباب حاولوا قيادة المرحلة والثاني الشرعي القديم الذي رأى فيه خصومهم غير قادرين على تسيير شؤون الحزب، أما بالنسبة للخلاف الحاصل حول استقالة أو إقالة دباغين، فحسب رأي كلى الطريقتين تؤيدان لنتيجة واحدة هي التأثير على وحدة الحزب وقوته.

إضافة لأزمة القيادة عصف بالحركة أزمة أخرى أكثر خطورة من الأولى سميت بالأزمة البربرية أو (المؤامرة البربرية) والتي تعود جذورها إلى ما بين (1946-1947) حسب بن يوسف بن خدة، وأضاف أن جماعة من اللجنة الجزائرية للناطقين باللغة الفرنسية المنحدرة من منطقة القبائل قامت بتبني هذه النزعة منهم: حسين آيت أحمد⁴، عمر أوصديق، مبروك بلحسن، أحمد ولد حمودة.

لكن المناضل حسين آيت أحمد أحد العناصر المنخرطين في هذه النزعة الذي صرح أن: "الأزمة البربرية هي مجرد تهمة ألصقت بالقبائل، وهي إحدى الحيل التي استعملها مصالي الحاج لتبرير انتهاجه الطريق الشرعي وتعود جذورها الى سنة 1949م، وهي السنة التي حاول فيها الجناح الثوري النهوض من سباته العميق"،⁵ ونفس الشيء أكده أحمد محساس فيقول: "

1. أحد زعماء الحركة الوطنية وأبرز شخصيات اللجنة المركزية، ولد سنة 1922، بعد الحرب العالمية الثانية انخرط في حزب الشعب وبعد مؤتمر أفريل 1953 عين امينا للجنة المركزية، في سنة 1956 التحق بجهة التحرير الوطني، عين رئيسا للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية. ينظر: محمد حربي، مصدر سابق، ص 187.

2. محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 1086.

3. احمد محساس، المصدر السابق، ص 326.

4. أحد أقطاب الحركة الوطنية، ولد سنة 1926 بمنطقة القبائل، انخرط في صفوف حزب الشعب سنة 1942، كان عضوا للمكتب السياسي ما بين (1947-1949) تولى قيادة المنظمة الخاصة بعد محمد بلوزداد، ثم عزل بسبب اتهامه بالأزمة البربرية، شارك في السطو على بريد وهران أفريل 1949، لجأ للقاهرة عام 1951 وهناك مثل حركة انتصار الحريات الديمقراطية وأسس فيما بعد جبهة القوى الاشتراكية. ينظر: محمد حربي، المصدر السابق، 189.

5. حسين آيت احمد، روح الاستقلال – مذكرات مكافح (1942-1952)، تر: سعيد جعفر، منشورات البرزخ، الجزائر، 2002، ص 199.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

الإدارة ضخمت المشكل البربري وحاولت استغلالها بهدف إخفاء المشكل الحقيقي الذي نشب بين الشباب وإدارة الحزب التي تماطلت في العمل المسلح"¹.

عموما اختلفت المصادر التاريخية حول حقيقة المشكل البربري فبينما يذهب البعض لاعتبارها محاولة من مصالي الحاج لإقصاء المعارضين له كلمين دباغين كمسؤول سياسي وحسن آيت أحمد كرئيس للمنظمة الخاصة، يرى أنصار مصالي الحاج أنهم شكلوا خطرا على الحزب، وفي نقاش جمع محمد قنانش ومصالي الحاج، حول أزمة الدكتور محمد الأمين دباغين، حيث حاول محمد قنانش معرفة أسباب إقصاء هذا الأخير من الحزب، من خلال طرحه هذا: " إن الأسباب التي قدمها الحزب لإقصائه غير كافية ولا مقنعة."، فأجاب مصالي قائلا: " حقيقة، ولكن هناك أشياء أخرى لم تذكر لأسباب خاصة، الأولى عدم انضباطه مع الحزب، فإنه يسافر إلى الخارج من غير علم الإدارة وحين يرجع لا يقدم تقريرا لا كتابيا ولا شفويا، وكانت تصرفاته مع المناضلين ... تتسم بالبعد عن اللياقة السياسية، وأشياء أخرى ثم هو الوحيد الذي لا يدفع ما يتقاضاه من المجلس الفرنسي للحزب، كغيره من النواب"².

2- أزمة اكتشاف المنظمة الخاصة 1950:

ظهرت هذه المنظمة خلال المؤتمر الأول للحركة سنة 1947، استم نشاطها مدة ثلاثة سنوات الى أواخر سنة 1949، وضمت 1500 عضوا من المناضلين، وقامت بعدة عمليات ضد الاحتلال الفرنسي أهمها عملية بريد وهران، أما اكتشافها فيرجع لأسباب متعددة منها:

- شكوك شرطة الاحتلال في وجود تنظيم سري عسكري، بعد اعتقال محمد يزيد في 15 ماي 1948 الذي وجدت بحوزته على وثائق للمنظمة الخاصة.
- وهناك من يرى أن سر اكتشافها هو ما رواه أحمد بن بلة حول زر حقيبة النقود الذي وجد في مكان حادثة بريد وهران يوم 16 أفريل 1949.
- كما اعتبر البعض من حادثة تبسة 12 مارس 1950³ سببا أساسيا في اكتشاف المنظمة الخاصة.

1. عبد السلام كمون، مجموعة 22 ودورها في تفجير الثورة الجزائرية 1954، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغربي عبر العصور، قسم العلوم الإنسانية، جامعة أدرار، السنة الجامعية 2012-2013، ص 7

2. محمد قنانش، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، ط1، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2005، ص82.

3. حادثة تبسة 18 مارس 1950 بدأت المشكلة بعدم وجود ثقة بين أعضاء المنظمة و تخلف أعضائها عن الاجتماعات منهم عبد القادر خياري و المدعوا رحيم الذي كان مشتبا فيه بصلته مع قائد الدرك الفرنسي بتبسة فانعقد مجلس المنظمة في عمالة قسنطينة تحت رئاسة العربي بلمهيدي وفيه أئخذ قرار تأديبه و تم تكليف سي عبد القادر (ديدوش مراد) 12 مارس 1950 رفقة فرقه اتصل ديدوش مراد

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

حسبما ارى، يمكننا ترجيح السبب الأخير على الأسباب الأخرى استنادا لآراء بعض المناضلين الذين عاصروا الحدث، فقد أكد كل من بن يوسف بن خدة، عيسى كشيدة، محمد مشاطي أن حادثة تبسة كانت السبب الأساسي لكشف المنظمة الخاصة، وقد حمل جزء من هذه القضية القيادة الحزبية التي فرضت عقوبات صارمة ضد كل من يخطئ، مما يشير الى التعسف في استعمال السلطة داخل المنظمة، وعدمدقة العملية التي تنفذها ضد المدعو رحيم قد جعل المنظمة تدفع ثمننا باهظاً¹.

و بسبب ما ترتب عن كشف المنظمة السرية من اعتقالا في صفوفها انطلاقا من منطقة تبسة لتشمل كافة التراب الوطني فمثلا عمالة وهران بدأت عملية الاعتقالات الأولى و كشف الأفواج و شبكت المنظمة الخاصة منذ أفريل 1950 إذ بلغ عدد الموقوفين أكثر من 150 عبر نواحي عديدة (وهران 22 – تلمسان 19- معسكر 15 – عين تموشنت 12 – تيارت 7- غليزان 6 – مستغانم 3) و في شهر جوان أحيل أكثر من 106 على التحقيق²، سارعت القيادة كإجراء أولى قامت بإصدار بعض التعليمات كإخفاء العتاد و احراق الوثائق، وأنكرت عبر وسائل الإعلام وجود منظمة عسكرية سرية، وشرعت الحركة في تهريب عناصر المنظمة، فقد أكد راجح بيطاط و احمد بن بلة على دور إطارات الحزب في حماية المناضلين المضطهدين من المنظمة الخاصة³.

مما سبق يمكن القول نستنتج أن كشف المنظمة الخاصة جعل إطارات الحركة تتخذ بالابتعاد عن الخط الثوري و اصدار قرار بحل المنظمة الخاصة، معتبرة أن ذلك سيققل من مشاكلها، لكنها أخطأت، لأن تفكيك المنظمة الخاصة سيزيد من تفريق و تشتت أعضائها، وبالتالي فإن هذه الأزمة زادت من تعميق المشاكل على المستوى القاعدي النضالية. في ظل الظروف الحالية اتجه قادة حركة انتصار الحريات الديمقراطية نحو العمل الجماعي مع الأحزاب الوطنية سعيا لتشكيل كتلة موحدة لمجابهة المحتل، تبلور ذلك بعد

بعناصر المنظمة بتبسة و وضعوا خطة لاستدراج المدعورحيم خارج المدينة و كان ذلك في باب شالة اين تم مسكه و إدخاله بالسيارة عنوة لكن أعضاء المنظمة وقعوا في حادث أين اصطدمت سيارتهم بشجرة و حاول الفرار مما دفع أحد الأعضاء عمار بن عودة بالانهياله عليه بقضيب فضنوا أنه ميت . لكن خيار بعد استفاقته توجه لمركز الشرطة للتبليغ عما حدث له و بدأة الاعتقالات في صفوف المنظمة الخاصة. أنظر: جيلالي بلوفة عبد القادر، المرجع السابق، ص 49-50.

1. للمزيد من التفاصيل ينظر: بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 214؛ عيسى كشيدة، مهندسو الثورة شهادة، ط2، تر: موسى أشرشور و زينب قبي، منشورات الشهاب، الجزائر، 2010، ص 189؛ محمد مشاطي، مسار مناضل، ط1، تر: زينب قبي، منشورات الشهاب، الجزائر، 2010، ص 49.
2. جيلالي بلوفة عبد القادر، المرجع السابق، ص 114-115.
3. للمزيد من التفاصيل ينظر: أحمد بومالي، أول نوفمبر 1954 بداية النهاية لخرافة الجزائر الفرنسية، ط1، دار المعارف، الجزائر، 2010، ص 53؛ عبد السلام كمون، المرجع السابق، ص 21.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

تأسس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات في 5 أوت 1951 خلال جلسة عامة حضرتها قيادات والأحزاب الوطنية من مختلف القطر الجزائري ، وقد أكد مصالي الحاج في رسالة¹ موجهة الى أعضاء الجبهة ثقته التامة بدورها في التعجيل بتحرير الجزائر ، لما كانت تشكله من نموذج للوحدة الوطنية ، لكن هذه المحاولة للوحودية لم يكتب لها النجاح ، بسبب عمل الإدارة الفرنسية على إجهاضها ، واعتبرتها تشكل خطرا على مصالحها في الجزائر.

3- أزمة انقسام الحركة من المؤتمر الثاني للحركة أفريل 1953 إلى مؤتمر هورنو 1954:

ساهمت الأزمات التي مرت على حركة انتصار الحريات الديمقراطية بعد الحرب العالمية الثانية في زيادة الصراعات الداخلية ، فتقرر عقد المؤتمر الثاني للحركة بين 12 و 14 جويلية 1952 ، لمناقشة مجموعة من القضايا² التي ستحدد مستقبل الحزب، إلا أن اعتقال مصالي الحاج أورلنيفيل (الشلف) و نفيه في مدينة نيورت (Niort) بفرنسا يوم 14 ماي 1952، بعد جولت قام بها في المدن الجزائرية ، دفع قيادات الحركة لتأجيل المؤتمر وحسب بن يوسف بن خدة فإنه نظرا لحجم القضايا التي كانت ستطرح في المؤتمر، كان حضور مصالي الحاج ضروريا، ويضيف المناضل عبد الرحمان كيوان أن تأجيل المؤتمر جاء نتيجة لاعتقال مصالي الحاج³.

لكن في ظل الظروف، وامتداد الصراع داخل الحزب للقاعدة ، اتخذت اللجنة المركزية قرار عقد مؤتمرها الثاني أيام 4-6 أفريل 1953 بمقر الحركة الواقع بساحة شارتر بمدينة الجزائر، وكان المؤتمر بمثابة تعميق لازمة بدل حلها، خاصة بعد تعديل القانون الأساسي الذي وضع حدا لصلاحيات مصالي الحاج، وهو ما أكده محمد حربي بأن المؤتمر جرد مصالي الحاج من السلطة المطلقة و كرس مبدأ القيادة الجماعية، هذا وأشار عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون أن من مميزات المؤتمر الثاني عقده علنيا عكس المؤتمر الأول، وأكد على

1. مصالي الحاج، رسالة الزعيم مصالي الحاج الى الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات واحترامها، جريدة المنار، ع7، السنة الأولى، 15 أوت 1951، ص 02.

2. من القضايا التي أراد الحزب مناقشتها في المؤتمر (تقييم نشاط الحزب خلال 5 سنوات – رفع المستوى المالي للحزب – تحديد الخط الثوري للحزب – اصدار قوانين تنظيمية للحزب لتحديد المسؤوليات). ينظر: بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 59.

3. للمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الرحمن كيوان، المصادر الأولى لثورة أول نوفمبر 1954 (ثلاث نصوص أساسية لحزب الشعب/ حركة انتصار الحريات الديمقراطية (PPA/MTLD)، تر: أحمد شقرون، منشورات دحلب، الجزائر، 2004، ص 148؛ بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 278.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

إقرار المؤتمر بمبدأ القيادة الجماعية، حضر المؤتمر 100 مندوب من جميع أنحاء الجزائر¹. ومن فرنسا وأعضاء اللجنة المركزية ومثل مصالي الحاج مولاي مرياح، والمنظمة الخاصة بن عبد المالك رمضان، وقد خرج المؤتمر بجملته من التوصيات أهمها²:

- نظام الحكم المزمع إقامته بعد الاستقلال (نظام جمهوري).
- موقف الحزب على الصعيد السياسي والإيديولوجي (الدولة من شعب وإلى الشعب).
- سياسته على الصعيد الثقافي (التمسك بالثقافة العربية والدين الإسلامي).
- سياسته على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي (تطوير الجزائر في جميع المجالات في إيطار سوق مغاربية مشتركة).
- موقفه على صعيد مجابهة الاستعمار (النضال ضد الاحتلال بمختلف الوسائل السياسية والعسكرية).
- على الصعيد الخارجي (ضرورة البقاء على الحياد تجاه الكتلتين المتصارعتين).

قبل انتهاء المؤتمر انتخبت لجنة أوكلت لها مهمة تعيين اللجنة المركزية الجديدة ضمت كل من (مصالي الحاج، حسين لحول، بن يوسف بن خدة، مولاي مرياح، أحمد مزغنة) فوقع الاختيار على 30 عضواً للجنة المركزية بداية من شهر ماي 1953، وإعادة تشكيل المنظمة الخاصة تحت اسم (البركة) وأسندت قيادتها لمصالي الحاج لكنها بقيت حبراً على ورق³.

لكن الصعوبات برزت عندما وصل الأمر إلى تعيين أعضاء القيادة وتحديد صلاحيات رئيس الحزب، وفي اجتماع للجنة المركزية في 4 و5 جويلية 1953 عين بن خدة بن يوسف أميناً عاماً⁴، ورغم أن العلاقات بينه وبين رئيس الحركة ظاهرياً كانت عادية، وذلك أثناء اللقاءين الذين تمت بين الرجلين في شهري جويلية وأوت 1953 في منفاه بنيور و الخاص بعرض نتائج المؤتمر الثاني وقراراته، بالإضافة إلى قضية تسوية مشكلات البرامج وتنصيب المسؤولين رسمياً من قبل رئيس الحركة، لكن الواقع أثبت بعد فترة قصيرة أن مصالي الحاج لم يكن موافقاً البتة على تلك القرارات وأعلن عن رفضها جملة وتفصيلاً .

فمن خلال المذكرة التي أرسلها إلى اجتماع اللجنة المركزية المنعقد بتاريخ 12 إلى 16 سبتمبر 1953، أكد عن موقفه الحقيقي من نتائج المؤتمر الثاني وقراراته، وانتقد بشدة ما

1. للإشارة عقدت حركة انتصار الحريات الديمقراطية لقاءات جهوية في وهران وقسنطينة والجزائر ومنطقة القبائل قبل انعقاد المؤتمر تحظيراً للمؤتمر ينظر: جيلالي بلوفة عبد القادر، المرجع السابق، ص 305.

2. بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 312-313.

3. للمزيد من التفاصيل حول ما خرج به المؤتمر الثاني ينظر: أحسن بومالي، المرجع السابق، ص 57؛ بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 312-313.

4. محفوظ قداش، جيلالي صاري، المرجع السابق، ص 136.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

أسماء: ب سياسة الإصلاح، التي انتهجتها القيادة الجديدة وطالب صراحة بتفويض كامل السلطات¹، وهو ما أكده عبان رمضان أن مصالي بعث رسالة عن طريق مولاي مرياح قرر فيها سحب الثقة من الأمين العام والمطالبة بالسلطة المطلقة².

جاء موقف اللجنة المركزية معاكسا تماما لرغبته إذ أعلنت رسميا عن تنصيب بن خدة وفي ظل هذا الخلاف قدم هذا الأخير طلب استقالته، ولكن رفضته اللجنة المركزية كما أعلنت عن رفضها المطلق لمطلب مصالي الحاج المتمثل في منحه تفويض كاملا للصلاحيات، وما زاد الطين بلة هو إبعاد أهم مساعديه وأقرب مقربيه من عضوية المكتب السياسي هما: أحمد مزغنة ومولاي مرياح، واختيار كل من حسين لحول، وعبد الرحمان كيوان مساعدين للأمين العام³.

مع مطلع سنة 1954 بدأت أزمة الحزب تظهر للعلن، فوصلت الأمور إلى تبادل التهم بين مصالي واللجنة المركزية، وقد وجه مصالي الحاج عدة رسائل بها انتقادات ضد القيادة الجديدة منها: الرسالة الصادرة عن مصالي يوم 11 مارس 1954 والموجهة للمناضلين الجزائريين جاء فيها: " بصفتي رئيسا للحزب ومسؤولا أمام الله وأمامكم، يتعين ان أحيطكم علما بما يلي: دون الخوض في التفاصيل أقول لكم: إن حركتكم الوطنية تجتاز أزمة خطيرة. ورسالة أخرى عنوانها بتساؤل: لماذا لا أثق باللجنة المركزية؟ أتهم فيها اللجنة المركزية بالسيطرة على الموارد المالية للحزب⁴.

وردا على هذه الرسائل اجتمعت اللجنة المركزية من يوم: 01 إلى 04 جانفي 1954، لدراسة ما جاء فيها ثم خرجت بوثيقة تضمنت مجموعة من النقاط⁵ وكلف حسين لحول بنقل هذه القرارات إلى رئيس الحزب، لكن هذا الأخير رفض استقباله. فعقد المركزيون اجتماعا سريا يومي 22 و23 ماي 1954، حيث اتخذوا خلاله قرار سحب السلطة المطلقة من مصالي الحاج التي منحها إياه اللجنة المركزية، وأكد أعضاء اللجنة المركزية أنه من أسباب

1. Mohamed Tegua, L'Algérie En Guerre, office de la publication universitaire, Alger, 2007, p90.

2. عبد السلام كمون، المرجع السابق، ص 27.

3. Mohamed Tegua, op-cit, p 90.

4. فطيمة زهراء آيت بلقاسم، المرجع السابق، ص 184.

5. أهم النقاط التي خرجت بها اللجنة المركزية: التمسك بموقفها الرفض لطلب مصالي الحاج بمنحه سلطات مطلقة-رفضها لقراره القاضي بسحب الثقة من الأمين العام الجديد للحركة. دعوة مصالي الحاج إلى عقد مؤتمر استثنائي لطرح الخلاف والفصل فيه. للمزيد من التفاصيل ينظر: عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 329.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

اتخاذ هذا القرار، عدم اهتمامه بقرارات اللجنة المركزية، وتمسكه بمنحه الصلاحيات الكاملة¹.

في ظل الصراع المحتدم بين أعضاء اللجنة المركزية ومصالي الحاج، خرجت مجموعة من مناضلي الحزب الغيورين على مستقبله، والذين اعتبروا أن الصراع هو صراع حول المسؤولية وبعض الأمور الشخصية وحاولت التوفيق بين المتصارعين حفاظا على وحدة الحزب، لكن دون جدوى تذكر، سارعت هذه المجموعة التي كان معظم عناصرها من المنظمة الخاصة لتأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل في 23 مارس 1954².

ومما زاد في تأزم الوضع أكثر قيام مصالي الحاج وأتباعه بعقد مؤتمر في (هونرو) ببلجيكا خلال الفترة 14 - 16 جويلية 1954، أقصوا من خلاله أعضاء اللجنة المركزية، وكرد فعل من اللجنة المركزية عقدت اجتماعا في منتصف أوت 1954 وتقرر طرد مصالي الحاج من الحزب وأتباعه، أما اللجنة الثورية للوحدة والعمل فبسبب فشلها وعدم قدرتها على توحيد طرفي النزاع شرعت في خطوات مهمة نحو شق طريق الكفاح المسلح وكانت البداية بعقد اجتماع الـ (22)، وقد قال محمد بوضياف حول تعنت اللجنة المركزية والمصاليين وعدم جنوحهما للصلح ما يلي: (لقد أبيتم أن تتحدوا مختارين فسنوحكم مجبرين)³.

ثالثا: الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري:

أحدثت مجازر 8 ماي 1945 حدا فاصلا بين مرحلتين من النضال السياسي لفرحات عباس، فتميزت المرحلة الأولى بدفاعه عن فكرة الجزائر الفرنسي، لكن العراقيل التي وضعتها الإدارة الفرنسية و المكائد التي حاكها اللوبي الكولونيالي حالت دون تحقيقها، أما المرحلة الثانية فتبدأ بعد مجازر 8 ماي التي غيرت من طريقة تفكير الرجل بعد سقوط اللثام عن الوجه الاستعماري، الى درجة أنه كتب أثناء تواجده في سجن برباروس وصيته السياسية التي نشرها (شارل روبر أجيروا) تحت عنوان (فرحات عباس والوصية السياسية)، التي هي عبارة تصريح بالاستقالة بسبب الإخفاقات المتتالية بعد أحداث 8 ماي 1945، وتميزت طروحاته بعد

1. جيلالي بلوفة عبد القادر، المرجع السابق، ص 310-311.

2. إبراهيم لونيبي، أزمة حزب الشعب الجزائري، المصادر، ع2، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 1999، ص 107.

3. المرجع نفسه، ص 107.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

ذلك بالجدية ونوع من الحدة لاعتقاده أن المرحلة القادمة مهمة لتحقيق مطالب الشعب الجزائري¹.

وبعد اصدار العفو العام من قبل سلطات الاحتلال على المناضلين السياسيين الجزائريين في السجون الاحتلال، تم الإفراج على فرحات عباس يوم 16 مارس 1946، فجعل من العمل الفردي وسيلة للنضال، بتأسيسه حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في أبريل 1946، الذي أراد أن يكون منبرا للجزائريين لطرح انشغالاتهم في ظل السياسية الاستعمارية المحجفة في حقهم، وعمل على طرح مطالب أكثر واقعية وتجنب التصادم مع سلطات الاحتلال². كما انتقل لباريس لتفنيد جميع التهم الموجهة اليه حول تحريضه على أحداث 8 ماي 1945 قائلا: "أنا لست مسؤولا عن أحداث 8 ماي 1945، ولا أصحابي، أتحمل المسؤولية في قول الحقيقة جئت الى باريس والبرلمان طالبا ارسال لجنة تحقيق لكشف الحقيقة الكاملة حول تلك الأحداث ومديرها"³.

سعى فرحات عباس من خلال تأسيس الحزب الجديد إلى الدخول لمعركة البرلمان، فالقانون الفرنسي الجديد يعترف لأول مرة بحق المساوات بين أعضاء البرلمان من الجزائريين والفرنسيين، فجعل فرحات عباس من الظروف المواتية فرصة لتحقيق قفزة نوعية والخروج من العزلة التي فرضت على مناضلي تياره ظروف السجن بعد مجازر 8 ماي 1945 واعتبر الوصول للبرلمان فرصة سامحة لطرح تطلعات الشعب الجزائري بنظرة تختلف عن مرحلة ما قبل الحرب العالمية الثانية، لأنها تهدف للوصول لجزائر جديدة بنظرة وطنية⁴.

شارك حزب الاتحاد الديموقراطي للبيان الجزائري في الانتخابات البرلمانية في 2 جوان 1946 وتحصل على 11 مقعدا⁵ من مجموع 13 مقعد للجزائريين، ويمكن إرجاع ذلك إلى عدم

1. عباس محمد صغير، فرحات عباس من الجزائر الفرنسية إل الجزائر الجزائرية (1927-1963)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحركة الوطنية، قسم التاريخ والآثار، جامعة متنوري/قسنطينة، السنة الجامعية 2006-2007، ص 82.

2. أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 389.

3. عز الدين معزة، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال (1899 – 1985)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسما لتاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2004-2005، ص 251.

4. Benjamin Stora, Zakia Daoud, Ferhat Abbas une autre Algérie, édition casbah, 1995, p 165.

5. قائمة المنتخبون 11 هم: ولاية قسنطينة: فرحات عباس صيدلي بسطيف، مصطفى الهادي محامي بسطيف، الدكتور ابن خليل طبيب في باتنة، قدور ساطور محامي في مدينة الجزائر، باي العقون مالك بعنابة، حاج السعيد محامي بقسنطينة، في ولاية وهران: محمدا أستاذ بثانوية وهران، احمد فرنسيس طبيب بغليزان، قادة بوطاران أستاذ في تيارت، وفي ولاية الجزائر: تحصلت على مقعدين من مجموع 4 وهما، الدكتور سعدان، طبيب ببسكرة، بن قداش موظف في التجارة بميشلي، أما المقعدان الباقيان

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

وجود منافس، خاصة مع انسحاب حركة انتصار الحريات الديمقراطية ولم يبق إلا الحزب الشيوعي الجزائري الذي لم تكن له قاعدة شعبية تسمح له بحصد أصوات الجزائريين، وقد عبر عن هذا الانتصار فرحات عباس بقوله: "إنه انتصار مسلم به"¹.

شكل دخول حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بقيادة فرحات عباس للبرلمان فرصة لطرح مطالب الجزائريين، رغم ما شاب الانتخابات من تزوير وفرض لسياسة الاحتلال الفرنسي، فمن غير المنطقي أن يتقاسم المستوطنون والجزائريون مناصفة، وهو أغرب منطق في ديمقراطية السياسة الفرنسية. رغم ذلك انتشر في الجزائر مبدأ عدم الثقة بين الطرفين الذي انعكس على المشهد السياسي في الجزائر، فلقب الحاكم العام الفرنسي (إيف شتينيو) من طرف المستوطنين بشاتينيو ابن محمد والجنرال ديغول (بديغول زهرة الجزائر)، وذلك للتنازلات التي اعتبرها غلاة المستوطنين خطوة نحو المطلب الاستقلالي².

في ظل الرفض الذي واجهه فرحات عباس من طرف المستوطنين، حاول من خلال خطاباته إقناع النصف الآخر من البرلمان بالعزف على وتر مبادئ الثورة الفرنسية وفلسفتها، وقوانين الجمهورية الفرنسية الديمقراطية الليبرالية، وسعيًا منه لكسب البرلمانيين الفرنسيين لتأييده إقامة جمهورية جزائرية، وهو ما ذهب إليه حزب الاتحاد الديمقراطي من خلال طرحه في 9 أوت 1946 على البرلمان الفرنسي مشروع دستور الجمهورية الجزائرية والمتكون من ستة مواد احتوت على ما يلي:

المادة الأولى: تعترف الجمهورية الفرنسية للجزائر بسيادتها، وفي نفس الوقت تعترف

فرنسا بالجمهورية الجزائرية، والحكومة الجزائرية، والعلم الجزائري.

المادة الثانية: تصبح الجمهورية الجزائرية عضوا في الاتحاد الفرنسي، بصفتها دولة

شريكة، وتكون العلاقات الخارجية، والدفاع الوطني مشتركا مع الجمهورية

الفرنسية ذلك من صلاحيات الاتحاد الذي تعتبر الجزائر طرفا فيه.

المادة الثالثة: تتمتع الجمهورية الجزائرية بكامل السيادة في القضايا الداخلية ومن

بينها الشرطة عبر كامل التراب الوطني³.

فقد قام والي العاصمة (بيريليه Périillier) بتزوير الانتخابات لمنع أحمد بومنجل المحامي بالعاصمة.

ومحمد بن سالم المختص في الإشهار بالأغواط. للمزيد من التفصيل ينظر:

Ferhat Abbas, op-cit, p 162-163.

1.Ibid, p163.

2. عباس محمد صغير، المرجع السابق، ص 84.

3. مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري (1946-1962). ط1، دار القصبية

للنشر والتوزيع، الجزائر، 1999، ص 35-36.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

المادة الرابعة: يتمتع كل مواطن فرنسي من أصل أوروبي بالمواطنة الجزائرية، وبالتالي تكون له نفس الحقوق، التي للمواطنين الجزائريين عبر كامل التراب الجزائري، بما في ذلك حق التصويت والتوظيف

المادة الخامسة: يتمتع كل مواطن جزائري في التراب الفرنسي بالمواطنة الفرنسية، وتكون له كذلك عبر كامل التراب الفرنسي نفس الحقوق التي للمواطنين الفرنسيين، بما في ذلك حق التصويت والتوظيف.

المادة السادسة: اللغات الرسمية في الجمهورية الجزائرية هي الفرنسية، والعربية، ويكون التعليم العام باللغتين وإجباري للجنسين¹.

نستنتج من خلال ما جاء في مواد مشروع (دستور الجزائر) أن فرحات عباس ومن معه في حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري عرف تحولا كبيرا، فمن خلال قراءة ما جاء في المادة الأولى من المشروع يجعلني أقرن للفكر الاندماحي لفرحات عباس قبل وحتى أثناء الحرب بالتحول العميق في التفكير الذي أصبح يطالب باستقلال الجزائر، وهو ما يدل على التحولات التي شهدتها الساحة السياسية الوطنية والدولية².

جاء رد البرلمان على مشروع الدستور سلبيا ، ففي جلسة بتاريخ 23 أوت 1946 صرح الجنرال بريان (Birand) في كلمة موجهة للبرلمانيين الجزائريين قائلا : " كانت الجزائر قبل الغزو أدغالا للثعالب"، مما اثار الدكتور سعدان فصعد للمنصة قائلا: " إذا لم تعطنا فرنسا الحقوق الواجب إعطاؤها لنا فإننا سنذهب"، وبعدها خرجت الجلسة عن النظام المعهود تدخل فرحات عباس ودعي لرفع مستوى النقاش والإبقاء على الاحترام بين الحاضرين وأضاف بقوله: " ان الشخصية الجزائرية التي لم يكتشفها سنة 1936 اكتشفها اليوم عند العامة من الجزائريين المسلمين، و اليوم واضحة للعيان لا أنتم ولا أنا نستطيع تجاهله"³.

لكن فرحات عباس لم يتحصل على أي نتائج إيجابية من المطالب التي قدمها، غير الموافقة على الحكومة التي ستقدم مشروعا خاص بالجزائر، مما دفعه للتقرب من التيار الاستقلالي من جديد، فمع خروج مصالي الحاج من السجن في أكتوبر 1946 ذهب أحمد بومنجل، والدكتور سعدان لاستقباله باسم الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وقد جاء هذا الموقف كرد فعل على السياسة الفرنسية، وردا من فرحات عباس على تصريح لرئيس المجلس الفرنسي كريستيان بينو (Pineau Christian) للحاكم العام ييف شاتي (Yves

1. عز الدين معزة، المرجع السابق، ص 202-203.

2. Jean Lacouture, cinq hommes et la France, édition, Seuil, Paris, 1961, pp 298-300.

3. Jean Lacouture, op-cit, p301.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

(Chatel) قائلا: " لا أرى إلا رجلا واحدا يستطيع أن يهزم فرحات عباس إنه مصالي الحاج، فرد عليه رئيس المجلس الفرنسي بقوله: نعم، أقض عليه بواسطة مصالي الحاج"¹.

نستنتج من خلال ما ورد في تصريح كريستيان بينوأن فرنسا حاولت تغيير الصراع السياسي القائم من صراع فرنسي جزائري إلى صراع جزائري، بهدف تحويل الأنظار ورفع الضغط المسلط عليها، فقد أكد فرحات عباس أن إطلاق مصالي الحاج هدفه خلق خلاف في المواقف داخل الساحة السياسية بين تيارات الحركة الوطنية، وهي مجرد دسائس يستعملها الاحتلال من أجل إضعاف الحركة الوطنية الجزائرية.

دفعت سياسة الاحتلال الفرنسي حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري للانسحاب من الترشح في انتخابات نوفمبر 1946²، سعيا من فرحات عباس لإفشال المخطط الاستعماري الرامي لإيقاظ الصراع السياسي بينه وبين مصالي الحاج ، ففي هذا الشأن يقول فرحات عباس في نفس الموضوع ما يلي: "إن تجمع أحباب البيان والحرية امتنع عن تقديم مرشحين للانتخابات التشريعية الأولى في نوفمبر 1946 لتمكين مصالي الحاج من مواجهة الرأي العام الفرنسي وبرلمانه، إن مصالي الحاج حصل على ضمانات وزارة الداخلية لحكومة الاحتلال في الجزائر، بأن القوائم الانتخابية ستعتمد، وبناء على ذلك ترشح للانتخابات، وطلب مني الانسحاب من المنافسة، تحاشيا لانشقاق القوى الوطنية كما أكد أنه بإمكانه الحصول على استقلال الجزائر"³.

لكن العراقيل التي شهدتها مرحلة الترشح وما تمخض عن الانتخابات أكدت عكس ما ذهب إليه فرحات عباس فسياسة إدارة الاحتلال المطبقة عليهم ضد مناضلي حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، كشفت الغطاء عن فرنسا وهوما دفع فرحات عباس للقيام بمجموعة من الخطوات:

1. Ferhat Abbas, *autopsie d'une guerre l'aurore*, édition Garnier, France, 1980, p 137-138.

2. شارك مصالي الحاج وحزبه الجديد حركة انتصار الحريات الديمقراطية في الانتخابات البرلمانية، وكان بإمكانه أن يحقق انتصارا كبيرا نظرا لامتداده الواسع في الجزائر، لكن إدارة الاحتلال كانت له بالمرصاد، رفضت الإدارة ترشح مصالي الحاج في عمالة الجزائر بأمر من الوالي برغم الوعود التي تحصل عليها، كما رفضت قوائم مرشحي حزبه في وهران وسطيف، ولم يعلم بذلك إلا بعد مرور المدة القانونية للترشيحات ولهذا تحصل حزبه على 5*مقاعد فقط، والمقاعد 10 الباقية تحصل عليها 8 مرشحين عن الإدارة، ومرشحين عن الشيوعي. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Ferhat Abbas. *la nuit coloniale*. op.cit. p 173.

-أحمد محساس ، المصدر السابق ، ص 275.

3. Ferhat Abbas, *la nuit coloniale...*, op.cit, p p 172-173

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

- مطالبة فرحات عباس بتاريخ 3 ماي 1947 في جلسة للمجلس العام لعمالة قسنطينة بمناقشة القانون العام للجزائر، حيث تدخل فرحات عباس ضد غراتيان فور (Faure Gratien) عضو المجلس العام الذي اتهم فرحات عباس بمعاداة فرنسا قائلاً: "إنني لا أساير السيد غراتيان فور خلال تعرضه للماضي، إذا رجعنا إلى الماضي دائماً سنكون حتماً غير عادلين... فرنسا كانت دائماً أنواراً لأوروبا، وعليها أن تمنحنا دستوراً لوطننا...". وتمت الموافقة بالأغلبية على تقديم طلب للحكومة الفرنسية لمنح قانون خاص بالجزائر¹.

- كما قدم فرحات عباس مذكرة للمجلس المالي الجزائري في أوت 1947 باسم الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، طالب فيها بوضع حد لسياسة الإدماج ما يبين التحول الذي طرأ على فكر فرحات عباس، مؤكداً على تأسيس جمهورية جزائرية تتكون من مجموعات عربية وبربرية وأوربية².

تشكلت ضد المطالب التي قدمها فرحات عباس داخل المجلس الوطني الفرنسي معارضة، فراح ممثلو المستوطنين يهددون بالانفصال عن فرنسا في حال قبول اقتراح فرحات عباس، في هذه المرحلة تدخل الجنرال شارل ديغول في 18 أوت 1947 خلال مناقشة داخل البرلمان، مقترحاً منح قانون خاص بالجزائر وتأسيس جمعية جزائرية مختلطة ومتساوية، وبذلك رجع للنظام القديم مما جعل فرحات عباس يعارض اقتراحه، وبعد التصويت تمت الموافقة على (القانون العضوي للجزائر) بتاريخ 19 سبتمبر 1947 بالمجلس الوطني الفرنسي³. وبعد تتالي النكسات السياسية على الساحة الوطنية وظهور عدم جدوى المشاركة في الانتخابات، لأن بإمكان إدارة الاحتلال صنع نواب على مقاسها أو نواب جزائريون تحت خدمتها، شرع الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في عقد عدة مؤتمرات وطنية لدراسة المستجدات أهمها:

- المؤتمر الأول بمدينة سطيف خلال الفترة (25-27) سبتمبر 1948، قدم خلاله الأمين العام فرحات عباس مداخلة طالب فيها بالوحدة المغربية، وتبني النظام الديمقراطي في المجلس الجزائري، وتحويل الحكومة العامة لحكومة جزائرية، وضرورة إلغاء القوانين الاستثنائية المفروضة على الجزائريين المسلمين⁴. وفي نهاية المؤتمر وجه الحاضرون رسالة لمنظمة الأمم المتحدة طالبين منها منح الشعوب

1. عز الدين معزة، المرجع السابق، ص 207-208.

2. المرجع نفسه، ص 207-208.

3. Benjamin Stora, Zakia Daoud, op-cit, p p 148-149.

4. عز الدين معزة، المرجع السابق، ص 211.

الضعيفة حق تقرير مصيرها، ورفعت مطالب للحكومة الفرنسية جاء فيها ما يلي:¹

- تنصيب لجنة تحقيق حول مجازر 8 ماي 1945 وتعويض الضحايا.
 - إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين.
 - إلغاء انتخابات المجلس الجزائري.
 - التعليم لجميع الأطفال المسلمين.
 - تثبيت اللغة العربية.
 - إلغاء البلديات المختلطة ومناطق الجنوب.
 - فصل الدين عن الدولة وإعادة الأملاك والأوقاف المنهوبة.
 - تطبيق مخطط الأمن الاجتماعي، وتسوية الرواتب.
 - إصلاح الزراعة والصناعة والصحة العمومية وتعميم السكن.
- كما دعا المؤتمرون لتكوين جبهة ديمقراطية لمواجهة الاحتلال، لكن دون السير في سياسة حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي رغم ذلك كانت هناك نقاط تلاقي بين الحزبين، ففي جوان 1948 ندد الحزبين في باريس بالاحتلال الإسرائيلي في فلسطين، أما مقترحات فرحات عباس فلم تجد صدى لدى المجلس الجزائري، وبقيت لغة السيطرة المسيطرة على سلطات الاحتلال هي النافذة.²
- المؤتمر الثاني عقد في مدينة تلمسان خلال الفترة (16- 18) سبتمبر 1949 قدم خلالها فرحات عباس مداخلة أكد فيها على بقاء الحزب على مبادئه، رافضا للاحتلال، ووجه نداء للأمم المتحدة مبينا وضع الجزائر من 1830 إلى 1949، مذكرا بالأهداف التي قامت عليها المنظمة، طالبا منها التدخل لوضع حد للاحتلال الفرنسي في شمال إفريقيا، كما طالب بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين، وندد بالقمع الذي يتعرض له المصاليون.³
- الملاحظ أن فرحات عباس عمل خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية على استنكار سياسة الاحتلال الفرنسي بمختلف الوسائل المتاحة، ودعا في أكثر من مناسبة لتكوين جبهة وطنية قادرة على مجابهة الاحتلال، وإنشاء حكومة جزائرية متحدة فدراليا مع فرنسا، كما طالب الأمم المتحدة بتقديم مساعدات للجزائر وتونس والمغرب الأقصى لإنهاء الاستعمار.

1. فاطمة زهرة آيت بلقاسم، المرجع السابق، ص 189-190.

2. Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p184- 185.

3. Ibid, p187.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

لكن مع مطلع سنة 1950 استعملوا حكومة الاحتلال الفرنسي مختلف الوسائل المنافية للأخلاق الديمقراطية التي تتغنى بها فرنسا من سن للقوانين الزجرية واستمرار الاعتقال مناضلي الحركة الوطنية الجزائرية، كما عرقل الحاكم العام روجي ليونارد (Rogerléonarde) الانتخابات بالضغط على الوطنيين لمنعهم من الترشح وتزوير محاضر الانتخابات لصالح المترشحين من الإدارة. كما أغلقت أبواب الحوار مع الوطنيين الجزائريين خاصة بعد اكتشاف المنظمة الخاصة 1949 وما ترتب عنها من اعتقالات وسط حركة انتصار الحريات الديمقراطية¹.

فتبين أن الثورة بالقانون التي انتهجها فرحات عباس قد فشلت بسبب معارضة المحتل لمختلف الإصلاحات، فزادت من الشك في الديمقراطية الفرنسية قائلا: " إن الذكاء الفرنسي قد عجز وأصابه الإفلاس، فذلك الفكر الذي ما فتئ ينادي بضرورة ارتقاء الرجل المستعمر من درجة العبودية إلى درجة الحرية، لا يحرك ساكنا حين تمرغ في الوحل كرامة الإنسان المغلوب على أمره"².

في ظل وضوح الصورة على الساحة السياسية في الجزائر، تشكلت جبهة سياسية جديدة أطلق عليها الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات واحترامها في يوم 5 أوت 1951، ضمت أنصار الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية والحزب الشيوعي الجزائري³، وكان هدفها فضح ممارسات إدارة الاحتلال، وضرورة إلغاء نتائج الانتخابات النيابية⁴ فيفري 1951 وانتخابات 17 جوان 1951 لإعادة انتخاب نصف نواب المجلس الجزائري⁵، وتلبية مطالب الشعب الجزائري من خلال اطلاق سراح معتقلي المنظمة

1. عز الدين معزة، المرجع السابق، ص 214.

2 Ferhat Abbas, la nuit coloniale..., op. Cit, p164.

3. جيلالي بلوفة عبد القادر، الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحياة واحترامها 1951 محاولة وحدوية مجهضة.

المجلة التاريخية المغاربية، ع 121، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2006، ص 80.

4. جرت الانتخابات النيابية في 17 جوان 1951 وقدم حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري مرشحيه في 16 دائرة انتخابية، ولكنه لم يتحصل إلا على 9% من الأصوات المعبر عنها، بينما تحصل حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية على 8% من الأصوات، والوحيد الذي فاز من هذين الحزبين هو فرحات عباس عن الدائرة الانتخابية لسطيف. للمزيد من التفاصيل ينظر: عز الدين معزة، المرجع السابق، ص 216.

5. لم يحصل الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري سوى على 11% من مجموع الأصوات المعبر عنها، بينما الأحرار(مرشحوالإدارة) تحصلوا على 50.84% عن طريق التزوير دائما، ولم تشارك في هذه الانتخابات حركة انتصار الحريات الديمقراطية بسبب المشاكل التي كان يعيش فيها الحزب، وتعرض مناضليه للاعتقال، والسجن. للمزيد من التفاصيل ينظر:

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

الخاصة الذين حولوا للمحكمة الاستثنائية. لكن هذه المحاولات لتوحيد الصفوف في وجه المحتل الفرنسي لم تأتي بنتيجة، لأن تشكلها كان هجيناً من تيارات مختلفة التوجه إيديولوجياً وعقائدياً، إضافة لتضارب مصالحها الضيقة.¹

الملاحظ أن الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات واحترامها لم تستمر طويلاً بسبب عدم توافق الأحزاب الوطنية على برنامج موحد، فالتيار الاستقلالي طالب بالاستقلال التام، وفرحات عباس وأتباعه طالبوا بالاستقلال الفدرالي، وبعد تشكل الجبهة بقيت الأحزاب متفرقة فكل حزب كانت له جريدته² التي دافعت عن مبادئه، ولذلك لم تستطع هذه الأحزاب أن تحمل فكراً موحداً لمجابهة الاحتلال.

لكن اندلاع الثورة التحريرية في الأول من نوفمبر 1954، عجل بظهور مواقف جديدة لمختلف الأحزاب الوطنية، حيث امتنع فرحات عباس في الانضمام إليها مبرراً ذلك بعدم علمه باندلاعها، وإصراره على إيجاد حلول في إطار الشرعية الدستورية، فليس من السهل أن يتخلى فرحات عباس عن مشروعه الذي سعى وراءه منذ الأربعينيات، وما يبرهن على ذلك ما جاء في كلمة أحمد فرانسيس بعد منع فرحات عباس من القاء كلمته أمام المجلس الجزائري بتاريخ 24 نوفمبر 1954، من خلال تحميل الاحتلال و سياساته المسؤولية لما آلت إليه الأوضاع، وعدم إيجاد حلول للمشاكل التي يعاني منها الشعب الجزائري، مقترحاً تبني برنامج الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري³.

كان لردود فعل سلطات الاحتلال وعدم إلمامها بما يقع في الجزائر، إضافة لتعننت غلاة المستوطنين في رفضهم لجميع الإصلاحات، دافع لتوجه فرحات عباس للاتصال مع جبهة التحرير الوطني في جانفي 1955 عن طريق عمار القامة، لكن ظروف الثورة حالت دون ذلك، وفي 15 ماي 1955 أرسل فرحات عباس عن طريق عمار القامة رسالة إلى كريم بلقاسم جاء فيها: "أن فرحات عباس رئيس الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري يريد الاتصال بجبهة التحرير الوطني"⁴.

Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p 187.

1. محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية... ج2، المرجع السابق، ص 1163-1164.
2. حركة انتصار الحريات الديمقراطية (الأمة الجزائرية)، الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (الجمهورية الجزائرية)، الحزب الشيوعي الجزائري (الجزائر الحرة) للمزيد ينظر: محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 1163-1164.

3. فاطمة زهرة آيت بلقاسم، المرجع السابق، ص 195.

4. Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre..., op.cit, p 73.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

ففي ليلة 26 ماي 1955 التقى فرحات عباس بعبان رمضان وعمار وأعمران تمهيدا للالتحاق بالجهية، كما طلب فرحات عباس من عبان رمضان أن يسمح له بالانتقال إلى باريس لإعطائه فرصة لوقف الحرب فوافق عبان رمضان، لكنه اشترط عليه بأن يكون ذلك عن طريق جهية التحرير الوطني فقط، بعدها سافر فرحات عباس إلى باريس والتقى برئيس الحكومة إدغار فور (Edgar Faure)، ورئيس المجلس الوطني الفرنسي، وتحدث عن دستور بإمكانه أن يجعل الجزائر ذات سيادة مزدوجة مع فرنسا، وطلب من إدغار فور ارسال ممثل عن الجزائر من أجل التفاوض مع جهية التحرير الوطني لتشكيل حكومة جزائرية مؤقتة¹.

وكان رد رئيس الحكومة الفرنسية إدغار فور على مقترحات فرحات عباس ليس بمستوى طموحات ورغبة الأخير. وسبب ذلك يرجع الى اعتقاد الفرنسيين إمكانية القضاء على الثورة بواسطة القوة العسكرية. وعلى إثر هذا الفشل، لم يكن أمام فرحات عباس إلا الانضمام لجهية التحرير الوطني بكل قناعة وثقة كبيرة، لأنه تأكد جيدا بأنها تسير في الاتجاه الصحيح من أجل تحرير الجزائر من الاحتلال. فتوجه من سويسرا إلى القاهرة يوم 26 أبريل 1956، وبوصوله إليها عقد ندوة صحفية بمقر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أعلن فيها رسميا وعلنيا عن انضمامه لجهية التحرير الوطني. لكن انضمامه الفعلي لجهية التحري الوطني كان في ماي 1955². وفي القاهرة استقبل استقبالا حارا، ويقول بأن أحمد بن بلة قال له: "إنه أسعد يوم في حياتي، ولأبرهن عن فرحتي سأظهر علنا لأول مرة معك أمام الجمهور." وحضر الندوة الصحفية حسين آيت أحمد، ولمين دباغين، ومحمد خيضر، وأحمد يزيد، وأحمد توفيق المدني الذي كان يترجم له إلى اللغة العربية³.

إن محاولات فرحات عباس اقناع الفرنسيين بمشروعه سياسي الداعي لإقامة جمهورية جزائرية متحدة مع فرنسا فيدراليا من أجل إحلال السلام بين الجزائر وفرنسا بالطرق السلمية، لم يتحقق بسبب تعنت حكومة الاحتلال الفرنسي والمستوطنين الذين اعتبروا ذلك خطرا على مصالحهم بالجزائر، و نتيجة كل هذه الأسباب دفعت فرحات عباس للبحث عن التيار المسيطر على القوة الشعبية خاصة بعد اندلاع الثورة التحريرية، فأمن بأن الكفاح المسلح هو الحل الوحيد من أجل جزائر مستقلة، فلم يكن أمامه إلا الانضمام لصفوف جهية التحرير الوطني، ليمارس سنوات مميزة خلال سنوات الثورة.

1. Ferhat Abbas, op-cit, p 82-83.

2. Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p 245.

3. Ibid, p 250.

رابعاً: نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

انفردت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن الأحزاب السياسية، بعدم تعرضها للحل السياسي باعتبارها جمعية وليست حزبا سياسيا، كما تميزت مواقفها بالاعتدال في الكثير من المواقف، وتركيزها نشاطها على العمل الإصلاحي بين فئات المجتمع الجزائري، أما العمل السياسي فليس من مبادئها الأساسية، لكن ذلك لم يجعل قادتها ومناضليها بعيدين عن الاعتقالات بسبب موقفهم الرافض لمسألة اللوقوف إلى لجانب فرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية. ومثالث ذلك، ما وقع للشيخين العربي التبسي والشيخ الإبراهيمي¹.

لكن نهاية الحرب العالمية الثانية وما تلاها من ردود فعل فرنسية على المظاهرات التي قام بها الجزائريون في يوم 8 ماي 1945، والتي خلفت آلاف القتلى والمعتقلين من الجزائريين، بما فهم قيادات وأساتذة وتلامذة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، شكلت نقطة تحول في مسار الجمعية التي استفاد قادتهم على رأسهم الشيخ البشير الإبراهيمي من العفو الشامل الصادر بتاريخ 16 مارس 1946، فعقدت الجمعية مؤتمرها الأول بتاريخ 21 جويلية 1946 والذي خرج بمجموعة من النقاط يمكن تلخيصها فيما يلي²:

- الاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية.
 - حرية الثقافة الإسلامية.
 - إصلاح العدالة الإسلامية وتعيين المفتين والقضاة من الجزائريين.
 - فتح المدارس التي أغلقت في ماي 1945.
 - إطلاق جميع المعتقلين السياسيين والمشايخ من السجون الفرنسية.
- كما عقدت الجمعية مؤتمرا ثانيا في سبتمبر 1946، أصر خلاله الحاضرون على ضرورة مواصلة الدرب الذي رسمه الشيخان الراحلان. فتقرر فتح معهد ثانوي بمدينة قسنطينة مع حلول سنة 1947 وتعيين الشيخ العربي التبسي لتسييره، حتى أنه أصبح فرعا من جامع الزيتونة لتسهيل الدراسة على الجزائريين، وقد تخرج منه عدد كبير من الشباب الجزائريين، ألتحق البعض منهم بصفوف الثورة التحريرية بعد اندلاعها عام 1954³.

1. للمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي ...، ج2، المصدر السابق، ص 506: أحمد قصبية، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في منفاه بمدينة أفلوا، مجلة الثقافة، ع 87. السنة الخامسة، ماي 1985، ص 277.

2. فاطمة زهرة آيت بلقاسم، المرجع السابق، ص 196-197.

3. أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة (أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد ابن باديس، ط1، ج2، دار البعث، سوريا، (د.ت)، ص 269.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

كما وجهت الجمعية سنة 1949 عريضة مفتوحا إلى رئيس الجمهورية الفرنسية فون سنت أوريول (Fan sente Auréole) جاء فيه ما يلي:¹

1- أن الجزائر وطن تسعه أعشار من فيه رقيق زراعي وخدم صناعي مفروض عليه الحرمان من كل حق، وعشره العاشر سادة مفروضة لهم التمتع بكل حق، وبين الفريقين فريق انفصل عن الأول، ولم يصل إلى الثاني وهو الذي ترونه.

2- إن الدين الإسلامي مملوك للإدارة، تحتكر التصرف في المساجد ورجاله وأوقافه وقضائه.

3- التعليم في هذا الوطن المسلم معطل بتعطيل المساجد، ومئات الآلاف من الشباب المسلمين تتشوق إليه، والتعليم العربي في هذا الوطن العربي جريمة يعاقب مرتكبا بما يعاقب به المجرم من تغريب وسجن، ومدارسه تعاني من التضيق والتعطيل، ورجاله عرضة في كل حين للمحاكمات التي تتسم بوسمتكم.

4- إن الشعب الجزائري قد أصبح من طول ما جرب ومارس لا يؤمن إلا بأركان حياته الأربعة، ذاتيته وجنسيته ولغته العربية ودينه الإسلامي، لا يستنزل عنها برقي الخطب والمواعيد، ولا يبغى عنها حولا ولا يرضى لها بديلا.

5- إن الشعب الجزائري مريض يتطلع للشفاء، وجاهل متوثب إلى العلم ويأس متشوق للنعيم، ومنهوك من الظلم مستشرف إلى العدالة، ومستعبد ينشد الحرية، ومهضوم الحق يطالب بحقه في الحياة، وديمقراطي الفطرة والذي يحن إلى الديمقراطية الطبيعية، ولكنه ليس كما يقال: جائع يطلب الخبز فإن وجهه سكت.

6- لا يسبغ عقل ولا منطق ولا عقل كيف تكون الوحدة بين سيد وبين مسود، وكيف تتصور بين حاكم مزهو بعصبية جنسية تظاهرها عصبية دينية وبين محكوم؟ وكيف تتفق في وطن ساكنوه صنفان وقوانينه صنفان؟ وكيف تتم في بلد كنيسته حرة وبيعه حرو ومسجده مستعبد؟²

الملاحظ من خلال ما ورد في العريضة الموجه للرئيس الفرنسي، ان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم تعد تحصر مطالبها في الجانب التعليمي والديني، بل تحولت للمطالب السياسية، لعلمها أن المطالبة بالإصلاحية لا تستقيم إلا بوجود سلطة تستجيب لاحتياجات المجتمع الجزائري وتطلعاته.

1. محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص 205-206.

2. محمود بوزوزو، الاستفتاء والانتخابات، جريدة المنار، ع40، السنة الثالثة، المواقف في 10 أفريل 1953، ص 01.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

لكن ما جاء في قانونها الأساسي منعها من المشاركة في الانتخابات، فاعتمدت على مناصرة الأقرب لتوجهاتها، وكانت ترشد أعضائها للتصويت على القوائم والأشخاص المعروفين بوطنيّتهم، ففي الكثير من الأحيان تؤيد فرحات عباس، وترى فيه الرجل المعتدل القادر على تحقيق الكثير من المطالب الوطنية في غياب التيار الاستقلالي ولكونه أفضل من ممثلي الإدارة الفرنسية الذين باعوا أنفسهم للاحتلال¹.

فعملت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحت قيادة الشيخ البشير الإبراهيمي منذ مطلع سنة 1950 على تعميم أفكارها من خلال توعية المجتمع الجزائري وتذكيره بأثار الغزو الفرنسي بالجزائر منذ 5 جويلية 1930 الذي سخر أربعة وسائل لتدمير أركان الدولة الجزائرية القائمة:²

- إبعاد الجزائر عن الخلافة الإسلامية لعزلها وإضعافها.
 - تجريب الأطباء لمختلف الوسائل الجرثومية على المجتمع الجزائري فكان حقلًا لتجارهم.
 - استعمال المدرس الأجنبي لإفساد عقول الجزائريين، وإبعادهم عن لغتهم ودينهم تشويه تاريخهم.
 - الاعتماد على الكنيسة في تشويه الإسلام وإبعاد المسلمين عن عقائدهم.
- نستنتج أن معرفة جمعية العلماء المسلمين بوسائل السياسة الفرنسية ساعدها في طرح حلول لمجاهاة ما ترتب عليها من مخلفات على المجتمع الجزائري، ففي العدد 103 من جريدة البصائر يشير الشيخ البشير الإبراهيمي في مقال تحت عنوان (هل دولة فرنسا لايبكية) إلى السياسة الفرنسية القائمة على الجندي والمعلم والطبيب والراهب، وشبهه بالهيكل الحيواني الذي يمشي على أربعة، ويضيف إلى دوره في القضاء على 10 ملايين جزائري³.

كما نشرت جريدة البصائر في عددها رقم (4) الصادر بتاريخ 27 أوت 1947 مقال حمل عنوان (دعوة صارخة إلى اتحاد الأحزاب و الهيئات) دعت من خلاله الأحزاب الجزائرية وقادتها الى العمل المشترك ، و الإتحاد في مواجهة المخططات الاستعمارية الفرنسية ، و من بين ما جاء فيها نذكر: " يا قادة الأحزاب السياسية إن في مبادئكم دسائس دخيلة من الأفكار تورث العداوة الحزبية بين الإخوة بحجة المحافظة على المبادئ، فنبنذوها بضرورة الإتحاد ومراعات الظروف،

1. محمود بوزوزو، المصدر السابق، ص.2.

2. محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 207-208.

3. محمد البشير الإبراهيمي، هل دولة فرنسا لايبكية؟، البصائر، ع103، 16 جانفي 1950، ص 111.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

وادحضوا شيتها بحجة الوطن الصريحة، و ان في صفوفكم دسائين مدخولين من الرجال لهم أغراض في المنافع والكراسي، ولهم مقاصد في الإفساد "1.

الملاحظ أن الشيخ البشير الإبراهيمي لم يكتف بمقال واحد، فقد مضى في تقديم النصائح للأحزاب، وهو ما يشير إلى الدور السياسي الفعال لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في توعية الطبقة السياسية من خلال التذكير دوما بدسائس سلطات الاحتلال الهادفة لتفريق التيارات السياسية الوطنية، فقد أعتبر الشيخ البشير الإبراهيمي الانتخابات بابا للمرور نحو أهداف وطنية أخرى وليس مكانا للاستقرار.²

عملت جمعية العلماء المسلمين بالتوافق مع مختلف الأحزاب السياسية الوطنية مع مطلع سنة 1950 على توحيد العمل الوطني فكونت لجنة استشارية³، وفي 5 أوت 1951 انعقد اجتماع في سينما دنيا زاد بمدينة الجزائر الذي دعت له اللجنة الاستشارية حضرته مختلف الشخصيات الوطنية، أعلن خلاله الحاضرون عن موافقتهم على تأسيس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات احترامها.⁴

وفي الاول من أوت 1951 طرح الأعضاء التأسيسيون خطتهم للعمل من خلال أمام الأمة من خلال التعريف بأهدافها وضرورة المصادقة على برنامجها، خلال اجتماع ضم آلاف من الجزائريين بالملعب البلدي في حسين داي تلبية لدعوة الجبهة، تناوب على القاء الكلمات كل من الأستاذ دوزون المحامي و أحمد توفيق المدني والشيخ العربي التبسي و الأستاذ أحمد بومنجل والأستاذ براون المحامي و العربي بوهالي والسيدة روني ستيب (Renie stipe) المحامية وأحمد مزغنة، قاموا خلالها بشرح النقاط الأساسية من أهداف الجبهة، فمثلا أثناء إلقاء العربي التبسي لكلمته ركز في شرح النقطة الخامسة من أهداف الجبهة وهي فصل الدين عن

1. عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي ...، ج2، المصدر السابق، ص 510.

2. عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص511.

3. ضمت اللجنة الاستشارية عن العلماء الشيخ العربي التبسي والشيخ محمد خير الدين وعن الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري أحمد فرانسيس وقدر ساطور المحامي، عن حركة انتصار الحريات الديمقراطية احمد مزغنة ومصطفى فروخي، عن الشيوعيين بول كابليرو واحمد محمودي. للمزيد من التفاصيل ينظر: لجنة انشائية لتأسيس جبهة جزائرية للدفاع عن الحريات واحترامها، جريدة المنار، ع6، السنة الأولى، 30 جوان 1951، ص 01.

4. الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات واحترامها مولود جديد في حاجة للحماية، جريدة المنار، ع7، السنة الأولى، 15 أوت 1951، ص1.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

الحكم ، تعرض خلالها لمعاملة الاحتلال الفرنسي للدين الإسلامي منذ بداية الاحتلال ، فيما يحظى أصحاب الديانة المسيحية واليهودية بمعاملة خاصة¹.

وأشار محمود بو زوزو في مقال بعنوان (الجهة الجزائرية حجة أن الاستعمار عدو الديمقراطية. أين أنصار الديمقراطية؟) بجريدة المنار في عددها 8 بتاريخ 31 أوت 1951 ما يلي: " لا شك أن الجهة الجزائرية للدفاع عن الحريات واحترامها ضربة قاسية للسياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتكذيب علي صريح للدعاية الفرنسية... سيحمل المستهينون بمطالب الأمة الجزائرية على الالتفات إليها والاهتمام بها والعدول عن الأنانية العمياء التي يعيشون فيها ... إن أعرض شيء برهنت عليه "الجهة الجزائرية للدفاع عن الحريات واحترامها" هو أن الاستعمار الفرنسي عدو للديمقراطية. فهل من نصرت الديمقراطية أن يجد هذا الاستعمار انصارا"².

أما ما يثبت العمل الديمقراطي داخل الجهة الجزائرية للدفاع عن الحريات واحترامها، فقد أكد المكتب الدائم للجهة بعد أن درس مشكل الانتخابات التي ستجري في 14 أكتوبر 1951، واستمع لجميع الأحزاب السياسية والشخصيات المكونة للجهة، أن مواصلة نشاط الجهة وفقا للاتفاق الذي حصل في 22، 23، 24 جويلية 1951 الذي نص على ما يلي:

- إن هذا الاتفاق لا يمس قط باستقلال ونشاط كل حركة خارج الجهة.
- مع متابعة جريان الحملة الانتخابية بمزيد من الانتباه ومراعات مصلحة الشعب العليا، تقرر الجهة الجزائرية بصفتها هذه لا تتدخل في هذه الانتخابات، وعليه لا يستطيع أحد من الآن أن يدعي تصريحا أو تلميحا موافقة الجهة أو تأييدها المعنوي له³.

1. في يوم تاريخي عظيم الجهة الجزائرية للدفاع عن الحرية تقف أمام الأمة، جريدة المنار، ع 8، السنة الأولى، 31 أوت 1951، ص 1-3-4.

2. جريدة المنار، ع 8، السنة الأولى، 31 أوت 1951، ص 1.

3. لكن تصريحا مشتركا ضم كل من الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، حركة انتصار الحريات الديمقراطية ، والعلماء والديمقراطيين المستقلين ، جاء فيه ما يلي : "بعدهما درسوا المشكلة الانتخابية الجزائرية ، على ضوء التجارب المكتسبة منذ شهر أبريل سنة 1948 ، واعتقادا أنه لا يمكنوا للجزائريين أن ينتخبوا بكل حرية ، تقرر أن يعلنوا بمناسبة الانتخابات العمالية المقبلة استنكارهم و استيائهم للأساليب المستعملة ضد الشعب الجزائري ، و عملا بضرورة انتظار ظروف مواتية تسمح للشعب الجزائري بفرض احترام حريته في التفكير فإنهم و طدوا العزم على حض الناخبين على مقاطعة الانتخابات في يوم 8 أكتوبر 1951 . " للمزيد من التفاصيل ينظر: موقف الجهة من الانتخابات، جريدة المنار، ع 9، السن الأولى، 5 أكتو 1951، ص 1.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

استنتج أن تأسيس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات واحترامها شكل قفزة نوعية خاصة ما تعلق بالعمل الوحدوي، فكان لجمعية العلماء الدور الفعال في طرح الفكرة ومحاولة تجسيدها على أرض الواقع، لكن اختلاف التوجهات الإيديولوجية والسياسية حال دون تطبيق قراراتها على أرض الواقع، أما التصريحات المختلفة للقيادات المنضوية تحت الجبهة، فهي مجرد طرح لما يختلج النفوس التي انكوت بسياسة إدارة الاحتلال الفرنسي.

أما عن نشاط الجمعية في هذه المرحلة، فقد ورد في العدد (9) لجريدة المنار الصادرة بتاريخ 5 أكتوبر 1951 مقال تحت عنوان (مؤتمر جمعية العلماء) ما يلي: "يوم الأحد الماضي عقدت الجمعية اجتماعا عاما في سنما دنيا زاد حضره عدد كبير من ممثلي المدارس والشعب التابعة للجمعية عبر القطر الجزائري وفرنسا و ممثلي الأحزاب و الصحافة الجزائرية ، افتتح الجلسة الشيخ البشير الإبراهيمي و قرأ التقرير الأدبي للجلسة و الذي أحتوي على ثلاثة نقاط (مشروعات و الأعمال و النصائح)"¹. تطرق المقال إلا أهم المشاريع المنجزة من مدارس التي عملت تنظيمها من خلال تكوين لجنة التعليم و التفتيش ، و عمل المعهد الباديسي الذي يحتوي على 200 تلميذا ، و إعادة اصدار جريدة البصائر و توزيعها في المهجر التي اعتبرت همزة وصل بين المسلمين المهاجرين ووطنهم . أما عن جدول أعمال المؤتمر فقد ناقش الحاضرون مجموعة من النقاط الحساسة أهمها:

- فصل الدين عن الدولة وهي قضية يستهين بها الكثير جهلا أما الاستعمار فإنه يعلم حق العلم أنه نزع نصف السلطة من يده.
- نشاط الجمعية في فرنسا ومصر، وتطرق الحضور إلى ضرورة توفير التعليم للجزائريين هناك، في نهاية التقرير ختم الشيخ البشير الإبراهيمي بنصائح المجلس الإداري قائلا: "فليكن لها تكن له"².

الملاحظ من خلال ما ورد في تقرير الشيخ البشير الإبراهيمي، أن نشاط جمعية العلماء المسلمين شكل نقطة فعالة في النضال ضد إدارة الاحتلال الفرنسي، فالمساهمة الفعالة للجمعية، جعلها تنفرد عن باقي الأحزاب السياسية بدورها ليس باتساع مجال نشاطها الجغرافي فقط، بل تعداه لخوضها في العمل السياسي من خلال طرح مواضيع حساسة كقضية فصل الدين عن الدولة.

وفي هذا الصدد يقول الشيخ العربي التبسي: "إن جمعية العلماء ليست حزبا سياسيا ولا هيئة لأفراد فهي لجميع الجزائريين المسلمين... إن الإسلام يقر العدالة الاجتماعية ... فنحن لجانب الحركات التحررية لأننا مدافعون عن ناحية من نواحي الجزائر (الدفاع عن العروبة

1. جريدة المنار، ع 9، السنة الأولى، 5 أكتوبر 1951، ص 2.

2. المصدر نفسه، ص 3.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

والإسلام)¹. تجسد طرح العربي التبسي مع اندلاع الثورة التحريرية في أول نوفمبر 1954، فرغم أن الجمعية لم تصدر تأييدا رسميا، لأن اندلاع الثورة التحريرية كان مفاجئة لها ولجميع الأحزاب السياسية، وجاء ردها الأول من خلال جريدة البصائر في مقال تحت عنوان (حوادث الليلة الليلاء) التي جاء فيها: " فوجئت البلاد الجزائرية بعدد عظيم من الحوادث المزعجة، وقعت كلها بين الساعة الواحدة والخامسة صباحا يوم الإثنين غرة نوفمبر، ولقد بلغ عدد تلك الحوادث ما يزيد عن ثلاثين ... إننا لحد الآن لا نملك تفاصيل عن هذه الحوادث وأسبابها ... ولا نستطيع أن نعلق عليها، فليس من شأن البصائر أن تتسرع ..."².

الملاحظ من خلال ما ورد في هذا العدد وأعداد أخرى من جريدة البصائر، عدم توفر أي معلومات حول الثورة التحريرية، في نفس الوقت وقفت في وجه دعاية إدارة الاحتلال التي روجت بأن هذه الأعمال التخريبية سببها مشاكل اقتصادية واجتماعية، وأكدت على ضرورة معالجة مشاكل الجزائريين السياسية، لأن سياسية إدارة الاحتلال القائمة على إذلال الشعب الجزائري والهجوم على دينه ولغته من أسباب نقمته وتمرده.

لكن ما جاء في بيان أول نوفمبر 1954 كان دعوة صريحة لمن يريد الجهاد، فلم تتأخر جمعية العلماء حيث وجه رئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي من القاهرة نداء، باسم الجمعية يوم 15 نوفمبر 1954 من خلال محطة إذاعة القاهرة جاء فيه: "أمها المسلمون الجزائريون هذا هو الصوت الذي يسمع الأذان الصم هذا هو النور الذي يفتح الأعين المغلقة، إن فرنسا لم تبق لكم ديناً ولا دنيا و كل انسان في هذا الوجود يعيش لدين و يحيا بدنيا فإذا فقدهما فباطن الأرض أفضل خير له من ظهرها، انكم مع فرنسا في موقف لا خيار فيه و نهايته الموت، فاخاتاروا موت الشرف على حياة العبودية التي هي شر من الموت، سيروا على بركة الله و بعونه و توفيقه إلى ميدان الكفاح المسلح فهي السبيل الأوحى إلى احدى الحسنين، إما موت و راحة جنة و إما حياة ورائها العزة و الكرامة"³.

شكلت كلمة الشيخ البشير الإبراهيمي من القاهرة المؤيدة للثورة التحريرية، حافزا مهما للشباب الجزائري للالتحاق بالثورة، لما كان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من تأثير في المجتمع الجزائري نظرا لدورها الديني التربوي، وقد جاء التأييد الرسمي للثورة من خلال ندوة

1. المصدر نفسه، ص 4.

2. أحمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1954-1962)، ج 5، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 41.

3. أحمد توفيق المدني، حياة كفاحي مذكرات (مع ركب الثورة)، ج 3، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1988، ص 467.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

عقدت في مقر الجمعية، شارك فيها أعضاء الجمعية على رأسهم العربي التبسي وبعض المناصرين وبعض الصحفيين المرافقين لرئيس الوزراء الفرنسي غي موليه (Guy Molly) بمناسبة زيارته للجزائر وتطرق النقاش إلى النقاط التالية:¹

- ضرورة تكوين دولة جزائرية مستقلة وديمقراطية.
- اعتبار الجزائر وحدة عرقية واحدة لا فرق بين العرب والبربر والميزاب.
- اعتراف فرنسا بشكل رسمي باستقلال الجزائر
- التأكيد على أن الثورة لم تقم بين الإسلام والمسيحية، بقدر ما جاءت من اجل استرجاع حق شعب مهضوم.

من خلال ما دار من نقاش في الندوة يتبين الطرح العلني لموضوع الثورة ، و النقاط التي عولجت تبين جراءة في الطرح لم تكن معهودة عند أعضاء جمعية العلماء المسلمين ، فقد التحقت فيما بعد العديد من الشخصيات المحسوبة على الجمعية بجهة التحرير الوطني ، بل تبوأَت عناصرها مناصب حساسة في قيادة الثورة ، نذكر على سبيل المثال الشيخ إبراهيم مزهود الذي حضر مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 برتبة رائد وكان من أقرب مساعدي الشهيد زيغود يوسف ، و مصطفى بوغابة الذي لعب دورا في المجال التنظيمي للولاية الثانية و محمد الميلي الذي جند قائمة لخدمة الثورة الجزائرية و غيرهم من رجالات الجمعية الذين التحقوا بالثورة².

نستنتج من خلال ما ذكرنا سابقا أن جمعية العلماء المسلمين ركزت نشاطها منذ تأسيسها على التعليم واصلاح ما لسق بالدين الإسلامي من شوائب، وتطور فأصبحت تخوض في العمل السياسي، لكن مع اندلاع الثورة التحريرية فتحت الجمعية المجال لأعضائها بالانضمام للثورة التحريرية، وقد كان للعمليات التي قام بها جيش التحرير التأثير المباشر على انخراط مناضلي الجمعية في الثورة.

خامسا: مواقف الحزب الشيوعي الجزائري من التطورات السياسية بعد الحرب:

ساهمت أحداث 8 ماي 1945 الدامية كمنفذ خلاص للحزب الشيوعي الجزائري، الذي وجد نفسه في عزلة ارادية تفوق فيها نتيجة لمواقفه السياسية تجاه الأحزاب الوطنية أثناء الحرب العالمية الثانية وحركة أحباب البيان تحديدا، فحمل الأحزاب المنضوية تحتها

1. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام ...، المصدر السابق، ص 281.

2. أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 43-46.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

المسؤولية عن الأحداث ونعتها بشتى الأوصاف¹. لكن الواقع الجديد في الجزائر، فرض عليه تغيير التكتيك بغرض التقرب من مختلف التيارات الناشطة على الساحة الوطنية، والدعوة إلى التوحد في جبهة واحدة. والسؤال الذي يطرح نفسه -هل المواقف السابقة للحزب الشيوعي الجزائري ستسمح له بالتموضع في الساحة السياسية الوطنية؟

قام الحزب بعد أحداث 8 ماي 1945 بحملة للمطالبة بعفو شامل عن المعتقلين، عن طريق اللجان التي انشأها، منددا بسياسة القمع محاولا التقرب من الوطنيين خاصة حزب الشعب الجزائري في ظل الفراغ الموجود على الساحة الوطنية، وبذل مجهودات كبيرة من أجل إطلاق سراح المعتقلين السياسيين، إذ لم يبخل في تقديم مساعدات مالية لعائلات المعتقلين ودفع مستحقات المحامين². كما دعا الحزب في مؤتمره الثالث المنعقد بالجزائر خلال الفترة 21-24 مارس 1946 برئاسة عمار أوزقان إلى ما يلي³:

- زيادة عدد مقاعد الجزائريين في البرلمان الفرنسي.
- منح التقاعد للعمال الجزائريين كبار السن.
- مراجعة أجور العمال في مختلف القطاعات.
- الاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية.
- اعتبار بنك الجزائر بنكا وطنيا.
- إلغاء البلديات المختلطة في الجنوب.
- السماح للجزائريين بممارسة الوظائف الإدارية
- تطوير القطاعات الاقتصادية المرتبطة بالفلاحين الجزائريين.
- استغلال الثروات الطبيعية من المعادن المنجمية.

فعمل الحزب من أجل تحقيق أهداف المؤتمر إلى تكوين اتحاد ديمقراطي جزائري، وسعى لوضع خط سياسي جديد يعتمد على التحالف مع الأحزاب الوطنية من أجل بناء جزائر جديدة والقيام بإصلاحات يتمخض عنها إقامة جمهورية لها دستورها وبرلمانها وحكومتها وترتبط فدراليا مع فرنسا⁴.

لكن انتخابات جوان 1946، اعتبرت الحدث الأبرز الذي أظهر مكانة الشيوعيين في الجزائر، فقد صدمت النتائج قادة الحزب، مما جعلهم يعيدون النظر في استراتيجية بمساعدة الحزب الشيوعي الفرنسي الذي مثله أندري مارتى (André Marty)، وتوصل مناضلو الحزب

1. محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية...، ج2، المرجع السابق، ص 728.

2. مصطفى أوعامري، المرجع السابق، ص 461.

3. A.N.O.M, boîte 81, F758, L'évolution politique de P.C.A.

4. Claude Collot et J. Robert Henry, op-cit, p 228-229.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

بعد تقييم طريقة عمل الحزب سابقا إلى ضرورة العمل في إطار الوحدة الوطنية¹. وشرع أعضاء الحزب الشيوعي الجزائري بإعادة هيكلة الحزب، وتم طرد عمار أوزقان بسبب مواقفه المعارضة لحوادث ماي 1945 وعين مكانه العربي بوهالي كأمين عام للحزب سنة 1947 الذي ركز في نشاطه الدعائي على الطبقة العمالية، بهدف استقطاب الفئات الضعيفة منها للمطالبة بحقوقها².

الملاحظ أن العزلة التي كان يعيشها الحزب الشيوعي الفرنسي، سببها رفضه طرح مطلب الاستقلال التام للجزائر كحل للمشكل الجزائري، وبقائه متمسكا بنظرة طوريز (الجزائر أمة في طور التكوين) والتي تعتبر في نظري خيانة للمذهب الماركسي الذي يتحدث علانية عن استقلال الشعوب المستعمرة، وأيضا اعتراف الاتحاد السوفياتي بإسرائيل، جعل شعبية الحزب الشيوعي الجزائري تتراجع بشكل كبير وسط الجزائريين.

في خضم الأوضاع الراهنة عقد الحزب الشيوعي الجزائري المؤتمر الوطني الخامس خلال الفترة (26 – 27) ماي 1949 وحضر المؤتمر ممثلون عن الحزب الشيوعي الفرنسي، ونتج عن المؤتمر عدة قرارات نذكر منها³:

- تأسيس عدة منظمات نقابية وشبابية وجمعيات منها: النقابة العامة للعمال، واتحاد الشبيبة الجزائرية، واتحاد النساء الجزائريات، لجنة الإغاثة العمالية، الجمعية الجزائرية للصدّاقة مع الاتحاد السوفياتي
- داخليا: المطالبة بالاستقلال التام للجزائر.
- خارجيا: إدانة الإمبريالية العالمية -مساندة وتأييد الاتحاد السوفياتي.

أظهرت القرارات التي أصدرها المؤتمر الوطني وجود تحول في طروحاته، ما يدل على تغير في فهمه للواقع الجزائري -ولو نسبيا-. وما أجبره على تغيير طروحاته ردود فعل الأحزاب الوطنية الراضية لفكرة الوحدة، ففي ماي 1948 طلب الحزب الشيوعي الجزائري بعد تشكيل لجنة التنسيق للبرلمانيين المناهضين للاستعمار بتكوين اتحاد القوى الوطنية الديمقراطية، الذي قوبل بالرفض لطروحاته الغير مقنعة للقيادات الوطنية لإصراره على ارتباط التحرر الوطني بالتحالف مع معسكر الاتحاد السوفياتي المناهض للإمبريالية⁴.

1. مصطفى أوعامري، المرجع السابق، ص 462.

2. A.N.O.M, boîte 81, F758, L'évolution politique de P.C.A

3. A.N.O.M, boîte 81, F758, le P.C.A et le 5 eme congrès national.

4. محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية ...، ج2، المرجع السابق، ص 1142.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

لكن مع مطلع سنة 1950 غير الحزب الشيوعي الجزائري من طريقة عمله، فخلال المؤتمر السادس المنعقد بالجزائر العاصمة بين 21 – 24 فيفري 1950 أكدت اللجنة المركزية والمكتب السياسي على ضرورة تحديث نشاط الحزب، فخرج المؤتمر بخطة عمل كرسست ما يلي:

- تقسيم المناطق إلى فروع وأفواج وخلايا.
- تقسيم أعضاء الحزب على 6 نواحي (الجزائر، البليدة، وهران، سيدي بلعباس، قسنطينة، عنابة).

فقد سمحت التجارب السابقة للحزب تغيير طريقة العمل للتقرب أكثر من الشعب الجزائري من خلال خلق فروع له في جميع مناطق الجزائر، بدل السياسة المركزية التي زادت من نفور الجزائريين منه، واعتبرت من أسباب نقص التواصل مع الجزائريين القاطنين في المناطق الداخلية¹.

أما بالنسبة لتأسيس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات واحترامها في أوت 1951، فقد اعتبره الحزب الشيوعي الجزائري انتصارا لمساعيه السابقة من أجل الوحدة، وقد كان برنامج الجبهة كما ذكرنا سابقا محاولة من الحركة الوطنية لمجابهة السياسة الاستعمارية في جميع المجالات، والمطالبة من إدارة الاحتلال ضرورة عدم تدخلها في الانتخابات².

لكن عدم تأسيس الجبهة الجزائرية على فكرة موحدة أو تقارب إيديولوجي، جعلها لا تصمد طويلا، فرغم مقاطعة الجبهة للمشاركة في الانتخابات العمالية التي جرت خلال الفترة (7 – 14) أكتوبر 1951، لكن الحزب الشيوعي رأى ضرورة المشاركة فيها، ضاربا قرارات الجبهة عرض الحائط، وبذلك ابتعد عن الأحزاب الوطنية وعن طرحه السابق للوحدة، وبينت تصرفاته أنه ليس حزبا وطنيا بل مرتبطا بقرارات الحزب الشيوعي الفرنسي، وكان من العوامل التي عجلت بتفكك الجبهة التي واصلت الأحزاب الوطنية توظيفها كلما دعت الضرورة ذلك³.

مع اندلاع الثورة في الفاتح من نوفمبر 1954 اختلفت مواقف الأحزاب الوطنية من هذا الحدث، بما فيها الحزب الشيوعي الجزائري الذي فاجأته الأحداث، ويذهب محمد حربي في كتابه (جبهة التحرير الوطني) إلى أن الحزب الشيوعي الجزائري أصدر بيانا في 2 نوفمبر 1954، مذكر بمواقفه المبدئية من المسألة الوطنية الجزائرية، علما أنه لم يتطرق إلى المطلب الاستقلالي، ولم يرد موقف معارض للثورة، فدعا لحل ديمقراطي يحترم مصالح كل سكان الجزائر، لكن و محمد حربي يقول: "أن التمعن في محتوى البيان يدرك وجود ادانة جبهة التحرير الوطني وأنها غير مسؤولة ومن عمل أقلية"⁴.

1. A.N.O.M, boîte 81, F758, le P.C.A a la vie de son 6 eme congrès national.

2. Abderrahim Taleb Bendiab, Chronologie des faits et mouvements sociaux et politiques e, Algérie (1830-1954), Imprimerie du centre, Alger, 1983, p 73.

3. Ibid, p 73.

4. محمد حربي، جبهة التحرير الوطني، ص 122.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

فقد اعتقد الحزب الشيوعي الجزائري في البداية أن الثورة ليست سوى حركة تمرد ضعيفة قام بها قطاع طرق، وأعلن الحزب معارضته لها بقوله: " إن الحزب لا يوافق على دعم الحركات الفردية والمشبوهة التي تحاول لعب الدور السيء في الحركة الاستعمارية"¹. وذكر مندوبو الحزب أمام المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الفرنسي جاء فيه ما يلي: " إن الذين يطالبون باستقلال الجزائر هم عن وعي أو غير وعي عملاء لدولة استعمارية أخرى ويعمل الحزب الشيوعي الجزائري ويناضل لتقوية الوحدة بين الشعب الجزائري والفرنسي"². وفي ذات الاتجاه يقول علي كافي³ في مذكراته: " إن اتحاد الجزائر مع الأمة الفرنسية الكبيرة هو الشرط الأساسي لنيل المزيد من الحرية والديمقراطية وبقي هذا الشعار حتى 1954 لم يغير الحزب الشيوعي موقفه من الكفاح المسلح، وكان الحزب ميالا للمطالبة بالإصلاحات والتنديد بالقمع ورفع مستوى المعيشة وكان بعض قادته يزعمون أن الكفاح المسلح كان واردا في برنامجهم السياسي. كما كان هذا الحزب ينظر إلى أول نوفمبر أنه عمل استفزاز ليس بعيدا أن يكون مصيره ما حدث في أحداث ماي 1945 وبالتالي قد كان يدعو إلى اليقظة المطلقة من أول نوفمبر"⁴.

كما أشار عمار أوزقان في تصريح له قائلا: " إن هذا الموقف المتذبذب كان يقود إلى زرع الشك في يقين النصر، وفي قدرة جبهة التحرير الوطني، على تفادي خطر المغامرة، وبما أن حسن التخطيط كان حكرا على الإثنين فكل محاولة تعتبر مبادرة مستقلة عنهما محكوم عليها بالفشل فالثورة فن لا يتقنه إلا الأعضاء، وهنا يدقنا قوس الخطر في وجه كل من يتجرأ على لمس ما ليس له دون ترخيص مسبق، وحتى لاتصير الثورة مجرد مغامرة دامية قصيرة العمر، أي عملية انتحارية تسبب في اندلاعه كمشة من الذين أفسدهم الفيروس الفوضوي للأقلية الفاعلة وحتى لاتكون الثورة فنتازيا عابقة برائحة البارود، ولكن أين يكون الخطر الحقيقي الذي سوف يكتشف الفحص الدقيق لسياسة الحزب الشيوعي الجزائري بأن هذا الموقف كان النتيجة المنطقية لنظرية غير واضحة التي كان تتدمج اللينينية الماركسية مع الاجتماع الاستعماري

1. محمد بلعباس، الوجيز في تاريخ الجزائر، ط1، دار المعاصرة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 119.

2. محمد بلعباس، المرجع السابق، ص 119.

3. علي كافي: ولد في الحروش 1928، عمالة قسنطينة، انتقل إلى جامعة الزيتونة عام 1950 لاستكمال دراسته، عمل مع زيغود يوسف في هجومات الشمال القسنطيني وشارك في مؤتمر الصومام، وفي خريف 1956 عين قائدا للعسكر للولاية الثانية. وعين موكل الجبهة التحرير في سبتمبر 1961 بالقاهرة والجامعة العربية. كما عين عضوا في المجلس الأعلى للدولة في جانفي 1992، ثم رئيسا لهذا المجلس بعد اغتيال الرئيس محمد بوضياف من 2 جويلية 1992 إلى 1994. أنظر: علي كافي، المصدر السابق، ص 1

4. علي كافي، المصدر السابق، ص 51.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

والانتهازية الجبانة والطائفية ضد الحس الوطني ضف إلى كل هذا الإسراع لقطع المراحل وتخوف الشعب، والعزلة السياسية، ثم حالة الاستعداد في سبيل انتفاضة شعبية تحمد خاتمته " ¹. تتضح مواقف الحزب الشيوعي من الثورة التحريرية، والتي لم تعبر بطبيعة الحال عن موقف جميع المناضلين في الحزب، فقد حدثت عدة محاولات للاتصال بجهة التحرير الوطني، وفي هذا الشأن يقول الحاج علي: "قد كنا المدة شهر نبحث عن إمكانات الاتصال بجهة التحرير الوطني، غير أننا لم نتمكن من ذلك ولم يكن أبدا في نوايا الشيوعيين إنشاء لهذا الكفاح ومن أجل ذلك قام بإنشاء جماعات مسلحة" ².

من خلال أقوال كل من محمد حربي، علي كافي، عمار أوزقان التي اشرنا لها سابقا يمكن أن نستنتج مدى الشرخ الذي كان حاصلًا بين المناضلين الأوربيين و الجزائريين داخل الحزب الشيوعي الجزائري ، فمراقبة تطور الثورة وانتشارها من الأوراس إلى مختلف مناطق الجزائر، غيرت مواقف الشيوعيين الجزائريين كما بدأت نظرتهم نحو مساندة الثورة من خلال تقديم الدعم المادي ، ويعد الاتفاق الموقع بين جيش التحرير الوطني و الحزب الشيوعي الجزائري في الأول من جويلية 1956 الثمرة التي شجعت العديد من الشيوعيين الفرنسيين و الجزائريين في الكفاح من أجل تحريري الجزائر أمثال موريسلابان (Maurec Lapan) ، هنريمايو (Henri Maillot) ومحمد بوعلام مسؤول نقابي من وهران ³.

1. عمار أوزقان، الجهاد الأفضل، ط1 ، منشورات الطليعة، بيروت، 1962، ص 239.

2. محمد حربي، المصدر السابق، ص120 .

3. المصدر نفسه، ص 122.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

المبحث الثاني: ظهور العمل المسلح وتطوره (1947-1962).

مثلما أثرت الحرب العالمية الثانية على الحركة الوطنية سياسيا، ساهمت في تشكيل قناعات لدى بعض قادة و مناضلي الحركة الوطنية الجزائرية بضرورة اللجوء للعمل المسلح بالتوازي مع العمل السياسي، معتبرين ما وقع في 8 ماي 1945 درسا يجب الاستفادة منه، لأن الثقة بإدارة الاحتلال الفرنسي أصبح غير ممكن نظرا للمضايقات التي تعرضت لها الحركة الوطنية من سجن لزعمائها وإيقاف جرائدها، فكان لزاما خلق توجه جديد يتماشى والمرحلة التي يمر بها العالم من ظهور لحركات التحرر المطالبة بالاستقلال، سنعالج مرحلة العمل العسكري في الجزائر في الفترة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال ضمن النقاط التالية :

- تأسيس المنظمة الخاصة في 5 فيفري 1947.

- اندلاع الثورة التحريرية 1 نوفمبر 1954.

فهل سينجح دعاة العمل الثورة المسلح في الوصول لهدفهم في تفجير الثورة؟ وما تأثير ذلك على سياسة الاحتلال الفرنسي بالجزائر؟

أولا: المنظمة الخاصة ودورها في التحضير لثورة نوفمبر 1954:

لقد مر الفكر الثوري المسلح منذ بداية الاحتلال بتطورات، بداية بالمقاومات المسلحة مروراً بالانتفاضات الشعبية ضد القوانين الاستثنائية الفرنسية، لكن مع نهاية الحرب العالمية الثانية ظهر داخل حركة انتصار الحريات الديمقراطية فكر جديد حاول المزاوجة بين العمل السياسي والمسلح عن طريق منظمة سرية أسست لذلك أطلق عليها اسم المنظمة الخاصة في 5 فيفري 1947.

1- إنشاء المنظمة الخاصة 15 فيفري 1947:

شكلت طريقة عمل حزب الشعب الجزائري بعد إعادة بعث نشاطه تحت اسم (حركة انتصار الحريات الديمقراطية)، محل خلاف بين مناضليه واعتبرها البعض عودة إلى الطريقة القديمة في العمل التي لم تأت بنتيجة مع ممارسات سلطات الاحتلال الفرنسي، وقد اتضح الخلاف خلال المؤتمر السري المنعقد يومي 15 – 16 فيفري 1947، جرت أشغال اليوم الأول في منزل بيبوزريعة ملك للمناضل مهدي عوماري وانتقل في اليوم الثاني إلى مصنع للمشروبات الغازية ببلكور ملك للمناضل مولود ملاين، أما بالنسبة للحضور فقد اختلفت المصادر حول عددهم فبينما يذكر راجف أنهم كانوا (150)، قدرهم حسين آيت أحمد ب(120)، أما بن

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

خدة فيجم أنهم لم يتجاوزوا 60.... وهناك أرقام أخرى، لكن حسب رأي الرقمة الذي قدمه بن خدة هو الأقرب لأن الاجتماع سري ولا يتطلب عدد أكبر من الحضور¹.

خلال جلسات المؤتمر ظهرت ثلاثة اتجاهات (التيار الشرعي- تيار حزب الشعب- التيار الثوري) وهو ما تطرقنا له سابقا، ومن القرارات التي خرج بها المؤتمر بعد الدراسات:

- الحفاظ على وحدة الحزب.

- تأسيس منظمة شبه عسكرية تتولى مهمة التحضير للعمل العسكري السري تحمل

اسم المنظمة الخاصة أو السرية.

كانت المنظمة الخاصة تتألف من مجلس قيادة (مجلس عام ومجلس إقليمي) وقد أسندت قيادة المنظمة الخاصة إلى محمد بلوزداد الذي سرعان ما عين مكانه حسين آيت أحمد بعد تدهور حالته الصحية ، وزاول آيت أحمد مهمته في المنصب لمدة سنتين ، قبل أن يختفي عن الأنظار بعد عملية بريد وهران سنة 1949 فخلفه أحمد بن بلة الذي تولى القيادة حتى ماي 1950 تاريخ اعتقاله² وعموما أسندت مهام المسؤولين في تسيير المنظمة الخاصة حسب ما جاء في كتاب بن يوسف بن خدة (جذور أول نوفمبر 1954) ما بين فيفري 1947 إلى ماي 1950 على النحو التالي :

أولا: قيادة الأركان الأولى المنبثقة عن مؤتمر بالكور 15-16 فيفري 1947:

- الرئيس: محمد بلوزداد.

- النائب: حسين آيت أحمد.

- جلاي رقيمي الجزائر (1) تضم جزء من مدينة الجزائر – متيجة – التيطري.

- عبد القادر بلحاج الجزائر (2) تضم جزء من مدينة الجزائر-الشلف – الظهرة.

- أحمد بن بلة القطاع الوهراني.

- حسين آيت أحمد منطقة القبائل.

- محمد بوضياف القطاع القسنطيني³.

1. مصطفى سعداوي، المنظمة الخاصة ودورها في الإعداد لثورة نوفمبر 1954، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية (قسم التاريخ)، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2005-2006، ص 42.

2. محمد يوسف، الجزائر في ظل المسيرة النضالية (المنظمة الخاصة)، تر: محمد الشريف وبن دالي حسين، ط4، منشورات ثالة، الجزائر، 2014، ص 107-108.

3. بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 476.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

ثانيا: قيادة الأركان الثانية من نهاية 1947 إلى صيف 1949:
الرئيس: حسين آيت أحمد.

- محمد بوضياف القطاع القسنطيني.
- محمد مروك الجزائر(2) القسم الثاني من مدينة الجزائر، شلف، ظهرة.
- أحمد بن بلة القطاع الوهراني.
- جيلالي رجيمالجزائر(1) القسم الأول من مدينة الجزائر، متيجة، تيطري، القبائل.
- عبد القادر بلحاج التدريب العسكري.

ثالثا: قيادة الأركان الثالثة من صيف 1949 إلى ماي 1950:

- الرئيس: أحمد بن بلة¹.
- جيلالي رجيمي الجزائر(2) جزء من مدينة الجزائر، متيجة، تيطري، القبائل.
- محمد بوضياف ومساعدته بن مهدي القطاع الوهراني.
- عبد الرحمان بن سعيد القطاع الوهراني.
- أحمد محساس العاصمة 02، الظهرة، شلف.
- محمد يوسف (المصالح العامة – المتفجرات – الاتصالات – الاستخبارات).
- عبد القادر بلحاج التدريب العسكري والتفتيش العام².

الملاحظ من خلال الاطلاع على المصادر التي لها علاقة بهذا الموضوع وجود تضارب في المعلومات حول المهام المسندة لكل عضو، لذلك اعتمدت على ما جاء به بن خدة لاعتبارات منها معاصرته للأحداث وصلته بمختلف القيادات التي انخرطت في المنظمة الخاصة. وعملت هيئات الأركان خلال فترة نشاط المنظمة الخاصة على انشاء المصالح العامة وهي تشبه شبكات الإمداد والتمويل في الجيش وتكون من ثلاث مصالح متخصصة وشبكة اللوجستيكية:

1. ولد في 25 ديسمبر 1918 بمغنية وسط أسرة فلاحية ، انضم إلى حزب الشعب بعد الحرب العالمية 2 ، أصبح مسؤولا عاما عن المنظمة الخاصة سنة 1949 ، اعتقل سنة 1950 في قضية عملية بريد وهران و حكم عليه بالمؤبد ، لكنه تمكن من الفرار من سجن البليدة في 16 مارس 1952 ، التحق بالقاهرة بعدها وأصبح أحد زعماء جبهة التحرير منذ نوفمبر 1954 ، كان من بين الذين اختطفهم فرنسا وهو في طائرة متجهة من المغرب لتونس 22 أكتوبر 1956، عين كعضو في المجلس الوطني للثورة ، و نائبا لرئيس الحكومة المؤقتة فرنيسا لها ثم رئيسا للجزائر بعد الاستقلال ، وفي سنة 1965 انقلب عليه العقيد هواري بومدين وبقي في الإقامة الجبرية 14 سنة إلى أن اطلق صراحه في عهد الرئيس الشادلي بن جديد . ينظر: محمد حربي ، سنوات المخاض ، ص 186 .

2. بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 476.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

- مصلحة الهندسة: أنشأها عبد القادر الجيلالي بلحاج أواخر 1948 وكلف محمد أعراب بتسييرها وتلخصت مهمتها في صنع المتفجرات بمختلف أنواعها وتدريب المناضلين على تقنية التخريب.
- مصلحة الاتصال: أنشأها محمد مروك في ربيع 1949 وتولى ادارتها عسلة رمضان، وضمت مختصين في الراديو والكهرباء منهم عناصر أدت الخدمة العسكرية وشاركت في الحرب العالمية الثانية في سلاح الإشارة مثل مشاطي محمد، وعيسى بوكرمة، وهدف قادة المنظمة من خلال هذه المصلحة إلى تكوين أفراد في ميدان الاتصال والإشارة يكون قادرين على ترميز الرسائل وفك رموزها¹.
- مصلحة الاستخبارات: قادها عمر بن محجوب وهدفت إلى التغلغل في الأقسام الأكثر حيوية في أجهزة الاحتلال الفرنسي، قصد إحباط المفاجئات ومشاريع القمع الفردية والجماعية وتحديد المصادر التي تقتني منها الشرطة المعلومات.
- شبكة اللوجستيك: هي بنية تحتية في مرحلة جنينية، تضم مناضلين في الحزب ومتعاطفين معه، مهمتها تأمين الملاجئ للعناصر المطاردة من طرف شرطة الاحتلال، وتوفير المخابئ للأسلحة والذخائر.

نستنتج أن الميول الثوري المبكر عند أعضاء هيئة الأركان جعلتهم يجدون في حركة انتصار الحريات الديمقراطية الإطار الخصب للوصول لتطلعاتهم، فكان أغلبهم من الذين تواصلوا مع الحزب أثناء الحرب العالمية الثانية، وأصبحوا قبل الانخراط في العمل المسلح قيادات في الحزب أو إطارات جهوية، ومن النتائج الخطيرة التي تترتبت عن استمرار العديد منهم في التنظيم السري والعمل السياسي في نفس الوقت، جلب انتباه مصالح شرطة الاحتلال فأصبحوا متابعين ومفضوحين، وهي نقطة ضعف صاحبت عناصر المنظمة الخاصة خلال مرحلة نشاطهم².

أما بالنسبة للقاعدة، فيجند عناصرها من أعضاء المنظمة السرية لحزب الشعب الجزائري، وحدد عمر المنخرط بثلاثين سنة، يخضع المرشح لتدريب شبه عسكري مكثف، فقد عرفت المنظمة تطورا في عدد أعضائها، إذ ارتفع إلى حوالي 2000 عضو حسب أحمد محساس، وهو عدد قليل مقارنة بما تجاهاه المنظمة في الميدان³، وهم موزعين على مختلف المناطق، 500 الجزائر، 300 قسنطينة، 200 وهران⁴. ويرجع أحمد محساس العدد القليل

1. سعداوي مصطفى، المرجع السابق، ص 72-73.

2. المرجع نفسه، ص 81.

3. أحمد محساس، المصدر السابق، ص 307.

4. جيلالي بلوفة عبد القادر، حركة انتصار الحريات ...، المرجع السابق، ص 40.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

لأعضاء المنظمة إلى طابعها السري، وكانت تعتبر في هذه المرحلة نواة قاعدية سوف تحتضن مستقبلا عددا كبيرا من الأعضاء¹.

قامت عملية انتقاء المنتسبين إلى المنظمة الخاصة في سرية تامة، ووضعت بعض الشروط التي يجب أن تتوفر في المنتسبين للمنظمة الخاصة منها التجربة النضالية في حزب الشعب والإيمان بالعمل المسلح، الذكاء، الشجاعة، الكتمان، قوة البنية الجسدية، إضافة الصفات ضمنية كالأخلاق والسيرورة الحسنة والسلوك الإسلامي، إضافة لصيغيات أخرى اعتبرت أساسية كالتجربة العسكرية مثل المشاركة في الحرب العالمية الثانية والمؤدون للخدمة العسكرية².

2- نشاط المنظمة الخاصة:

كان على هيئة أركان المنظمة الخاصة للانتقال من العمل النظري إلى العملي، أن تقوم بتأطير الطاقات وجعلها قادرة على التأثير، حيث ان كل مناضل لا يعرف نظريا إلا مناضلين إثنين على الأكثر إضافة للمسؤول المباشر، وتألفت هذه البنية من عدة مراتب متدرجة من الأعلى إلى الأسفل: المقاطعات – المناطق – النواحي -الفروع – المجموعات – أنصاف المجموعات³.

فقد فصلت وثيقة أرشيفية عبارة عن دراسة لمصلحة من مصالح إدارة الاحتلال الفرنسي تم نشرها بتاريخ 18 سبتمبر 1952 في هيكلية المنظمة الخاصة في الجزائر من الرأس إلى القاعدة التي جاءت على الشكل التالي: اللجنة القيادية – الولاية التي يرأسها قائد – كل ولاية تتكون من 2 إلى أربع دوائر – الدائرة تتكون من 2 إلى 6 قسامات – القسامات مقسمة إلى مجموعة أحياء في المدن المهمة – أما المدن الأخرى فمجزئة إلى أقسام يقود كل قسم رئيس – أما الأرياف فقسمت إلى مجموعة قطاعات وفي بعض المدن ذات الكثافة السكانية نجد المجموعات قد تنقسم إلى خلايا ثم إلى نوى صغيرة قد تتكون من 5 أفراد⁴.

أما بالنسبة لانطلاق العمليات المسلحة ضد المحتل الفرنسي، ففي ديسمبر 1948 اجتمعت اللجنة المركزية في زدين بالبلدية خرجت خلاله بقرارات لم يكن لها تأثير داخل المنظمة الخاصة، حتى أن معظمها كان مرتبطة بالجانب التنظيمي للمنظمة، مما جعل قادة

1. أحمد محساس، المصدر السابق، ص 307-308.

2. سعداوي مصطفى، المرجع السابق، ص 140-144.

3. بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 103-131.

4. للمزيد من التفاصيل أنظر:

A.N.O.M, Cart 9H4, G.G.A, L'Organisation Secrète du P.P.A. En Algérie, 18 Septembre

(الملحق رقم 10).1952

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

المنظمة السرية يدركون عدم وجود جدية داخل الحركة في خوض معركة التحرير نظرا لمعارضة بعض قادتها، شرعت المنظمة في التحضير لبعض العمليات نجحت في بعضها وفشلت في البعض الآخر¹.

من بين العمليات التي كان لها صيت كبير عملية الهجوم على بريد وهران ليلة 4-5 أفريل 1949 ، التي هدفت للحصول على الأموال ، باعتباره عصب العمل المسلح لكون التبرعات لم تكن تكفي لاستمرارية نشاط المنظمة ، فبعد جمع المعلومات بمساعدة أحد العاملين بمصلحة البريد المركزي (نميش جلول) و موافقة الرئيس الأسبق للمنظمة والأمين العام لحركة انتصار الحريات الديمقراطية (حسين الأحول) تمت العملية تحت قيادة أحمد بن بلة وقيادة أركان المنظمة وشارك فيها فوج فدائي (سويداني بوجمعة – بلحاج بوشعيب – حسين آيت أحمد – حمو بوتليليس – حداد عمار – راجح رقيوي- بن زرقة بن نعوم – محمد خيضر- بويحية محمد) و تمت العملية في سرية تامة تم خلالها اقتحام المقر والحصول على 3 ملايين فرنك قديمة².

إضافة لعملية بريد وهران قامت المنظمة بعمليات محدودة أخرى نذكر منها: عمليات كعملية كاشرو (سيدي قادة – معسكر) أكتوبر 1949 تمثلت في محاولة تخريب النصب التذكاري الذي دشنه الحاكم العام بالجزائر مارسيل إيدمون نيجلان (بكاشرو) 15 أكتوبر 1949 إحياءا لذكرى الأمير عبد القادر لكن العملية فشلت بسبب فساد المتفجرات المستعملة³. الملاحظ أنه رغم عمليات المنظمة الخاصة المحدودة إلى أنها تمكنت من تكوين جهاز عسكري، وشكل طابعها الثوري حافزا لإقبال الشباب الجزائري وفي غضون ثلاثة سنوات تمكنت من إعداد جيل من المحاربين والمقاتلين المدربين على مختلف أنواع الأسلحة والمتفجرات وحرب العصابات والكمائن، ومدربين لقواعد النظام العسكري الذي يجب التحلي به، إضافة للتكوين العقائدي والسياسي.

3- اكتشاف المنظمة الخاصة:

تعددت الآراء حول اكتشاف المنظمة الخاصة واختلفت بين قادة ومسؤولين في المنظمة الخاصة عايشوا الحدث على هذا الأساس نطرح التساؤل التالي: هل كانت حقيقة حادثة تبسة سببا في اكتشاف المنظمة الخاصة؟

استنادا لما اطلعت عليه من مصادر ومراجع وجدت عدة آراء جاءت على النحو الآتي:

1. جيلالي بلوفة عبد القادر، حركة انتصار الحريات الديمقراطية ...، المرجع السابق، ص 40.
2. المرجع نفسه، ص 42.
3. المرجع نفسه، ص 44.

- الرأي الأول: يرى أصحاب هذا الرأي أن السلطات الفرنسية عرفت بوجود تنظيم سري منذ 15 ماي 1948 أين اعتقل العديد من المناضلين داخل التنظيم منهم ثلاثة طلبه كان من بينهم محمد يزيد الذي ضبط وهو يحمل وثائق سرية عن الجيش السري،¹ واعتقال عبد القادر بلحاج الذي كان عضوا في هيئة أركان المنظمة الخاصة ومسؤول عن التدريب، فحسب محمد يوسف انه لم يبدي أي مقاومة حين اعتقاله من طرف رجال الشرطة واثناء الاستنطاق أمارط اللثام على كل هياكل ومخططات شبه العسكرية التابعة للمنظمة. كما نشير في هذا الصدد إلى اعتقال السلطات لمناضل في حركة انتصار الحريات الديمقراطية (فلوج مسكين) 12 أفريل 1949 وبعد التحقيق باستعمال وسائل التعذيب كشف عن أسرار عن المنظمة، مما أدخل المنظمة في مطاردات واعتقالات دفعت حركة انتصار الحريات الديمقراطية للتنديد.²

- الرأي الثاني: تأكدت السلطات الفرنسية من وجود تنظيم سري مسلح، بعد عملية البريد المركزي بوهران³ وعثورها على مقبض الحقيبة الذي سقط في مكان العملية. وفي 6 أفريل 1949 وجدت الشرطة حقيبة دون مقبض من نفس نوع المقبض الذي وجد في مكان عملية البريد. ومن هنا بدأت مصالحي الاستخبارات الفرنسية بتتبع أثرها من خلال عناصر حركة انتصار الحريات الديمقراطية. لكن تشير المصادر التاريخية إلى أن السلطات الفرنسية بعد العملية اعتبرت العملية عبارة عن سطو مسلح، لأن العملية تمت في سرية تامة وهو ما يجعلنا نستبعد هذا الرأي.⁴

1. جيلالي بلوفة عبد القادر، حركة انتصار الحريات الديمقراطية ...، المرجع السابق، ص 45.

2. محمد يوسف، المصدر السابق، 137-138.

3. الهجوم المسلح على مكتب بريد وهران في 4 أفريل عام 1949، ومن أبرز العمليات الثورية التي قامت بها المنظمة الخاصة. حيث نفذت عملية الهجوم المسلح على مقر البريد المركزي، وتمكنوا من الاستيلاء على مبلغ قدره (3178000) فرنك. ومن أبرز أعضاء المنظمة السرية (OS) في عملية الهجوم المسلح على البريد المركزي في وهران، هم: أحمد بن بلة وحسين آيت أحمد وحمو بوتليليس وبلحاج بوشعيب والحاج بن علة وسويداني بوجمعة وبختي نميش وبن زرقة محمد. للتفاصيل حول هذا الموضوع ينظر: عبد القادر جيلالي بلوفة، المنظمة الخاصة وعملية البريد المركزي بوهران من التخطيط إلى التنفيذ والنتائج، في كتاب: صفحات من تاريخ الجزائر الوسيط/ الحديث/ المعاصر، ج 2، إشراف وتحرير: علي العبيدي، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، 0202، ص 261-270.

4. جيلالي بلوفة عبد القادر، حركة انتصار الحريات الديمقراطية، ص 45.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

- الرأي الثالث: ويرى صاحبه أنه بالموازات مع اكتشاف المنظمة في شرق تبسة في 18

مارس 1950 عن طريق وشاية، عرفت المنظمة الخاصة سلسلة من الاعتقالات عبر كامل مناطق الجزائر ومست اغلب خلايا المنظمة الخاصة¹.

- الرأي الرابع: يرجع قرار عرقلة عمل المنظمة وقرار حلها إلى خلافات داخلية أدت إلى

اتخاذ قرار مستعجل بحلها دون نقاش، بعد بداية اعتقال عناصرها ويذهب محمد يوسف وهو أحد مسؤولي المنظمة الخاصة إلى أن قرار كشف المنظمة الخاصة جاء من داخلها بفعل قرار تفكيك الخلايا وتجريدها من سلاحها، وهو قرار مستعجل ووقائي أمام تصاعد الاعتقالات واعترافات الموقوفين².

الملاحظ أن تقويض المنظمة الخاصة لم يأتي من الأخطاء التي اقترفتها عناصرها فقط، بل اشتركت فيه عوامل متعددة منها تبرير بعض قادة حركة انتصار الحريات الديمقراطية معارضتهم للكفاح المسلح بالإخطاء التي ارتكبتها عناصرها من أجل إيقاف نشاطها، مبررين ذلك بخوفهم من انتقال موجة للاعتقالات للمناضلين السياسيين للحركة.

أدت الاعتقالات التي حدثت وسط المنظمة الخاصة في شرق وغرب الجزائر إلى إقرار العديد من المناضلين تحت التعذيب بمعلومات كانت سببا في نجاح الشرطة في منطقة وسط وشرق قسنطينة فاعتقل مسؤول جيجل عميروش مولود وفككت العديد من الفروع في الصومام، وألقى القبض على جيلالي رقيم ومحساس ومحمد اعراب وعمر بن محجوب واغلب هؤلاء كانوا يتقلدون مناصب مهمة في المنظمة الخاصة³.

1. حادثة تبسة 18 مارس 1950 بدأت المشكلة بعدم وجود ثقة بين أعضاء المنظمة وتخلف أعضائها عن الاجتماعات منهم عبد القادر خياري والمدعوا رحيم الذي كان مشبوها بوجود صلة له مع قائد الدرك الفرنسي بتبسة فانعقد مجلس المنظمة في عمالة قسنطينة تحت رئاسة العربي بلمهيدي وفيه أتخذ قرار تأديبه وتم تكليف سي عبد القادر (ديدوش مراد) 12 مارس 1950 رفقة فرقة اتصل ديدوش مراد بعناصر المنظمة بتبسة ووضعوا خطة لاستدراج المدعور رحيم خارج المدينة وكان ذلك في باب شالة أين تم مسكه وإدخاله بالسيارة عنوة لكن أعضاء المنظمة وقعوا في حادث أين اصطدمت سيارتهم بشجرة وحاول الفرار مما دفع أحد الأعضاء عمار بن عودة بالانهياله عليه بقضيب فضنوا أنه ميت . لكن خيار بعد استفاقته توجه لمركز الشرطة للتبليغ عما حدث له وبداة الاعتقالات في صفوف المنظمة الخاصة. ينظر:

Mohammed Boudiaf, La préparation du premier novembre 1954, In Hibdo Libéré, N66, du 1 au 7 juillet 1992, p 6-9.

2. محمد يوسف، المصدر السابق، ص 133.

3. محمد يوسف، المصدر السابق، ص 274.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

أما عمالة وهران فبدأت عملية الاعتقالات الأولى وكشف الأفواج وشبكت المنظمة الخاصة منذ أبريل 1950 إذ بلغ عدد الموقوفين أكثر من 150 عبر نواحي عديدة (وهران 22 – تلمسان 19-معسكر 15 – عين تموشنت 12 – تيارت 7-غليزان 6 – مستغانم 3) وفي شهر جوان أحيل أكثر من 106 على التحقيق. و تواصلت الاعتقالات في غرب الجزائر و كشف لخلايا المنظمة نذكر منها : الاعتقالات في تلمسان بعد عمليات تفتيش واسعة قادها الشرطة القضائية خلالها تم توقيف 28 عنصرا من شبكة المنظمة الخاصة وكان على رأسها محجوب جلول، أما في وهران فتم اعتقال 24 عضوا وهي شبكة كان على رأسها بن زيان حسين وهو عضو في المجلس البلدي لوهران عن حركة انتصار الحريات الديمقراطية تلتها اعتقالات في مدن أخرى مستغانم وغليزان ومعسكر ومغنية، نتجت عن مدهامات الشرطة الفرنسية لمنازل المبلغ عنهم أو المشبوهين بانتمائهم للمنظمة وعلاقتهم بحركة انتصار الحريات الديمقراطية¹.

نستنتج أن نجاح أجهزة الأمن التابعة للاحتلال الفرنسي في تفكيك جزء كبير من المنظمة الخاصة يمكن حصرها في ثلاثة أسباب ، الأول الخيانة و الاختراق ، حيث تدفعا الوقائع التي أشرنا لها سابقا إلى وجود تسرب للمعلومات من داخل المنظمة ، الثاني الأخطاء الفنية التي ارتبطت بعدم الانضباط داخل المنظمة و هو ما أدى بالمنظمة لاتخاذ أساليب تأديبية غير ناجعة أوقعها في أخطاء جسيمة ، وفي رأي مرده إلى طول فترة انتظار بين مرحلة التدريب و التحضير و إعطاء الضوء الأخضر للانطلاق في العمل المسلح ، أما ثالث الأسباب فيرجع إلى وجود عناصر داخل الحزب لا تأمن بالعمل المسلح أو تعتبره سابقا لأوانه و هي التي عملت على الإسراع في تفكيك المنظمة الخاصة.

ثانيا: اندلاع الثورة الجزائرية 1954:

كان من آثار اكتشاف المنظمة الخاصة سنة 1950، التبعات التي عرفتها الساحة السياسية ، إذ أقصي عدد كبير من عنصر الشباب عن قيادة حركة انتصار الحريات الديمقراطية ، و برز فريقان جديداً متصارعان ، تصدرا المبادرة داخل الحركة ، الفريق الأول يمثله جماعة المركزيين و الفريق الثاني يمثله الجناح السري للحركة أطلق عليهم المصاليين ، ونظرا لتأزم الوضع داخل الحزب أنشأ مصالي الحاج اللجنة السياسية للأمن العام في أوت 1951 ، لكن رغم ذلك بقي الصراع قائم بين الطرفين إلى أن وصل لمرحلة الانقسام التام فدفعت كل طرف لعقد مؤتمر، الأول في هورنو ببلجيكا في 13-15 جويلية 1954 ضم أنصار مصالي ، و الثاني نظمه المركزيون ما بين 13-16 أوت 1954 أقر فيه بالتسيير الجماعي للحزب ، في ظل الصراع

1. جيلالي بلوفة عبد القادر، حركة انتصار الحريات الديمقراطية، ص 58.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

القائم برز فريق ثالث عرف بالحياديين ضم عناصر من المنظمة الخاصة ، الذين سيكون لهم دور في وضع قاعدة للعمل الثوري المسلح¹.

1- تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل (CRUA):

عقب نشاط مكثف لبعض قدماء المنظمة الخاصة المنحلة في محاولة لإصلاح الخلاف القائم بين المصاليين والمركزيين، توصلوا إلى عدم جدوى هذه المساعي في ضل تعنت الطرفين، فاجتمع قادة الجناح الثوري بتاريخ 23 مارس 1953 وتم الإعلان عن تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل، التي حصرت أهدافها في النقاط التالية:

- العمل على الوحدة والابتعاد عن الخلافات.
- إصدار جريدة الوطني: جريدة سياسية اتخذت مواقف حيادية من الصراع القائم داخل الحزب، والتي صدر منها ستة (6) أعداد فقط.

أما بالنسبة لتأسيس اللجنة والأعضاء الذين شاركوا فيها، تضاربت المصادر التي اطلعنا عليها، فحسب المناضل محمد مشاطي فإن فضل تأسيس (اللجنة الثورية للوحدة والعمل) تعود إلى أحد أعضاء اللجنة المركزية حسين الأحول، الذي تدمر من الوضع داخل الحزب، فقام باستدعاء محمد بوضياف من فرنسا، وطلب منه إعادة إحياء المنظمة الخاصة للتوجه نحو العمل المسلح، فتم في شهر مارس اجتماع لجنة حضرها حسين الأحول، سيد علي عبد الحميد، محمد بوضياف، وبشير دخلي، وبوشبوية².

لكن محمد بوضياف يسرد شيئا مخالفا لما جاء عن محمد مشاطي، حيث يقول في هذا الصدد: " أصبحت الوضعية خطيرة واحتاجت إلى تدخل من جانبنا، فعدت من فرنسا واجتمعت في العاصمة ب: بن مهدي، وبيطاط ثم التقى الثلاثة بمصطفى بن بولعيد، وقرروا وضع حد للفوضى قبل تسربها للقاعدة، ثم انتقلت إلى قسنطينة واجتمعت مع مشاطي، وملاح، وسعيد، وحمادة محمد "وأضاف:" وفي سبيل الحفاظ على الوحدة، اجتمعت مع بن بولعيد، ودخلي، وبوشبوية ، و انتهى هذا الاجتماع بتأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل، التي رأت النور في 23 مارس 1953 بمدرسة الرشاد وقامت بإصدار جريدة الوطني لسان حالها في ستة (06) أعداد"³.

1. قريري سليمان، المنظمة الخاصة L'OS وتكوين اللجنة الثورية للوحدة والعمل، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع 6، جامعة تبسة، ديسمبر 2012، ص 98.

2. محمد مشاطي، المصدر السابق، ص 63.

3. Mohammed Boudiaf, op-cit, p 45.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

كما نجد رواية أخرى لأحمد بودة يقول إناللجنة الثورية للوحدة والعمل وجريدة الوطني تكونتا في مارس 1954 بمدرسة الرشاد من طرف حسين الأحول، سيدي علي عبد الحميد، دخلي بشير، بوضياف، وطبعت الجريدة من طرف أحد اشخاص اللجنة المركزية اسمه الونشيفي.¹ وذهب بن يوسف بن خدة في ذاتالاتجاه، حيث أكد أن اللجنة تأسست في مدرسة الرشاد وسبق الاجتماع لقاء بين سيدي علي عبد الحميد، محمد بوضياف، وحسين الأحول تم انضم لهم محمد دخلي، وهؤلاء الأربعة هم من أسسوا اللجنة وبعد فترة انضم لهم بوشبوبة وابن بولعيد.²

نستنتج أن الخلاف الحزبي الذي وقع، عجل بظهور شباب من المناضلين، والذين كان أغلبهم ملاحقين من طرف شرطة الاحتلال الفرنسي، ساهموا في تشكيل تيار لم ينساق أمام الخلافات الحزبية و سعى لتقليص الهوة بين الطرفين المختلفين، لكن تعنت الطرفين دفعه لتكوين (اللجنة الثورية للوحدة والعمل) التي أدرك أعضائها مدى خطورة الوضع ووجدت أن الحل الوحيد لوقف تصدع وتسرب الخلاف للقاعدة هي التوجه للعمل الثوري المسلح، أما اخلاف الآراء حول من شارك في تكوين اللجنة من عدمه فهو أمر يبقى متداولاً في إيطار النقاشات التاريخية، المهم أن يعرف دور عناصر المنظمة الخاصة المنحلة في تكوين اللجنة، ويمكن الجزم أن ما وقع داخل الحزب بعد الحرب العالمية الثانية هو من تأثيراتها.

2- اجتماع مجموعة الاثنتين والعشرين:

قرر أعضاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل عقد اجتماع سري، فالتقى المجتمعون يوم 25 جويلية 1954 في منزل إلياس دريش بصالومي (المدنية حالياً) حضره 22 عضواً³ أغلبهم من أعضاء المنظمة الخاصة، ومن الأسباب المباشرة التي عجلت بانعقاد الاجتماع التاريخي:

1. أحمد بودة، الطريق إلى نوفمبر كما يروها المجاهدون، المقاومة الوطنية والحركات السياسية حتى ليلة أول نوفمبر 1954، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون سن نشر، ص 177.
2. بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 336.
3. تكونت مجموعة ال(22) من محمد بوضياف، مصطفى بن بولعيد، محمد العربي بن مهيدي، ديدوش مراد، راجح بيطاط، عثمان بلوزداد، بوعجاج زبير، سويداني بوجمعة، عبد الحفيظ بوصوف، محمد مشاطي، سليمان ملاح، زيغود يوسف، بن مصطفى بن عودة، محمد مرزوقي، بن عبد المالك رمضان، عبد السلام حباشي، السعيد بوعلي، الأخضر بن طوبال، باجي مختار، بلحاج بوشعيب، عبد القادر العمودي، إلياس دريش. ينظر: محمد لحسن أزغيدي وحسن بومالي، التحضيرات العملية للثورة التحريرية الجزائرية 1954، دار الهدى للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 6-7.

- خارجيا: لقد كان لتطور الأوضاع في المغرب العربي (تونس-المغرب)، الدافع الأساسي نحو تسارع الأحداث للتعجيل بالعمل المسلح في الجزائر.
- داخليا: اتسع الخلاف بين طرفي الحزب، وهو ما دفع المناضلين الغيورين على استمرار النضال الوطني (محمد بوضياف، ديدوش مراد، مصطفى بن بولعيد)، فالتزموا الحياد وسارعوا لعقد اجتماعات بهدف رأب الصدع لكن دون جدوى، مما جعلهم يتجهون نحو التحضير للعمل المسلح¹. أما عن طريقة عقد اجتماع (22) فيشير المناضل عيسى كشيده²، إن محمد بوضياف هو الرأس المخطط للاجتماع، إذ اهتدي إلى عناصر موثوق بها من المنظمة الخاصة،³ في نفس الشأن أصدر المؤرخ الفرنسي (كوربان) كتابا وضح فيه القائمة الإسمية للمشاركين في هذا الاجتماع التاريخي الذي ضم (22) عضوا من بينهم حاج بن علة بدل إلياس دريش، وهو ما كذبه الحاج بن علة بنفسه.⁴ واستبعده محمد بوضياف بقوله: "إن كوربان مخطئ بخصوص مساهمة حاج بن علة في اجتماع المدنية الشهير"، وأكد مشاركة إلياس دريش في رسالة أرسلها لعيسى كشيده⁵.

كما يؤكد عبد القادر العمودي بأن عدد المشاركين في الاجتماع لم يكن محددًا، لأن هدفهم هو التقدم في العمل المسلح، إضافة لتضارب المعلومات حول عدد المشاركين، هناك اختلاف حول تاريخ انعقاد الاجتماع، فيرى الطاهر سعيداني وكوربان أنه في يوم 25 جوان 1954 التقى (22) عضوا للتحضير للعمل المسلح⁶. ولكن محمد بوضياف استبعد ذلك التاريخ من خلال معارضته للمؤرخ الفرنسي هنري كوربان (Henry Corbin)، وقال بوضياف: "أن هذا التاريخ لا يتوافق مع الأحداث الأخرى، فينبغي التحدث بالأحرى عن يوم 25 جويلية"⁷.

1. عبد السلام كمون، المرجع السابق، ص 88.

2. من مناضلي القصة بالجزائر العاصمة، ولد سنة 1927 بباتنة عمل خياطا، انخرط في صفوف المنظمة الخاصة سنة 1947، وفي 6 نوفمبر 1954 ألقى عليه القبض وحكم عليه بثلاث سنوات سجنا، وهو صديق مقرب لمحمد العربي بن مهيدي، وهو صاحب المنزل الذي عقد فيه أول اجتماع المنبثق عن اجتماع (22). ينظر: محمد عباس، مثقفون في ركاب الثورة في كواليس التاريخ (2)، ط1، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 247.

3. عيسى كشيده، المصدر السابق، ص 69.

4. محمد مشاطي، المصدر السابق، ص 67.

5. Mohammed Boudiaf, op-cit, p51.

6. الطاهر سعيداني، القاعدة الشرقية قلب للثورة النابض، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 18.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

"1. وقد أكد على ذلك إلياس دريش، لكن زوجته قالت إن الاجتماع عقد في فصل الربيع، حيث أن وجبة الغذاء من طبق الكسكس (الجلبان) التي طبختها لا تنضج إلا مع فصل الربيع². إن تضارب المعلومات التي طرحناها سابقا، سواء في عدد المشاركين في الاجتماع أو تاريخ عقده، تبقى مجرد اختلافات في نقل المعلومات، لن تؤثر في مجريات الأحداث التاريخية، بل ستفتح مجال البحث للتدقيق في صحة المعلومات من خلال الاطلاع على كل ما له علاقة بموضوع الخلاف.

يوم الاجتماع ترأس الاجتماع مصطفى بن بولعيد، أما محمد بوضياف فكلف بتقديم التقرير العام الذي ركز على النقاط التالية³:

- تقديم عرض عن حالة الحزب وأسباب الانقسام بين طرف يريد مواصلة النضال السياسي قاعدة تفضل العمل العسكري.

- المطالبة باتخاذ قرارات تلائم الوضع السياسي في الجزائر.

لكن بعد قراءة التقرير من طرف محمد بوضياف تبلور موقفين الأول يلح على ضرورة المرور للعمل المسلح، أما الثاني فيدعوا للتربث وعدم التسرع إلى ان يحين الوقت المناسب⁴، وقد انتهى اجتماع (22) بالمصادقة على لائحة تتضمن النقاط التالية:

- الحياد وعدم التدخل في الصراع القائم بين المصاليين والمركزيين.

- العمل على توحيد جناحي الحزب.

- تدعيم موقف اللجنة الثورية للوحدة والعمل.

- تفجير الثورة في موعد يحدد سابقا.

- انتخاب مسؤول يتولى تكوين لجنة مصغرة⁵.

قبل أن يفترق الحاضرون في الاجتماع، قاموا بانتخاب مسؤول يتولى تعيين لجنة تشرف على تطبيق ما تم التوصل إليه وتتكون اللجنة من عناصر حضرت الاجتماع (مصطفى بن بولعيد، ديدوش مراد، رايح بيطاط، العربي بن مهيدي، محمد بوضياف، والتحق بهم فيما بعد كريم بلقاسم) التي ستجتمع فيما بعد لتحديد تاريخ اندلاع الثورة التحريرية⁶.

1. Mohammed Boudiaf, op-cit, p51.

2. عبد السلام كمون، المرجع السابق، ص 92.

3. محمد عباس، المرجع السابق، ص 63.

4. Mohamed Tegua, op-cit, p131.

5. Mohammed Boudiaf, op-cit, p51.

6. Ibid, p132.

3- اجتماع لجنة الستة:

سارعت اللجنة في تكثيف تحركاتها واتصالاتها ببعض عناصر قداماء لمنظمة الخاصة المتواجدين بالقاهرة وهم حسين آيت أحمد، أحمد بن بلة، محمد خيضر. كما عقدت لجنة الستة عدة لقاءات وأنكبت على دراسة عدة مسائل مثل العطاء السياسي، التسليح، التمويل، فضلا عن تاريخ إعلان الثورة.

عقدت اللجنة اجتماعها الأخير في 23 أكتوبر 1954 بالرايس حميدو (Prince Pascal) سابقا في مدينة الجزائر ومن القرارات التي خرج بها الاجتماع لا مركزية في العمل العسكري بسبب اتساع المجال الجغرافي للجزائر وصعوبة الاتصال، لذلك تقرر ترك حرية المبادرة لكل منطقة، وتم إطلاق تسمية جبهة التحرير على الجناح السياسي وجيش التحرير الوطني على الجناح العسكري للثورة، وإعطاء الأولوية للداخل على الخارج، وتحرير بيان الثورة¹. وتم تقسيم البلاد إلى خمسة مناطق وتعيين مسؤوليها كما يلي:

- المنطقة الأولى (الأوراس): مصطفى بن بولعيد وبنوبه بشير شهاني.
 - المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني): ديدوش مراد وبنوبه زيغود يوسف.
 - المنطقة الثالثة (القبائل): كريم بلقاسم وبنوبه عمر أو عمران.
 - المنطقة الرابعة (مدينة الجزائر ووسط البلاد): راجح بيطاط وبنوبه سويداني بوجمعة.
 - المنطقة الخامسة (وهران): محمد العربي بن مهيدي وبنوبه بن عبد المالك رمضان.
- تكليف محمد بوضياف للتنسيق بين الداخل والخارج وبين المناطق، الذي حاول الالتحاق مباشرة بالقاهرة لتبليغ المناضلين بالقرارات المتخذة، وحاملا معه بيان أول نوفمبر لإذاعته عبر أمواج صوت العرب، لكن بسبب إجراءات التأشيرة تعذر عليه فاضطر لأرساله عبر البريد السريع، والتحق هو بالقاهرة لاحقا².
- استمرت التحضيرات للثورة من طرف لجنة الستة، فدارت نقاشات طويلة بين أعضائها حول تنظيمها ووضع هياكلها، وفي الأخير خرج المجتمعون بقرار الشروع في العمل المسلح في

1. Mohammed Boudiaf, op-cit, p 67-68.

2. كمال سليح، المشتركات والمفترقات إبان الثورة التحريرية (1954 – 1962)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية 2016-2017، ص 54-55.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

أسرع وقت ممكن وبالوسائل المتاحة، بعد ذلك تبدأ عملية تنظيم العمليات المختلفة المرتبطة بتقسيم المناطق والتموين¹.

4- هجومات الشمال القسنطيني 20 أوت 1955:

شهدت الثورة الجزائرية منذ اندلاعها في الأول من نوفمبر 1954 منعطفات خطيرة في مسارها، كاستشهاد عدد كبير من قادتها واعتقال الكثير منهم، حيث استشهد البطل ديدوش مراد في 18 جانفي 1955 قائد المنطقة الثانية و أسر البطل الرمز مصطفى بن بولعيد في 11 فيفري 1955 قائد المنطقة الأولى (الأوراس)، و اعتقل المجاهد رابح بيطاط في 16 مارس 1955 قائد المنطقة الرابعة، غير أن هذه الأحداث لم تؤثر على مسيرة الثورة و على عزيمة المجاهدين، علما أن السلطات الاستعمارية عملت على محاصرة و اعتقال و إعدام المناضلين ظنا منها بأنها الوسيلة المثلى للقضاء على الثورة نهائيا.

فرضت الضغوط العسكرية الكبيرة التي فرضها جيش الاحتلال الفرنسي على المنطقة الأولى، التي كانت تحت قيادة شيجاني بشير توجيه رسالة لقائد المنطقة الثانية زيغود يوسف يطالبه بضرورة القيام بعمل عسكري يخفف الضغط العسكري على منطقة الأوراس². ففي 23 جويلية 1955 وجه زيغود يوسف دعوة إلى كافة المسؤولين بالمنطقة للحضور إلى بوساطور قرب قرية مزغيش (جنوب غرب سكيكدة)، لكن المنطقة لم تكن مؤمنة فوقع الاختيار على جبل الزمان بسكيكدة وهو مكان مرتفع و آمن³. وخلال الاجتماع الذي عقده زيغود يوسف مع ضباط المنطقة تم التخطيط لهجومات 20 أوت 1955 وتحديد الأهداف السياسية والعسكرية على الصعيد الداخلي والخارجي والتي يمكن تلخيصها فيما يلي⁴:

الأهداف العسكرية:

أ. تأكيد استمرارية وشمولية الثورة المسلحة لمختلف أنحاء البلاد عكس ما يدعيه العدو.

1. Mohamed Tegua, op-cit, p.135 .

2. محمد عباس، صور ... عظماء، ط1، منشورات دحلب، الجزائر، 1992، ص 194.

3. موسى تواتي و رابح عواد، هجوم 20 أوت 1955، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1992، ص 13-17.

4. المزيد من التفاصيل ينظر: -عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، ج1، ط1، (د-د)، قسنطينة، 1991، ص 316؛ صالح فركوس، المرجع السابق، ص 267.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

- ب. تحطيم أسطورة الجيش الفرنسي الذي لا يقهر، إذ أثبت هجوم 20 أوت 1955 قدرة جبهة التحرير الوطني على التخطيط والتنسيق والتنفيذ وضعف دفاع العدو أمام هجومات جيش التحرير الوطني المدعم بالجماهير الشعبية.
- ج. الرد على عمليات الإبادة والتقتيل الجماعي من طرف قوات العدو.
- د. تسهيل تنظيم طريق القوافل نحو تونس لجلب الأسلحة والذخيرة الحربية.

الأهداف السياسية:

- أ. تكذيب أقاويل وادعاءات الاستعمار بتبعية الثورة الجزائرية لبعض العواصم الخارجية، وإثبات وطنية الثورة وشعبيتها.
- ب. كسب انضمام كل تيارات الحركة الوطنية والشخصيات السياسية الجزائرية المرتبطة بالأحزاب في صفوف جبهة التحرير الوطني.
- ج. دعم تدويل القضية الجزائرية في جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها العاشرة سبتمبر 1955¹.

تقرر خلال الاجتماع أن يدوم الهجوم ثلاثة أيام متتالية من 20 إلى 22 أوت 1955 على أغلب الشمال القسنطيني، و حدد منتصف النهار بالضبط كتوقيت للهجوم، ووزعت المهام و تكفل كل مسؤول بإنجاح المهمة في ناحيته ، و عقد اجتماع عشية تنفيذ الهجمات من اجل تحضير المجاهدين والإعداد العسكري و المعنوي للعملية و توزيع المهام فكلف إسماعيل زيغات وعمر بوركايب ومحمد مهري على ناحية سكيكدة ، و تولى عمار شطايي ناحية القل ، و اشرف بن طوبال و مسعود بوعلي على ناحية المسيلة ، في حين أشرف زيفود يوسف على تنظيم الهجمات على قسنطينة و نواحيها².

تمركزت الهجومات على مراكز الشرطة والدرك و ثكنات الجيش والبنوك ومحطة الكهرباء والحانات والمطاعم ومزارع المستوطنين، أسفرت هجومات 20 أوت 1955 عن عدة نتائج يمكن تلخيصها فيما يلي³:

- تزويد جيش التحرير الوطني بالعناصر المقاتلة، فقد أعطى دفعا قويا للعمل العسكري والتفافا جماهيرا كبيرا، إذ بلغ عدد المجاهدين في المنطقة الثانية بعد

1. للمزيد من التفاصيل ينظر: -عمار قليل، المرجع السابق، ص 316؛ صالح فرحوس، المرجع السابق، ص 267.

2. موسى تواتي ورايح عواد، المرجع السابق، ص 23-25.

3. عبد الله مقلاتي، التاريخ السياسي للثورة الجزائرية، ط1، شمس الزيبان للطباعة والنشر،

الجزائر، 2013، ص 109-110.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

- الهجوم 2000 مجاهد وحوالي 5000 مسبل، كما غادر الطلبة مقاعد الدراسة للالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني.
- القضاء نهائيا على كل ما كان يروجه العدو بجميع وسائله العسكرية والدعائية على أن الثورة ليست إلا تمردا سيقضى عليه بعد أسابيع.
 - برهنت هجومات 20 أوت 1955 على أن الثورة المسلحة ذات طابع جماهيري.
 - بلورة التضامن الشعبي وتعميق القناعة الثورية وتكوين المصير وتجسيد الشمولية.
 - انتقال الثورة الجزائرية إلى المحافل الدولية وأصبحت تتصدر الصفحات الأولى، فتلقت دعوة للحضور في مؤتمر باندونغ، التي أسفرت على مصادقة هذه الدول على لائحة مصيرية تطالب بحق الجزائريين في تقرير المصير.
- نستنتج أن هجومات 20 أوت 1955 التي استمرت لمدة أسبوع، أحدثت نتائج هامة داخل الوطن وخارجه، ففي الداخل وضعت هذه العمليات حدا نهائيا للذين بقوا مترددين في الالتحاق بالثورة، وفي الخارج أيقن الأعداء أن الثورة سائرة على نظام محكم وتعمل وفق برامج محددة لتحقيق هدفها في الاستقلال، وهذا ما تجسد فعلا بعد الهجومات، وذلك بانعقاد مؤتمر الصومام الذي جاء لينظم ويهيكل الثورة.

5- مؤتمر الصومام 20 أوت 1956:

عقد مؤتمر الصومام بعد مرور عامين على اندلاع الثورة، والحقيقة كان التفكير فيه قبل تاريخ 20 أوت 1956 لكن الظروف الصعبة التي مرت بها الثورة دفعت إلى تأخر انعقاده، ولعل الانتصارات التي حققتها الثورة وردود فعل الاحتلال الفرنسي عليهما، دفع قادة الثورة لعقد المؤتمر لإعادة هيكلة جيش التحرير ضمان الاستمرارية الثورة.¹

انعقد المؤتمر بالولاية الثالثة بواد الصومام في قرية إيغري غرب مدينة بجاية يوم 20 أوت 1956، وجند العقيد عميروش 3000 مجاهد لحماية المؤتمر، حضر المؤتمر القادة من المناطق الخمسة باستثناء قادة المنطقة الأولى بسبب استشهاد قادتها وهم: العربي بن مهيدي، عبان رمضان، عمر أو عمران، كريم بلقاسم، زيغود يوسف، ولخضر بن طوبال كمساعد لزيغود يوسف وبعض مساعدي الولايات كعلي كافي وغيرهم، أما الوفد الخارجي لجهة التحرير فتعذر عليه الحضور.² استطاع القادة الذين حضروا المؤتمر معرفة حقيقة الوضع في الجزائر

1. لخضر بن طوبال، المجاهد لخضر بن طوبال يستعيد ذكرياته عن أحداث 20 أوت 1955، مجلة أول نوفمبر، ع52، الجزائر، 1981، ص 41.

2. بن يوسف بن خدة، شهادات ومواقف، ط1، دار النعمان، الجزائر، 2004، ص 60-65.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –
من خلال التقارير السياسية والعسكرية التي قدمها قادة المناطق وخرج المؤتمر بجملته من
القرارات:

- الجانب الهيكلي: أسفر المؤتمر عن إنشاء الهيئات التالية:

- أ- المجلس الوطني للثورة الجزائرية وهو أعلى هيئة سياسية للثورة، أوكلت له مهام
الهيئة التشريعية التي تقرر الحرب والسلام، مكونة من 34 عضوا، 17 منهم دائمون
و17 آخرون إضافيون.
ب- لجنة التنسيق والتنفيذ مكونة من 5 إلى 14 عضوا وهي الجهاز التنفيذي للثورة.

- القرارات الإدارية:

قسمت الجزائر إلى ست ولايات وكل ولاية إلى مناطق وكل منطقة إلى نواح وقسمت كل ناحية
إلى قطاعات.

-الولاية الأولى : أوراس – النمامشة.

-الولاية الثانية : الشمال القسنطيني.

-الولاية الثالثة : القبائل.

-الولاية الرابعة : مدينة الجزائر وضواحيها.

-الولاية الخامسة : الغرب الجزائري.

-الولاية السادسة : الصحراء.

أما مراكز القيادة فتخضع لمبدأ القيادة الجماعية، وتتكون من القائد وثلاث نواب من
الضباط يهتمون بفروع (العسكري-السياسي- الاستعلامات والاتصالات)، كما توجد مراكز
قيادة لكل من الولاية والمنطقة والناحية والقسم¹.
- القرارات السياسية: تناولت التنظيم السياسي

1. محمد لحسن أزغيدى، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية (1956- 1962)، ط1، دار
هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 138.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

- أ. المحافظون السياسيون: ومهامتنظيم وتوجيه الشعب الجزائري-الدعاية والإعلام للثورة التحريرية-الحرب النفسية-التموين).
- ب. المجالس الشعبية: تنتخب هذه المجالس الشعبية المكونة من 5 أعضاء بما فيهم الرئيس، وهي تتكفل بالأحوال المدنية والشؤون القضائية والدينية والمالية والاقتصادية والأمن.
- ج. المنظمات المسيرة:

- المجلس الوطني للثورة: يتكون من 34 عضوا منهم 17 دائمون¹ و17 مساعدون² ويجتمع المجلس مرة واحدة في السنة.
- لجنة التنسيق والتنفيذ: تتكون من خمسة (05) أعضاء³ ولهم السلطة في مراقبة المنظمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، كما لها الحق في تشكيل الحكومة المؤقتة بالتنسيق مع المندوبين في الخارج.
- د- إعطاء الأولوية للداخل على الخارج مع إعطاء مبدأ التشاور.
- هـ- إعطاء الأولوية للسياسي على العسكري.
- و- تشكيل محاكم، لتحاكم السياسيين والعسكريين⁴.
- القرارات العسكري:

قرر المؤتمر أن يتكون الفوج من 11 مجاهدا من بينهم عريف وجنديين أوليين ونصف الفوج يضم 5 مجاهدين من بينهم جندي أول. والفرقة تتكون من 35 مجاهد (ثلاثة أفواج وقائد الفرقة ونائبه). الكتيبة وتتكون من 110 مجاهد (ثلاثة فرق وخمسة إطارات) الفيلق

-
1. الدائمون (بن بولعيد – زيغود يوسف – كريم بلقاسم – عمار أو عمران – العربي بن مهيدي – راجح بيطاط – محمد الأمين – فرحات عباس – عبان رمضان – بن يوسف بن خدة – عيسات ايدير – حسين آيت أحمد – محمد خيضر – أحمد بن بلة – توفيق المدني – محمد يزيد). ينظر: محمد لحسن أزغيدي، المرجع السابق، ص 173.
 2. المساعدون (مصطفى بن بولعيد – لخضر بن طوبال – السعيد محمدي – سليمان دحلس – على ملاح – عبد الحفيظ بوصوف – محمد ابن يحيى – محمد بجاوي – مالك – سعد دحلب – ممثل عن الاتحاد العام للعمال الجزائريين – ممثل عن الاتحاد العام للطلبة الجزائريين – صالح لونشي – الطيب الثعالبي – عبد الحميد مهري – أحمد فرانسيس – مزهودي سي إبراهيم). ينظر: المرجع نفسه، ص 173
 3. الأعضاء هم: العربي بن مهيدي – عبان رمضان – بن يوسف بن خدة – كريم بلقاسم – سعد دحلب.
 4. للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد لحسن أزغيدي، المرجع السابق، ص 139-140؛ بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 70-71.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

ويتكون من 350 جنديا ثلاثة كتائب وعشرين إطارا، وقد عمل المؤتمر على خلق جيش نظامي يتمتع بمجندوه برتب عسكرية ويتقاضون رواتب شهرية¹.

نستنتج من خلال القرارات التي اتخذت في مؤتمر الصومام ، شكلت نقطة تحول في تسيير الثورة التحريرية ، فما نتج عنه من قرارات سيجعل العمليات العسكرية أكثر تأثيرا على العدو ، وتبني سياسة تحديد المهام ، أبعد على جيش التحرير الوطني العمليات العشوائية الغير مدروسة التي كان لها دور في قضاء الاحتلال الفرنسي على العديد من قادة الثورة ، إن قرارات مؤتمر الصومام لم تكن ترضي جميع الحاضرين حيث يقول علي كافي في مذكراته: "إن تكريس العمل السياسي على حساب العمل العسكري والداخل على الخارج هدفه القضاء على الثوريين الحقيقيين وفرض فكرة التفاوض " و يواصل قوله: "إن التاريخ أثبت أن قراراته تسببت في شرخ كبير وأليم في صفوف الثورة"².

ثالثا: المفاوضات الجزائرية الفرنسية وإعلان الاستقلال.

1. الرتب: الجندي الأول وتميزه علامة V حمراء معكوسة توضع على الذراع الأيمن.

العريف: علامتان V حمراوان معكوستان.

العريف الأول: ثلاثة علامات V معكوسة.

المساعد: علامة V تحتها خط أبيض

الملازم نجمة بيضاء

الملازم الثاني

الضابط الأول: نجمة حمراء ونجمة بيضاء.

الضابط الثاني: نجمتان حمراوان.

الصاغ الأول: نجمتان حمراوان ونجمة بيضاء.

الصاغ الثاني: ثلاثة نجوم حمراء.

قائد الولاية: صاغ ثاني-ونوابه برتبة صاغ أول.

قائد المنطقة: ضابط ثاني ونوابه الثلاثة برتبة ضابط أول.

قائد الناحية: ملازم ثاني ونوابه الثلاثة برتبة ملازم

قائد القطاع: مساعد ونوابه الثلاثة برتبة عريف.

والإشارات تتمثل في نجمة وهلال لون أحمر توضع في القبعة.

للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد لحسن أزغويدي، المرجع السابق، ص 172 مصدر المعلومات:

Procès-Verbal de la Reunionle 20 Aout1956, des Responsables de L'Oranie, L'Algérois, et le Constantinois, p 1-2.

2. مذكرات الرئيس علي كافي، المصدر السابق، ص 15-17.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

ركزت حكومة الاحتلال الفرنسي منذ انطلاق الثورة التحريرية في الأول من نوفمبر 1954 الجزائر الى غاية سقوط الجمهورية الرابعة¹ في ماي 1958 على القضاء على الثورة ، فقد صرح رئيس الحكومة الفرنسية بيار منديس فرانس (Pierre Mendés France) بعد نقاش في الجمعية العامة في 12 نوفمبر 1954 بما يلي: " لن نساير أبدا هذا التمرد و لن نتقف مع المتمردين ، لن يكون هناك تساهل حين يتعلق الأمر بالدفاع عن السلام الداخلي للأمة وسلامة الجمهورية"²، أما موقف جبهة التحرير الوطني من التفاوض، فإن ما جاء في بيان اول نوفمبر ووثيقة مؤتمر الصومام قد ربط الحل السلمي بشرط الاعتراف بحق الشعب الجزائري في الاستقلال و السيادة على كامل أراضيه³.

لكن بعد تعيين الحاكم العام جاك سوستيل (Jacque Soustelle) في 16 فيفري 1955 حاول الاتصال سرا ببعض قادة الثورة وقادة الحركة الوطنية الجزائرية عن طريق فانسان مونتاي (Vincent Montai)، فلم يمضي يوم واحد من وصوله للجزائر حتى باشر اتصاله بعدة شخصيات وطنية مثل مصطفى بن بولعيد وهو في سجنه بتونس، بن يوسف بن خدة و عبد الرحمان كيوان في سجنهما ببربروس، وعلى زعموم من المنطقة الثالثة⁴.

كما تواصل مونتاي وسوستال في 28 مارس 1955 مع أربعة شخصي هم: الشيخ خير الدين نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين، احمد فرانسيس مساعد فرحات عباس، الحاج شرشالي⁵، وفي 2 أفريل 1955 التقى جاك سوستيل بفرحات عباس الذي ذكر أنه تناقش معه حول السياسة العامة في الجزائر وواجه سوستيل بالعبارة التالية: "كلنا فلاقة سيدي الحاكم، الشجعان منا حملوا السلاح والأقل شجاعة فإنهم في مكتبكم هذا وفي مواجعتكم"⁶.

إن الاتصالات السرية الأولى بين ممثلو الحكومة الفرنسية و بعض قادة الثورة و الحركة الوطنية بمثابة المرحلة الأولى للمفاوضات، أما المرحلة الثانية فقد اتخذت فيها شكلا سريا شبه

1. حكمت الجمهورية الرابعة في الفترة ما بين (1946-1958) ومع مطلع سنة 1958 ثبت أن الحكومة غير قادرة على اتخاذ قرارات فعالة فيما يخص انتهاء احتلال العديد من المستعمرات الفرنسية، بعد سلسلة من الأزمات، أبرزها الأزمة الجزائرية 1958 سقطت الجمهورية الرابعة، وعاد الجنرال شارل ديغول من تقاعده ليتأسس الحكومة الانتقالية الجديدة وحلت الجمهورية الرابعة باستفتاء أجري يوم 5 أكتوبر 1958 الذي أسس الجمهورية الخامسة.

2. خالفة معمري، عبان رمضان، تر: زينب زخروف، ط2، تالة، الجزائر، 2008، ص 177-187.

3. جمال قنن، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ط1، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص 254-255.

4. باتريك افينو وجون بلانشايس، حرب الجزائر ملف وشهادات، تر: بن داود سلامنية، ج1، ط1، دار الوعي، الجزائر، 2013، ص 206.

5. خالفة معمري، المرجع السابق، ص 229.

6. عز الدين معزة، المرجع السابق، ص 354.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

رسمي بداية من (1 فيفري 1956 إلى 13 جوان 1957)، فقد أرسل رئيس الحكومة غي مولي (Guy Mollet) في مارس 1956 وزير خارجيته كريستيان بينو (Cristian Pineau) إلى القاهرة لمقابلة جمال عبد الناصر من أجل التوسط لمقابلة قادة جبهة التحرير الوطني¹، في نفس الوقت قام روبير لاقوست (Robert Lacost) بجس نبض مواقف عبان رمضان و العربي بن مهيدي بواسطة الباشاغا بوطالب، أما في القاهرة تم لقاء بين محمد خيضر ووفد فرنسي كان يقوده جوزيف بيقار في 12 أبريل 1956، لكن جبهة التحرير رفضت العروض الفرنسية لعدم اعترافها بالجبهة كممثل وحيد للشعب الجزائري².

بعد اللقاء الأول تم لقاء ثاني في بلغراد يوم 21 جويلية 1956 بين بيار كومان (Coman Pierre) والأمين العام بالنيابة للحزب الاشتراكي الفرنسي ووفد جبهة التحرير محمد يزيد وأحمد فرانسيس، تلتها مقابلات في العاصمة الإيطالية روما، الأولى 17 أوت 1956 والثانية يومي 2-3 سبتمبر 1956، غير أن هذه اللقاءات لم تدم طويلا لتأكد وفد جبهة التحرير أن الفرنسيين ليسوا جادين في مسعاهم، فتوقفت على إثر ذلك المفاوضات السرية لما كان ينطوي عليها من دسائس حول تقرير المصير³.

لكن مع مطلع سنة 1958 تفتنت جبهة التحرير الوطني لسياسة الاحتلال الفرنسي التفاوضية القائمة على السرية وعدم الاعتراف بالطرف الآخر، لذلك طرح في مؤتمر طنجة أبريل 1958 فكرة تأسيس حكومة جزائرية مؤقتة في المنفى، وفي 4 أبريل 1958 أعلنت لجنة التنسيق والتنفيذ عن انشاء النواة الأولى للحكومة وتكوين لجنة خاصة لدراسة المسألة، وبحلول 9 ديسمبر 1958 فصلت اللجنة في المسألة بإنشاء حكومة جزائرية مؤقتة مع اطلاع الدول الشقيقة بذلك للحصول على التأييد⁴.

تم الإعلان عن تأسيس أول حكومة مؤقتة في 19 سبتمبر 1958 بالعاصمة المصرية القاهرة التي حظيت بتأييد العديد من الدول العربية والإسلامية، وقام رئيسها بالعديد من الزيارات الخارجية (الهند، باكستان، العراق، المغرب، المملكة العربية السعودية وغيرها)، فساهم تأسيس الحكومة المؤقتة والاعتراف بها في فتح باب المفاوضات بعد تولى شارل ديغول

1. Alistair Horne, Histoire de la Guerre d'Algérie, 4 éme édition, édition Dahleb, Alger, 2007, p 162.

2. رضا مالك، الجزائر في إيفيان تاريخ المفاوضات السرية (1956-1962)، تر: فارس غصوب، ط1، دار الفرابي، بيروت، 2003، ص 218-219.

3. للمزيد من التفاصيل ينظر: رضا مالك، المصدر السابق، ص 41: أحمد سعيود، العمل الدبلوماسي لجبهة التحرير الوطني من 1 نوفمبر 1954 إلى 19 سبتمبر 1958، رسالة ماجستير في تاريخ الثورة، جامعة الجزائر، 2001-2002، ص 127؛ عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، ص 513.

4. محمد بجاوي، الثورة الجزائرية والقانون (1960-1961)، ط2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2005، ص

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

السلطة، ففي 25 جوان 1960 التقى وفد الحكومة المؤقتة المؤلف من: أحمد بومنجل- محمد الصديق بن يحيى، محمد حقيقي بن عمر مع الوفد الفرنسي روجي موريس (Roger Maurice)، الجنرال دي كاسين (Des Cassine) في مقاطعة مولان، لكن المفاوضات التي دامت أسبوعاً لم تأت بنتيجة بسبب طريقة تعامل الفرنسيين مع الوفد الجزائري¹.

وبعد توقف المفاوضات لمدة 8 أشهر، جرت لقاءات سرية بسويسرا في مدينة لوسيرن في 20 فيفري 1961 ومدينة نيوشاتيل في 5 مارس 1961 جمعت بين: الطيب بولحروف، أحمد بومنجل عن الوفد الجزائري، وجورج جان ريمونومبيدو (Georges Jean Raymond Pompidou)، برونو دو لوس (Bruno De Leusse)، لويجوكس (Louis Joxe) عن الوفد الفرنسي، وعموماً كانت اللقاءات السرية في سويسرا متباعدة بسبب طرح الفرنسيين لوقف إطلاق النار المسبق².

أحدثت سياسة ديغول التفاوضية التي تبناها مع جبهة التحرير الوطني استياءً عند بعض غلاة الفرنسيين، ف وقعت محاولة انقلاب في 21 أبريل 1961،³ دفعت ديغول للإسراع في الدخول في مفاوضات مباشرة مع الجبهة، التي تمت على مرحلتين:
- مفاوضات إيفيان الأولى (20 ماي-13 جوان 1961):

جرت قرب الحدود السويسرية الفرنسية بين كل من: سعد دحلب، رضا مالك، أحمد قايد، محمد صديق بن يحيى، الطيب بولحروف، أحمد فرانسيس، أحمد بومنجل من الجانب الجزائري ولويس جوكس (Louis Joxe) من الجانب الفرنسي، لكن المفاوضات توقفت بسبب تمسك الوفد الفرنسي بفكرة فصل الصحراء والمحافظة على امتيازاتها. وتخللت الفترة الواقعة بين إيفيان الأولى والثانية مفاوضات لوگران (20-28) جويلية 1961 والتي هدفت من خلال جبهة التحرير للاتصال بالدول التي لها حدود مع الجزائر وتحذيرها من التفاوض مع فرنسا حول الحدود⁴.

1. Saad Dahleb, Pour l'indépendance de l'Algérie (Mission Accomplie), Edition Dahleb, Alger, 1999, P. 133.

2. بن يوسف بن خدة، اتفاقية إيفيان، تر: لحسن زغدار ومحمد العيد جبايلي، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987، ص 21.

3. ما بين 22 و26 أبريل 1961 وقعت محاولة انقلاب عسكرية بقيادة مجموعة من الضباط المدافعين عن الجزائر الفرنسية وهم مجموعة من الجنرالات المتقاعدين، موريس شارل (Challe) وإيدموند جوهو (Johaud) وراؤول صالان ((Salon) وأندري زيلبير (Zeller)، وكان الهدف من الانقلاب الإطاحة بالنظام الديغولي في باريس وإقامة سلطة جديدة قادرة على مواصلة الحرب والاحتفاظ بالجزائر الفرنسية. للمزيد منا لتفاصيل ينظر: بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 23.

4. Réda Malek, op-cit, p. 218-219.

– الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال –

- مفاوضات إيفيان الثانية (11 فيفري – 18 مارس 1962):

جرت بينكل من: بن يوسف بن خدة ولويس جوكس وتم الاتفاق على وقف إطلاق النار والاعتراف باستقلال الجزائر، وضممان فرنسا لبعض امتيازاتها وإبقاء التعاون في جميع المجالات بين الجزائر وفرنسا، وإطلاق جميع المساجين السياسيين¹. وفي 18 مارس 1962 جرى التوقيع على اتفاقيات إيفيان، وكان كريم بلقاسم قد وقع باسم الوفد الجزائري، فيما وقع عن الطرف الفرنسي كل من: لويس جوكس، روبر بورون وجو دو بروكلي².

كما تم اجراء انتخابات تقرير المصير خلال الفترة الانتقالية يوم 3 جويلية 1962، صوت خلالها الشعب الجزائري ب (نعم) للاستقلال التام وبذلك تحقق النصر لهذا الشعب الذي خاض حرب إبادة لم يعرف التاريخ مثلها وأعلن عن تاريخ 5 جويلية 1962 كيوم لاستقلال الجزائر³.

1. Ibid, p. 220.

2. للمزيد من المعلومات عن اتفاقية إيفيان ينظر: ميلودي سهام، اتفاقية إيفيان: اسبابها ومضمونها وردود الافعال-دراسة تحليلية-، اطروحة دكتوراه تخصص تاريخ حديث ومعاصر، قسم التاريخ، جامعة ابي بكر بلقايد/ تلمسان، 2016، ص 62-82.

3. للمزيد من التفاصيل حول الاستفتاء، ينظر: بداني احمد، الجزائر خلال المرحلة الانتقالية 19 مارس-5 جويلية 1962، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الاثار، جامعة وهران، 2013، ص 55-68.

الفصل الرابع

تطور النشاط الوطني التونسي

من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال

1945 - 1955

المبحث الأول: المتغيرات السياسي في تونس بعد الحرب العالمية الثانية (1945-1952)
المبحث الثاني: انطلاق العمل المسلح وتطوره (1952-1956).

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

تميزت نهاية الحرب العالمية الثانية باستفاقة وطنية من خلال خياراتها الجديدة المتأقلمة مع واقع ما بعد الحرب العالمية الثانية، وقد تكون تكتل وطني خلال الفترة الممتدة ما بين (1945-1951)، الجبهة الوطنية التونسية التي انطلقت منذ سنة 1944 وواصلت نشاطها بعد الحرب، كما أعلنت عن طبيعة المسار النضالي والمطلبي التونسي من خلال تمكين التونسيين من الحكم الذاتي وضمت في صفوفها الحزب الدستوري الجديد، القديم، شخصيات منصفية، زيتونية، من المجلس الكبير باستثناء الشيوعيين، ومنذ منتصف 1951 أعلنت عن تمسكها بالمطلب الاستقلالي وتنديدها على خروج الحزب الدستوري الجديد عن خطط مؤتمر ليلة القدر في أوت 1946، الذي تكون من أعضاء من الدستوري القديم وزيتونيين ومستقلين. كما ستشهد تونس خلال الفترة التي جاءت بعد سنة 1951 تنشيطا لعمل المقاومة المسلحة.

المبحث الأول: المتغيرات السياسي في تونس بعد الحرب العالمية الثانية(1945-1952).

لقد أثرت الأوضاع الدولية الجديدة التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية على الوضع السياسي في تونس، خاصة بعد تأسيس هيئة الأمم المتحدة. وانقسام العالم إلى معسكرين الأول بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والثاني بقيادة الاتحاد السوفياتي، ومثل ذلك فرصة للقادة الوطنيين التونسيين لاستغلال الوضع من اجل التعريف بالقضية التونسية، مما انعكس على سياسة سلطات الحماية الفرنسية التي قامت بأعمال إصلاحات، سيكون لقادة الحركة الوطنية مواقف منها.

أولا: تطور نشاط الجبهة الوطنية التونسية بعد الحرب العالمية الثانية

ما من شك أن نشاط الوطنيين التونسيين سيبلغ سنة 1945 مرحلة مهمة من التنظيم ، فقد شرعوا في عمل مكثف من خلال عقد اللقاءات، التجمعات، التأطير، بناء هياكلها داخل تونس، رغم الرقابة و حالة الطوارئ، ففي اجتماع يوم 22 فيفري 1945 ضم ثمانية شخصيات تونسية من بينهم اللجنة التنفيذية وأعضاء الديوان السياسي تبنى الحاضرون بيانا أطلق عليه اسم (بيان الجبهة الوطنية التونسية) يتلخص في ثلاثة عناصر أساسية (الاستقلال الداخلي ، الملكية الدستورية ، إعادة الاعتبار للمنصف باي) ، وزع البيان الصحف الناطقة باللغة العربية و اللغة الفرنسية التي كانت تعرف انتشارا كبيرا أشهرها : الكفاح ، الاتحاد ، و الهلال . كما أشارت إليه جريدتي: النهضة والزهراء وأرسلت نسخ منه إلى القنصليتين البريطانية والأمريكية في مدينة تونس وأرسلت نسخ أخرى إلى الأحزاب الفرنسية، بهدف للتعريف بالقضية التونسية¹.

دفع البيان المقيم العام الجنرال ماست(Mast) في فيفري 1945 إلى إقرار إصلاحات في محاولة منه لتجنب الانفجار والتقليل من حالة التوتر، في ظل عدم تقديمه لإجابات مقنعة حول للوضع السياسي بتونس تهدئ من الزخم الذي أصبحت عليه الحركة الوطنية التونسية،

1. سعيد المستيري، المرجع السابق، ص 244-246.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

لكن تلك الإصلاحات لم تأتي بالجديد واعتبرتها الحركة الوطنية استعماراً جديداً ضمن إطار الاتحاد الفرنسي، فجاء تركيزه على الجانب الإداري مبتعداً عن الإصلاحات السياسية التي لها تأثير على الساحة التونسية¹.

1- إصلاحات المقيم العام ماست وردود الفعل الوطنية:

شغل ماست (Mast) منصب المقيم العام لفرنسا على تونس خلال الفترة ما بين (1944-1947)، عمل في 22 فيفري 1945 على طرح إصلاحات بهدف امتصاص غضب التونسيين،² لكن الإصلاحات المقدمة شابهها نقائص كبيرة يمكن حصرها فيما يلي:

- لم يلغى الرقابة والحضر على الصحف الوطنية التي تعرضت له منذ حوادث 9 أفريل 1938.³

- ابقاء الوزارة التي عينت بعد خلع الباي المنصف ووزيره محمد شنيق⁴.

الملاحظ من خلال ما ورد أن الفرنسيين سيطروا على أهم الوزارات والمصالح الإدارية، أي ان الوزارات التونسية كانت شكلية فلم يكونوا يشاركون في إدارة شؤون البلاد، وقراراته

1. فاطمة شلفوح، المقيم العام جاك مونص والمسألة التونسية (1947 – 1950)، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، أكتوبر 1998، تونس، ص 28.

2. مركز التوثيق القومي التونسي، الحركة الوطنية، ب 2. 88، المقيمون العامون الفرنسيون بتونس (1886 - 1955).

3. خلقت الرقابة التي فرضتها سلطات الحماية مناخاً متوتراً زاد في تصاعده تأثير الحركة المنصفية، التي زادت شعبيتها عند الرأي العام التونسي لا سيما أنها جمعت كل القوى السياسية الوطنية، فلم يسعى المقيم العام (ماست) إلى إيجاد حل مع قادة الحركة الوطنية التونسية، رغم نصيحة بعض الفرنسيين أمثال شارل سوماني (Charles Saumagne) على أهمية الاتصال بالوطنيين التونسيين خاصة الحبيب بورقيبة الذي كان قد غادر تونس نحو القاهرة سرا، وبذلك بقيت قضية العرش قائمة لعدم بذل المقيم العام ماست أي جهد لحلها للمزيد من التفاصيل ينظر:

Hadria Cohen, Du protectorat français a l'indépendance tunisienne (souvenir d'un témoin socialiste), CMMC, Nice, 1976, 177 ; Slimane Ben Slimane, op-cit, p 176.

4. ابقاء وزراء عملوا سابق في إدارة الحماية وتعلموا الخضوع لها، أمثال الوزير الأول صلاح الدين البكوش، وحسن حسني عبد الوهاب وزير الإنشاءات وحبيب الجلولي، محمد صالح مزالي، في نفس الوقت أدخلت تغييرات على مجلس الوزراء الذي أصبح يتكون من المقيم العام والكاتب العام للحكومة ووزير الإنشاء ووزير الشؤون الاجتماعية ووزير الحرب ووزير البحرية ومدير المراقبات والكاتب العام المساعد للحكومة ومدير المالية ومدير الإشغال العامة ومدير الاقتصاد العام ومدير التعليم العمومي. وتكون مجلس الوزراء من 4 وزراء تونسيين و10 فرنسيين بالإضافة للكاتب العام المساعد والمقيم العام. ينظر:

I.S.H.M.N, Q.O, Série Tunis, B598, C38, D2, Décret de Bey, 17/02/1945.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

شكلية، وبذلك دعمت إصلاحات فيفري 1945 المتصلة بالإدارة المركزية مبدأ هيمنة سلطات الحماية الفرنسية ومنعت تحقيق مشاركة التونسيين في تسيير شؤون البلاد. عموما تضمنت إصلاحات ماست تشكيل مجالس الشيوخ خارج دوائر البلديات الحضارية، وتصدر هذه المجالس مطالب شفوية للوزير الأول بموافقة القائد، وحصرت مداوات هذه المجالس للنظر في الأمور الاجتماعية والاقتصادية، يعني منعها من تناول الأمور السياسية، خاصة ما تعلق بالمشاركة في إدارة الشؤون المحلية.¹ كما تشكل المجلس الكبير بطريقة مغايرة التي ركب بها في إصلاحات 1922، فجاءت إصلاحات فيفري 1945 للتغيير في تركيبته، بإقرار المساوات العديدة بين الفرنسيين والتونسيين (43 عضوا). إقرار إصلاحات ماست بهذا التمثيل يبين أنه لا ديمقراطية في التمثيل لأن النواب الفرنسيين يمثلون 150 ألف فرنسي، في حين أن التونسيين يمثلون 3 ملايين. ولم يكن للمجلس الكبير دور سواء في طرح الميزانية التشريعية وبقيت اجراءاته شكلية، وهنا تعبر الإصلاحات عن رغبة سلطات الحماية مرة أخرى في بسط سيطرتها على تونس، فكان من الطبيعي أن تثير هذه الإجراءات ردود فعل للقوى الوطنية.²

كانت مواقف الحركة الوطنية التونسية من إصلاحات 22 فيفري 1945 واضحة، فقد اعتبرتها دون تطلعاتها، ورأت الأحزاب السياسية التونسية خصوصا الحزب الدستوري الجديد والقديم أنها إصلاحات وضعت أهم الإدارات والمصالح في يد سلطات الحماية. فبادرة لتكوين لجنة لدراستها وفتحت نقاشا حولها، ضمت 68 شخصية تمثل مختلف الاتجاهات السياسية وذلك لإصدار بيان موحد، لكن توقف العمل بسبب تهديدات الإقامة العامة. فعبر بعض الأعضاء التونسيين في المجلس الكبير من كانوا ضمن الجبهة الوطنية التونسية عن استيائهم، ومنعوا من ابداء آرائهم خلال مداوات المجلس المنعقد خلال الفترة 22-24 مارس 1945 بسبب تهديدات الإقامة العامة.³

دفعت سياسة المقيم العام ماست التونسيين للخروج يوم 15 أفريل 1945 في مسيرة ضمت أساتذة الزيتونيين، طلبة الزيتونة، المنصفين، والدستوريين الجدد والقدماء والجمعيات المهنية والثقافية والرياضية، وظهر الفاضل بن عاشور آنذاك كزعيم قاد المسيرة في ساحة الإقامة العامة، ورفع خلالها المتظاهرون شعارات (المنصف باي - الاستقلال الداخلي - الحكم

1. I.S.H.M.N, Q.O, Série Tunis, B598, C38, D2, Décret deBey, 17/02/1945, p.3.

2. عبد الكريم العلاقي، القسم التونسي للمجلس الكبير للبلاد التونسية غداة الحرب العالمية الثانية. أعمال الندوة الدولية الخامسة حول البلاد التونسية في فترة ما بين الحربين، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 1991، ص 294-296.

3. فاطمة شلفوح، المرجع السابق، ص 31.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

الذاتي).¹ وفي 8 ماي 1945 توجه نحو (10000) حسب بعض الشهود نحو الإقامة العامة، للاحتفال بانتصار الحلفاء وضمت مختلف الفعاليات التونسية بما فيها الأمراء الحسينيين ووزراء المنصف باي السابقين. وهي مظاهرات لم تشهد مثلها تونس، لم ينقطع فيها المشاركون في الهتاف باسم المنصف باي ورفع صورهم و مندوبين بسياسة المقيم العام.²

أما الموقف الآخر الذي اقتنع بالإصلاحات، فقد جاء في تصريحات بعض الأطراف التونسية التي ترى في وضع الحماية الفرنسية الوضع الأفضل، واعتبرت أن الإصلاحات احتوت على تطور في بعض جوانبها بالمقارنة مع السابق، كما جاء رد الإقامة العامة على موقف الدستوريين سياسيا، وصنفته جزء من الاستراتيجية السياسية للوطنيين التونسيين الذين في نظرها يريدون إيهام السكان بأن الإصلاح غير كاف.³

نستنتج أن المقيم العام ماست واصلاحاته واجهت انتقادات من الوسط السياسي الوطني من خلال المواقف السياسية والمظاهرات التي بينت من خلال العدد الكبير للمشاركين فيها مدى ارتباط التونسيين بوطنهم. مما جعلها لا تساهم في تهدئة الوضع وقد أكدت تقارير وزارة الخارجية الفرنسية سنة 1946 على ضرورة المبادرة بإصلاحات أخرى للحفاظ على وضعية فرنسا بتونس وتفاديا للتعقيدات التي ستنتج عن تطور الظروف السياسية المحلية والعالمية.

2- مؤتمر ليلة القدر 23 أوت 1946 وانعكاساته:

شرع الإعداد للمؤتمر من طرف المنصفين وأعضاء الحزب الدستوري الجديد والقديم والزيتونيين في بناء الأرضية السياسية للمؤتمر القادم، من خلال الاجتماعات التحضيرية التي بدأت مع حلول شهر رمضان يوم 29 جويلية 1946، الذي يتيح الفرص للاجتماعات السياسية مستغلين النشاطات الرمضانية، والتي سنوزعها على ثلاثة مجالات:

أ. نشاطات جامعة الزيتونة التي كان لها دور في مساعدة قادة الحركة الوطنية التونسية في الالتقاء مثل مناسبة اختتام محاضرات حول الحديث في أغلب الجوامع⁴، وبتأثير من الفاضل بن عاشور والشاذلي بلقاضي وزملائهما،

1. سعيد المستيري، المرجع السابق، ص 248.

2. المرجع نفسه، ص 247.

3. I.S.H.M.N, Q.O, Série Tunis, B598, C38, D1, Lettre du résident général Mast au ministre des Affaires étrangères Bidou ,03/02/1945.

4. سعيد المستيري، المرجع السابق، ص 267-268.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

أصبحت محاضرات الأختام اجتماعات سياسية تتناول موضوع الاستقلال والمطالبة بإعادة الاعتبار للمنصف باي.

ب. اجتماعات التنظيمات السياسية الغير القانونية التي منعت أحزابها من النشاط، وبطبيعة الحال هناك ألف وسيلة لتجاوز المنع من أجل الترويج لأفكار التحرر والاستقلال، ففي يوم 4 أوت 1946 أكد صالح بن يوسف أمام شباب رياضيين على دور الشباب في الاستقلال، تلاه لقاء يوم 6 أوت 1946 فيه المنصفين على ضرورة الاستقلال وعودة المنصف باي إلى عرشه، وفي 9 أوت خطبت السيدتان بشيرة بن مراد وسعاد النيفر بحمام الانف في جمع من الشبيبة النسائية الإسلامية¹.

ج. التظاهرات التي نظمها الاتحاد العام التونسي للشغل بعد عقد أول اجتماع يوم 13 أوت 1946 وتناول الحضور قضية الاستقلال وعودة المنصفباي، ووقعت تظاهرة ثانية يوم 18 أوت رغم رفض الإقامة العامة لها في كل من تونس وبنزرت وسوسة².

الملاحظ ان التجمعات التي كانت تعقد في مختلف المناسبات لم تستهدف جمهورا محمدا بل كانت مختلطة بين الناشطين السياسيين والعمال والطلبة والنقابيين وصغار الحرفيين، في نفس الوقت تخللت هذه التظاهرات لقاءات بين السياسيين كمحاول لتقريب بين الأفكار خاصة الدستوريين الجدد والقدماء، فشهد الأسبوع الذي سبق المؤتمر نشاطا مكثفا، مما أحدث شكوكا عند الإقامة العامة بوجود شيء يطبخ في تلك الاجتماعات وهو ما سنتعرف عليه اثناء عقد المؤتمر.

اثناء الاجتماعات التي عقدت شرع المعدون للمؤتمر في تحرير الوثيقة الأولية التي ستكون محل اثرء وتوقيع بين الحاضرين للمؤتمر، فوقع نقاش معمق وطويل في تحرير الوثيقة التي ستكون (ميثاقا وطنيا) يلتزم به جميع الموقعين عليه³. لكن خلاف وقع بين الدستوري القديم والجديد بين من يطرح عبارة الاستقلال التام كمطلب أساسي، في حين الدستور الجديد رأى ضرورة التقليل من حدة العبارة، مما أضطربهم لتكوين لجنة صياغة النص النهائي التي تكونت من الشادلي الخلافي والمنصف المستيري من الدستوري القديم، والهادي نويرة وعلى الهلوانمن

1. سعيدالمستيري، المرجع السابق، ص 266.

2. المرجع نفسه، ص 269.

3. محمد الحبيب شلبي، المرجع السابق، ص 330-331.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

الدستوري الجديد وبعد جلستين من النقاش تمت الموافقة على النص النهائي لوثيقة الاستقلال¹.

حدد تاريخ انعقاد الاجتماع بتاريخ 23 أوت 1946 بمدينة تونس بقاعة في منزل السيد محمد بن جراد زنقة الذهبي رقم 4، وفي اليوم المحدد على الساعة السابعة مساء افتتح المؤتمر، كان السيد العروسي الحداد، يترأس المؤتمر وعلى يمينه صالح فرحات ويساره صالح بن يوسف وبقيّة قادة الحزب الدستوري ومختلف التيارات².

أفتتح الجلسة الرئيس العروسي الحداد بكلمة موجزة ولكن مؤثرة: "خلال حياتي المهنية، كنت أحيانا مضطرا لإصدار حكم الإعدام، وإن ما أحكم عليه بالإعدام هو الاستعمار". ثم أعطيت الكلمة لصالح فرحات لخص خلالها مختلف المراحل التي مر بها الحزب الدستوري منذ تأسيسه وتونس بشكل عام، ثم أعطيت الكلمة لصالح بن يوسف الذي تكلم بنفس اللهجة التي استعملها رفيقه، شرح خلالها اللائحة التي تقرر عرضها على الحضور³.

لكن قبل أن ينهي صالح بن يوسف خطابه اجتاح رجال الشرطة قاعة الاجتماع، فرغم ما اتخذت من إجراءات لضمان سير المؤتمر، إلا أن سلطات الحماية الفرنسية تفتنت للأمر، فطالب المفوض بإنهاء الاجتماع. خلالها توجه صالح بن يوسف إلى الحاضرين بقوله: "هل أنتم مجتمعون على اعلان الاستقلال التام لتونس؟" فأجابته الحاضرون: "الاستقلال، الاستقلال". عند الخروج طوقت الشرطة الحاضرين، وتم تفتيشهم، وإيقاف حوالي خمسين شخصا من الزعماء الدستوريين (صالح فرحات، صالح بن يوسف، الشيخ الفاضل بن عاشور، الدكتور أحمد بن ميلّة، المنجي سليم، علي البلهواني، سليمان بن سليمان، فتحي زهير، عمار الدخلاوي وآخرون⁴).

الملاحظ أن مدهامة الشرطة لمقر عقد المؤتمر كانت سريعة ولم تعطي فرصة للحاضرين لإكمال أعمال المؤتمر، لذلك تصرف صالح بن يوسف بطريقة عفوية وسريعة وأخذ موقف الحاضرين من المطلب الأساسي الذي اجتمعوا من اجله (الاستقلال التام لتونس)، وهو ما ستكون له انعكاسات على تونس، فقد تفاجئ المقيم العام ماست لحساسية ما وقع على الساحة التونسية، أما الوطنيين التونسيين فاعتبروا أنهم دفعوا بالنضال الوطني خطوة إلى الأمام.

شهدت عملية مدهامة الشرطة هروب شخصين، الهادي نويرة وحمادي بدرّة، اللذين سارعا للتواصل مع زعماء نقابيين ومناضلين شيوعيين وزيتونيين وأنشأ (لجنة المقاومة)، التي قررت

1. محمد الحبيب شليبي، المرجع السابق، ص 329-330.

2. أحمد بن ميلاد، المرجع السابق، ص 335-336.

3. سعيد المستيري، المرجع السابق، ص 270-271.

4. المرجع نفسه، ص 272.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

الدخول في إضراب لمدة ثلاثة أيام بداية من 24 أوت 1946، أثر على اقتصاد البلاد وشمل عمال الميناء والأسواق والموظفين التونسيين والحرفيين، فأقفل باب سويقة والحلفاوية وباب الخضراء وباب الجزيرة، كما ألغى الأمير باي الاحتفالات التقليدية بالعيد في قصر البارود متضامنا مع الشخصيات المعتقلة¹.

كما ترجمت قرارات المؤتمر ووزعت في كامل البلاد والقنصليات الأجنبية، الجامعة العربية، منظمة الأمم المتحدة، وزير الخارجية الفرنسي، الأحزاب السياسية الفرنسية، كما عبر الحزب الاشتراكي والشيوعي الفرنسي عن تضامنهما كذلك مع الشخصيات المعتقلة ومساندتها للجنة المقاومة، ورغم غياب الصحافة الناطقة بالعربية² انتشرت الأخبار في كامل البلاد.

في نفس الوقت تابع القضاء التحقيق مع 46 شخصية تونسية أوقفت في 23 أوت، ووجهت لهم تهمة بتكوين جمعية محظورة والاعتداء على الامن الداخلي، وحاول الجنرال دوفان (Douvan) تقديمهم للمحكمة العسكرية³. لكن المقيم العام ماست خفف من ظروف الاعتقال بسبب الأوامر التي كانت تصله من باريس، وتوافد على السجن المدني العديد من الشخصيات من أمراء، أعضاء المجلس البلدي وشيوخ جامع الزيتونة، وكبار المستشارين بالمجلس الكبير كمحمد بن رمضان وعبد الرحمان اللوز للتضامن مع المعتقلين، وتنافس المحامون من تونس كمتطوعين للدفاع على المتهمين أمثال إيف بيروسيل (EvyPyrosil)⁴.

ساهمت الضغوط الشعبية في ذهاب المقيم العام ماست نحو التهدئة، ففي 31 أوت إطلاق صراح خمسة عشر معتقلا من بينهم الفاضل بن عاشور⁵، الذي خرجت قرابة 10 آلاف شخص في مظاهرات لاستقباله أمام مسكنه⁶، بعدها في 7 سبتمبر 1946 أفرج على 12 آخرين،

1. سعيد المستيري، المرجع السابق، ص 271.

2. فقد توقفت جريدة النهضة عن الصدور منذ 9 أوت 1946 بأمر من الجنرال ماست يوم 23 أوت 1946، فكان مديرها القسطلبي ابن الشاذلي القسطلبي أحد الموقوفين، ورئيس تحريرها الطيب العنابي، وأوقفت جريدة (الزهراء) عن الصدور تضامنا معها، تبعها الأسبوعيتين (الأسبوع)، (الثريا). أما الصحف التي كانت تصدر سرا فقد ضاعفت نشاطها كالهلال والكفاح من خلال الزيادة في عدد اصداراتها، وابتكر الناشطون التونسيون الكتابة على الجدران كوسيلة دعائية في جميع الشوارع من خلال تدوين شعارات (يحيا المنصف باي، (يحيا بورقيبة)، (الاستقلال) وكتابات أخرى أكثر جرأة مثل (الثورة). ينظر: محمد سعيد عقيب، المرجع السابق، ص 271-272.

3. المرجع نفسه، ص 274.

4. المرجع نفسه، ص 272.

5. الفاضل بن عاشور (1909 – 1970) درس في الخلدونية ومدرسة العطارين، تعلم المبادئ الأولى، ثم التحق بالزيتونة، والمعهد الصادقي، وجامع الزيتونة، تولى عدة مناصب منها عالم في الشؤون الدينية، توفي يوم 23 أفريل 1970. ينظر: محمد سعيد عقيب، المرجع السابق، ص 272.

6. Roger Casemajor, op-cit, p 272.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

ثم أفرج عن الآخرين في 23 سبتمبر من بينهم صالح فرحات، أحمد بن ميلان، سليمان بن سليمان، محمد بن حمودة، علي البلهواني، المنجي سليم، الباهي الأدغم، وحسونة القروي، ومبروك عبد الصمد¹.

فهل كان إفراج سلطات الحماية على المعتقلين السياسيين المشاركين في مؤتمر ليلة القدر خطوة نحو الانفراج؟ أم ستشهد الحركة الوطنية نشاطا أكثر جرأة من سابقه؟

شهدت تونس نشاطا أكثر جدية ضمن العمل الوحدوي، شاركت فيه مختلف تيارات الحركة الوطنية التونسية وفعاليات المجتمع، فعرفت الجبهة الوطنية انسجاما والفضل في ذلك يرجع للمقيم العام ماست الذي ثبتها من خلال سياسته التي أجبرت الوطنيين على الوحدة وفيما يلي بعض الأحداث التي توضح نشاط الجبهة الوطنية:

- 20 أكتوبر عام 1946 توقفت سفينة الحجاج المغاربة في ميناء بنزرت ليركها الحجاج التونسيون، استقبلتها عائلات الحجاج والدستوريون والمنصفون والعديد من المناضلين الشيوعيون من عمال الميناء بالهتافات، ومنها: (تحيا المنصف باي)، (يحيا بورقيبة)، (الاستقلال).

- 21 نوفمبر 1946 وقع افتتاح الدورة العادية للمجلس الكبير بحضور الجنرال ماست، رفض خلالها المنتخبون التونسيون إجراء المداومة في غياب للصحافة التونسية الناطقة بالعربية، مما اضطر سلطات الحماية الفرنسية لإصدار عدد من جريدتي (البيان) و(الزهراء) لاستئناف النقاشات.

- 6 ديسمبر 1946 اليوم العالمي للشباب، وقع احتفال حماسي في كامل تونس (تونس، صفاقس، سوسة). نشطها كل من علي البلهواني، فاضل بن عاشور، المنجي سليم، صالح بن يوسف، تناولت الخطب مواضيع متعلقة بالجبهة الوطنية ولوائح مؤتمر ليلة القدر².

- 15 ديسمبر 1946 خلالها بلغ العمل الوحدوي في إيطار الجبهة الوطنية درجة كبيرة من خلال مهرجانات في إيطار القانون نضمها الحزب الشيوعي التونسي، شاركت فيها مختلف التيارات السياسية والجمعوية التونسية، طرحت خلالها مجموعة من المطالب: رفع حالة الطوارئ، الاعتراف بالأحزاب السياسية، العودة للحريات الديمقراطية، ابطال الرقابة. وأنشأت لجنة اتصال بين جميع التيارات للاستمرار في لعمل حتى تلبية المطالب³.

1. سعيد المستيري، المرجع السابق، ص 274-275.

2. المرجع نفسه، ص 275.

3. المرجع نفسه، ص 274.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

- 25 سبتمبر 1946 استمر التنسيق بين مختلف الأطراف، حيث اجتمع ما يقارب 150 مدعوا بسيدي بوسعيد في دعوة لوليمة على شرف معتقلي 23 أوت، ترأس الاجتماع الفاضل بن عاشور حضرته التيارات الوطنية التونسية والعلماء¹.

- 4 أكتوبر 1946 اجتماع في كازينو بيلفادار (Belvédère) حضره 200 شخص مدعويين من طرف الصادق بن عمار لتناول الشاي وترأس الاجتماع العروسي بن حداد تم خلالها معالجة مواضيع متعلقة باستقلال تونس².

الملاحظ ان التجمعات التي نظمها الوطنيون التونسيون، كانت وسيلة للعمل اعتمدت حتى لا تحدث ردة فعل عنيفة من قبل سلطات الحماية، أو بشكل اصح حتى لا تمنح للفرنسيين سببا لإعادتهم للسجون. فاتخذت الاجتماعات شكل مأدبة، وليمة، جلسة شاي، تظاهرات احتضنها الشيوعيون، تظاهرات شبابية للتغطية النشاطات السياسية، بعد الاجتماعات يقوم الحاضرون بتسريب ما يمكن توصيلة من المعلومات فيما بينهم.

3- تعيين جون مونس وسياسة فرق تسد:

إن سياسة المقيم العام ماست (Mast) الفاشلة في تونس دفع الحكومة الفرنسي في باريس إلى إقالته في 16 جانفي 1947 وتعيين جون مونس (JeanMons) يوم 21 فيفري 1947، الذي عمل منذ قدومه الى تونس على استقبال التيارات السياسية والدينية والنقابية المختلفة، ففي يوم 22 مارس قابل كل من صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الدستوري الجديد، وفي اليوم الموالي قابل صالح فرحات رئيس الحزب الدستوري القديم، خلال هذه المرحلة التزمت الأحزاب السياسية بمقررات ليلة القدر في انتظار توضيح الرؤية.

فقد أشار مونس في كتابه (على طرق التاريخ) أنه عرض على صالح بن يوسف منصبا وزاريا، وأن هذا الأخير لم يرفض تماما العرض إلا أنه اعتبره غير كاف³. في المقابل عبر عن استعداداه للمشاركة في حكومة بقيادة الدستورية، مما جعل مونس يوضح لصالح بن يوسف ان الهدف من النقاش هو اشراك كل الأطراف السياسية لإعداد الإصلاحات⁴. والثابت أن موقف صالح بن يوسف لم يكن يعبر عن مواقف بقية القادة الدستوريين، فالهادي نورية رأى ضرورة حل المجلس الكبير والسير نحو برلمان تونسي⁵.

1. Roger Casemajor, op-cit, p 274.

2. Jean Mons, Sur les routes de l'histoire – Cinquante ans au service de l'Etat, éd Albatros, Paris, 1981, p223.

3. Ibid, p224.

4. I.S.H.M.N, Q.O, Série Tunis, B598, C38, D1, Lettre du résident général Mons au ministre des Affaires étrangères Bidou ,19/06/1947, p 399.

5. Ibid, p 398.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

مهما يكن من أمر فإن صالح بن يوسف حصل على موافقة اغلبية زملائه في الديوان السياسي فيما يخص مساعيه الجديدة، رغم الخلافات داخل وخارج الحزب، فصالح بن يوسف لم يرد أن يظهر أنه يعمل لوحده، فقد ذكر مصطفى كريم حسب سعيد المستيري من خلال ما كتب تحت عنوان (تفتت الجبهة الوطنية) ما يلي: " الحقيقة أنه منذ 23 أوت 1946، كان هنالك برنامج مشترك التزمت به مختلف المنظمات ويتلخص في المطالبة بالاستقلال الذي يعني بالنسبة إلى الدستوريين القدامى والمنصفين عودة المنصف باي الى العرش. أكثر واقعية، أو ربما أكثر انتهائية، كان الدستوريين الجديد، اللذين منذ أول مقابلة لهم مع المقيم العام الجديد قد تخلوا عن هذا البرنامج وعرضوا مطالبهم الخاصة"¹.

الملاحظ أن تبني الحزب الدستوري الجديد مبدأ التفاوض مع المقيم العام، اثار انتقادات الأوساط السياسية لا سيما الدستوري القديم، ومن خلال ما جاء به سعيد المستيري يتبين لنا تردي الوضع السياسي بين التيارات السياسية، عجل بتفكك الجبهة الوطنية، فاختلال الطروحات بين الداعي للتفاوض مع المقيم العام ومسايرة التطورات على الساحة الوطنية والدولية الراض ل فكرة التفاوض على مطالب تخرج عن نطاق ما جاء في اجتماع 23 أوت 1946.

ثانيا: موقف الحزب الدستوري القديم من الإصلاحات والتفاوض مع فرنسا:

تركز نشاط الحزب الدستوري القديم بعد نهاية الحرب العالمية الثانية على العمل في إطار الجبهة الوطنية التونسية، فقد شغلت قياداته مراكز مهمة وساهمت في التحضير وعقد مؤتمر ليلة القدر في 23 أوت 1946، وبعد اكتشاف مكان انعقاده من طرف الشرطة الفرنسية، تم اعتقال العديد من القيادات التابعة للحزب التي شاركت في المؤتمر، واللذين أطلق صراحهم بعد احتجاجات كبيرة ساهمت فيها مختلف القوى السياسية والمدنية والنقابية².

فواصلت اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري القديم في ممارسة دعايتها لمؤتمر ليلة القدر و تحركوا على مختلف المناطق التونسية ، وركز الخطاب على مبادئ المؤتمر وتوصياته ، و على توحيد الحزب الدستوري و رص الصفوف³ . ولم تتوقف ردود فعل قيادات الحزب الدستوري القديم عند هذا الحد ، وإنما رفضت الخضوع للمقيم العام الجديد جون مونص و تمسكه بمبدأين رئيسيين: قرارات ليلة القدر و المطالبة بعودة المنصف باي ، وقد تمت الاتصالات عن طريق صالح فرحات ، وقد أشار الجنرال جون مونص في تقرير له لوزير الخارجية الفرنسية أنه أعطى فرصة للحزب للخروج من العداء المستمر لفرنسا . وأكد مونص أن موقف الحزب

1. سعيد المستيري، المرجع السابق، ص 283.

2. محمد سعيد عقيب، المرجع السابق، ص 275.

3. المرجع السابق، ص 274.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

الدستوري القديم لا تنبع من موقف متصلب تجاه فرنسا، بل يهدف الى التميز عن الحزب الدستوري الجديد والظهور بمظهر المتمسك بالاستقلال¹.

من خلال ما سبق، نستنتج أن قيادة الحزب الدستوري القديم اجتمعت من أجل تدعيم صفوف الحزب، التي تعرضت للاهتزاز بعد وفاة الشيخ الثعالبي، وفي ذات الوقت اظهار الحزب الدستوري الجديد بمظهر من تخلى عن مبادئ الحركة الوطنية التونسية مثل تجاهل مبادئ ليلة القدر والمطالبة بعودة المنصف باي. لا سيما وأن قيادة الحزب الدستوري القديم اخذت تشعر بخطورة الوضع، بعدما اخذ يستحوذ على مناصب وزارية هامة، وهي قد تجعل الحزب الدستوري القديم خارج اللعبة السياسية الجديدة².

1. تشكيل حكومة الكعك وموقف الحزب الدستوري منها:

لم تؤدي الاتصالات التي قام بها المقيم العام مونس بقيادة الوطنيين التونسيين إلى اختيار شخصية من الدستوري القديم أو الجديد أو المنصفين، بل أدت لاختيار شخصية مستقلة ممثلة في مصطفى الكعك³، ومن أسباب تعيينه ماضيه السياسي المعتدل، وحسب شهادة محمد صالح مزالي أن مسألة تعيين مصطفى الكعك في منصب وزير أول ظهرت منذ فترة حكم المقيم العام الجنرال ماست، حينما فكر في التخلي عن صلاح الدين البكوش المرتبط فكريا مع العرش الحسيني وتعيين مصطفى الكعك⁴.

تقلد الكعك منصبه في 20 جويلية 1947، وقدم للباي تشكيلته الوزارية الجديدة. ولكن يبدو أن الباي لم يكن راضيا على تعيينه في هذا المنصب، فتعرض لهجوم من طرف البلاط ورفض الباي استقباله في البداية، وبعد ضغط من الإقامة العامة وافق الباي على تعيينه. واعتبر مونس أن ردود الفعل العامة حول تعيين الكعك جاءت متباينة هدفها الضغط عليه

1. I.S.H.M.N, Q.O, Série Tunis, B598, C38, D1, Lettre du résident général Mons au ministre des Affaires étrangères Bidou ,19/06/1947, p 394.

2. I.S.H.M.N, Q.O, Série Tunis, B598, C38, D1, Lettre du résident général Mons au ministre des Affaires étrangères Bidou ,26/06/1947, pp 403-405.

3. الوزير الأول مصطفى الكعك، 61 سنة، هو رجل قانون كفؤ ومحام معروف، اذ من الناذر التزامه طوعا خلال حياته بالحركة الوطنية، رئيس سابق لقدماء الصادقية، ثم رئيس جمعية الراشدية الموسيقية الشهيرة، كان يظهر بمظهر ليبرالي منفتح ومثقف. وقد كان عضوا في مجموعة 17، وقع عريضة الستين. انتخب عميدا للمحامين قبل أيام من تعيينه كوزير أول. للمزيد من التفاصيل ينظر: سعيد المستيري، المرجع السابق، ص 286-287.

4. Mohamed Salah Mazali, Au Fins de ma vie, Edition Hassen Mazali, 1972, p214.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

للتأثير في قائمة الأسماء التي ستعينها وزارته، فقد حاول الكعكاق مقابلة صالح فرحات عن الحزب الدستوري القديم لكنه رفض¹.

وبعد سلسلة من المشاورات تم اختيار أعضاء الحكومة وتم تسمية خمسة وزراء محمد صالح مزالي وزيرا للتجارة والحرف، علي لظهاري وزير الشغل والشؤون الاجتماعية، عبد القادر بلخوجة وزيرا للفلاحة و علي بو حاجب وزيرا للصحة، عبد العزيز جعيط شيخ الإسلام المالكي وزيرا للعدل، انتقد الدستوري القديم هذه الوزارة خاصة عبد العزيز جعيط واعتبر أن هذا المنصب يتعارض مع وظيفته الدينية، وأشار أن علي المحجوبي قد طرد من الحزب بعد انتخابه مستشارا بلديا².

من خلال ما سبق، نستنتج ان تعيين حكومة الكعكاق بمعزل عن الضغوط السياسية التونسية والفرنسية نتج عنه مواقف متباينة داخل الحركة الوطنية التونسية، الموقف الأول قرر المشاركة في الحكومة والانخراط في الحكومة الجديدة، أما موقف الدستوري القديم فقد جاء رافضا للمشاركة فيها ومبررا لمختلف التعيينات التي كانت ترتبط بعلاقة معه سابقا، محاولا اخلاء نفسه من توجهات الأشخاص الذين تلونوا بلون حكومة الكعكاق.

2. موقف الحزب الدستوري القديم من إصلاحات 7 أوت 1947:

قامت إصلاحات أوت 1947 على قاعدة التساوي بين الأعضاء التونسيين والفرنسيين في الحكومة التونسية، وشمل مجلس الوزراء، مجلس الديوان، مهام الوزير الأول، الكاتب العام للحكومة التونسية، الوزراء، المديرين، المفتشون، وتغيرت طريقة تعيين المستشارين إلى جانب الوزراء. كما غيرت الإصلاحات الجديدة اسم المفوض بالمستشار، لكنها لم تغير شيئا في المحتوى فيما بقيت الإدارة التونسية تحت سلطة الكاتب العام للحكومة، فجاءت إصلاحات ضعيفة الأهمية هدفها الحفاظ على مصالح فرنسا بتونس، خاصة أن الإصلاحات لم تتطرق حتى لمبدأ السيادة المزدوجة، و بقيت السيطرة الفرنسية في كل دواليب الإدارة قائمة. أما مونس فبقي تحركه في الميدان الإداري محدودا، مرتبطا بقناعات حكومة الحماية الفرنسية والتجمع الفرنسي لذلك لا يمكن التحدث عن إصلاحات إدارية يكون لها تأثير كبير على الوضع العام في تونس³.

1. I.S.H.M.N, Q.O, Série Tunis, B598, C38, D1, Lettre du résident général Mons au ministre des Affaires étrangères Bidou ,24/07/1947, p413.

2. I.S.H.M.N, Q.O, Série Tunis, B598, C38, D1, Lettre du résident général Mons au ministre des Affaires étrangères Bidou ,26/06/1947, pp486-485.

3. فاطمة شلفوح، المرجع السابق، ص 54-55.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

أما بالنسبة للمجلس الكبير، فقد تعمقت الأزمة داخله برفض النواب انتخاب مكثهم، وقرروا عدم الاجتماع ما دامت الحكومة لم تقدم توضيحات حول الإصلاحات السياسية والإدارية، وتضمنت قراراتهم ارجاء النظر في الميزانية وانتهت هذه الأزمة بقيام المقيم العام يوم 10 ديسمبر 1947 باختتام الدورة العادية للمجلس قبل التصويت على الميزانية، وذلك بعد فشل مساع من المقيم العام من خلال بعث لجنة تتكون من نواب من الطرفين للتوفيق بين الآراء¹.

هكذا عجز المقيم العام مونس في تقديم حلول للأزمة التي كانت تعيشها تونس ليس في الجانب الإداري فحسب بل تعداه للجانب الاقتصادي والاجتماعي، وعدم تقديم طرح إيجابي للمطالب الوطنية، تبين محدوديته في أخذ القرارات الجريئة التي يمكنها التأثير على الوضع التونسي بالإيجاب. أما موقف الحزب الدستوري القديم فكان واضحا، فأثناء زيارة الزعيم الاشتراكي قورس (Gores) لتونس جرت مقابلة بينه وبين زعيم الحزب الدستوري صالح فرحات، كشف خلالها حقيقة الإصلاحات وبين طبيعة الدعاية التي تروج لها الإقامة العامة حول النفوذ التونسي، فكان حق إصدار القوانين في يد الفرنسيين، وهذه الحالة هي خرق لمعاهدة الحماية².

لقد عبر الحزب الدستوري القديم عن موقفه من الإصلاحات، من خلال تأكيده على أن التونسيين لا يرضون بإصلاحات الحكومة وسياسة المقيم العام والمجلس الكبير، ليذكر بمطالب الأمة التونسية وحقوقها الشرعية، ووضح أن التونسيين يريدون حكم أنفسهم بأنفسهم، ويسعون لحكم ديمقراطي حقيقي يستند على دستور حر، يكفل الحريات والحقوق عن طريق انتخابات حرة ونزيهة وهو يتساوى مع تقرير المصير وتحقيق الاستقلال³.

وعندما صرحت الإقامة العامة بحلها مشكل الموظفين ، رد الحزب الدستوري القديم ان الحل قد أجبرت عليه سلطات الحماية و جاء كاستجابة للإضرابات ، أما الزيادات في المرتبات فستشكل عبئا ماليا إضافيا على البلاد من خلال إعادة رفع الضرائب ، ورد الحزب على قضية تمثيل الفرنسيين في البرلمان بالتنسيق مع الحزب الدستوري الجديد ، فتقرر التوجه للباي حتى لا يكون هناك وسيلة لتبرير المساعي الاستعمارية و انتهاك بنود معاهدة الحماية ، حيث التقى الوفدين بالباي يوم 28 أكتوبر 1948، ورفع تقريرا شرح فيه الخطوات التي تسعى إليها الإقامة العامة لإقرار تمثيل الجالية الفرنسية في البرلمان الفرنسي ،⁴ و التي تعتبر خطوة نحو الخاق

1. عبد الكريم العلاقي، المرجع السابق، ص 272.

2. محمد سعيد عقيب، المرجع السابق، ص 276-277.

3. جريدة الإرادة، ع 715، في: 4 ماي 1948.

4. جريدة الإرادة، ع 740، 2 نوفمبر 1948.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

تونس بالوحدة الفرنسية ، فجاء رد الباي معارضا لمثل هذه القرارات و تعهد بعدم الإمضاء على أي نص يناقض مبادئه السابقة، مؤكدا للوفد أن العلاقة الفرنسية التونسية يجب أن لا تخرج عن إطار المعاهدة¹.

كما تفتنت اللجنة التنفيذية للدستوري القديم بان تصرفات الدستوري الجديد انحرفت عما تقرر في مؤتمر ليلة القدر وانجذب إلى سياسة المقيم العام الإصلاحية²، إلى درجت التفريط في أمور هي في أساسها تمثل مصلحة الشعب التونسي كالأستقلال والإصلاحات العميقة للوضع داخل تونس، فدفعت تصرفات الدستوري الجديد الدستوري القديم إلى تحذير الشعب التونسي من التفريط في المسائل الأساسية التي هي صلب القضية التونسية³.

الملاحظ ان بداية التمايز بين الحزبين الدستوريين ، بدأ باختلاف نظرة كل طرف لمفهوم الأستقلال ، في ظل تحول الحماية الفرنسية إلى سيطرة على جميع المرافق الإدارية التونسية، بل تعد ذلك إلى المطالبة بإلحاق تونس بفرنسا من خلال التمثيل النيابي والاتحاد الفرنسي ، فلحزب الدستوري الجديد سعى للتعامل مع سلطات الحماية وفق مبدأ (مرحلة مرحلة) التي فتحت له الباب نحو المفاوضات لإيجاد حل للقضية التونسية ، فالسيادة المزدوجة تعني في نظره وجود سيادة تونسية ، اما الحزب الدستوري القديم بقي متمسكا بمطالبه دون الرجوع عنها ، لقناعته أن التفاوض يجب أن يكون من اجل تغيير النظام الاستعماري⁴.

نستنتج أن الحزب الدستوري القديم اعتبر الإصلاحات التي باشرتها سلطات الحماية الفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية (إصلاحات ماست 1945) و (إصلاحات مونس 1947)، لم تغير شيئا من الأوضاع التونسية ما عدى منح وزارات للتونسيين، ورأى الحزب الدستوري القديم أن المسألة ليست منح وزير أو اثنين وإنما، بل مسألة قلب نظام الحماية ومنح التونسيين حريتهم واستقلاليتهم في تسيير بلادهم.

كما استغل الدستوري القديم إضراب عمال شركة قفصة في أوت 1947 ، من أجل التنسيق مع الدستوري الجديد ، للتواصل مع المقيم العام باسم الشعب التونسي للمطالبة بعودة المنصف باي الذي كانت حالة صحية في تدهور ، لكن سلطات الحماية لم تستجب و ظل الباي في منفاه حتى وفاته في سبتمبر 1948 ، وقد بادر الحزب الدستوري القديم بفتح ناديه

1. المصدر نفسه، ص2.

2. المصدر نفسه، ع 797، 17 جانفي 1950.

3. محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص 386-387.

4. المرجع نفسه، ص 385.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

المركزي ببطحاء الحلفاويين لاستقبال التعازي ، ووجه الحزب نداء للشعب التونسي لتعزيتته بوفاة المنصف باي الذي تنازل ضحى بحياته و تنازل عن عرشه من أجل تونس ، و دعاه إلى اتخاذ من حادثة المنصف باي تجربة للمستقبل¹.

3. الحزب الدستوري القديم والحكومة التفاوضية 17 أوت 1950:

إن تمسك الحزب الدستوري القديم بما اقره مؤتمر ليلة القدر أوت 1946، جعلته سياسيا لا يعترف إلا بمطلب الاستقلال التام ولا يرضى بحل آخر للقضية التونسية، أما الحزب الدستوري التونسي الجديد فاتبع سياسة الخطوة خطوة، وقبل بحكومة تفاوضية سعيا لتحقيق تونس لاستقلالها، ففي 12 أفريل 1950 قدم الحبيب بورقيبة لائحة مطالب إلى الحكومة الفرنسية في باريس عرفت ببرنامج النقاط السبع²، أظهر بعدها بورقيبة أن الحكومة الفرنسية أبدت نوعا من الليونة والإرادة لترقية الأمة التونسية.

اعتبر الدستوري القديم أن خطة بورقيبة المبنية على مراحل مليئة بالتناقضات، فمن جهة تقلل من التعاون مع الجامعة العربية، لعدم جدوى الاعتماد على الخارج، ومن جهة أخرى بسياسة التفاهم مع الطرفين التونسي والفرنسي على قاعدة تعويض معاهدة الحماية بمعاهدة أخرى تضمن مصالح فرنسا الاستراتيجية والاقتصادية والثقافية³. وصرح الكاتب العام للدستوري القديم في ماطر قائلا: "إنه لا يحق لأي تونسي أن يتنازل عن أي حق لهذا الوطن يقدمه هدية للمغتصبين، وإنه لا يصوغ لأي هيئة مهما كانت أن تعمل شيئا يفوت على الوطن

1. محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص 387.

2. أهم النقاط التي احتواها برنامج النقاط السبع الاتية:

- إعادة الاعتبار للسلطة التنفيذية التونسية.
- تكوين حكومة تونسية مسؤولة يترأسها وزير أول تونسي يعينه الملك.
- إلغاء الإدارة العامة التي تراقب وتسيطر على جميع الإدارات.
- إلغاء كل المراقبين المدنيين الذين يمثلون الحماية الفرنسية.
- إلغاء (الدرك الفرنسي) التابعة لوزارة الدفاع الفرنسية
- إنشاء بلديات لا يدخلها الفرنسيون إلا التي توجد فيها أقليات فرنسية.
- انتخاب جمعية وطنية (مجلس نواب) عن طريق الاقتراع العام توكل لها مهمة تحرير دستور ديمقراطي يضبط العلاقة بين تونس وفرنسا. للمزيد من التفاصيل، ينظر: محمد السعيد عقيب، المرجع السابق،

ص 289.

3. جريدة الإرادة، 21 جانفي 1950.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

حقوقه ويربط مستقبلهم ومستقبل بنيه برباط ما، إلا هيئة تأسيسية تنتخب انتخابا حرا من الأمة..."¹.

وقد عقدت اللجنة التنفيذية للدستوري القديم ندوة صحفية يوم 5 ماي 1950 بنادي الحزب ببطحاء الحلفاويين رد فيها صالح فرحات على ما أصدره بورقيبة من تصريحات تتنافى مع ما اتفق عليه قادة الحركة الوطنية التونسية في مؤتمر ليلة القدر. وبعدها أصدر الحزب بيانا اعتبر مشروع بورقيبة تناقضات جاءت تحت تأثير الاندفاعات الحماسية وتنقلاته العديد عبر عواصم العالم، وجاء في البيان أن بورقيبة غير مستقر على رأي ففي بعض الأحيان يطالب الإصلاحات وفي أخرى الاستقلال، ومرات أخرى يبدي رغبته في التحالف مع فرنسا لأننا ضعفاء، وفي تصريحه بباريس ينذر الرأي العام الفرنسي أنه قد بدأ مرحلة التحرير.²

نستنتج مما سبق أن الحزب الدستوري القديم أراد أن يظهر الدستور الجديد حزبا ضعيفا، بالحجة مما ينادي به، من خلال المشاركة والسيادة المزدوجة مع الفرنسيين، فحاول الدستور القديم تعريته أمام الشعب التونسي، حتى تفتح له الساحة السياسية ويستغلها لصالحه، وحاول اظهار أن أي مشروع دون الاستقلال يعد تنازلا لن يرضى به الشعب التونسي، وهو دليل عدم رضي الدستور القديم بالمطالب التي قدمها بورقيبة واعتبرها تراجعا عما تم الاتفاق عليه.

أما عن مسألة إصلاحات حكومة الحكاية الفرنسية، فقد نتج عن تردها في تطبيق الإصلاحات إلى تدهور موقف المقيم العام مونس بتونس، فتعرض لحملة انتقادات من الوطنيين التونسيين و الفرنسيين³ أصحاب المصالح ، مما جعل مونس يفكر في ترك منصبه ، ففي رسالة موجهة لوزير الخارجية الفرنسي روبر شومان (Robert Choman) بتاريخ 11 أبريل 1950 ذكر فيها مونس أنه لم يعد الشخص القادر على شغل منصبه و طلب من الحكومة

1. جريدة الإرادة، 28 فيفري 1950.

2. محمد سعيد عقيب، المرجع السابق، ص 292.

3. بدأ موقف معارضة الفرنسيين لسياسة مونس تبرز من خلال الموقف الذي أبدته مجموعة الإداريين التي عبرت دائما عن موقفه، خاصة بعد ان أبدى ديغول من خلال (Rassemblement du peuple Francais) على ضرورة المحافظة على وضعية فرنسا في شمال إفريقيا. هذا التحول الجديد في صفوف الكولون الفرنسيين جعلت آراء مونس تجد مقاومة حتى من أقرب الناس إليه (الكاتب العام للحكومة التونسية). فقد ذكر مونس ان مظاهر التشكيك في جهوده من طرف مساعديه بدأت تظهر منذ سنة 1949، لكنها بدأت تظهر عند معارضة (بروي) للإصلاحات التي تهم الموظفين الإداريين بتونس. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Jean Mons, op.cit, p 250-258.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

الفرنسية أن تعيد النظر في ذلك،¹ فقامت الحكومة الفرنسية وبضغط من التجمع الفرنسي، أصدرت قرار تنحية مونس في 27 ماي وتمت المصادقة عليه في 31 ماي 1950 ، وعينت مكانه لويس بيرلييه (Louis Pérllier)².

فبمجرد تعيين المقيم العام الجديد تم الإعلان عن القيام بإصلاحات على نظام الحماية في تونس ، من خلال توسيع مشاركة التونسيين في الوظيفة العامة و تكوين نظام على أساس ديمقراطي بناء على توصيات رئيس الحكومة الفرنسي جورج بيدو (Georges Bidault) ، فقام المقيم العام الجديد بالتواصل مع الحزب الدستوري الجديد ، لأخذ موقفه من المشاركة في الحكومة التفاوضية التي شكلت في 17 أوت 1950 برئاسة محمد شنيق ، التي ضمت ستة وزراء تونسيين و ستة وزراء فرنسيين ، شارك فيها الدستوري الجديد من خلال وزارة العدل التي تولاهها صالح بن يوسف³.

لكن موقف الحزب الدستوري القديم جاء مغايرا، فقد رفض هذه الوزارة، انطلاقا من قناعته التي اعتبرت أنه لا فرق بينها وبين وزارة الكعك، ووضح موقفه من خلال بيان جاء فيه: "...ذهبت وزارة الكعك وجاءت وزارة جديدة أردنا أن نعطي لأنفسنا الوقت للتروي قبل الجهر بفكرتنا، وأن نعرف كيف يمكن للوزيرة الجديدة التي قيدت نفسها بما التزمت به، أن تنجز إصلاحات جوهرية، إلا أن إبعاد وإلغاء المستشارين يحتم علينا الخروج من صمتنا ...". وقد عبر الدستوري القديم من خلال البيان رفضه المشاركة في الوزارة الجديدة، ورد الكاتب العام صالح فرحات على تصريحات المقيم العام بأن الوزارة الجديد تحظى بمساندة الأمة بالنفي واعتبرها دعاية سياسية، وأكد أن هذه الإصلاحات بعيدة كل البعد عن المطالب المنتظرة، وأشار في البيان أن الشعب التونسي يطالب فرنسا بالإشراف على جميع شؤونه الداخلية وتمنح له استقلاله الكامل والذي هو حقه الطبيعي⁴. ثم توجه بيان الدستوري القديم إلى الدستوري الجديد بانتقادات ، فاعتبر أعضاء الهيئة الوزارية الذين شاركوا في حكومة شنيق، هم أنفسهم الذين وافقوا على مقررات مؤتمر ليلة القدر، وقبلوا بالسيادة المزدوجة الفرنسية التونسية، كل ذلك دليل على التناقض في أفكارهم مما سيؤثر على مستقبل البلاد ، ووجه الدستوري القديم تحذير للوزراء منهم بعواقب كل اندفاع منهم للدخول في الاتحاد الفرنسي، كما لم يحصر الحزب موقفه من المشاركة في الحكومة التفاوضية وانضمام

1. Jean Mons, op.cit, p266.

2. فاطمة شلفوح، المرجع السابق، ص 86.

3. جردة المنار، ع6، السنة الأولى، 30 جويلية 1951.

4. محمد سعيد عقيب، المرجع السابق، ص 296-297.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

الدستوري الجديد لها في القطر التونسي فقط، بل ربط تأثير ذلك على كامل المغرب العربي خاصة في المغرب الأقصى والجزائر¹.

مع مطلع سنة 1951 أعلنت الحكومة التفاوضية إصلاحات يوم 8 فيفري 1951، جاءت مخيبة للأمال رغم التنازلات التي قدمها المشاركون في الحكومة خاصة الدستور الجديد، فخلق ذلك نوعا من الامتعاض والتذمر، دفع الدستور القديم إلى التصعيد ضد الحكومة والمشاركين فيها وادعاها للاستقالة، وقام بتحريك الشعب الدستورية في كل من تونس وسوسة وصفاقسوقفصة وماطر للترويج للمبادئ التي يطالب بها²، وعقد بعدها الدستور القديم عدة اجتماعات وزيارات نذكر منها³:

- خلال اجتماع عقده يوم 14 جانفي 1951 بسوسة حضره أعضاء اللجنة التنفيذية وممثلين عن الشعب، شدد خلالها الحاضرون على التمسك بقرارات المؤتمر الوطني 23 أوت 1946 القائم على الاستقلال التام لتونس.

- باشر الحزب الدستوري القديم جولات منها زيارات حدثت يوم 26 أفريل 1951 لقلبية، شارك فيها الحبيب شلي وعبد العزيز قاسم، وحوالي 250 شخصا، طالب خلالها الإصرار على الموقف المنادي بالاستقلال لتونس، وانتقدوا سياسة الدستور الجديد.

مع حلول 16 أكتوبر 1951 قدمت حكومة شنيق مطالب للحكومة الفرنسية في قضية المفاوضات لتحقيق استقلال تونس، تلتها مذكرة للحكومة الفرنسية في 31 أكتوبر 1951 لتذكيرها بتشكيل لجنة المفاوضات ردت عليها سلطات الحماية في 15 ديسمبر 1951 بجواب مكرس للسياسة الفرنسية و لوجودها بتونس، رد عليها الدستور القديم بعد دراسة رد سلطات الحماية على المذكرة، بالتعجب من إقرار مبدأ السياسة المزدوجة رغم مخالفته للمعاهدة المفروضة والقانون الدولي، وهو ما يبرر تشاؤم الحزب من المشاركة في الحكومة التفاوضية ، امام الموقف المستجد فتح المجال أمام تطور الأحداث دخل الشعب التونسي في مرحلة جديدة من الكفاح المسلح ضد الحماية الفرنسية⁴.

1. محمد سعيد عقيب، المرجع السابق، ص 298-299.

2. الإرادة، ع 848، 30 جانفي 1951.

3. محمد سعيد عقيب، المرجع السابق، ص 300-302.

4. Louis Périllier, La conquête de l'indépendance tunisienne, Edition Robert Laffot, Paris, 1979, p112.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

أستنتجان تسارع الأحداث وما أصبحت عليه الأوضاع اكدت أن مواقف الحزب الدستوري القديم خلال المرحلة السابقة، فيه جانب كبير من الصواب، فقراره الرفض للمشاركة في الحكومة التفاوضية التي لم تأتي بنتيجة تذكر، نابع من تأكده من أن سلطات الحماية الفرنسية ستواصل فرض سياستها الاستعمارية القائمة على السيادة المزدوجة، لكن مواقف التونسيين واصلوا إصرارهم في الماضي قدما في سبيل استرجاع سيادتهم، عن طريق جميع الوسائل إما عن المفاوضات والقبول بالحالمؤقتة او اللجوء إلى الكفاح المسلح.

ثالثا: نضال الاتحاد التونسي للشغل وعلاقته بالحزب الدستوري الحر التونسي الجديد:

كانت النقابات في تونس ما بين سنتي (1938 – 1944) يمثلها اتحاد النقابات المنضوية مباشرة تحت الكونفدرالية العامة للشغل التي جمعت النقابات المحلية ، و مع مطلع سنة 1944 انعقد مؤتمر الاتحاد الإقليمي للكونفدرالية العامة للشغل ما بين (18-19 مارس 1944) ، انهزمت خلاله الهيئة الإدارية للاتحاد بقيادة (ألبار بوزنكي) و (وبارت بجاوي) بعد انتخابات تجديد أعضائها¹ ، أما فرحات حشاد نائب نقابات أعوان الشركة التونسية للنقل بالسيارات بالساحل (سوسة ، صفاقس) ، لم يتمكن من الحصول على الأصوات لضمان انتخابه في الهيئة الإدارية ، فاستقال من نيابة الاتحاد بصفاقس و شن حملة ضد الكونفدرالية العامة للشغل والشخصيات المنتخبة أمثال بروبان (Poropane) و ميمون و بلعيش أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التونسي² . فجمع فرحات حشاد التونسيين المنشقين من الكونفدرالية العامل للشغل تحت راية النقابات التونسية المستقلة، وعمل على جمع مختلف النقابات التونسية الناشطة في الجنوب التي قدرت بعد ثلاثة أشهر ب 22 نقابة قدر عدد منخرطيها ب 3000 ، وبعد جهود حثيثة بعث اتحاد النقابات المستقلة بالشمال في تونس بتاريخ 6 ماي 1945 ، وتشكلت الهيئة الإدارية المنتخبة³ .

1- تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل:

ركزت النقابات المستقلة نشاطها الدعائي في البداية على ضرورة فصل العمل النقابي على العمل السياسي، و الاهتمام على تحسين الظروف المادية للعمال التونسيين ، فكان لذلك تأثير على العمال التونسيين فواصل العمال التونسيون تأسيس النقابات المستقلة التي انضمت إلى اتحاد النقابات المستقلة بشمال و جنوب تونس وهو ما ذكرناه سابقا ، بعدها اتجهت جهود النقابات المستقلة نحو تأسيس منظمة نقابية مركزية تجمع النقابات المستقلة بتونس ،

1. محمد لطفي الشايبي، المرجع السابق، ص 140-141

2. المرجع نفسه، ص 142.

3. الأمين اليوسفي، المرجع السابق، ص 52.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

فتواصل مع الجامعة العامة للموظفين التونسيين¹ بتاريخ 11 أفريل 1945 من أجل توثيق التعاون بين المنظمتين النقابيتين والسير نحو توحيد القوى العمالية التونسية².

أدت جهود التواصل بين النقابات المستقلة وبدعم من الفاضل بن عاشور إلى عقد مؤتمر يوم 20 جانفي 1946 ضم ما يقرب من خمسين نقابة مستقلة بالخلدونية جمع ممثلين عن النقابات المنضوية تحت لواء اتحاد النقابات المستقلة بالجنوب والشمال والجامعة العامة للموظفين التونسيين وبإشراف من الشيخ الفاضل بن عاشور، انبثق عن المؤتمر الاتحاد العام التونسي للشغل³ الذي تديره هيئة مسيرة مقرها نهج سيدي عزوز منتخبة من طرف المؤتمر تتكون من:

- رئيس شرقي مدى الحياة: الفاضل بن عاشور ممثل عن نقابة مدرسي جامع الزيتونة.
- كاتب عام مدى الحياة: فرحات حشاد.⁴
- الكاتب العام المساعد الأول: كيلاني شريف.
- الكاتب العام المساعد الثاني: الصبحي فرحات.
- أمين المال: البشير بلاغة.

1. عقدت جامعة الموظفين التونسيين مؤتمرها الأول بعد الحرب العالمية الثانية الخلدونية في أفريل 1945 وانتخبت هيئتها الإداري الجديدة التي تتولى كتابتها العامة الصادق الشايبي رفقة عبد الوهاب الكرارطي، عمر الرياحي، الصبحي فرحات، اسماعين بن الشريف، أمين القروي، حبيب المكي، محمود الخياري، التي صادقت على قرار بفصل الجامعة عن الاتحاد الإقليمي الكونفيدرالية العامة للشغل. ينظر: الأمين اليوسفي، المرجع السابق، ص 51.

2. المرجع نفسه، ص 53.

3. حسب ما ذكر الكيلاني شريف أن فكرة اتحاد نقابي يضم النقابات المستقلة التونسية اقترحها فرحات حشاد وطرح تسمية الاتحاد التونسي للعمل في جلسة بتاريخ 19 ديسمبر 1945 والغاية أن يكون أكثر انفتاحا ويوحد النضال النقابي في كامل البلاد. للمزيد من التفاصيل ينظر: عبد المجيد بلهادي، فرحات حشاد نضال ومواقف نضالية (1945-1952) من خلال مجموعة نادرة من الوثائق، ط1، منشورات المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، منوبة، 2013، ص 21.

4. ولد فرحات حشاد في 2 فيفري 1914 بقرية العباسية بجزر قرقنة و بعد أن تحصل على الشهادة الابتدائية انقطع عن التعليم ليشغل كعون في شركة النقل بالساحل أين بدا نشاطه النقابي وأصبح الكاتب العام لنقابة أعوان الشركة المنضوية تحت الكونفيدرالية التونسية للشغل، ثم أصبح فيما بعد عضوا في الهيئة الإدارية سنة 1938، و اثناء الحرب ساهم في تنظيم هياكل بجهة صفاقس و أصبح الكاتب العام لفرعها، وانفصل عن الكونفيدرالية التونسية للشغل وكون نقابات مستقلة في الشمال والجنوب التونسي. أسس في سنة 1946 الإتحاد العام التونسي للشغل، اغتيل في 5 ديسمبر 1952 من طرف عصابة اليد الحمراء بالضاحية الجنوبية للعاصمة تونس. للمزيد من التفاصيل ينظر: الأميناليوسفي، المرجع السابق، ص 52.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

- الأرشيف: عبد الوهاب دخيل.

- الأعضاء: الشيخ محمد بن طاهر (التعليم الزيتوني)، الصادق الشايبي (رئيس جامعة الموظفين التونسيين)، الشيخ التوهامي عمار، عبد العزيز الهاشمي بلقاضي (كاتب عام النقابات المستقلة في الشمال)، النوري بودالي (الصحة عضو النقابات المستقلة في الشمال)، سالم الشفي (الديوانة عضو النقابات المستقلة في الشمال)، محمد حمادي الجلولي (النسيج عضو النقابات المستقلة في الشمال)، عبد المجيد بن عمر (الفلاحة)، محمد صالح النيفر (التعليم الزيتوني)، ممد الحلواني (البلدية عضو النقابات المستقلة في الجنوب)، الطاهر الشعبوني (التعليم صفاقس).

ما يعاب عن النقابات المستقلة في تونس خلال عقد المؤتمر عدم امتلاكها لصحيفة ناطقة باسمها، مما جعل كل من جريدة الزهراء والنهضة اللتين أوقفت عن الصدور منذ أوت 1946، تواكبان نشاط النقابات المستقلة التونسية قبل المؤتمر وبعد تأسيس الاتحاد التونسي العام للشغل¹.

الملاحظ من خلال ما ذكرته حول تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل، ضمه لمختلف التنظيمات النقابية الناشطة في تونس، ولم ينظر لأي خلفيات سياسية أو انتمائهم النقابي السابق، وكان للزعماء الدينيين الزيتونيين دور بارز في استقطاب العديد من النقابات، فكانت تنقلاتهم تستقطب العمال التونسيين وحضورهم المؤتمر وتسليم تسيير الجلسات للفاضل بن عاشور دليل على اقتناع فرحات حشاد بالدور الفعال للعامل الديني والأفكار القومية العربية والوطنية التي ينادي بها الزيتونيون.

2- موقف الاتحاد العام التونسي للشغل من الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للتونسيين:

مع مطلع سنة 1947 ازداد الوضع الاجتماعي للتونسيين تدهورا نتيجة الارتفاع المتزايد لأسعار السلع والبضائع، فدفعت الظروف الحالية الاتحاد العام التونسي للشغل لعقد اجتماع في بداية جوان تقرر فيه رفع وثيقة للجنة المركزية للأجور ورد فيها مجموعة من المطالب باختصار:

- 6000 فرنك كأجر أدني شهري في كامل البلاد وفي كل فروع الصناعات والتجارية.
- الرفع من نسبة المخصصات العائلية بمقدار 12 بالمائة.

1. الأمين اليوسفي، المرجع السابق، ص 53.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

وقد أخذت الوثيقة بعين الاعتبار معطيات سابقة، فالأجور تضاعفت منذ سنة 1939، 7 مرات بينما أسعار المعيشة تضاعفت 15 مرة¹.

جاء رد سلطات الحماية الفرنسية رفضا لما جاء في الوثيقة، فقرر الاتحاد الدخول في إضراب عام لا محدود بداية من يوم الإثنين 4 أوت 1947، واتخذت منطقة صفاقس مركزا لبداية الإضراب تحت قيادة الحبيب عاشور، وقدر عدد المشاركين في اليوم الأول ما بين 7 و8 آلاف عاملا، فتوقفت سكة صفاقس وقفصة ومحطات القطارات، ورغم نجاح الإضراب لتحوله الى المواجهة العنيفة صبيحة 5 أوت 1947 استعملت فيها مختلف القوات من الشرطة والجندرية وعسكر المخزن، سقط خلال تلك الصبيحة 29 شهيدا و50 جريحا وتوسعت عملية الاعتقالات الجماعية².

لكن ردود سلطات الحماية العنيفة التي تعرض لها الاتحاد العام التونسي للشغل لم تمنعه من مواصلة النضال، والمحافظة على وجوده بمؤازرة من الأمين باي³، فاستخلص الدروس من الأحداث السابقة وعمل فيما بعد على تجنب المواجهة الانفرادية مع سلطات الحماية وتوسيع تحركاته. فعقد مع الاتحاد النقابي مع خريف 1948 اتفاقا من اجل العمل المشترك للرفع من الأجور وتحقيق بعض المطالب الآخر، فعرفت تونس في هذه الفترة موجة من الإضرابات (موانئ بنزرت، العاصمة، صفاقس، مناجم المضيلة والمتلوى والقلعة الجرداء، مخازن الحبوب والمطاحن بتونس...).

و بسبب السياسة المنتهجة من طرف سلطات الحماية من خلال تلبيتها لجزء من مطالب العمال فرفعت الأجر فقد بنسبه 25 بالمائة ، دفع حركة الإضرابات للمواصلة و ازدادت حدتها مع منتصف 1949 ، ففي 18 فيفري 1949 دخل عمال المناجم في كل من قفصة و صفاقس في إضراب دام 15 يوما ، استجابت بعده شركات المناجم لجزء من المطالب ، تلتها إضرابات لعمال القطاع الفلاحي بداية من نوفمبر 1949 في حقول المستوطنين نتج عنها صدامات مع قوات الجندرية ، لكن ذلك لم يردع المضربين ففي 26 أكتوبر 1950 دخل الفلاحون في إضراب لمدة شهر ، تدعى بإعلان الاتحاد العام التونسي للشغل على الإضراب العام ، دفع ذلك الحكومة للزيادة في الأجر ب17 بالمائة⁴.

1. سعيد المستيري، المرجع السابق، ص 293.

2. الأمين اليوسفي، المرجع السابق، ص 58.

3. عملت المركزية النقابية ممثلو في لوي سايان أمين الفدرالية النقابية العالمية على حل الاتحاد العام التونسي للشغل، لكن الأمين باي عارض فكرة التوقيع على الحل، وسيستقبل اللجنة الإدارية للاتحاد العام ويؤكد لهم حمايته ويرسل الأمير شادلي ليقدم 100 ألف فرنك لعائلات الضحايا. للمزيد من التفاصيل ينظر: سعيد المستيري، المرجع السابق، ص 294.

4. الأمين اليوسفي، المرجع السابق، ص 59-58.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

نستنتج من خلال ما ذكرت سابقا أن الاتحاد العام التونسي للشغل استطاع من خلال تجربته التي مر بها خلال أحداث 5 أوت 1947 ، أن يفهم طريقة التعامل مع سلطات الحماية الفرنسية ، وأعتبر الاتحاد مع الاتحاد النقابي لعمالة القطر التونسي وسيلة نضالية من اجل تحسين أوضاع التونسيين المادية رغم حدة القمع ، فحققت الإضرابات العمالية عدة مكاسب من خلال الزيادات المتتالية في الأجور ، لكن هذا النضال النقابي وقع تحت نظام احتلال مموه بمصالح لحماية ، فدفعه ذلك للموازنة بين النضال الاجتماعي و السياسي ، وربط علاقات مع مختلف التيارات الناشطة على الساحة الوطنية التونسية .

3- علاقة الاتحاد العام التونسي للشغل بالأحزاب السياسية التونسية:

أعلن النقابيون التونسيون بعد انسحابهم من الكونفدرالية التونسية للشغل أنهم يريدون فصل العمل النقابي عن العمل السياسي، واقتصرت لوائح المؤتمر التأسيسي للاتحاد على المطالب المادية كالزيادة في الأجور والضغط على الأسعار، فلم تحتوي على مطلب سياسي، ولم يكن ذلك إلى تكتيكا استعمله الاتحاد لإبعاد الأنظار ريثما يقوم بتثبيت قواعده وهياكله¹. لكن الاتحاد سرعان ما انخرط في العمل السياسي و أظهر دوره في الميدان مع تصاعد الصراع مع سلطات الحماية، وتجلى ذلك من خلال القرارات التي أصدرتها المؤتمرات التي عقدها لاحقا أو مختلف الأعمال السياسية التي جاءت كردة فعل ضد السياسة الفرنسية ، إذ احتوت لائحة المؤتمر الثاني للاتحاد (19-21) ديسمبر 1947 على التأكيد على رفع الحصار الذي كان مفروضا على البلاد والغاء الحكم العسكري في الجنوب التونسي²، وعبروا في رسالة للجامعة النقابية العالمية عن تضامنهم مع الطبقة العاملة في العالم وطالبت بالتصدي للإمبريالية والاستغلال الرأسمالي .

أما المؤتمر الثالث المنعقد ما بين 15 – 17 أفريل 1949، فقد طالب بتعويض المجلس الكبير بمجلس وطني منتخب مسؤول أمام الشعب التونسي وحكومة تتمتع بصلاحيات ودعا للتصدي للقوى الرجعية التي تهدد السلم العالمي. اما المؤتمر الرابع المنعقد بين (29 – 31) مارس 1951 فخرج ببرنامج اقتصادي واجتماعي وسياسي متكامل للخروج بالبلاد من الأزمات المتتالية التي عرفتھا، ركز برنامج المؤتمر على التخلص من الحماية الفرنسية وإقامة سلطة وطنية تونسية³.

1. الأمين اليوسفي، المرجع السابق، ص 63.

2. عبد المجيد بلهادي، المرجع السابق، ص 41.

3. الأمين اليوسفي، المرجع السابق، ص 64.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

الملاحظ من المؤتمر الثاني والثالث والرابع للاتحاد العام التونسي للشغل أن التوجه الوطني كان ظاهرا، فالبرامج التي خرج بها الاتحاد تشير إلى رغبته في التوجه نحو النضال السياسي، فعلاقته بالأحزاب والتيارات التونسية كانت تختلف، فالحزب الدستوري الجديد كانت علاقته متينة في كثير من الفترات لهدف واحد هو مقاومة الهيمنة الاستعمارية لتحقيق الاستقلال، واستندت على مجموعة من العوامل منها التقارب الاجتماعي بين المناضلين وتجانس المواقف الإيديولوجية والسياسية، وترجم التحالف بين الاتحاد و الحزب بظهور تنسيق بينهما لمجابهة سلطات الحماية الفرنسية¹.

اما عن علاقته بالتيارات السياسية الأخرى فإنها لم تكن بنفس صلابة التي كانت مع الدستوري الجديد، فقد كان النقابيون محترزون من الزيتونيين والدستوري القديم بسبب انتمائهما إلى البرجوازية التقليدية، فيما تميزت العلاقة مع الحزب الشيوعي التونسي بالحيطة لتخلي هذا الأخير في فترة من الفترات عن مطلب الاستقلال الوطني، وكون الاتحاد كان يعول على مساندة القوى التحررية في الغرب خاصة الولايات المتحدة الأمريكية².

إن طبيعة العلاقات التي ربطت الاتحاد العام التونسي للشغل لم تمنعه من المشاركة مع التيارات السياسية ، فقد تحالف فرحات حشاد مع الدستوريين و بقية مكونات الحركة الوطنية التونسية من أجل عقد مؤتمر ليلة القدر 23 أوت 1946 ، و بعد مدهامة المؤتمر و اعتقال القيادات الحاضرة بادر فرحات حشاد حسب شهادة صلاح الدين تلاتي إلى الدعوة إلى الاضراب يوم 30 أوت 1946 ردا على قمع الحريات، وذكر الأستاذ بشير العربي أن فرحات حشاد حضر اجتماع رابطة الدفاع عن حقوق الإنسان و المواطن رفقة السيد الفريحي بن الحاج عمار عن الديوان السياسي للدستوري الجديد³.

شارك الاتحاد في تكوين اللجنة التونسية للدفاع عن السلم إلى جانب الحزب الشيوعي التونسي والحزب الدستوري الجديد في جانفي 1949، وفي 10 مارس 1951 نظم رفقة الدستوري الجديد إضرابا تضامنا مع الشعب المغربي جراء السياسة القمعية للاستعمار الفرنسي، وكون رفقة الدستوري الجديد واتحاد الصناعة والتجارة واتحاد المزارعين التونسيين لجنة العمل من اجل الضمانات الديمقراطية والتمثيل الشعبي 12 ماي 1951، سعيا لتأسيس مجلس نيابي تونسي منتخب⁴.

1. الأمين اليوسفي، المرجع السابق، ص 62

2. للمزيد من التفاصيل ينظر: خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 137: الأمين اليوسفي، المرجع السابق، ص 63.

3. محمد لطفي الشايبي، المرجع السابق، ص 150-151.

4. الأمين اليوسفي، المرجع السابق، ص 65

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

أمام تواصل سياسة سلطات الحماية نظم الاتحاد إضرابا أيام (21-22-23) ديسمبر 1951 ضم مختلف النقابات التونسية والدستوري الجديد والشيوعي التونسي احتجاجا على المذكرة التي بعثت بها الحكومة في 15 ديسمبر 1951 رفضت خلالها الاعتراف بحقوق الشعب التونسي واصرارها على السيادة المزدوجة¹.

ومع قيام العمل المسلح بداية 1952 رفع الاتحاد من مطالبه النقابية التي تحولت لنضال سياسي فتعددت الإضرابات منها اضراب 15 فيفري 1952 احتجاجا على القمع الدموي وضراب أبريل 1952 بعد حل حكومة شنيق، فتعرض العديد من النقابيين للاعتقال او الطرد من العمل، كما ساهم العمال في العمل المسلح الذي شارك فيه العديد من القادة النقابيين منهم احمد تليلي والحبيب عاشور. فشكّل النضال المتصاعد على الساحة التونسية خطرا على سلطات الحماية الفرنسية، خاصة بعد اعتقال قادة الدستور الجديد وأصبح فرحات حشاد يتزعم المقاومة الوطنية، دفع ذلك السلطة الفرنسية للعمل على القضاء عليه، ونفذت عملية الاغتيال بواسطة منظمة اليد الحمراء يوم 5 ديسمبر 1952، رغم ذلك واصل الاتحاد نضاله، فما بين (1953-1954) عرفت حركة الإضرابات والمقاومة تصاعدا كبيرا، مما اضطر السلطات الفرنسية إلى التفاوض من اجل الاستقلال الداخلي².

رابعا: نشاط الحزب الدستوري الجديد داخل تونس وخارجها:

ظهر الحزب الدستوري الجديد بعد الحرب العالمية ضعيفا ومنهكا وملاحقا جراء ما لحق به بعد أحداث 9 أبريل 1938، فلم يستطع زعيمه الحبيب بورقيبة التأقلم مع الوضع الجديد، فمن جهة دعا الإقامة العامة إلى ضرورة إرساء سياسة تعاون، متفهما رفض سلطات الحماية القيام بإصلاحات عميقة في البلاد، ومن جهة أخرى عمل على التنسيق مع القوى الوطنية من خلال لجنة الدراسات التي تكونت في سبتمبر 1944، وسينتج عنها تأسيس الجبهة الوطنية التونسية في فيفري 1945³.

عموما سيكون لتأثير الحرب العالمية الثانية على العالم عامة والمغرب العربي بشكل خاص، من خلال إقرار حق الشعوب في تقرير مصيرها في مؤتمر سان فرانسيسكو في جوان 1945، بسبب تراجع القوى الاستعمارية التقليدية وظهور قوى عالمية جديدة كالاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة للأمريكية، إضافة لتكتل الدول العربية المستقلة في جامعة

1. أرسلت وزير الخارجية الفرنسي إلى الوزير الأكبر مذكرة تؤكد رفض فرنسا الاعتراف بحقوق الشعب التونسي وإصرارها على تكريس السياسة المزدوجة بين التونسيين والفرنسيين، ردا على مذكرته التي أرسلها بتاريخ 31 أكتوبر 1951 للمزيد من التفاصيل ينظر: خالد عبيد وآخرون، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية ... المرجع السابق، ص 152.

2. عميرة علية الصغير وآخرون، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية، ص 155-167.

3. خالد عبيد وآخرون، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية ...، المرجع السابق، ص 131.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

الدول العربية مارس 1945، دور في بزوغ أمل عند القوى الوطنية التونسية خاصة الحزب الدستوري الجديد، وذلك من خلال التوجه نحو تبني القضية الوطنية دوليا، فتوجه الحبيب بورقيبة للهجرة نحو المشرق العربي، تجسيدا لاستراتيجيته القائمة على حشد التأييد العربي للقضية التونسية، وقد نتج عن هذا التوجه خلاف داخل الحزب في وجهات النظر و تقييم المرحلة¹.

1- نشاط الحبيب بورقيبة في الخارج:

إن تعرض الحبيب بورقيبة لمضايقات من طرف شرطة الحماية الفرنسية دفعه للهجرة نحو القاهرة وهو ما أشرنا له سابقا، وتعزز موقفه هناك إثر لجوء الحبيب ثامر والطيب سليم والرشيدي ادريس والمجموعة التي كانت في اسبانيا إلى مصر في جوان 1945، و ستقوم هذه العناصر بنشاط وطني مكثف ، من خلال إقامة استراتيجية تقوم على الدعاية للقضية التونسية في مختلف الأوساط بالمشرق ، و تأسيس مكتب للحزب الدستوري التونسي الجديد بالقاهرة في أوت 1946 و إصدار نشرية للمكتب أخذت على عاتقها التعريف بالقضية التونسية و فضح ممارسات سلطات الفرنسيين، كما انضم بورقيبة إلى مكتب المغرب العربي ثم إلى لجنة تحرير المغرب العربي في 5 جانفي 1948 للعمل على توحيد النضال المغاربي². ارتكز تنفيذ هذه الاستراتيجية على تنسيق العمل بين الداخل والخارج، وقام الاتفاق بين الحبيب بورقيبة وقادة حزبه في الداخل قبل انتقاله لمصر في الضغط على سلطات الحماية الفرنسية في الداخل وتبليغه بما يجري هناك، حتى يقوم باستغلال الأحداث دعائيا في مصر كمثل ما وقع في زمردين الواقعة قرب الساحل في جوان 1946 التي تعرضت لأعمال انتقامية من طرف جيش الاحتلال الفرنسي³.

لكن الوضع الغير مريح الذي ميز تواجد بورقيبة بالقاهرة لأسباب متعددة مرتبطة بشخصيته وسلوكه واخلاقه ومنها ما هو موضوعي له علاقة بمسار الحركة الوطنية التونسية ، فقد عمل صالح بن يوسف سنة 1947 على ابعاد الشيخين الفاضل بن عاشور و الشادلي بن القاضي من الديوان السياسي بعدم استدعائهما لحضور الاجتماعات المغلقة للمكتب السياسي تمهيدا لطردهما ، إلا أن بورقيبة كان على اتصال بهما ، و جدد اتصاله ببعض رموز الحزب الإصلاحية مثل حسن قلاتي و الشادلي القسطلبي و اصبح هؤلاء يتكلمون باسمه كلما ظهر

1. خالد عبيد وآخرون، المرجع السابق، ص 133.

2. المرجع نفسه، ص 133.

3. المرجع نفسه، ص 135.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

خلاف بينه وبين صالح بين يوسف و المنجي سليم و قيادة الحزب بالداخل ،¹ حيث يذكر سليمان بن سليمان في مذكراته أنا أسباب رحلته باسم الديوان السياسي إلى القاهرة تتلخص فيما يلي :

أ. التعويض عن فشل سفره لمصر سنة 1947.

ب. عدم الرضى عن الخط المعتدل الذي سلكه المكتب السياسي في تونس ومحاولة الضغط عليه بالاتصال بلجنة تحرير المغرب العربي.²

ج. الاتصال بالدستوريين المتواجدين هناك مثل: الحبيب بورقيبة والحبيب ثامر.

د. إيصال إعانة مالية طلبها الدستوريون بالقاهرة.³

وقد علق (Roger Casemajor) أن سفر سليمان بن سليمان للقاهرة هدفه اصلاح الخلاف بين دستوريين في الداخل.⁴ ويضيف بن سليمان أنه خلال إقامته بالقاهرة تلقى تقريراً من جلولي فارس من باريس، الذي كتبه محمد الميلي الذي قام بزيارة لتونس حملهم فيها تردي الأوضاع السياسية في تونس.⁵ كما يذكر عز الدين عزوز توجيهين عند الدستوريين الموجودين بالقاهرة، توجع مغاربي، عربي ثوري يمثله الحبيب ثامر ويوسف الرويسي وحسين التريكي وتوجه معتدل إقليمي وسياسيا يمثله بورقيبة و المنجي سليم، ويضيف عزوز أنه توجهه متطابق مع الأول لأن بورقيبة لم يكن محل ثقة بعض الدستوريين، لعدم انضباطه و صلاته بالأوساط الاستعمارية الفرنسية من وراء ظهور زملائه، بالإضافة لحبه الظهور والتعالي ، إذ لا يترك أي فرصة تمر دون أن يظهر لجانب الشخصيات المعروفة، وفي هذا الصدد صرح الحبيب ثامر لعزوز اغتنامه غياب الحبيب بورقيبة عن القاهرة لتنظيم مؤتمر المغرب العربي، وهو دليل على تخوفه الحبيب ثامر⁶ من بورقيبة وردود فعله الغير متوقعة.⁷

1 الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 85-86.

2. Slimane Ben Slimane, op-cit, p. 251.

3. Ibid, p. 251.

4. Roger Casemajor, op-cit, p. 329.

5. Slimane Ben Slimane, op.cit, p.251

6. لقد اسر الحبيب ثامر لبين سليمان استغلاله فرصة تواجد التونسيين بالقاهرة لتدريبهم على استعمال الراديو و (T.S.F) قصد استعمالهما من طرف قيادة الثورة، وأخفى ذلك عن بورقيبة لمعرفة له بعدم كتمانها للسسر: ينظر:

Slimane Ben Slimane, op.cit, p. 257.

7. محمد المختار ناصري، الحركة الوطنية التونسية بين البورقيبية واليوسفية (1934-1961)، شهادة الدراسات المعمقة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 1990-1991، ص 29.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

أما بخصوص تعاون بورقيبة مع الفرنسيين خفية فهناك أكثر من دليل، حيث كتب الباحث التونسي محمد المختار ناصري أن جون رون (Jean Rons) في كتابه الحبيب بورقيبة، أن بورقيبة أثناء إقامته بالقاهرة كانت له اتصالات بالفرنسيين، فقد دخل في علاقة مع القبطان صولي (Soulié) الكاتب الأول للسفارة الفرنسية، الذي سلمه مذكرة بتاريخ 24 نوفمبر 1946 أوصلها للسفارة الفرنسية، ومهم كانت التبريرات التي قدمها بورقيبة وأنصاره فإنها لم تكون مقبولة وسط البعثة التونسية بالقاهرة¹.

ويروي بن سليمان حادثتين حول تعامل بورقيبة مع الفرنسيين، الأولى تتمثل في قدوم امرأة فرنسية طاعنة في السن إلى مكتب الحزب الدستوري الجديد بالقاهرة لتتحدث مع بورقيبة وترجع بتقرير عن المحادثات للسفارة الفرنسية بالقاهرة، وقد أشار بن سليمان إنكاره تواجد بورقيبة رغم تواجده بالمكتب، والحادثة الثانية وقعت بالساحة الكبرى بالقاهرة، فقد صافح بورقيبة أحد المصريين العملاء لفرنسا في حين امتنع بن سليمان عن ذلك. أما بخصوص سلوك وأخلاق بورقيبة² فإنها حسب رواية زملائه لم تكن جيدة، فقد كان بورقيبة يهين بعض زملائه ويصيح في وجههم مثلما فعل مع الرشيد إدريس بحضور بن سليمان ، وضرب أمامه على الطاولة إلى حد تكسير الزجاج ، ووقعت بين بن سليمان و بورقيبة مشادات بسبب محاولة تمرير كلامه في غياب الحبيب ثامر و يوسف الرويسي ، فعند زيارة صالح بن يوسف للقاهرة في 8 مارس 1948 وجد علاقة التونسيين مع بعضهم متوترة واشتكى بورقيبة من الاعتداءات المتكررة على شخصه ، إضافة لعدم التزام جماعة الحبيب ثامر بمواقفه، فحاول صالح بن يوسف تهدئة الوضع قدر الإمكان³.

نستنتج من خلال ما ذكرنا من شهادات حول نشاط الدستوري الجديد في القاهرة، ان التناسق بين الناشطين كان غائبا مما أدخل الطرفين من أتباع بورقيبة وأتباع الحبيب ثامر في صراع حول بوصلتهم عن الهدف الأساسي، ودخلوا في صراعات شخصية توزعت بين اختلاف الأفكار والرغبة في السيطرة والزعامة، فمن جهة ركز الحبيب ثامر وأنصاره على تدعيم الخط العربي، ذهب الحبيب بورقيبة إلى اللعب على وترين التعامل مع المشرق والتواصل سرا مع السفارة الفرنسية في القاهرة.

1. محمد المختار ناصري، المرجع السابق، ص 31.

2. كان الحبيب بورقيبة يسكن مع الحبيب ثامر في شقة مع عائلة حسين التريكي، وقع شجار بينه وبين زوجة هذا الأخير سببها رفضها تقديم القهوة له ولخليلته في غرفة نومه، فكام بورقيبة بطرد عائلة التريكي، لذلك قرر التونسيون المتواجدون هناك طرده من مكتب المغرب العربي بطلب من الحبيب ثامر. ينظر: Slimane Ben Slimane, op-cit, pp 243-244.

3. محمد المختار ناصري، المرجع السابق، ص 30.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

رغم ما وقع من خلال بين مناضلي الحزب الدستوري الجديد بالخارج ، فقد قاموا بعدة جولات حول مختلف العواصم العالمية للتعريف بالقضية التونسية، وركز بورقيبة في تواصله على طرح الحلول السلمية بدل القوة، لأن قناعاته قامت على أن جيش فرنسا قوى ولا قدرة للتونسيين على منازلته، وما يهمني هنا الجولات الدعائية لبورقيبة، ركز خلالها في البداية على البلدان العربية بدأها بعمان ثم توجه لسوريا و لبنان و السعودية و الأردن، تلقى خلال جولته النصح و التوجيه قبل أن يعود لمصر أين تواصل مع سفراء كل من الولايات المتحدة الأمريكية والعراق¹.

وفي 2 ديسمبر 1946 توجه بورقيبة نحو جنيف ثم إلى الولايات المتحدة الأمريكية، التي بقي بها إلى غاية 1 فيفري 1947، عرف خلالها نشاطا مكثفا حيث يقول بورقيبة: "وصلت إلى نيويورك في شهر ديسمبر ولم أكن أتكلم الإنجليزية، ومن حسن الحظ وجدت صلاح الدين بن عثمان في انتظاري... أشعري أن السفراء العرب يتأهبون لعقد اجتماع فبادرت بتحسين مظهري واتجهت إلى مكان الاجتماع حيث اخذت الكلمة ... عند حلول شهر جانفي سافرت إلى واشنطن حيث قابلت أحد أصدقائي سيسيل حوراني"².

أثناء تواجد بورقيبة بالولايات المتحدة الأمريكية التقى بورقيبة ب كاتب الدولة الأمريكي المساعد للشؤون الخارجية ديان أشيخون (Dean Acheson) يوم 15 جانفي 1947 بمناسبة المائدة التي أقامها ممثلو الدول العربية لدى الأمم المتحدة تكريما للملك فيصل وزير خارجية المملكة العربية السعودية وبلويس هندرسون (Lois Henderson) رئيس القسم الأمريكي لشمال إفريقيا و الشرق الأوسط ، وفي نفس اليوم نشرت له جريدة (Arab North Bulletin) مقالا بين فيه الوضع القانوني للشمال الإفريقي وعلاقته بفرنسا³ ، وألقى عدة محاضرات حول الوضع في تونس ، ففي 12 ديسمبر 1946 بفندق والدورف استوريا تعرف بعدة شخصيات تونسية و ألقى فيه بيانا عن الحالة في تونس ، وبتاريخ 22 جانفي 1947 ألقى محاضرة عن قضية شمال إفريقيا بالنادي الشرقي لواشنطن⁴.

الملاحظ من خلال ما تطرقنا له حول زيارة بورقيبة لأمريكا أنه رغم إدراكه لتعاظم القوة الأمريكية في العالم، فإنه كان متيقنا أن أقصى ما يمكن أن تقدمه أمريكا للقضية التونسية هو الضغط على فرنسا لإرغامها على التفاوض مع التونسيين، وهو ما كان يريد بورقيبة الوصول

1. الحبيب بورقيبة، حياتي آرائي جهادي، المصدر السابق، ص 166.

2. المصدر نفسه، ص 168-169.

3. سعيد المستيري، المرجع السابق، ص 278.

4. محمد المختار ناصري، المرجع السابق، ص 54.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

إليه، فسعى لإيصال صوت تونس بمختلف الوسائل المتاحة، رغم قلة المال الذي هو أساس الدعاية خاصة في العالم الغربي.

إن الزخم الذي تحصلت عليه القضية التونسية لدى عرب المشرق خلال النصف الثاني من سنة 1947 بفضل الدعاية التي ساهمت في عرضها على نطاق واسع، وظهر ذلك في التعاطف العربي جراء الجفاف الذي ضرب تونس سنة 1947 من خلال المساعدات التي أرسلتها كل من مصر وسوريا والتمثلة في باخرة محملة ب 300 طن من الحبوب (ماي 1947). لكن الدعم العربي تراجع على القضية التونسية لعدة عوامل، منها تعيين جون مونس مقيما عاما على تونس وسعيه لتخفيف الضغوط على الوطنيين التونسيين لإبعادهم عن الواجهة العربية، إضافة لظهور القضية الفلسطينية على مسرح الأحداث وانشغال عرب المشرق في التصدي للمنظمات الصهيونية لمنعها من تكوين دولة في فلسطين¹.

مع عودة بورقيبة لتونس كثف من نشاطه ، فعقد ندوة في باريس بحضور غي مولي (Guy Mollet) الكاتب العام للحزب الاشتراكي الفرنسي والسيد قورس وزير الشؤون الإسلامية وشخصيات فرنسية القي خلالها بورقيبة بيان عن العلاقات الفرنسية التونسية، و توجه للعديد من الدول الغربية بعد تعثر المفاوضات في عهد حكومة شنيق، فحضر أشغال الندوة العالمية السنوية للنقابات الحرة التي انعقدت في مدينة ميلان الإيطالية، بعدها توجه للندن في 17 جويلية 1951 وبقي هناك إلى غاية 3 أوت 1951 اقام خلالها عدم محاضرات منها مآدبة عشاء أقامها على شرفه مجلس اللوردات البريطاني وشخصيات إفريقية وممثلو الصحافة الإنجليزية في 18 جويلية 1951 التي صرح فيها بما يلي: "إن الوعي الوطني انتشر في كل طبقات الأمة التونسية، هذه الأمة المجتهدة في العمل بالطريقة الديمقراطية مساهمة منها في بناء صرح للإنسانية الفضلى"، كما ناشد الديمقراطيين و الأحرار في العالم ان يعينوا الشعب التونسي والشعوب المغلوبة على امرها حتى تتخلص من ربة الاستعمار والعبودية، بعدها توجه بورقيبة لإسبانيا وفي 5 نوفمبر 1951 توجه إلى تركيا سعيا لمزيد من التأييد من هذه الدول في المحافل الدولية².

2- سياسة الاحتواء اليوسفية في ظل الخلافات التونسية الفرنسية (1945-1949):

شكلت الفراغ السياسي الذي خلفه الحبيب بورقيبة فرصة لكل من صالح بن يوسف والمنجي سليم وعلي البلهواني للظهور على الساحة السياسية التونسية، وهنا بادر صالح بن

1. خالد عبيد وآخرون، المرجع السابق، ص 137.

2. محمد المختار ناصر، المرجع السابق، ص 55

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

يوسف إلى تبني استراتيجية للتحرك النضالي تعتمد على استقطاب الجماهير لخلق فراغ حول رموز سلطة الحماية الفرنسية خاصة الإقامة العامة، سعيا منه لإبراز دور الدستوري الجديد كحزب ممثل للتونسيين، وقد استثمرت هذه الاستراتيجية في أحداث 9 أفريل 1938 وجعلت منها درسا، فتجنبت المواجهة المباشرة مع سلطات الحماية الفرنسية¹.

عمد الحزب الدستوري الجديد من خلال صالح بن يوسف على بعث واستقطاب النقابات التي كانت ناشطة في تونس، كالاتحاد العام التونسي للشغل 20 جانفي 1946 ، الجامعة العامة للنقابات الفلاحية التونسية 1 جوان 1946، اتحاد نقابات الصناعاتية وصغار التجار بالقطر التونسي جانفي 1947، وشجعها على استقطاب كبار الحرفيين والتجار والعمال والموظفين إليها ، حتى يختلطوا مع العناصر الدستوريين ويكون لهم دور في النضال السياسي ، كما عمل على استمالة القوى الزيتونية الصاعدة من امثال: الشيخ الفاضل بن عاشور، الشادلي بلقاضي .و حاول التقرب من الباي الأمين الذي سعى للبحث عن شرعية لحكمه².

كما سيعمل الدستوري الجديد على ربط علاقات مع مختلف القوى السياسية الوطنية مثل الحزب الشيوعي التونسي³ الذي سيغير توجهه منذ أوت 1946، في تناغم مع التطورات التي عرفها العالم أو ما يسمى الحرب الباردة، لكن دون التخلي عن مشروع الاتحاد الفرنسي الذي رفضته مختلف القوى الوطنية التونسية، لأنها اعتبرته شكلا من أشكال الهيمنة الاستعمارية، ومثالا عن الذوبان في حضارة ترفضها هذه القوى⁴. وقد بلغ التنسيق ذروته أثناء الدعوة لمؤتمر ليلة القدر في 23 أوت 1946، ودعا صالح بن يوسف باسم الدستوري الجديد وصالح فرحات باسم الدستوري القديم شخصيات تمثل مختلف التيارات باستثناء الحزب الشيوعي، وتبنى المؤتمر قرارات تدعو للاستقلال وعودة المنصف باي ورفض مشروع الاتحاد الفرنسي.

1. خالد عبيد وآخرون، المرجع السابق، ص 130.

2. للمزيد من التفاصيل حول النشاط النقابي وعلاقته بالدستوري الجديد ينظر: الهادي التميمي، نقابة الأعراف التونسيين (1932-1955)، ط1، دار محمد علي الحامي، تونس، 1983، ص 161-184؛ الهادي التميمي، نقابة رجال الأعمال التونسيين (صراع طبقات أو صراع حوارات)، ط1، دار محمد علي الحامي، تونس، 2015، ص 72-132.

3. ظهرت استراتيجية التنسيق مع الحزب الشيوعي التونسي من خلال عدة أمثلة، ففي سنة 1949 أعلن عن تشكيل اللجنة التونسية للسلم والحرية واختير علي المهلواني رئيسا لها في جوان 1949، ما سينسق الحزب الدستوري التونسي والحزب الشيوعي التونسي، للمزيد من التفاصيل ينظر: خالد عبيد وآخرون، المرجع السابق، ص 132.

4. Mustapha Kraiem, Le Parti Communiste Tunisien pendant la période coloniale, Institut Supérieur d'histoire du Mouvement National, Tunis, 1997, p 283.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

الملاحظ أنه ما كان لهذا المشروع ليتجسد على أرض الواقع، في ظل اتساع الشرخ والتناقضات الموجودة بين التونسيين والفرنسيين الذين لا زالوا لم يدركوا متغيرات ما بعد الحرب، وتعالى الأصوات الداعية لحق الشعوب في تقرير مصيرها وظهور فئة من التونسيين فرضت عليها فرنسا أسلوب المقاومة السرية المسلحة¹.

لكن تبخر الخيار العربي في تدوين القضية الجزائرية وتغيير السياسة الفرنسية بعد تعيين المقيم العام جون مونس وإدراكه أن سياسة القوة لن تأتي بنتيجة تذكر، دفع الدستوري الجديد بقيادة صالح بن يوسف إلى الاستمرار في استراتيجيته في خلق الفراغ حول سلطة الحماية وتجنب التصعيد قدر الإمكان، إلى تصبح الظروف مواتية للمجاهمة. من هنا تتضح لنا أسباب الركود في نشاط الدستوري الجديد وعدم قدرته على العمل خارج القانون إلا أثناء عقد مؤتمر ليلة القدر، ورأى صالح بن يوسف ضرورة التخلي عن التحالف مع الدستوري القديم والزيتونيين لأن الوحدة لم تعد ضرورية مادامت لم تأتي بنتيجة ضمن ما كان يسميه بالدعم العربي الخارجي، وربط اتصالات سرية مع الإقامة العامة بتونس، وقبل مشاركة الدستوري الجديد في الوزارة التي أراد جون مونس تكوينها، فمثل هذا التوجه لا يستقيم مع ما جاء في مؤتمر ليلة القدر لأن إصلاحات مونس لم تلغي الهيمنة الفرنسية في جميع نواحي الحياة بتونس².

إن استمرار صالح بن يوسف في سياسة التهدئة خلق بين قياداته الحزب نزعة انفصالية، تزعمها مجموعة من الشباب مثل الشاذلي قلاله وبلحسن جراد ومحمود شرشور الذين يعيبون على الحزب بوجوازيته وبعده عن القاعدة وهددوا بعقد اجتماع باسم الحزب، مما أثار مخاوف القيادة و تم الاتفاق على عقد اجتماع بعد عودة صالح بن يوسف من القاهرة، أما سليمان بن سليمان فكان على خلاف مع جميع أعضاء الديوان السياسي للحزب، وقد وجه لقيادة الحزب عدة تهم منها السلوك السيء لصالح بن يوسف لتردده على الملاهي

1. أهم الحركات التي نشطت في العمل السري المقاوم على غاية 1947 وتميزت بخطاب وطني عنيف مجموعة الهلال الأسود ويشرف عليها مراد بوخريص وتجنند فيها أشخاص ذو توجه مختلف، مجموعة الكفاح وهي الواحة السرية لجمعة الكشاف المسلم التونسي ويقودها بالي المنجي. ينظر: خالد عبيد وآخرون. المرجع السابق، ص 133.

2. المرجع نفسه، ص 136-137.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

الليبية، ليستبعد تورط قيادات الحزب في التخلص من مجموعة(زرمدين)¹المقاومة التي قامت بعمليات ثورية ضد مقرات التابعة للإقامة العامة بتونس.

أما عن زيارة صالح بن يوسف للقاهرة، فقد قدم حوصلة لرفاقه الأعضاء في الديوان السياسي بعد عودته من القاهرة في 8 سبتمبر 1948، حيث أكد توقيعه لاتفاق مكون من نقطتين مع الحبيب بورقيبة: مواصلة تطبيقي للإصلاحات التي طبعت الديوان السياسي منذ سنة 1945، وفي نفس الوقت إحداث الشغب والتخريب وطرق ثورية أخرى، وهومنهج يألف بين خطين داخل الحزب، خط معتدل يركز على المسار السياسي للحزب وخط من طرف يميل إلى استعمال العنف².

عمل صالح بن يوسف على الانسجام مع التوجه الجديد للحزب، فكلف عمر بن حميدة من مجموعة بشير زرق العيون بالعمليات التخريبية لكنه رفض ذلك لعلاقته السيئة مع صالح بن يوسف، لذلك عقد مؤتمر دار سليم في 17 أكتوبر 1948³، الذي خرج بلائحة فيها دعوة إلى

1. وقع اعتقال مجموعة زرمدين في القطار بتونس العاصمة وهو في طريقهم الى ليبيا طريقهم من طرف الشرطة الفرنسية بتدبير من الطاهر بطيخ وهو أحد خطباء الحزب، وعلق كازماجور على عملية اغتيال الفلاقة في 11 أفريل 1947 بقوله: " أصيب الدستوريون الجدد بخيبة امل نتيجة اختفاء مجموعة الفلاقة التي روعت الساحل لمدة 4 سنواتوالذين ظهروا بمظهر الأبطال الوطنيين...". ينظر:

Roger Casemajor، op-cit, p.332

2. Slimane Ben Slimane, op-cit, p 32.

3. ان المؤتمر لم يأتي في ظروف عادية على المستوى الداخلي والخارجي، فقد تم الإعداد له تنظيميا بضبط قائمة المدعويين، فوقعت معارضة حضور شيخ روحه (صفاقص) لأنه كان مجهولا في نظر أعضاء المكتب السياسي، لكن بإلحاح من صالح بن يوسف تم قبوله وضبطت القائمة النهائية لأعضاء الدوان السياسي للحزب، مع تأكيد بن يوسف على ضرورة التزام الجميع بخيارات الحزب المطروحة، وذلك لوجود تخوف بعدم التزام بعض أعضاء الحزب على رأسهم سليمان بن سليمان. أثناء المؤتمر تدخل الناقمون على سياسة الحزب ونادوا بتشبيب الحزب لإعطائه دما جديدا وللتقرب من الطبقة الشعبية وعدم اقتصاره على البرجوازيين، ودعا سليمان بن سليمان على ضرورة انفتاح الحزب لعدم خلق قطيعة مع الطبقات الأخرى، أما عائلة البلهواني فدعي للمحافظة على نفس التشكيلة السابقة ضمانا للاستمرارية ووحدة القيادة وانسجامها، فإدخال عناصر جديد قد يؤدي لانفجار الحزب في حين نجد الحزب بحاجة على قيادة موحدة، وخلال المؤتمر وجهت تعليمات لي بن سليمان بالانضباط والى تعرض للطرد من الحزب وتؤكد ذلك على لسان الباهي الأدغم اثناء انعقاد أول اجتماع للمكتب السياسي الجديد. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Slimane Ben Slimane، op-cit, p 269.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

عدم التعاون مع حكومة الكعك التي لا تستمد نفوذها من الشعب بل من مجلس صوري (المجلس الكبير) وجدد المؤتمر الثقة بقيادته بما في ذلك قيادة الخارج¹.

رغم ما خرج به مؤتمر دار سليم من نتائج من قرارات تأكد على ضرورة التمسك بتوجهات الحزب والتأكيد على ما جاء في اللقاء بين الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف، فإن سياسة المهادنة وما خلقتة من جمود على الساحة السياسية الوطنية كانت هي الغالبة، فزادت الحملات الصحفية المنددة ضد سلوكيات قادة الحزب ماديا وأخلاقيا، وحتى سياسيا في تونس ومصر، مما ساهم في إرباك موقفه تجاه مؤيديه، ووصل إلى حد عجز الحزب عن جمع التبرعات خاصة الفترة ما بين نهاية 1948 وبداية 1949².

ستؤدي حالة الركود التي يدعوا لها قسم من أعضاء الحزب الدستوري الجديد إلى انتقاد علي لسياسة صالح بن يوسف التراجعية، وتوجه الجناح المعارض لسياسته إلى تأسيس حزب جديد أطلق عليه اسم (الاتحاد والترقي) أو (القوة الثالثة) أراد طرح نفسه بديلا عن الدستوري الجديد وقاد هذا التوجه المستشار البلدي شمس الدين العجمي والصيدلي نور الدين الزاوش رفقة نخبة تونسية أخرى، ولا يهيم إذا أطلقت إشاعات ضده حول ارتباطه بالإقامة العامة بتونس، لأن افتقاد الدستوري الجديد لمصداقيته بسبب سلوكيات قادته وممارساتهم، هو ما دفع بعض المناضلين الى استغلال الجمود داخل الحزب بين سنتي (1948-1949) ومعارضة القائمين عليه، وقد اقلقت هذه الحركة بحملاتها ضد الحزب القيادات الدستورية في الداخل والخارج³.

في ظل الركود السياسي الحاصل تميزت الساحة التونسية بزيادة الاحتقان الاجتماعي الذي أطره الاتحاد العام التونسي للشغل مثل إضراب عمال مناجم الجنوب الغربي لمدة 45 يوما في فيفري 1949 وعمال مناجم الشمال في مارس 1949، وإضراب الفلاحين بالضيعات لمدة 110 يوما في أكتوبر 1950⁴، فكان من الواضح أن فرحات حشاد أراد أن يتبنى المطالب الوطنية من خلال النضال الاجتماعي وتبين ذلك في المؤتمر الثالث للاتحاد في أفريل 1949 الذي دعا لتأسيس برلمان تونسي وتكوين وزارة تونسية.

1. محمد المختار ناصر، المرجع السابق، ص 33.

2. خالد عبيد وآخرون، المرجع السابق، ص 143.

3. المرجع نفسه، ص 142-143.

4. عبد المجيد بلهادي، المرجع السابق، ص 112-120.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

نستنتج من خلال تتبع مسار الحزب الدستوري الجديد في الداخل بعد الحرب العالمية الثانية أن سياسة صالح بن يوسف القائمة على المهادنة مع سلطات الحماية الفرنسية ، خلقت شقاقا داخل الحزب فبرز توجهين الأول مناصر لبن يوسف و الثاني معارض له تبناه مجموعة من المناضلين داخل الحزب يأمنون بضرورة التصعيد ضد الإقامة العامة بتونس للضغط عليها ، فولد أسلوب المهادنة احتقانا داخل الحزب و نقمة ضد سياسة صالح بن يوسف ، دفعت بعض المناضلين للانشقاق عن الحزب و تكوين حزب جديد ، فدفعت الأوضاع الداخلي المتردية بورقبيبة للعودة الى تونس 8 سبتمبر 1949، بعدما تواصله مع السفير الفرنسي بالقاهرة و تأكده من انه لا فائدة من دعم عربي محتمل للقضية التونسية في ظل وجود توجه العرب نحو دعم القضية الفلسطينية 1948¹.

3- عودة بورقبيبة لتونس وسياسة المهادنة مع فرنسا:

عاد الحبيب بورقبيبة لتونس يوم 8 سبتمبر 1949 على الساعة الرابعة والنصف مساء، واعتبرها أنصاره ضرورية لوضع صالح بن يوسف ومجموعته أمام الأمر الواقع، وكانت حجته للمصريين من أجل العودة لتونس، ان صالح بن يوسف والمنجي سليم قد خانا العهد، واخفى عنهم اتصاله بالسفارة الفرنسية بالقاهرة الذي أبدى استعداده للتفاوض معها، وقد سبق ان كتب لابنه رسالة في 12 ديسمبر 1948 عبر فيها عن رغبته في التعامل مع فرنسا من داخل الحكومة او خارجها، إذا كان لها استعداد للتعاون².

فقد جاء في مقال صدر قبل هذا التاريخ بجريدة الأهرام المصرية يوم 2 نوفمبر 1945 أكد فيه بورقبيبة عن العلاقة الوطيدة التي تربط شعوب شمال إفريقيا بالشرق الأوسط ودور دعم الجامعة العربية لقضايا شمال إفريقيا في إعادة نظر فرنسا في قراراتها، ومما جاء في المقال: " إن تصريحات التأييد للجامعة العربية قد قوت بعض الدوائر الفرنسية التقدمية التي ترى تأييد الجامعة العربية ووجوب التفاهم مع شمال إفريقيا على أساس تحقيق مطالبها الوطنية في الاستقلال والحرية وتقديم الظروف الجديدة التي تحتم على فرنسا أن تتجه هذا الاتجاه محافظة على سمعتها الأدبية في العالم العربي والإسلامي ...". من خلال ما ورد في المقال يتبين لنا أسلوب الحبيب بورقبيبة في الضغط على سلطات الحماية الفرنسية، فطلبه الدعم العربي من الجامعة العربية هي وسيلة فعالة لإرضاخ فرنسا للتفاوض، وأسلوب بورقبيبة في اللعب على

1. عبد المجيد بلهادي، المرجع السابق، 119-121.

2. الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 88

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

مختلف الجهات لتحقيق هدفه، وكان له ذلك من خلال محاولة الفرنسيين ممثلة في سفيرها بالقاهرة ابعاده عن الجناح العربي والدخول معه في مفاوضات¹.

وعجل لتيقنه بوجود رغبة لدى بعض قيادات حزبه في تونس وتحديدًا صالح بن يوسف وبدرجة اقل المنجي سليم للسيطرة على موقع القرار وتهميشه من خلال إطالة إقامته في مصر والدعوات المتكررة لعزله، والاعتقاد بأن تدويل القضية التونسية لم يحن بع، فعمل بعد رجوعه لتونس على اتباع نفس السياسة التي عاها على صالح بن يوسف، وشيئا فشيئا زالت الخلافات بينهما، وسيلاحظ بورقيبة مدى تماسك الحزب بعد الجولات التي قامت بها قيادات الحزب داخل تونس، ألقوا خلالها خطابات ركزوا فيها على تاريخ الحركة الوطنية التونسية وطبيعة السياسة الفرنسية في تونس وكيفية تحقيق الاستقلال برضى فرنسا أو غصبا عنها².

خلال سنة 1949 قام الحبيب بورقيبة بنشاط مكثف شمل مختلف القطر التونسي سنحاول التفصيل فيه من خلال النقاط التالي:

- بين 8 و 15 سبتمبر 1949 قام بجولة بتونس العاصمة (سدي بوزيد والقصر البارد وكان مدعوا من قبل شخصيات، قام باستقبال العدد من الشخصيات النقابية كفرحات حشاد والمناضلين الدستورية من الداخل والخارج).
- بين 16 – 26 سبتمبر 1949 توجه إلى مقاطعة سوسة زار خلالها المنستير وملت، مقنين، قصر الهلال، طبولبة، بوحجار، بنان، كسببت، المديوني، صيادة³.
- بين 26 سبتمبر و 4 أكتوبر 1949 عاد إلى تونس استقبل خلالها قيادات المكتب السياسي للحزب ورئيس مكتب الحزب الدستوري في لندن الطاهر خميري وأعضاء من خلايا الحزب في حلفاوين وبعض ممثلي الأحزاب الجزائرية ورئيس جريدة الزهراء محمد صنادلي ورئيس جريدة الوطن محمد بن فضيلة وأعضاء من الحزب الدستوري الجديد وقام بزيارة مع صالح بن يوسف والمنجي سليم إلى قرطاجنة.
- بين 4 – 5 أكتوبر 1949 توجه بورقيبة لمقاطعة (Cap-bon) زار خلالها بني خيار ونابل التقى خلالها بأعضاء خلايا الحزب على رأسهم صالح بهوني.
- بين 5 – 8 أكتوبر 1949 عاد إلى تونس حضر وجبة عشاء سياسية نظمها الحزب الدستوري الجديد شملت محادثات بين أعضاء المكتب السياسي ومدعوين⁴.

1. A.N.T, série MN, C65, D1, Un article pour Habib Bourguiba sous le titre (Ligue arabe et Afrique de Nord), le 02/11/1945.

2. خالد عبيد وآخرون، المرجع السابق، ص 145.

3. A.N.T, série MN, C 57, D1, Résumé Géographique et Chronologique de visites de Bourguiba en Tunisie en 1949, p 1-2

4. A.N.T, série MN, C 57, D1, Résumé Géographique et Chronologique de visites de Bourguiba en Tunisie en 1949, p 3-4.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

- بين 9-11 أكتوبر 1949 زار بورقيبة زغوان استقبله الدكتور سليم رئيس اللجنة السياسية وعضو المجلس الكبير.
 - بين 12-15 أكتوبر 1949 عاد إلى تونس وواصل لقاءاته مع مختلف الفاعلين السياسيين في الدستوري الجديد.
 - 16-17 أكتوبر 1949 توجه بورقيبة إلى بنزرت التقى خلالها بأعضاء خلايا الحزب وممثلي النقابات التونسية في المنطقة.
 - 17 – 22 أكتوبر 1949 زار بورقيبة مقاطعة الكاف وجهات تبرزوق، مخطار، باب القصور ... التقى خلالها بمناضلي الحزب وممثل نقابة التجار بالمقاطعة وبعض شيوخ الزوايا.
 - بين 23 أكتوبر – 5 نوفمبر 1949 توجه بورقيبة لصفاقس مر خلال بعدة مناطق منها مسكان، لحش، سقايت الزيت، قام خلالها بعقد تجمعات ولقاءات لخلايا الحزب والقى مجموعة من الخطابات ذكر فيها بتاريخ النضال الوطني وضرورة الكفاح من اجل التحرر. ونظرا لمدة إقامته بمدينة صفاقس زار بورقيبة العديد من الجمعيات والمدارس الإسلامية والتقى بالشخصيات الفاعلة بها¹.
 - 11-12 نوفمبر 1949 توجه بورقيبة إلى باجة استقبله عند وصوله لباجة أعضاء المكتب السياسي وكبار المستشارين شادلي رحيم، مصطفى بلعشي وزار كل من منطقة جبل عبيد وقصر مزور.
 - 13-22 نوفمبر 1949 زار بورقيبة القيروان وتوجه لكل من حبيب العيون، سيدي عمور، دوينات، سيدي علي، ناسي الله، العالي، سبيخة، أوسطية. القى بورقيبة خلال جولته في مدينة القيروان عدة خطابات وزار شخصيات مهمة منهم احمد صالح صاحب دكان الذي ساعد بورقيبة أثناء توجهه على القاهرة، وتحدث في دوينات مع كل من هادي شاكر ومحمد محربي².
- الملاحظ من خلال هذه الجولات التي قام بها الحبيب بورقيبة عبر كامل التراب التونسي، إن بورقيبة حاول التقرب من كامل شرائح الشعب التونسي وتعويض مرحلة غيابه عن البلاد، فسعى للقيام بنشاط سياسي مكثف وإعادة الآمال لمناضلي الحزب في مختلف المناطق ليبين لهم أن الدستوري الجديد لا زال قائما رغم فترت الركود والمهادنة التي مر بها في السابق ، فمن خلال اطلعنا على الأرشيف الوطني التونسي وجدنا وثيقة تحتوى على أهم العبارات التي

1. A.N.T, série MN, C 57, D1, Résumé Géographique et Chronologique de visites de Bourguiba en Tunisie en 1949, p 6-7.
2. Ibid, p 10-12.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

استعملها بورقيبة وبعض القيادات الدستورية خلال جولاتهم ولقاءاتهم مع المناضلين والجماهير، سنحاول ذكر أمثلة عنها :

- في منطقة سوسة بتبولية (Teboulba) بتاريخ 22 سبتمبر 1949 افتتح بورقيبة خطابه بالعبارة التالية: "سنصل إن شاء الله إلى هدفنا بالطريقة السلمية"¹.
- في منطقة الكاف (Kef) بتبرسوك (Téboursouk) عقد اجتماعا شرح فيه هدفه من الزيارة ومما جاء في كلامه: " نهدف إلى غرس فكر مقاوم لإعادة الأمة العربية وحماية الإسلام والسجن هو بضعة أشهر من الاحتجاز. كن رجلا ... وداعا ... كان الله معنا"².
- وفي مدينة صفاقس بتاريخ 23 أكتوبر 1949 و جه صالح بن يوسف كلمة أشاد خلالها بالحبيب بورقيبة روح و دماغ الحزب، و نبه أنه منذ سنين الكل كافح من جهته من أجل حرية تونس³.

نستنتج من خلال ما ورد في العبارات التي ذكرناها سابقا والتي اطلعت عليها في الوثيقة الأرشيفية، ان بورقيبة حاول من خلال خطاباته بث روح الحماس وسط الجماهير بالتركيز على العبارات الرنانة التي تؤثر فيهم، وركز في خطاباته على اتجاهين الأول التركيز على النضال السلمي الذي اعتبره الطريق السليم للوصول للهدف، والثاني بعث روح المقاومة وربط تونس بمجالها العربي الإسلامي، واعتبر الاحتجاجات والسجن وسيلة للوصول للغاية، مما يعني أن بورقيبة رغم مهادنته لسلطات الحماية الفرنسية لم يتخلى كلياً عن خيار المقاومة، وتشير الكلمة التي ألقاها صالح بن يوسف الثقة التي كانت موجودة بين الزعيمين و هو ما يفند الأقوال السابقة حول خلاف كان يصل إلى طرد بورقيبة من الحزب⁴.

ضافة للجولات التي قام بها بورقيبة خلال سنة 1949، عقد ما بين 22 فيفري و 14 مارس 1950 اجتماعا في مختلف أنحاء البلاد، فشعرت الإقامة العامة بخطر هذه التعبئة، أقدمت خلالها على منع عقد العديد من الاجتماعات والمحاضرات مثال ذلك منع بورقيبة من دخول التراب العسكري بالجنوب ومع ذلك خطب بورقيبة في قابس بتاريخ 30 مارس 1950 قائلا:

" إن السلطة الفرنسية التي أخرجتها هذه الخطب والمهرجانات اعلمتنا أن التراب العسكري محجر علينا.... إن التراب العسكري الذي ينفوننا إليه أصبح الدخول إليه ممنوعا، لكن لا بد من الدخول إليه، لأنه جزء من التراب التونسي العزيز علينا إن لم يكن اليوم فغدا ... " .

1. A.N.T, série MN, C 57, D1, Activités d'Habib Bourguiba (Les Paroles prononcent) à la série de tournées le 1949, p 1.

2. Ibid, p3.

3. Ibid, p 1.

4. A.N.T, série MN, C 57, D1, Activités d'Habib Bourguiba (Les Paroles prononcent) à la série de tournées le 1949, pp 1-5.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

فجاء رد سلطات الحماية الفرنسية تعسفيا في بعض الأحيان من خلال تصدي قوات الأمن والجندرية لمختلف التجمعات التي عقدها المنجي سليم وعلي البلهواني، ونظمت محاكمات صورية للمواطنين، ففي 6 ديسمبر 1949 حكمت محكمة سوسة على بعض احرار الساحل، بدعوى عقد اجتماعات بدون رخصة وتراوحت الأحكام بين السجن والتغريم، وفي 31 مارس 1950 صرحت المحكمة العامة بتونس في قضية فرحات حشاد الذي وجهت له تهمة تنظيم مظاهرات في الطريق العام بدون رخصة وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة أشهر وتغريمه ب 6000 فرنك. وتواصلت الأحكام التعسفية في حق احرار القليبية ومنزل تميم في 6 جوان 1950 اين تم توجه تهمة التظاهر أثناء زيارة بورقيبة¹.

نتج عن سياسة الإقامة العامة ردود فعل من طرف التونسيين في مستوى المواجهة التي يتطلّها الوضع فقاموا بإضرابات منها : إضراب 30 – 31 مارس 1950 بمدينة قابس احتجاجا على منعهم الدخول للتراب العسكري، واضراب عمال الصناعة والتجارة في 23 أفريل 1950 احتجاجا على ضريبة المعاملة، ومظاهرات 16 أوت 1951 التي نظمها العاطلون عن الشغل بالعاصمة تونس، إضافة لبرقيات الاحتجاج التي وجهت للمقيم العام ووزير الخارجية الفرنسي خلال كل إضراب أو مظاهرات، ومما ورد في تقرير المكتب السياسي للحزب الدستور الجديد المنعقد في 1 فيفري 1951 ما يلي: "مواصلة التجربة في مثل هذه التجربة المبينة، لايمكن أن يسفر إلا على نتائج واهية، فيبقى الحكم المباشر قائما رغم نبذه من طرف الملك الأمين باي والشعب التونسي"².

جعل الدستور الجديد من تصاعد العنف في تونس فرصة لفرض المفاوضات على الحكومة الفرنسية، وصرح بورقيبة: "أن الجولات التي قمت بها داخل أنحاء مختلفة من تونس وضحت لي استنكار المواطنين للوضع الراهن وإني أريد الوصول لحل معقول مع فرنسا، لكنني لم أجد إلى رجالا متعصبين ... وهذا يؤدي لمزيد من الإضرابات"³. من خلال ما ورد في التصريح يتبن لنا رغبة الشعب التونسي ممثلا في الدستور الجديد في التحرير، قابله موقف متصلب من غلاة المستوطنين في الحكومة الفرنسية ، وهو انذار بتوتر الأوضاع أكثر مما هي عليه ، ففي 15 أفريل 1950 عرض بورقيبة مطالب الحزب في سبعة نقاط كنا قد ذكرناها سابقا⁴ ، أثارت استنكارا حادا في الأوساط الاستعمارية الفرنسية ، ففتح تحقيق قضائي ضد الدستور الجديد وحل الاتحاد العام التونسي للشغل ، وقد سبق اصدار بورقيبة لبرنامج تقديم مذكرة من

1. محمد المختار ناصر، المرجع السابق، ص38.

2. المرجع نفسه، ص40.

3. المرجع نفسه، ص 42

4. Habib Bourguiba, op.cit, p. 229-230.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

طرف التجمع الفرنسي لوزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 25 ماي 1950 وهي بمثابة إعلان استباقي واجهاض لأي مبادرة¹.

أما سلطات الحماية الفرنسية كعادتها وسعيا لتغيير مجريا الأحداث وامتصاص غضب الشارع أقالمت المقيم العام جون مونس وعينت في 1 جوان 1950 لويس بيريليه (Louis Périllier) مقيما عاما جديدا الذي اتبع سياسة المماطلة وتقديم وعود مهمة وأنية². وذلك رغم ما جاء في أحد خطاب وزير الخارجية الفرنسي روبرت شومان (Robert Chuman) بتاريخ 9 جوان 1950 حول مهام المقيم العام الجديد قائلا: " ستكون مهمة بيريليه أن يسير بالبلاد التونسية نحو الازدهار والاستقلال وهو الهدف النهائي لجميع الأقطار ضمن الوحدة الفرنسية ". الذي جاءت ردود الفعل عليه متباينة بين الاستنكار والتأييد، فعارضه المستوطنون الفرنسيون بتونس ورحب به بورقيبة أما الدستوري القديم فاعتبر الاستقلال الذي جاء به شومان مشروط وربطه بالوحدة ضمن الإمبراطورية الفرنسية³.

شكلت ردود الفعل المتباينة حول خطاب وزير الخارجية الفرنسي ذريعة لتراجعه عن تصريحاته، وكلفت الحكومة الفرنسية بباريس المقيم العام الجديد بتقديم إصلاحات، قام بعرضها أمام الباي بقصر قرطاجه جاء فيها:

- إجراء تغييرات في الإدارة التونسية وتكوين مسيرين ذوي خبرة.
 - تشكيل حكومة تونسية تفاوضية لها صلاحيات واسعة لإدارة شؤون البلاد.
 - مشاركة النخبة في إدارة شؤون البلاد⁴.
- وفي 17 أوت 1950 تشكلت الحكومة التفاوضية التونسية⁵ برئاسة محمد شنيق، وشملت الحكومة ممثلا عن الدستوري الجديد هو صالح بن يوسف، وفي 8 فيفري 1951 قدمت محمد شنيق مسودة الإصلاحات للباي، التي اعتبرها بعض قادة الدستوري الجديد لا تستجيب حتى

1. خالد عبيد، المرجع السابق، ص 149.

2. Habib Bourguiba, op-cit, p 231.

3. Ibid, p 291-292.

4. عروسية تركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955-1956)، ط1، مكتبة علاء الدين، تونس، 2011، ص 63.

5. محمد شنيق وزير الحكومة، صالح بن يوسف وزير العدل، محمود الماطري وزري دولة، محمد صالح مزالي وزير الصناعة والتجارة، محمد بن سالم وزير الصحة، محمد بدره وزير الشؤون الاجتماعية، محمد سعد الله وزير الفلاحة.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

للمعد الأدنى المطلوب وهو الاستقلال الداخلي، حتى تطبيقها كان بطيئا نظرا للعراقيل التي فرضها غلاة المستعمرين على المقيم العام¹.

في 16 أكتوبر 1951 تحول الوزير محمد شنيق رفقة عدد من أعضاء حكومته إلى باريس، للتفاوض مع الحكومة الفرنسية حول المسائل الوطنية، فاستقبل في 3 نوفمبر من قبل وزير الخارجية شومان، وفي 15 نوفمبر استقبل من طرف رئيس الجمهورية فنان أوربول (Vincent Auriol)، لكن المفاوضات طالت ولم تأتي بنتيجة، ورد وزير الخارجية الفرنسي ردا على المذكرة التي قدمتها حكومة شنيق بتاريخ 31 أكتوبر 1951 بمذكره بتاريخ 15 ديسمبر 1951 أكد فيها على مبدأ السيادة المزدوجة وبت واضحاً انها تريد المراوغة وريح الوقت².

في هذه الظروف، وأمام إصرار الفرنسيين على عدم تقديم أي تنازلات، شعر قادة الحزب الدستوري على رأسهم الحبيب بورقيبة أن سمعته الوطنية قد تراجعت واستقطابه للجماهير تراجع، بسبب سياسته التي اعتمد عليها من دخول في مفاوضات مع سلطات الحماية الفرنسية لم تأتي بنتيجة، وخروجه عن الثوابت الوطنية والصف الوطني الذي أقره مؤتمر ليلة القدر. دفعت نتائج المفاوضات لجنة العمل من أجل الضمان الدستورية والتمثيل الشعبي الموالية للحزب الدستوري التونسي إلى تبني قرارات أواخر شهر أكتوبر 1951، نبه فيها أنه من حق التونسيين استعمال جميع الوسائل اللازمة لإرساء نظام دستوري ديمقراطي يحترم مبدأ وحدة السيادة التونسية، وذهبت مختلف المنظمات النقابية والتنظيمات التي تربطها علاقات بالدستوري الجديد إل اضراب يوم 29 نوفمبر 1951 لمؤازرة تحركات الوزير الأكبر محمد شنيق³.

نستنتج أن عودة الحبيب بورقيبة من القاهرة ساهم إلى حد كبير في إعادة تفعيل نشاط الدستوري الجديد من خلال الجولات التي قام بها عبر مختلف مناطق تونس خلال سنتي 1949 و 1950، مما اخرج الحزب من حالة الركود السياسي وبقاء صالح بن يوسف متمسكا باستراتيجية المهادنة مع سلطات الحماية الفرنسية، لكن واقع الساحة السياسية التونسية فرض على بورقيبة العمل مع فرنسا وقف سياسة المراحل التي لم تأتي بنتيجة، رغم دخول حكومة شنيق في مفاوضات مع حكومة باريس، مما مكن الدستوري الجديد من استغلال الفرصة و العودة عن سياسته السابقة المبتعدة عن الصف الوطني، فاستغل الحبيب بورقيبة الوضع الجديد لرص الصفوف حوله و حول حزبه .

1. عروسية تركي، المرجع السابق، ص 63.

2. محمد المختار ناصر، المرجع السابق، ص 45.

3. خالد عبيد وآخرون، المرجع السابق، ص 152.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

خامسا: موقف الحزب الشيوعي التونسي من القضية الوطنية.

تميزت مواقف الحزب الشيوعي التونسي بالتذبذب تجاه المسألة التونسية منذ تأسيسه فقبل الحرب العالمية الثانية ساند الشيوعيون التونسيون حكومة الجبهة الشعبية لعدم اختلافهما في التوجه العام و تنكر للنضال في سبيل تحرير البلاد من المحتل و اعتبر أحداث 9 أفريل 1939 مناوشات فاشية، وأثناء الحرب العالمية الثانية ارتبطت مواقفه مع توجهات الشيوعية العالمية ، فأثناء سيطرة حكومة فيشي على الجزائر التزم الصمت ، لكن بعد دخول الاتحاد السوفياتي الحرب إلى جانب الحلفاء دعا لمقاومة الفاشية و النازية ، ابتعد عن الخط الوطني و رفض المشاركة في تأسيس الجبهة الوطنية التونسية و اعتبرها مغامرة لا تنسجم مع الأوضاع الداخلية و الخارجية¹.

1- الحزب الشيوعي التونسي ومشروع الاتحاد الفرنسي:

لم تتغير سياسة الحزب الشيوعي التونسي بعد الحرب العالمية الثانية المعارضة لتوجهات الحركة الوطنية، فقد ذهب إلى القبول بفكرة الاتحاد الفرنسي عندما كان الحزب الشيوعي الفرنسي عضوا في الحكومة الفرنسية، مركزا في دعايته تجاه التونسيين على وهم وصول البروليتاريا الفرنسية إلى السلطة من خلال توزيع نشرات، ففي 2 فيفري 1945 وزع منشور للحزب الدستوري التونسي تحت عنوان (للشعب التونسي) تم طبعه في مدينة مقنين وتوزيعه من طرف اليهودي التونسي ساسي بن يوسف حجاج بتحريض من سكرتار الحزب الشيوعي في سوسة.² كما وزعت أعداد من الجرائد الشيوعية والتقارير، فمن خلال تعليمة صادرة عن الحزب الشيوعي التونسي بتاريخ 9 فيفري 1945 أكد استلام خلايا الحزب نسخا من جريدة إيطاليا الناطقة بالعربية، وتقرير حول المؤتمر الوطني للحزب الشيوعي التونسي المنعقد ما بين 9-10 ديسمبر 1945، وتقرير مفصلا عن مؤتمر الشباب الشيوعي³. كما عقد الشيوعيون عدة اجتماعات عبر مختلف مناطق التراب التونسي منها:

- اجتماع في تونس العاصمة بتاريخ 7 جويلية 1946 بزاوية أزواروزاوية بن كريم.

1. A.N.T, série MN, C 53, D4, Note sur le Saisie de tracts communistes, le 08/02/1945, p 1-2.

2. Ibid, p 4.

3. A.N.T, série MN, C 53, D4, Note sur les cellules du parti recevant des (journal – rapport) , le 09/02/1945.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

- اجتماعات في كل من منزل تورين بتاريخ 9 جويلية، بن سليمان بتاريخ 12 جويلية، وفي 14 جوان في الفندق الجديد¹.

- في 21 جويلية 1946 عقد اجتماع في مكنار بمقهي عبد السلام حضره 250 عضوا من نواحي المنطقة تطرح الحضور إلى برنامج الحزب الشيوعي التونسي والسياسة المستقبلية له².

- في غولات عقد الحزب الشيوعي التونسي اجتماعا في قاعة الحفلات حضره 300 شخص منهم 150 امرأة من النواحي³.

يمكن القول من خلال ما ذكرته حول نشاط الحزب الشيوعي التونسي، أن المناشير التي كانت توزع على مختلف خلايا الحزب والاجتماعات التي عقدها الحزب في مناطق مختلفة من تونس ان الحزبان يتمتع بحرية تامة ولم يلقى مضايقات عكس الأحزاب الوطنية الأخر التي تعرضت لإيقاف نشاطها واعتقال مناضليها، ما يؤكد انصهار الحزب الشيوعي التونسي في توجهات سلطات الحماية الفرنسية وتقارب وجهات نظرهما.

فقد شارك الحزب الشيوعي الفرنسي في حكم فرنسا أملا قلب الطاولة لصالحه، مما جعله يوافق على مشروع الاتحاد الفرنسي ويدافع عنه، فأتاح لفرنسا المنهكة من الحرب فرصة كي تستعيد أنفاسها، فقد ورد في بيان للحزب الشيوعي التونسي الصادر بتاريخ 31 جانفي - 1 فيفري 1948 ما يلي: "بفضل حركة الحزب الشيوعي الفرنسي خاصة اقترح الشعب الفرنسي في شهر أكتوبر 1946 على دستور تقدمي ديمقراطي يحكم على الاستعمار المبني على الظلم، ويرتني نصير الشعوب المضطهدة والمستعمرة الى شعوب ذات سيادة متحدة مع الجمهورية الفرنسية على أساس الاختيار الحر والمساوات في الحقوق، وبالنسبة لبلدان الحماية التي منها تونس فالدستور يرتني معاهدة تحدد وضعيات انخراطه في الرابطة الفرنسية"⁴.

ويلاحظ من قراءة ما جاء في البيان المجهود الذي بذله الحزب الشيوعي الفرنسي من أجل الدعاية لمشروع الاتحاد الفرنسي الاستعماري، ورغم وضوح أهداف المشروع بقي الشيوعي التونسي مرافقا لتوجه الحزب الشيوعي الفرنسي، الذي لم يستطع بألفاظه البراقة حجب حقيقة المشروع عن الشعب التونسي الذي تفتن لأهدافه الاستعمارية.

1. A.N.T, série MN, C 53, D4, Note sur Réunions communistes tunisien, le 20/07/1946.

2. A.N.T, série MN, C 53, D4, Note sur un Réunions communistes tunisien Maktar, le30/07/1946.

3. A.N.T, série MN, C 53, D4, Note sur un Réunions communistes tunisien la goulette, le02/08/1946.

4. محمد الكيلاني، المرجع السابق، ص 24-25.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

إن الشعب التونسي مسلوب الحرية والكرامة الوطنية لن تنطلي عليه هذه الحيلة (دستور الاتحاد الفرنسي) ولا حتى مشروع المعاهدة الجديدة التي قدمها الحزب الشيوعي التونسي، وقاومها التونسيون لوعيه بطبيعة الاستعمار، مع ذلك واصل الحزب الشيوعي التونسي دعوته لهذا الاتحاد ووقف في وجه الحركة الوطنية والشعب التونسي، فمعارضته المشاركة في مؤتمر ليلة القدر وبعث الاتحاد التونسي للشغل. شكل خلافا استثماره المقيم العام ماست الذي اعتبر التقلبات التي طبعت العلاقة بين الشيوعيين والأحزاب الوطنية خلال سنوات ما بعد الحرب مكسبا لفرنسا يجب استغلالها¹.

وحتى 21 أبريل 1946 خلال مؤتمره الثاني بقي الحزب مخلصا لمواقفه السابقة منذ سنة 1943 (إدانة المنصف باي والإقطاعية المحيطة به). كما أدان الحزب خلال المؤتمر الانعزالية التي يقوم بها الحزب الدستوري الجديد وانتقدت الوطنيين المستقلين وركز في لائحة المؤتمر على ضرورة البقاء ضمت الاتحاد الفرنسي ونقرأ فيها بالخصوص ما يلي: " خلافا لتصريحات السيد بورقيبة، لن يستطيع الشعب التونسي إرضاء مطالبه الفورية والتقدم إلى الحياة الكريمة، إلا بالاتحاد الحر المطمئن الأخوي مع الطبقات العاملة والشعب الفرنسي"².

لكن بعد فترة زمنية من انعقاد مؤتمر أبريل 1946، غير الحزب الشيوعي التونسي من مواقفه التي كان يدافع عنها لصالح التقارب مع الأحزاب الوطنية، وبقيت متمسكا بمسألة الاتحاد الفرنسي، فبعد اجتماع اللجنة المركزية للحزب يومي 3 و4 أوت 1946 صرح جراد بما يلي: " من أجل تحرير تونس من الاستعمار ينبغي إلغاء معاهدة البارود وعقد معاهدة جديدة مع الجمهورية الفرنسية تضمن لتونس حياة حرة مستقلة وديمقراطية في إطار الاتحاد الفرنسي"³.

ومن أجل التقرب من الوطنيين التونسيين أضاف مطلب جمعية وطنية تأسيسية منتخبة من طرف كافة التونسيين وحكومة صادرة عن تلك الجمعية ومسؤولة أمامها، فظهر تقارب أكثر وضوحا من خلال برنامج مشترك من عشرة نقاط اقترحه في نوفمبر 1946 الحزب الدستوري القديم والجديد جاء فيه:

- تأسيس حكومة تونسية مسؤولة أما الجميع.
- إنشاء شرطة والجندرية التونسية.
- تكوين جيش تونسي محترف.
- تأهيل القضاء التونسي وفق نظام ديمقراطي.

1. محمد الكيلاني، المرجع السابق، ص 27.

2. Mostapha Kraiem, op-cit, p 245.

3. سعيد المستيري، المرجع السابق، ص 276.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

- اللغة العربية هي اللغة الرسمية في جميع المدارس والجامعات التونسية.
- تحرير المنصف باي وجميع المعتقلين التونسيين¹.
- إعطاء الأراضي ووسائل خدمتها للعمال الخماسة الذين لا أرض لهم التي يملكها المستوطنون الفرنسيون.
- حفظ وتمديد الجنسية التونسية.
- انشاء مؤسسات بلدية حقيقية.
- منح كل الحرية والديمقراطية دون قيود².

الملاحظ مما جاء في النقاط 10 هو حصر شامل لما تسعى له الحركة الوطنية من استقلالية في تسيير شؤون تونس الداخلية، لكن غياب نقطة تطالب باستقلال تونس، سيجعل من هذه النقاط مجرد حبر على ورق لا ترقى لما جاء به مؤتمر ليلة القدر وتعتبر في نظري تراجعاً عن المطالب السابقة، وهو دليل على تثبت الحزب الشيوعي التونسي بمشروع الاتحاد الفرنسي، لكن التغيرات التي سيعرفها العالم بعد الحرب وظهور الحرب الباردة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية ستدفعه لتغيير رأيه مثلما عودنا في السابق.

2- تقارب الحزب الشيوعي التونسي مع الحزب الدستوري الجديد:

إن الحديث عن التقارب بين الحزب الشيوعي التونسي و التيارات الوطنية الأخر على رأسها الدستوري الجديد، يدفعنا لمعرفة الدوافع التي أدت لذلك ، فليس هناك من شك أن الانطلاق الرسمي للحزب الباردة بين المعسكرين الغربي بقيادة الولايات المتحدة ذات التوجع الرأسمالي و المعسكر الشرقي الذي تزعمه الاتحاد السوفياتي الشيوعي ذو التوجه الاشتراكي ، سيعجل في تغيير الحزب الشيوعي التونسي لاستراتيجيته المساندة لفرنسا التي هي بمثابة حليف مهم للولايات المتحدة الأمريكية ، مما سيعجل في تعزيز التقارب الشيوعي الدستوري ، فالأول مرتبط بتحرير البروليتاريا أي الصراع الطبقي أما الثاني مرتبط بتحرير تونس من السيطرة الفرنسية³.

في ظل العلاقات الدولية الجديدة وظهور عدة أزمات وتحالفات عسكرية منها الحلف الأطلسي الذي جاء لمواجهة الاتحاد السوفياتي، وقع خلاف داخل التيار الوطني بين من يرى ضرورة الوقوف إلى جانب الطرف المعادي للاستعمار أي مناصرة للكتلة الشرقية، وهناك من رأى على رأسهم الحبيب بورقيبة ضرورة استغلال الصراع القائم بالتقرب من الشيوعيين من

1. Mostapha Kraiem, op-cit, p 247-248.

2. Ibid, p 247.

3. سعيد المستيري، المرجع السابق، ص 289.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

اجل الضغط على الولايات المتحدة الأمريكية لإرغام حليفتها فرنسا لتقديم تنازلات لصالح الحركة الوطنية التونسية¹.

ما يبين ان هدف الدستوري الجديد هو كسب حليف يساندها لمواجهة فرنسا، وهذا المنطق هو الذي يفسر هذه الازدواجية التي سادت الحزب، اما بالنسبة للشيوعيين فإن مناهضة الغرب أصبحت قضية خاسرة، لكن بمساندة شعوب المستعمرات وكسب تأييدها ومساندتها ستجعلهم رامز بالنسبة للعالم وملاذا للمستضعفين مما سيجعل الدول الاستعمارية الرأسمالية، وبذلك نفهم سبب إصرار الحزب الشيوعي التونسي على ربط علاقاته مع الحزب الدستوري الجديد، واعتبرها الزعيم النقابي فرحات حشاد قنبلة ستلقى على معسكر الاستعمار في تونس².

لكن موقف الدستوريين من هذا التقارب مع الشيوعيين جاء متباين، فبن سليمان كان مقتنعا بنضالية الشيوعيين وعدالة موقفهم خاصة معاداتهم للغرب الاستعماري، لذلك اندفع للعمل مع الحزب الشيوعي التونسي، اما أعضاء الديوان السياسي فكان موقفهم حذرا للغاية وهو أقرب للتحالف مع الغرب من الحلف الشرقي³.

في سنة 1949 كون الشيوعيون التونسيون فرعا للحركة العالمية للسلام من أعضائها محمد النافع ومحمد جراد وممثل عن الدستوري الجديد علي البلهواني وعزوز الرباعي والنوري بودالي ممثلا عن الاتحاد العام التونسي للشغل، ونشر بن سليمان مقالا في جريدة (Mission) في عددها 52 الصادرة بتاريخ 7 أفريل 1949 تحت عنوان (Par la paix contre la guerre)⁴. كما سافر شيوعيون ودستوريون إلى فرنسا للمشاركة في المؤتمر العالمي لأنصار السلم، مما دفع الدستوري الجديد لتنشيط اللجنة الاقتصادية والاجتماعية مثلما نصت عليه توصيات المؤتمر، إلا أن النشاط لم يدم فترة طويلة وانقطع⁵.

شكلت الظروف الدولية التي شهدتها العالم بعد الحرب العالمية الثانية وسيلة ضغط ساهمت في التأثير على سياسة الحزب الشيوعي التونسي، فبعد ان ربط سياسته تجاه المسألة الوطنية بسياسة الحزب الشيوعي الفرنسي والاتحاد الفرنسي، عاد وربط تواصله مع الدستوري الجديد مع ظهور تطورات على الساحة السياسية الدولية، ويخرج في 3 أوت 1954

1. محمد المختار ناصر، المرجع السابق، ص35.

2. Sliman Ben Slimane, op-cit, p272.

3. Ibid, p 274.

4. Sliman Ben Slimane, op-cit, p p276-277.

5. Ibid, p 279-280.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-
1955.

ببيان يحيي مبادرة موندنيس فرانس بمنح الاستقلال الداخلي، كما وضع له موقعا في النزاع
الذي شق الحركة الوطنية والحزب الدستوري الجديد واقتفى الشيوعيون اثر بورقيبة في
سياسته تجاه الحماية الفرنسية.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

المبحث الثاني: انطلاق العمل المسلح وتطوره (1952-1956).

شكلت مذكرة 15 ديسمبر عام 1951 المتمسكة بالسيادة المزدوجة وتعويض المقيم العام لويس بيريليه (Louis Périllier) بالمقيم العام الفرنسي الجديد جون دوهوتكلوك (Jean deHauteclouque)¹ المتصلب في 24 ديسمبر 1951، المنعرج الحاسم الذي اتخذته السياسة الفرنسية في تونس ، فقد تحولت العلاقات التونسية الفرنسية من الحوار الى القطيعة، حيث أقدم على إيقاف 6 قيادات من الدستوري الجديد و 6 من الشيوعيين على رأسهم الحبيب بورقيبة وموريس نزار، تحت تهمة التحريض على الشغب، تلتها اعتقالات لنقابيين تونسيين وماطر والكاف ، مما جعل الاتحاد العام التونسي للشغل يدعوا للإضراب العام ، فزاد من توتر الوضع وتواصلت الاصطدامات والمواجهات العنيفة².

كما شرع جون دوهوتكلوك في التخلص من حكومة شنيق بعد أن تأكد أن الأمين باي غير مستعد لإقالتها، وقام في الليلة الفاصلة بين 25 و 26 مارس 1951 بإلقاء القبض على أعضاء الحكومة التونسية ونفي محمد شنيق ومحمود المطاري ومحمد الصالح مزالي إلى قبلي ونقل بورقيبة من طبرقة إلى رمادة. واتخذت عدة إجراءات قمعية ضد الشعب الدستورية والشيوعية مما زاد في تأزم الوضع الداخلي لتونس³. دفع ذلك المقيم العام الجديد وتحت ضغط الحكومة الفرنسية إلى تشكيل حكومة صلاح الدين البكوش في 9 أبريل 1952 بعد مخاض لمدة أسبوعين، وقدم دوهوتكلوك مشروع إصلاحات اقترحه على الأمين باي 28 مارس 1952 الذي لم يجد طريقا للتنفيذ بسبب سياسته القمعية التي زادت عن السابق، فطالب بمزيد من التعزيزات العسكرية⁴.

1. ولد جون ماري فرنسوا هوتكلوك يوم 11 فيفري 1893 وتحصل على البكالوريا حقوق ، شارك في الحرب العالمية الأولى ، بعدها التحق بالسلك الدبلوماسي ، في 1 سبتمبر 1919 ملحقا بالسفارة الفرنسية بربو دوجانيرو ، تم الى الأرجنتين ، فسكرتير ثاني بالسفارة الفرنسية بإسطنبول سنة 1927 قبل ان يعين سفيرا في بوخارست 1 جوان 1930 ، بعدها تقلد مناصب دبلوماسية ، شارك في الحرب العالمية الثانية ، ووقع في الأسريوم 18 مارس 1844 ، اعلن ولائه للحكومة المؤقتة ، عين بعد الحرب ممثل فرنسا في بروكسل 16 ديسمبر 1947 ، الى ان عين مقيما عاما في تونس بتاريخ 16 ديسمبر 1951 . ينظر: عبد الجليل العبيدي، المقيم العام جون دوهو تكلوكو المسألة التونسية (جانفي 1952 – أوت 1953)، جامعة تونس الأولى، 1999-1998، ص 37

2. Habib Bourguiba, op-cit, p145 .

3. Mohamed Salah Mazali, op-cit, p 262-263.

4. عبد الجليل العبيدي، المرجع السابق، ص 50.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

نتج عن سياسة المقيم العام ردود فعل شعبية بعد الخيبة وانسداد الحلول السياسية وموجة القمع التي تعرض لها الوطنيون التونسيون بداية من جانفي 1952، من اعتقالات ونفي واغتيالات، ففي 5 ديسمبر 1952 أقدمت منظمة اليد الحمراء على اغتيال الزعيم النقابي فرحات حشاد، شجعت جميع هذه الظروف على ظهور المقاومة التونسية تميزت عن سابقتها بشموليتها سقطت خلالها جميع الانتماءات الحزبية والجهوية والعقائدية¹.

أولا: العمليات المسلحة للتونسيين قبيل اندلاع الثورة التونسية:

ارتكزت المقاومة الوطنية في الخمسينيات على سلسلة طويلة من الانتفاضات الشعبية امتدت طوال فترة فرض الحماية الفرنسي على تونس، منها مقاومة القبائل التونسية 1881، ومقاومة فئات الفراشيش 1906، انتفاضة قبائل الودازمة وانتفاضة قبائل المرازيق 1943، وخلال الحرب نظم المكتب السياسي للحزب الدستوري مقاومة ضد سياسة الإقامة العامة، وبعد الحرب العالمية الثانية شهدت تونس محاولات لتأسيس العمل المسلح والتحضير له، مثل تمرد زرمدين ومحاولة الدستوري الجديد لتكوين نواة عمل مسلح:

1- تمرد زرمدين 1946:

أصل التمرد هو مجموعة من الشباب الخارج عن القانون، محمد بونب (45 سنة)، صالح الوحيشي (30 سنة) وشقيقة فرج (27 سنة) وحسن بن علي شهرته بوصويفة، التي كونت عصابة مجموعة قامت بعدد من السرقات (38 سرقة)، فقررت مؤسسة الحماية الفرنسية وضع حد لهذه الأعمال المنتشرة في سوسة، فانتشرت قوات الجندرية في قرية زرمدين واستجوبت عائلة بونب، لكن مجموعة بونيب بعد اشتباكات مع قوات الدرك الفرنسي تمكنت من إطلاق صراح افراد القرية المحتجزين 13 جوان 1946². وتحولت مجموعة بونب بعد مواجهتها مع الدرك الاستعماري الفرنسي وانتصارها عليها من مجموعة لصوص إلى مجموعة أبطال في الساحل، وبعد استشهاد بونب على يد مخبر لشرطة الحماية خلفه صالح الوحيشي الذي ابتعد عن اللصوصية وقام بعمليات تصفية الرموز المحليات لنظام الحماية من مخبري الشرطة وموظفي الإدارة الاستعمارية، فالتفت منطقة الساحل حولهم وتلقوا دعما ماليا من

1. Charles André Julien, Et la Tunisie devint indépendante (1951-1957), E.D.J.A Tunis, 1985, p 48-49.

2. سليم قضيوي، المقاومة الوطنية المسلحة في الأرياف والبوادي التونسية في الخمسينات الخطوط العامة، جامعة تونس الأولى، 1996-1997، ص 65-66.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

جميع المواطنين الموجودين في الناحية، فعجرت قوات الحماية في القضاء عليهم رغم عمليات التفتيش والاعتقالات المتكررة لسكان قرية زرمدين¹.

مع مطلع سنة 1948 حدث اتفاق بين سلطات الحماية مع الأمين العام للجذب الدستوري التونسي صالح بن يوسف على تطهير منطقة الساحل من جماعة صالح الوحيشي²، فتمكن الطاهر بطيخ أحد الأوفياء لصالح بن يوسف من إقناع الوحيشي ورفاقه بضرورة التحول لفلسطين لمقاومة احتلالها، فاصطحبهم رفقة حسن بن عبد العزيز إلى قرية القطار، التي وجدوا فيها الجيش الفرنسي ينتظرهم، فقام بتصفية صالح وفرج الوحيشي وبوصيفة وعبد الله بن محمد في كمين مجهز سابقا. وأعدم الطاهر بطيخ في باجة سنة 1950 وهكذا انتهت قضية مقاومة زرمدين³.

2- الدستوريون وجناحهم المسلح:

وقعت عدة محاولات لتنظيم العمل المسلح بتونس من طرف الدستوريين مع منتصف الأربعينيات وبداية الخمسينيات وسنحاول التطرق إليها من خلال بعض الشهادات: يقول عبد القادر زروق من سليمان الذي ناضل في الحزب الدستوري بالجهة: "في سنة 1946 خطرت لي فكرة تنظيم ثورة مسلحة فلم أكن أو من بجدوى العمل المسلح. اقترحت على سي أحمد بن يوسف تكوين جماعة مسلحة فاقترح عليا إسم الميزوني بن عامر الذي كان له علاقة بالصوص ... قلنا له لقد كنت تقوم بتلك الأعمال والآن انت تصلي - فلماذا لا تكون لنا عصابة مسلحة تدافع عن بلادنا. فأبدى استعداداه قائلا: انا مستعد لقتل المراقب العام إذا طلبنا منه ذلك. وعن طريقه كونا جماعة مسلحة في مكث (كان من المفروض ألا نعرف أعضائها). وعندما ذهبت إلى سليمان اتصلت بمحمد بن سرود من جهة برقوا، وكذلك مع شخص صياد من جهتنا (سيدي أحمد) اسمه محمد الصالح بن الحاج، وكان الاتفاق على أن يقوم كل شخص بتكوين عصابة لا يعلمنا بأسماء أصحابها ... فكرت في الاتصال بالحزب، فتواصلت مع المنجي سليم واقترحت عليه الفكرة لكنه لم يقدم لي أي رد. ... لكن في ماي 1951 جاءني صالح بن عياش من الكاف وقال لي أن الحزب يريد قائمة الأشخاص الذين أعددتهم دون ان يذكر المنجي سليموذكر

1. عميرة علية الصغير وعدنان المنصر، المقاومة المسلحة في تونس (سلسلة وثائق ونصوص من تاريخ تونس

المعاصر)، ج2، ط1، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2005، ص 57-58.

2. الحبيب بورقيبة، حياتي كفاحي المصدر السابق، ص 208.

3. سليم قضيومي، المرجع السابق، ص 67.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

أن المسؤول عن هذا هو الهادي نويرة. ... في تلك الأثناء طلبت من العناصر عدم المشاركة في تجمعات الحزب الدستوري الجديد وان يهاجموه في جلساتهم، حتى لا يتعرضوا للاعتقال"¹.

في رسالة من الحبيب بورقيبة موجهة إلى العابد بوحافة بتاريخ 5 جويلية 1950 أشاد فيها برأيه الداعي للتخطيط للعمل المسلح ، موضحا دعايته التي وجهها بعد عودته من القاهرة صبت في معظمها نحو مواجهة فرنسا في ظل تعنت سياستها، وأشار إلى ضرورة تمازج النضال السياسي بالمقاومة المسلحة وأكد أن منظمة الأمم المتحدة لن تثير القضية التونسية دون حدون أعمال مسلحة وقلقل. لمح بورقيبة إلى اتصاله مع إحدى الشخصيات لتوفير السلاح للمنظمة السرية المسلحة (منظمة السود الإحدى عشر) التي ستعمل بمعزل عن الحزب، لكن النقطة التي أشار لها بورقيبة خلال رسالته هي مشكل توفير المال المقدرة ب 300 مليون فرنك و طالب من العابد بذل الجهد لتوفيره².

نستنتج مما ذكرنا ان فكرة العمل المسلح لم تكن وليدة سنة 1952 وإنما كنت لها جذور، فقد حاول العديد من التونسيين الانتفاضة ضد سلطات الحماية الفرنسية، أما الدستوري الجديد من خلال شهادة عبد القادر زرق ورسالة الحبيب بورقيبة فعل على تكوين منظمة سرية عسكرية لمقارعة سياسة المقيم العام القائمة على رفض فكرة السيادة التونسية والاعتقال والاعتقالات والنفي، مثل هذه الأساليب ولدت الروح عند الوطنيين التونسيين روح المبادرة للخروج من الركود الحاصل في تونس.

ثانيا: اندلاع الثورة التونسية (1952-1956):

انعكست سياسة الحماية الفرنسية في تونس على الساحة الوطنية التونسية، خاصة بعد فشل الإصلاحات المقدمة من طرف المقيمين العامين المتعاقبين التي اعتبرها قادة الحركة الوطنية التونسية مجرد مماطلة لربح الوقت، مما جعلهم يتحولون في نضالهم من العمل السياسي الى العمل المسلح سعيا للضغط على سلطات الحماية التي تمادت في سياستها التعسفية، وقد مرت الثورة التونسية بثلاث مراحل:

1. تسجيل شهادة المقاوم عبد القادر زروق بوحدة التاريخ الأرشيفي بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية. عن عميرة علية الصغير وعدنان المنصر، المرجع السابق، ص 98-99.

2. Mohamed Salah, Pour préparer la troisième Epreuve, le Néo- Destour Brise le Silence (1949-1950), Imprimerie Officielle, Tunis, 1972, p355.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

1- مرحلة عنفوان الثورة التونسية (1952-1953):

تمثل الفترة الممتدة من بداية جانفي 1952 الى صائفة 1953 مرحلة حاسمة في تاريخ الحركة الوطنية التونسية، حيث تميزت بعنفوانها وحضور شعبي كبير، خاصة بعد تكوين خلايا تمارس حرب العصابات في المدن والأرياف. وقد سقط في 18 شهرا الأولى من الثورة عدد كبير من الضحايا بين الجانبين الفرنسي والتونسي، اتخذت العمليات المسلحة شكلين الثورة الشعبية في المدن والأرياف بين شهري جانفي وفيفري 1952، و حرب العصابات في المدن والأرياف ، فعند تراجع الثورة الشعبية في المدينة بسبب الحصار تشتعل في الأرياف لفك الحصار ، نظرا لقدرة المجاهدين على التخفي من المستعمر، اختار الثوار التونسيون حرب العصابات لقناعتهم بعدم القدرة على مجابهة الجيش الفرنسي واختلاف موازين القوى وسنحاول التعرض لبعض المحطات المهمة وردود الفعل عليها من خلال التركيز على أهم مراحل الثورة التونسية :

أ- العمليات المسلحة في المدن التونسية:

اتخذ النشاط الثوري في بادئ الأمر شكل مظاهرات منها مظاهرات 15 جانفي 1952 في باجة، مظاهرات 22 جانفي 1952 في سوسة، ومظاهرات 17 جانفي 1952 في بنزرت التي اسفرت عن 130 جريحا، ومظاهرات 20 جانفي 1952 التي حاول خلالها متظاهرون من ماطر الاستلاء على ثكنة بالقوة، فجاء رد الشرطة الفرنسية عنيفا أسفر عن وقوع جرحى ومعتقلين¹. لكن بعد اعتقال الحبيب بورقيبة والمنجي سليم وابعادهما الى طبرقة اتخذت المقاومة في المدن ابعادا أكثر عنفا من خلال عمليات متنوعة نذكر منها:

- 14 جانفي 1952 جرح عون أمن بالرصاص في تونس، 12 جانفي 1952 إطلاق رصاص على عساكر من بناتق ورشاشات في الحمامات، 23 جانفي 1952 هجوم مسلح على دورية أمنية في طبلبة واغتيال الملازم الأول فاشي في بني خلاد، 28 جانفي 1952 تخريب مولد كهربائي بقابس، 24 جانفي 1952 إطلاق الرصاص ورمي القنابل اليدوية أثناء هجوم على مركزي الجندرمة والبوليس².
- في 5 ديسمبر 1952 عند اغتيال فرحات حشاد وقع تضامن من الشعب التونسي، تعرض خلالها أحد أعوان الشرطة إلى إطلاق نار بشارع باريس وانفجار قنبلة بمنزل

1. سلسلة تاريخ الحركة الوطنية التونسية، الحزب الدستوري الجديد يواجه المحنة الثالثة (1952-1956).

فشل سياسة القمع، وثائق 13، وزارة الإعلام، 1984، ص 133 – 139.

2. عميرة علية الصغير وعدنان المنصر، المرجع السابق، ص 118-119.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

ضابط شرطة بشارع باريس وفي 10 ديسمبر 1952 انفجرت قنبلة بنزل تونيسيا بالاص.

- كما اتخذ كل من (الزليطني، بوخريص، عميرة) من قرقيرش طرابلس بليبيا مقرا لها واختارت 16 مقاوما لتكوين ما أطلقعليه كمندوس فرحات حشاد¹، الذي قام بعدة عمليات اغتيال داخل المدن، ففي 12 ديسمبر 1952 وقعت معركة بين الجيش الفرنسي وبين عناصر الكمندوس، أسفرت المعركة عن استشهاد معظم الفدائيين وعددهم 10 منهم عبد الله بلقاسم، حمادي بن الصادق الوئيس والناصر بن الحجل، وسقط من الجيش الفرنسي جندي وجرح آخر².

- مع مطلع سنة 1953 زادت وتيرة الصدامات مع قوات الحماية الفرنسية، ففي 14 جانفي 1953 انفجرت قنبلة بعمارة في نهج الأهرام بتونس تبنتها عصابة اليد الحمراء تلاها تفجير آخر بباب سعدون يوم 22 جانفي 1953، ردت عليها المقاومة التونسية بتفجير مقر للشرطة الفرنسية أسفر عن أضرار مادية، وفي 13 فيفري 1953 انفجرت قنبلة في 8 ليلا بصيدلية غابريال (Gabriel) تلتها قنبلة أخرى بمولد كهربائي بباب الجديد وقنبلة انفجرت بالشركة الفرنسية للقروض بشارع جول فيري³.

الملاحظ ان العمليات الفدائية التي ذكرناها وعمليات أخرى تميزت بفعاليتها الضعيفة لذلك شرع مجموعة من المقاومين بتنظيم العمل المسلح من خلال تأسيس المجلس الأعلى للمقاومة في فيفري 1953 بدار علي بن يوسف وكان يتألف من:البشير زرق: الرئيس علي بن يوسف: أمين المال -البشير بن يوسف: عضو مستشار-حسني عطيه: مكلف بالتسليح -عبد الله العيادي: التجنيد -محمد بن صالح: مكلف بالعلاقات الخارجية⁴. واتفقوا جميعا على المقاومة وابطال الانتخابات البلدية التي كانت ستجرى في 3 ماي 1953، وكان ذلك تجسيدا لرغبة زعيمهم الحبيب بورقيبة، وتقرر في الاجتماعات استهداف كل من الشادلي القسطلبي وعبد المجيد عياد (عميل للشرطة الفرنسية) والدكتور بالرايس وحدد موعد التنفيذ في ماي 1953، وكونت ثلاث فرق الأولى تزعمها عز الدين الفراتي والثانية على رأسها خريف العزوزي والثالثة قادها الهادي

1. قسم افراد المجموعة الى فرقتين الأولى من سبعة مقاومين يقودهم علي بن سبعون ويساعده في القيادة عبد الله الجلدي والثاني من 9 افراد يرأسهم علي القليعي ويساعده المنجي الشايب، وكلف كل من المخازني القديم وعلى نحاسة أصيل بن قردان، ينظر: عميرة عليية صغير، المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات (انتفاضة المدن - الفلاحة - اليوسفيين)، ط1، التسفير الفتي، صفاقس، 2004، ص 129.

2. الحبيب قرار، المصدر السابق، ص 91.

3. المصدر نفسه، ص 94.

4. عميرة عليية صغير، المرجع السابق، ص 97.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

الورتاني، اما الكبران علية مكلف بنقل المقاومين والسلاح، والمنصف مازيغ باستئجار السيارات¹.

عموما يمكن القول إنلمقاومة المسلحة في المدن اتخذت عدة أساليب منها ما هو فردي منعزل وتميز بالعشوائية ونقص التخطيط، خاصة مع بداية العمليات ضد مؤسسات الحماية الفرنسية. لكن مع بداية سنة 1953 توجه المقاومون التونسيون نحو تنظيم العمل المسلح من خلال اختيار الأهداف الرئيسية والتي لها تأثير على الساحة الوطنية مع التركيز على السرية التامة والتقليل من التواصل.

ب- دور البوادي والأرياف في المقاومة:

لقد تحولتالأرياف والبوادي التونسية مع بداية سنة 1952 إلى مناطق عنف كبيرة بسبب سياسة الإحتلال الفرنسي، إذ التف الشعب التونسي حول أبنائهم المقاومين الذين خرج منهم قادة كان لهم دور في تسيير المعارك والهجمات أشهرهم القائد محجوب بن علي (جهة بنزرت وخمير)، القائد الطاهر الأسود (جهة بني زيد ثم الهمامة فأولاد عياد وماجر)، القائد عبد اللطيف زهير (قائد مقاومة زرمدين)، القائد منصور بن محمد تواتي، نصر الرحيمي (منطقة القصرين)، محجوب بن علي (جهة قفصة)، الطيب الزلاق (الشمال الغربي)، حسن بن عبد العزيز (جهة الساحل)،².

اعتمدت المقاومة في الأرياف على تقسيم المقاومين إلى مجموعات صغيرة تحتمي في الجبال تكتفي بنصب الكمائن للجيش الاستعماري الفرنسي، وشكل سكان الأرياف مصدر مهم للتموين والاستعلامات، اغلب العمليات التي قام بها المقاومون التونسيون جاءت كرد فعل للسياسة الاستعمارية الفرنسية، فقد نفذ المقاومون في الأرياف خلال سنة 1952 (28) عملية قتالية تراوحت بين اشتباكات مسلحة، الهجوم على مزارع المستوطنين، إعدام العملاء، ثم تراجع العدد سنة 1953 إلى (8) عمليات للمقاومة بسبب تراجع القمع الفرنسي و اطلاق بعض قادة الدستوري الجديد³، واهم المعارك التي خاضتها المقاومة التونسية ضد الاستعمار الفرنسي: معركة العدونية 1953 إضافة إلى بعض العمليات التي استهدفت العملاء للجيش الفرنسي و الجدول التالي يوضح توزيع عمليات المقاومة الوطنية المسلحة جغرافيا بين (1952-1954):

1. عميرة علية صغير، المرجع السابق، ص 99.

2. عميرة علية الصغير وآخرون، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية ... المرجع السابق، ص 162.

3. سليم قضيومي، مرجع سابق، ص 91.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

الجدول رقم (8):

توزيع عمليات المقاومة المسلحة التونسية ما بين (1952-1954)¹.

السنة / المنطقة	بنزرت/ ماطر	التل الأعلى	الساحل	الوسط	الجنوب	المجموع
1952	2	1	3	3	9	18
1953	00	00	00	00	07	07
1954	1	6	3	22	26	58
المجموع	3	7	6	25	42	83

الملاحظ من خلال الجدول ان عمليات المقاومة تركزت اغلها في المناطق الجنوبية والوسطى ويرجع ذلك إلى قربها من الحدود الليبية وشهدت سنتي 1952 و1953 عمليات المقاومة أقل مقارنة بسنة 1954 رغم الدعاية الإعلامية فالإحصائيات لا تشير إلى اتساعها والعدد الكبير من العمليات كانت تقع في الجنوب لوجود حكم عسكري مشدد يضيق على سكان الأرياف والبوادي، مما خلق ردود فعل ضد الجيش الفرنسي وشجع الوطنيين التونسيين على الالتحاق بالمقاومة.²

2- مرحلة تراجع وانحصار الثورة التونسية 1954:

شهدت تونس في سنة 1954 عدة عمليات للثوار التونسيين تنوعت بين العمل الفدائي في المدن والاشتباكات والمعارك في الأرياف نذكر منها:

- اغتيال الإخوة سيدي حفوز بمشيخة سيدي خليفة من ولاية القيروان وكانا من المسؤولين عن اتحاد الفلاحين، فانتقمت لهم الثورة بقتل خمسة من المعمرين، معركة 23 ماي 1954 بجبال الشمال الغربي التي اخترق فيها الثوار الحصار المفروض عليهم فخسروا ثلاثة من رفاقهم (سويح الفرجاني، الصادق عيسى، بحري البريقي)، أما خسائر الجانب الفرنسي شهيدين و4 جرحى، اشتباكات جبل عرابطة 5 جويلية 1954 (7 شهداء تونسيين و3 قتلى فرنسيين و3 جرحى).

1. سليم قضيوي، مرجع سابق، ص 93.

2. المرجع نفسه، ص 92. عن Souyris (c), Le mouvement fellaga tunisien , C.H.E.A.M ,1955 , p1

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

- معركة جبل المالوسي في سبتمبر 1954 بسيدي بوزيد (8 شهداء وعشرون جريحا وجرح 7 جنود من الجانب الفرنسي)، معركة جبل قاضوم 8 أكتوبر 1954 تكبد فيها المقاومون خسائر كبيرة 20 شهيدا وجريحين¹.

- معركة بريقو 13 نوفمبر 1954 وقع على أثرها اسر 5 جنود و3 ضباط فرنسيين فردت على أثرها القوات الفرنسية بمحاصرة الجبل ودارت معركة استشهد فيها 11 مجاهدا واسرائتان أما العدو فقد تكبد خسائر كبيرة قاربت 80 جنديا قتيلا².

- وهناك عملية انتقامية ضد المعمرين والخونة، في شهادة الساسي لسود أكد أنه بتاريخ 26 ماي 1954 بجبهة أبة قصور تم التخلص من المعمرين الأخوين (Bessède) بسبب علاقتهما بمنظمة اليد الحمراء ومشاركتها في تصفية أولاد حفوز³.

الملاحظ من خلال ما ذكرنا هو كثرة الاشتباكات الردعية التي عمل عليها الجيش الفرنسي، خلال هذه المرحلة وكثرة الخسائر من الجانبين وخاصة من جانب المقاومين بسبب قلة الخبرة العسكرية في إدارة المعارك، فقد سقط في شهري اوت وسبتمبر 49 شهيدا، وذلك رغم اعتماد المقاومة التونسية على حرب العصابات، ويمكن تفسير ذلك إلى حجم القوات الفرنسية عدة وعتادا التي سخرتها سلطات الحماية للتحكم في الوضع سعيا منها للضغط على المقاومين التونسيين من أجل الدخول في مفاوضات من موقع القوة.

أ- عملية تجريد المقاومين من السلاح:

في ظل هذه الظروف تشكلت وزارة الطاهر بن عمار في 2 أوت 1954 وبدأت فرنسا تعد العدة للدخول في مفاوضات، فوق الاختبار على بورقيبة لرمزيتها عند الشعب التونسي، قبل ذلك وقع لقاء سري مع رئيس الحكومة الفرنسي مانديس فرانس اتفقا على تسليم الثوار لأسلحتهم مع التزام الجانب الفرنسي بعدم التعرض لهم، وانهاء حالة الحصار وإطلاق صراح المساجين السياسيين وعودة بورقيبة وبن يوسف وغلق المحتشدات⁴.

لكن الحكومة الفرنسية تعمدت تعليق المفاوضات وشرطت وضع حد لنشاط المجاهدين بهدف إضعاف التونسيين من الجانب العسكري، إذ سرعان ما صدر نداء للمقاومة بتسليم

1. محمد المختار ناصري، المرجع السابق، ص 70.

2. شهادة مجاهدي برقو: عبد القادر البرقاوي، سالم المانسي، محمد الهادي اليحياوي وعمر الصغير البرقاوي، مسجلة ببرقو بتاريخ 12 نوفمبر 1992، شهادة محفوظة في المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية. عن عميرة علية الصغير، المقاومة المسلحة في تونس...، المرجع السابق، ص 131-132

3. شهادة المجاهد الساسي لسود مسجلة بالحامة في 27/01/1993، شهادة شفوية محفوظة في المعهد الأعلى للحركة الوطنية. عن عميرة علية الصغير، المقاومة المسلحة في تونس...، المرجع السابق، ص 134-135.

4. Le Petit Matin, 28/11/1954.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

سلاحها في 23 نوفمبر 1954 للجان الاتصال المكونة من 44 تونسيا موزعة على 22 منطقة نذكر على سبيل المثال منطقة القيروان 1(مصطفى الفلالي، محمد الأصفر جراد)، بنزرت (الطيب السحباني، محمد الحبيب)، القصيرين 1 (محمد بللونة، محمد بن الأمين) ... الخ¹، فبينما بدأ بعض المقاومين تسليم أسلحتهم في 2 ديسمبر 1954². فإن السياسة الفرنسية القائمة على المراوغة لم تنطوي على جميع المقاومين، إذ امتنع العديد منهم عن تسليم سلاحه لعدم وجود ضمانات، فاختلطت الأوراق من جديد بعد إعلان صالح بن يوسف استأناف المقاومة وسأعود إلى هذا القضية بتفاصيل أكثر عند التعرض الى الصراع اليوسفي -البورقيبي.

ب- دور تدويل القضية التونسية في الضغط على فرنسا:

للتصدي لسياسة التصلب التي انتهجتها سلطات الحماية الفرنسية ، حاول الوطنيون التونسيون تطوير أساليب النضال من خلال تكوين جبهة للمقاومة المسلحة تضغط على سلطات الحماية داخليا ، اما خارجيا فسعت لتدوين القضية التونسية و توثيق علاقاتها بالهيئات الدولية و الحكومات الأجنبية لتعبئة الرأي العام العالمي ضد الممارسات القمعية التي يتعرض لها التونسيون ، لذلك توجه الباهي الأدغم في أبريل 1952 إلى الولايات المتحدة الأمريكية و بقي فيها لغاية أكتوبر 1952 ، فبعث مكتب في نيويورك يشرف عليه لدعم العمل الدعائي في الأوساط الأمريكية و متابعة القضية التونسية أمام منظمة الأمم المتحدة³. كما كثف القادة الوطنيون في الخارج اتصالاتهم بجل السياسيين والصحافة الدولية خاصة الأمريكية، نظرا للدور الذي أصبحت تلعبه الولايات المتحدة الأمريكية على الساحة الدولية وتأثيرها المباشر في السياسة الفرنسية، وقام الاتحاد العام التونسي للشغل بالعديد من التحركات على الساحة الدولية وتمكن من إقامة علاقات متينة مع العديد من النقابات الأمريكية، فتحولت القضية التونسية تدريجيا من الساحة الوطنية إلى الساحة الدولية، حتى وان لم يتم تسجيلها في الدورة السادسة لهيئة الأمم المتحدة 14 أبريل 1952⁴. لكن في الدورة الموالية تمت مناقشة القضية التونسية في عدة جلسات امتدت بين 8-10 ديسمبر 1952 وتم خلالها تدوين القضية التونسية في هيئة الأمم المتحدة واعتبرت قضية

1. فقد ذكرت جريدة الصباح كلمة للساسى الأسود جاء فيها: "إخواني أخواتي الأمجاد الذين كافحوا لأجل حرية الوطن وسعادة الشعب ... أدعوكم الى ملازمة الهدوء التام وتفهم الموقف الذي تحياه تونس العزيزة ...". ينظر: جريدة الصباح، 10 ديسمبر 1954.

2. سليم قضيوي، المرجع السابق، ص 103-104.

3. المرجع نفسه، ص 72.

4. عبد الجليل العبيدي، المرجع السابق، ص 73. عن: Georges Day، Les affaires de la Tunisie et de Maroc devant les Nations Unies ، Ed A.Pedone ، Paris ، 1953 ، 18-29

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

تحررية من الاستعمار، وبذلك فشل مخطط فرنسافي اعتبار منظمة الأمم المتحدة غير مؤهلة للنظر في القضية التونسية، ما يمكن قوله إن النشاط الخارجي للحركة الوطنية التونسية كان سندا قويا للوطنيين في تصديهم للسياسة الفرنسية والضغط على الحكومة الفرنسية، وخيم في تونس ترقب من الانعكاسات السلبية لتدوين القضية التونسية على الوضع الداخلي¹.

في 18 سبتمبر 1953 عرضت القضية التونسية من جديد في جدول أعمال الأمم المتحدة، نظرا لعدم التوصل إلى حل مقبول يراعي السيادة التونسية فالمقيم العام الجديد (Pierre Vonsan) لم يأتي بالجديد مقارنة ب دوهوتكلوك، وصاغ صالح بن يوسف قرارا متماسكا كاد أن يحصل على الاغلبية لولا الدور المتزايد للدبلوماسية الفرنسية التي كانت تهدم ليلا ما كانت تبنيه الدبلوماسية التونسية نهرا، وقد أيد القرار 31 صوتا، وصوتت ضده 18 دولة وامتنعت 10 دول عن التصويت، وكان يكفي 3 أصوات لتبني القرار².

ساهم النشاط الوطني بالخارج في تغيير السياسة الفرنسية داخليا، فمع وصول فرنسوا منداس للسلطة في فرنسا بعد هزيمة الجيش الفرنسي في ديان بيان فو (7 ماي 1954)، حاول التواصل مع الدستوريين على رأسهم الحبيب بورقيبة، محاولا استقطابهم للمفاوضات وهو ما حصل عليه، فقد لبى الحبيب بورقيبة الدعوة من منفاه حتى انه رضخ لشرط مانديس الأول بنزع سلاح المقاومة³.

ما يهمننا في كل هذا ان النشاط السياسي للوطنيين في الخارج خاصة الأمم المتحدة ساهم ولو بشكل بسيط في تغيير مواقف الفرنسيين من خلال منح مانداس الاستقلال الداخلي تلاه الإمضاء الرسمي على اتفاقيات الاستقلال الذاتي لتونس في 3 جوان 1955 وإن كان بشروط مجحفة تنقص من سيادة تونس وتكونت حكومة تفاوضية التي اعتبرها بورقيبة مرحلة مهمة من المراحل التي ستؤدي إلى اكتمال السيادة التونسية.

3- الصراع البورقيبي – اليوسفي وعودة العمل المسلح (1955-1956):

أثارت الاتفاقيات المبرمة بين الدستوري الجديد الذي مثله الحبيب بورقيبة وحكومة الحماية الفرنسية ردود فعل متضاربة داخل القوى الوطنية وفي صفوف الرأي العام الفرنسي، وقد عارض الاتفاقيات الموقعة، الحزب الدستوري القديم ولجنة صوت الطالب الزيتوني وقيادة الاتحاد العام للفلاحين التونسيين ودوائر جامعة الزيتونة وعناصر مهمة داخل الحزب الدستوري الجديد على رأسهم صالح بن يوسف الذي عاد الى تونس في 13 سبتمبر 1955 وشن

1. عبد الجليل العبيدي، المرجع السابق، ص 74.

2. سليم قضيومي، المرجع السابق، ص 78-79.

3. Le Petit Matin, 03/07/1954.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

حملة ضد اتفاقية 3 جوان 1955 معتبرا ذلك خطوة نحو الورااء.¹ مما خلق داخل الدستوري الجديد صراعا سيستمر الى غاية الاستقلال.

أ- الخلافا السياسي البورقيبي اليوسفي:

في خطاب صالح بن يوسف² بجامع الزيتونة بتاريخ 7 أكتوبر 1955، اعتبر الاتفاقيات وسيلة جهنمية لتقسيم الشعب، وبلية على الأمة، وأكد على ضرورة تماسك الشعب التونسي لأجل العمل الجاد المثمر وأضاف قائلا: "...علينا ألا نغالط أنفسنا بأننا أصبحنا سادة في بلادنا وهذه التنازلات أو الاتفاقيات كما يقولون التي أقرها إخواننا المفاوضون ... انني من هذا المكان استنكر كل الاستنكار وأشنع كل التشنيع بكل من تحدثه نفسه بأن هذا الشعب الأبى المجاهد أصبح في نظر البعض قطيعا من الغنم وليس لهم الحق ولا الحرية في أن يقولوا ما يعتقدون ويقرروا ما يريدون ..."³.

1. عميرة علية الصغير، المقاومة المسلحة ... المرجع السابق، ص 169.
2. ولد في 11 أكتوبر 1907 بقرية مغراوة قرب بلدية ميدون بجزيرة جربة ، تحصل على شهادة البكالوريا في جوان 1930 مما فتح له المجال لمواصلة تعليمه الجامعي في فرنسا ، فدرس الحقوق وتحصل على الإجازة في الحقوق عام 1933 ثم على دبلوم في العلوم السياسية عام 1934 ، نشط خلال دراسته الجامعية بالوسط الطلابي المغربي ، وشغل منصبا مهما في الهيئة المديرية لجمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين في سنة 1931 ، حيث تولى مهمة كاتب عام مساعد ، بعد عودته الى تونس التحق بقيادة الحزب الحر الدستوري الجديد ، و تقلد قيادته خلال سنتين ، باعتباره عضوا في الديوان السياسي في عام 1934 ثم أمينا عاما منذ منتصف الأربعينات . في أحداث 9 أبريل 1938 كان من أوائل القياديين الذين ألقى عليهم القبض ، سجن في حصن سان نيكولاس بفرنسا الى غاية 1943 ، ساهم في قيادة الحزب الدستوري الجديد بعد رحيل بورقيبة الى المشرق العربي ، عما على احاطة الحزب بالمنظمات القومية ، فاستقطب الاتحاد العام التونسي للشغل الذي تأسس عام 1946 و شجع على تأسيس عدة منظمات منها الإتحاد العام للفلاحين التونسيين و الإتحاد التونسي للصناعة و التجارة ، اتجه الحزب الدستوري الجديد الى التفاوض مع سلطات الحماية الفرنسية تحت رئاسة حكومة محمد شنيق تقلد خلالها صالح بن يوسف منصب وزارة العدل ، لكن تمسك فرنسا بالسيادة المزدوجة من خلال مذكرة 15 ديسمبر 1951 و القاء القبض على القيادة الدستورية دفعه للعيش بين جنيف و القاهرة ، عاد صالح بن يوسف لتونس في 13 سبتمبر 1955 و قرر رفض التوجه الذي اقره الحبيب بورقيبة بعد خطابه في جامع الزيتونة بتاريخ 7 أكتوبر 1955 ، و يكون حدا فاصلا ، إذ قرر بورقيبة تجريدته و من معه من الأمانة العامة و اعلن طرده من الحزب في 12 أكتوبر 1955 ، بعد التوقيع على بروتوكول الاستقلال في 20 مارس 1956 ضعف موقفه السياسي و ابتعد عنه العديد من المقربين ، اغتيل في 12 أوت 1961 في فرانكفورد بألمانيا . ينظر: محمد ضيف الله، صالح بن يوسف خطب ووثائق أخرى (1955-1956)، ط1، المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، تونس، 2015، ص 8-12.

3. المرجع نفسه، ص 60-61.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

أما بورقيبة اعتبر معارضة صالح بن يوسف للاتفاقيات ناتجة عن حالة غضب ظرفية مرتبطة بأغراض شخصية للوصول إلى مواقع السلطة والنفوذ، لكن صالح بن يوسف في ندوة صحفية بتاريخ 05 نوفمبر 1955 أشار أن المنحي سليم لم يتمسك بالحدود المتفق عليها، ما يشير إلى وجود تفاهات سابقة بين الدستوريين لم تحترم من طرف المفاوضين أو لم يرجع الفريق المفاوض لبقية القيادة الدستورية للتشاور معها حول القرارات النهائية الموقع عليها¹.

عموما كان لخطاب صالح بن يوسف صداه عند المندوب السامي الفرنسي الذي احتج عند الحكومة التونسية، قائلا: "إنه لا يجوز للسيد صالح بن يوسف وهو الأمين العام للحزب الدستوري الجديد وافق رئيسه الحبيب بورقيبة على الاتفاقيات التونسية الفرنسية، أن يعلن الحرب على هذه الاتفاقيات..."². لذلك كان على بورقيبة ان يجد حلا للمشكلة، فقرر طرد صالح بن يوسف من الحزب، ففي 7 أكتوبر 1955 عقد اجتماعا مع الديوان السياسي بغياب صالح بن يوسف وتقرر تنحية صالح بن يوسف من الأمانة العامة للحزب وتجريده من عضويته³.

جاء قرار طرد صالح بن يوسف صادما للدستوريين، فتوافدوا على منزل صالح بن يوسف الذي قام فيهم خاطبا من شرفة منزلة، معلنا مناهضته للاتفاقيات الفرنسية التونسية وتمسكه بمنصب الأمين العام، وفي 15 أكتوبر 1955 ألقى خطابا من منزلة صرح أمام 10 آلاف حاضر بعدم شرعية الديوان السياسي واعتباره منحلا⁴، استنادا لما جاء في قرار لجنة تحرير المغرب العربي الصادر بتاريخ 14 أكتوبر 1955 الذي قام بفصل الديوان ورئيسه بورقيبة من عضوية اللجنة ونقلها لصالح بن يوسف، مما يؤكد ارتباط صالح بن يوسف بالنضال المغربي المشترك وهو ما سنعالجه لاحقا⁵.

لكن الصراع بين الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف لم يقتصر على تبادل الخطب في العاصمة فقد، بل تعداها الى تنظيم جولات في مختلف المدن التونسية، ففي يوم 18 نوفمبر 1955 وبورقيبة لا زال لم ينهي مؤتمر صفاقس⁶، عقد بن يوسف اجتماعا أكد فيه أن الخلاف

1. جريدة البلاغ، 1955/11/11.

2. الطاهر عبد الله، المصدر السابق، ص 142.

3. عروسية التركي، المرجع السابق، 241.

4. جريدة الزهراء، 18 أكتوبر 1955.

5. الطاهر عبد الله، المصدر السابق، 147.

6. عقد مؤتمر صفاقس بين 15 و 19 نوفمبر 1955 وهو مؤتمر علني عقده الحزب الدستوري الجديد منذ سنة 1938، فقد صدر يوم 30 سبتمبر 1954 قرار من المقيم العام الفرنسي يلغي القرار الذي قضى بحل الحزب يوم 12 أبريل 1938 بعد أحداث 9 أبريل 1938 وقد حضره 1242 نائبا و ممثلون عن البلدان الشقيقة و الصديقة أمثال الشيخ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف المصري، خير الدين الزركلي

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

لا زال قائما، وشرع منذ 20 نوفمبر 1955 في جولة بأحاء البلاد خاصة الجنوب التونسي، وحدث تواصل بينه وبين الطاهر الأسود الذي رفض سابقا التخلي عن سلاحه والتحق بالثورة الجزائرية وهو إشارة لرغبة بن يوسف في تفعيل المقاومة المسلحة.

ب- عودة العمل المسلح في ظل الصراع السياسي القائم داخل الحزب الدستوري الجديد:

أثناء جولة صالح بن يوسف بمناطق مختلفة من تونس رافقه الطاهر الأسود الذي حضر معه اجتماعات عديدة، وكثيرا ما يقوم عناصر من الحزب الدستوري الجديد المحسوبين على بورقيبة بإفساد تجمعاتهم، كما تعرضوا لعدة مضايقات من قوات الشرطة الفرنسية، وبداية من 22 ديسمبر 1955 وزع الطاهر الأسود منشورات تدعو رفاقه القدامى في الكفاح الى استئناف المقاومة، فكون اليوسفيون منظمة عسكرية (الجهة المضادة) يشرف عليها عبد الرحمان بن محمود الشملي وتم الكشف عنها في 16 ديسمبر 1955¹.

أطلقت الصحافة الفرنسية على المقاومة المسلحة المحسوبة على صالح بن يوسف والمتكونة من قدماء المحاربين الذين شاركوا في حروب فرنسا إسم (الفلاحة الجدد)، وقد انتشر عناصرها في مناطق مختلفة من تونس في الوسط والغرب والجنوب، من أشهر قادتها الطاهر الأسود، محمد مصباح النيفر، الهادي الأسود، عبد اللطيف زعير، الطيب الزلاق، على درغل، رضا بن عمار، أحمد الأزرق، وعبد الله بن شيخ عمران، ناصر الوصيف، محمود بن حسون...².

بدأت عمليات المقاومة مع بداية جانفي 1956 من خلال اشتباكات مع القوات المسلحة في مناطق الجنوب وعلى الحدود التونسية الجزائرية، في هذه المرحلة بدأ مشروع يمتزج للمقاومة المسلحة الجزائرية والتونسية قبل أن يتكون جيش التحرير الموحد، فكثيرا ما كان

مندوب المملكة العربية السعودية ، عبد المجيد محمود وزير الدولة العراقي ، عبد الرحمان قلهود وزي العدل الليبي وممثلين عن أحزاب و جمعيات اجنبية ، وتم تعيين الباهي الأدغم رئيسا للمؤتمر، ودعوة صالح بن يوسف لكنه ماطل و تسوف و لم يحضر المؤتمر.. تخلل المؤتمر خطاب للحبيب بورقيبة دافع فيها عن الاستقلال الذاتي و اعتبره خطوة نحو تحقيق الاستقلال الكامل، وانطلقت اعمال المؤتمر في شكل لجان كل لجنة اهتمت بدراسة مجال (السياسية ، لجنة القانون الأساسي للحزب ، اللجنة المالية ، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية) وخرجت كل لجنة بتوصيات. للمزيد من التفاصيل ينظر:

المؤتمر الخامس للحزب الحر الدستوري الجديد (مؤتمر صفاقص)، نشرية وزارة الشؤون الثقافية والأخبار، تونس، 1971، ص 1-25.

1. عروسية تركي، المرجع السابق، ص 314.

2. المرجع نفسه، ص 316.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

الثوار الجزائريون يجتازون الحدود التونسية ويمارسون بعض العمليات الفدائية¹. وأكدت جريدة (Le petit Matin) الصادرة بتاريخ 29 جانفي 1956 أن المسلحين المنتشرين في المناطق الحدودية من غار الدماء الى قفصة كلهم من الجزائريين، وقد تدعم التضامن بين الثوار الجزائريين والتونسيين بعد تكوين جيش تحرير المغرب العربي الذي سوف نتطرق الى تكوينه لاحقا².

ثالثا: المفاوضات التونسية الفرنسية وعلان الاستقلال (1952-1956):

طوال الفترة الممتدة ما بين سنتي 1952 و1956 تفاوض التونسيون مع سلطات الحماية الفرنسية حول مشاريع إصلاح قدمتها الحكومات المتعاقبة وأوكلت مهمة تنفيذها والتفاوض عليها إلى المقيمين العامين في تونس، فتخللت العملية التفاوضية صراعات وفي بعض الأحيان قطيعة واقصاء للطرف التونسي:

1. إصلاحات دي هوت كلوك وحكومة صلاح الدين البكوش:

غداة تشكيل حكومة صلاح الدين البكوش طرح المقيم العام دي هوتكلوك مشروع إصلاحات في أفريل 1952، وأراد لمشروع الإصلاح أن يكون متقاربا لما جاء في مذكرة 15 ديسمبر 1951³، فمن خلال اطلاعي على محتوى الإصلاحات فإنها التنازل الفرنسي جاء شكليا بعيدا عن المطالب الأساسية للتونسيين، حتى انا روبراشومان لم يستطع اقناع أعضاء الجمعية الوطنية في 20 جوان 1952⁴.

اما الأمين باي فلم يقتنع بهذه الإصلاحات، فقد عارضها على لجنة 40 عضوا في 1 أوت 1952 التي ضمت رجال دين ممثلي المنظمات الوطنية (الفلاحة – التجارة – الشغل) وبعض الوزراء والقياد القدامى، ممثلي الحزب الدستوري الجديد والقديم وبعض رموز المجلس الكبير، وأعدت اللجنة تقريرا مطولا سلمته للباي في 7 سبتمبر 1952، جاء فيه ان اللجنة من واجبها اقتراح رفض المشروع، فسلم الباي بدوره تقرير اللجنة للمقيم العام في 9 سبتمبر 1952⁵.

1. الصباح، 14 جانفي 1956.

2. Le petit Matin, 29/01/1956.

3. عبد الجليل عبيد، المرجع السابق، ص 49.

4. Charles André Julien, Et la Tunisie devint indépendante... op-cit, p 216.

5. الحبيب قرار، المصدر السابق، 86.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

خلف رفض لجنة الأربعين للإصلاحات ردود فعل قمعية وطالب الحزب الاشتراكي الفرنسي في 6 نوفمبر 1953 التفاوض مع ممثلين تونسيين يعينهم الباي، ويعتبر ذلك في نظري طعنا في حكومة البكوش واللجنة، كما سعت فرنسا للخروج من الأزمة من خلال تنحية المقيم دي هوت كلوك وتعويضه ببيار فوازار على إثر قرار لمجلس الوزراء المنعقد في 3 سبتمبر 1953 واوحت للباي بتشكيل حكومة جديدة هي حكومة محمد صالح مزالي (2 مارس 1954 – 15 جويلية 1954) لتمير المشروع الإصلاحي للمقيم العام الجديد.¹

2. إصلاحات فوازار وحكومة محمد صالح مزالي:

شكل محمد صالح مزالي حكومته بدون إشراك أعضاء من الدستور القديم، وأعلن أن دور حكومته ليس إداريا فقط وإنما ستشرع في الاهتمام بالأمور العامة في إشارة للجانب السياسي، إذ سرعان ما قام الباي بالتوقيع على إصلاحات فوازار غاضبا الطرف عما قامت به سلطات الحماية من عزل لوزارة شنيق ونفمها وتسلط الإدارة الفرنسية على أجهزة الدولة في تونس.² ومن الأشياء الإيجابية التي أشاد بها مزالي في الإصلاحات الجديدة:

- الاعتراف بالسيادة التونسية والزيادة في عدد الحقائق الوزارية (8 وزراء) لتونس من مجموع 12، وتم بعث مجلس تشريعي تونسي منتخب يتكون من 45 عضوا بالمقابل بعث لجنة تمثل الجالية الأوربية مكونة من 40 عضوا تخرج قراراتها حتى عن المقيم العام نفسه.

- تشكيل جهاز مختلط لتمثيل المصالح الاقتصادية تضم 11 فرنسيا و8 تونسيين ويسمى بالمجلس الاقتصادي، أما بالنسبة للميزانية فإن القرار يصدر في شكل موسع يضم جميع المجالس مناصفة بين التونسيين والفرنسيين.³

خلاصة للقول أقول أن السيادة التونسية من خلال ما جاء في الإصلاحات الفرنسية ناقصة ، كما ان مبدأ السيادة المزدوجة الذي أرادت فرنسا إيهام التونسيين أنها تخلت عنها جاءت في شكلها الجديد القائم على المناصفة في جميع المجالس التي مستها عملية الإصلاح المزعوم ومما زاد في عدم رضى التونسيين بالإصلاحات البلاغ الذي قدمه المنتخبون الفرنسيون في 12 مارس 1954 المتضمن منح السلطة المالية للفرنسيين لأن أحكام التشريع الجديدة مشابهة لما جاء في مذكرة 15 ديسمبر 1951.⁴ فجاء موقف القوة الوطنية من خلال بعض الدستوريين

1. La Dépêche Tunisienne, 1953/09/03

2. محمد المختار ناصري، المرجع السابق، ص 81-82.

3. المرجع نفسه، ص 82.

4. Le Petit Matin, 12/03/ 1954.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

الجدد و الزيتونيين و الاتحاد العام التونسي للشغل و الرأي العام التونسي رافضا للإصلاحات المقدمة .

3. منداس فرانس و اعلان الاستقلال الداخلي بشروط:

مع وصول منداس فرانس للسلطة في فرنسا سعى لتقديم ما هو جديد لتونس ، فقام بعزل المقسم العام فوازار وتعيين مقيم عام جديد بوايار دو لا تور (Boyer de latour) بتاريخ 29 جويلية 1954، اتبعها بزيارة لتونس رفقة الجنرال جوان في 31 جويلية 1954، التي قدم فيها خطابا اعترف من خلاله بالاستقلال الداخلي لتونس وعمله على إنجازه، وعبر عن استعداد الحكومة الفرنسية للسماح بتكوين حكومة تفاوضية، بالمقابل تتمسك فرنسا برعاية مصالحها ومصالح رعاياها في تونس، والحفاظ على الأمن الخارجي والداخلي والسياسة الخارجية، كما عبر عن استعداده لاتخاذ الإجراءات المناسبة للقضاء على العنف¹.

أثار الخطاب ردود فعل متباينة داخل الأوساط التونسية والفرنسية، نظرا للانقلاب الذي وقع في السياسة الفرنسية، وحتى بعد تقديم حكومة مزالي في 15 جويلية 1954 لم يجرأ أحد على تحمل المسؤولية خوفا من ردود انتقامية. وتولي الحكومة اداريين لم يسلموا من التهديد، وكان الهدف خلق فراغ حول الباي، وفي 2 أوت 1954 كلف الطاهر بن عمار بتشكيل حكومة تفاوضية، اكتمل تشكيلها في 7 أوت 1954 شملت 5 وزراء مستقلين و أربعة دستوريين واشتراكي واحد². وفي 17 أوت 1954 سافر الطاهر بن عمار مع محمود المصمودي لفرنسا للتمهيد للمفاوضات، هناك تواصل مع الحبيب بورقيبة فوجد تطابق وجهات النظر معه، كانت انطلاقة المفاوضات مشجعة لكن تصاعد عمليات الجيش الفرنسي ضد المقاومين التونسية عطل مواصلتها ، كما اعتبر قرار بورقيبة في تخلي المجاهدين التونسيين على السلاح سببا في نشوب خلاف داخلي بينه وبين صالح بن يوسف سيمند إلى غاية الاستقلال، وظهر هنا رأيين الأول يأمن بسياسة المراحل في الحصول على الاستقلال و الثاني يرى أن الكفاح المسلح هو الوسيلة الوحيد لدحر فرنسا و جيشها من تونس للحصول على استقلال كامل غير منقوص.

تحت ضغوط الأوساط الاستعمارية بتونس و فرنسا سقطت حكومة منداس فرانس في 5 فيفري 1955 وعوضت بحكومة إيدغار فور (Edgar Faure) التي تمسكت بمواصلة المفاوضات مع التونسيين، فانطلقت في 15 مارس 1955 فوقع خلاف بين الطرفين حول إبقاء المنطقة العسكرية بالجنوب والتمثيل الفرنسي، لكن الوفد التونسي تمسك بمبدأ وحدة التراب التونسي

1. محمد المختار ناصري، المرجع السابق، ص 82.

2. المرجع نفسه، ص 81.

. الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من هاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال 1945-1955.

و قبل ببعض التنازلات الظرفية في مجال الأمن ، فوقع اتفاق بين الطرفين في 21 أفريل 1955 وتم الإمضاء على بروتوكول الاستقلال الداخلي في 3 جوان 1955، الذي عرف معارضة من بعض القوى الوطنية على رأسهم صالح بن يوسف الذي دعا الى استئناف المقاومة المسلحة¹ ، فشهدت تونس عمليات ضد القوات الفرنسية ، دفعت الحبيب بورقيبة للتوجه الى فرنسا للضغط من اجل استئناف المفاوضات مع حكومة الحماية الفرنسية (29 فيفري 1956)، وأما اشتداد المعارك في الجزائر وتوسع عمليات المقاومة في تونس، وظف الجانب التونسي بقيادة الطاهر بن عمار الظروف الداخلية و الخارجية لإخضاع الجانب الفرنسي، وتم الغاء معاهد باردو والتوقيع على بروتوكول الاستقلال في 20 مارس 1956.²

1. محمد المختار ناصري، المرجع السابق، ص 84.

2. المرجع نفسه، ص 82.

الخاتمة

شهدت منطقة المغرب العربي خلال النصف الأول من القرن العشرين تطورات عسكرية وسياسية، شكلت نقطة تحول مهمة في العمل الوطني، فظهرت تطلعات في دول المغرب العربي، سعى من خلالها قادة الحركة الوطنية في كل من الجزائر وتونس و هما موضوع دراستنا، لاستثمار الوضع الجديد من أجل رفع المطالب الوطنية في إطار التكامل والمساعي المشتركة لمنطقة المغرب العربي لتحقيق استقلالها، مستغلين القواسم المشتركة كالدين واللغة والعادات والتقاليد للوصول لأهدافهم.

فمن خلال دراستنا لموضوع (تأثيرات الحرب العالمية الثانية على الحركة الوطنية في دول المغرب العربي)، التي ركزت من خلالها على معالجة قطرين (الجزائر وتونس)، تبين لي أهمية الدراسة في التعريف بمرحلة مهمة من تاريخ الجزائر وتونس، وإظهارها لبعض الحقائق التاريخية المرتبطة بالحرب العالمية الثانية وما تأثيرها على النشاط الوطني في الدولتين المغاربيتين، وبعد المرور بمراحل النضال الوطني أثناء الحرب العالمية الثانية والتحويلات التي طرأت عليها بعدها، خلصت إلى النتائج التالية:

1- إن فشل المقاومات المسلحة في الجزائر وتونس، بسبب عدم المتكافئ في الإمكانيات ونقص الخبرة في إدارة المعارك دفع الشعبين مع مطلع القرن العشرين للتحويل نحو العمل السياسي وتأسيس الأحزاب السياسية والجمعيات كوسيلة بديلة للعمل المسلح، مما أجهض نظرية الاحتلال بأن الشعبين اعترفا بواقع السيطرة الاستعمارية.

2- شكلت سياسة الاحتلال الفرنسي مع نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين ضربة قوية للحركة الوطنية في كل من الجزائر وتونس، فبسبب رفض المطالب المقدمة من طرف الحركة الوطنية في الجزائر (مطالب المؤتمر الإسلامي 7 جوان 1936)، التي اعتبرت محاولة نحو توحيد الحركة الوطنية الجزائرية، مما شكل خطرا على مصالح المستوطنين وإدارة الاحتلال خاصة مع بداية ظهور بوادر الحرب العالمية الثانية، فشرعت في فرض حالة الطوارئ وإيقاف عمل الأحزاب السياسية واعتقال مناضليها، أما في تونس فقد اعتبرت أحداث 9 أفريل 1938 التي خرج فيها الشعب التونسي في مظاهرات أطرها الحزب الدستوري الجديد للمطالبة ببرلمان تونسي يمثل صوت الشعب، واجهها الاحتلال بكل وحشية من خلال القمع والاعتقال لمناضلي الحزب وإيقاف نشاطه .

3- كان لسيطرة القوات الألمانية على فرنسا وتولي حكومة فيشي السلطة، تأثيره على الوضع السياسي في تونس، فقد ارتقى لعرش تونس المنصف باي الذي تميزت مواقفه بالحياد تجاه الدول المتحاربة، رغم الضغوطات، أطلق بعدها الباس اصلاحات داخلية

تنوعت بين القصر، الإدارة التونسية، الحكومة التونسية ، محاولا إحداث نقلة نوعية حتى على الساحة السياسية من خلال خلق توافق بين الحزبين الدستوريين القديم و الجديد .

4-تأثر نشاط الحركة الوطنية الجزائرية مع اندلاع الحرب العالمية الثانية خاصة حزب الشعب الجزائري الذي تحول نشاطه منذ حله سنة 1937 إلى العمل السري من خلال تكوين خلايا تعمل على تكريس أساليب دعائية تكون أكثر فعالية، اما فرحات عباس فشهدت مواقفها تحولا بعد مشاركته في الحرب لجانب فرنسا، وشرع بعد 8 نوفمبر 1942 في توحيد التيارات الوطنية رغبة منه طرح مطالب توافقية.

5-كانت الجزائر و تونس قبل و أثناء الحرب العالمية الثانية مسرحا لدعاية متضاربة، بين دول المحور (إيطاليا – ألمانيا) من جهة والحلفاء (فرنسا – بريطانيا – الولايات المتحدة الأمريكية) من جهة أخرى، استخدمت فيها وسائل متعددة من حصص إذاعية ناطقة باللغة العربية والعامية واستعمال للمراكز الدبلوماسية من اجل تجنيد الجواسيس ودعم المتعاونين مع دعايتهم، وتأثر بدعاية المحور نخبة من الوطنيين التونسيين والجزائريين عملوا في عدة تنظيمات كاللجنة الثورية لشمال إفريقيا 1939 ومكتب المغرب العربي ببرلين 1942 ، مستغلين تحول مجريات الحرب لصالح المحور للتقرب من الألمان وطرح تطلعاتهم في استقلال شعوب المغرب العربي ، فيما جناح آخر من الحركة الوطنية في المغرب العربي (تونس و الجزائر) أعتبر الانحياز للمحور خطأ لا تحمد عواقبه ، و فضل التريث و انتظار نتائج الحرب .

6-شكلت عملية التجنيد خلال الحرب العالمية الثانية بالنسبة للاحتلال الفرنسي في كل من الجزائر وتونس وسيلة ملحة لتعويض النقص الذي وقع فيه الجيش الفرنسي، فجعلت من تسخير الموارد المادية والبشرية المتوفرة في مستعمراتها وسيلة لدعم مجهودها الحربي، رغم رفض الشعبين التجنيد من خلال وسائل متعددة كالفرار والانتفاض ضد قوانين التجنيد، أما من شاركوا في الحرب فشكل اختلاطهم بالمجندين من المستعمرات الفرنسية والأوربيين دافعا في تعميق الوعي الوطني عند المجندين الجزائريين والتونسيين، فهم لاحظوا كيف كان الفرنسيون يدافعون عن وطنهم من أجل الحرية .

7-إن سياسة سلطات الحماية الفرنسية تجاه الوطنيين التونسيين خاصة الدستوريين سواء خلال سيطرة المحور أو الحلفاء تراوحت بين التضيق على نشاط مناضليها وإيقاف نشاطهم تارة وفتح مجال العمل السياسي المحدود والتماطل والتسويق

فيتلبية المطالب الوطنية تارة أخرى، سعيًا منها لكسب الوقت ومحاولة من إدارات الحماية المتعاقبة خلال الحرب استقطاب قادة الحركة الوطنية لجانبها.

8- لقد أظهرت التحولات التي طرأت على العلاقة بين المنصف باي والإقامة العامة التوجه الاستقلالي للباي، فخلقت قلقًا عند إدارة الحماية لحكومة فيشي وممثلها بتونس، خاصة بعد قيام الباي بإصلاحات داخل القصر وإعادة هيكلة وتنظيم أمور سلطته، مستغلا الظروف والتطورات على الساحة الدولية وسيطرة الألمان على تونس طيلة الفترة الممتدة ما بين (نوفمبر 1942 - ماي 1943).

9- كان لعملية تورش (Torch) دور في تغيير مجريات الحرب بمنطقة المغرب العربي فسيطرة الحلفاء على منطقة شمال إفريقيا، أحدث تأثيرًا إيجابيًا على نشاط الحركة الوطنية في تونس والجزائر، من خلال رفع مطالبها لقيادة الحلفاء والتوجه نحو العمل الجماعي، ففي الجزائر سارع فرحات عباس لطرح بيان الشعب الجزائري في 10 فيفري 1943، أما تونس فقد طرحت بيان الجبهة الوطنية التونسية 30 أكتوبر 1944 الذي تطور سنة 1945 إلى مطلب الاستقلال التام بدل الداخلي.

10- من نتائج سيطرة الحلفاء على تونس خلع المنصف باي من عرش تونس، الذي ساهم في ظهور حركة مطلبية أطلق عليها الحركة المنصفية ضمت مختلف القوى السياسية بالبلاد، أخذ شكل جبهة وطنية تونسية، جمعها مطلب أساسي هو عودة الباي لعرشه، وقد ضمت الحزب الدستوري الجديد والحزب الدستوري القديم، المستقلين، مشايخ الزيتونيين وطلبتهم، أعضاء من المجلس الكبير، المنصفين، أمراء من العائلة الحسينية، أما الحزب الشيوعي التونسي فأظهر عدائه للجبهة واتهم المنصف باي بالعمالة للألمان.

11- برز في الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية شخصية سياسية أثرت بشكل كبير في النشاط الوطني الجزائري ممثلة في شخص فرحات عباس، خاصة في ظل غياب أبرز الشخصيات السياسية الأخرى، التي كانت توجد أغلبها في سجون الاحتلال، فظهر فرحات عباس شخصية مهمة ساهم في بعث نشاط الحركة الوطنية الجزائرية ومطالبها طيلة فترة الحرب العالمية الثانية خاصة بعد الإنزال الأنكلو-سكسوني في 8 نوفمبر 1942، من خلال مذكرته للحلفاء وتقديمه لبيان الشعب الجزائري 10 فيفري 1943.

12- ساهمت الحرب العالمية الثانية في بروز جيل من الجزائريين والتونسيين أكثر وعيًا، فهزيمة فرنسا أمام الجيش الألماني غيرت صورتها عند الذين كانوا يعتبرونها إمبراطوريتا لا تهزم، فجعلت الجزائريين والتونسيين أكثر جرأة في طرح مطالبهم بعد تولي

حكومة فيشي الموالية للألمان، وزادت مطالب الوطنيين في تونس و الجزائر بعد الإنزال الأنكلو سكسوني بسواحل المغرب العربي من خلال التوقيع في تجمع وحدوي ضم اغلب الأحزاب.

13- شجعت الظروف الداخلية والخارجية في الجزائر وتونس اثناء الحرب و بعده على بروز محاولات وحدوية، ففي الجزائر أصدرت الحركة الوطنية بقيادة فرحات عباس بيان الشعب الجزائري في 10 فيفري 1943 و بعد رفض الاحتلال لمطالبها أسست حركة إحياء البيان والحريات كإطار قانوني جمع مختلف التيارات السياسية ما عدى الحزب الشيوعي، أما في تونس فقد دفعت سياسة الحماية الفرنسية تجاه التونسيين من ملاحقة لقادة الحركة الوطنية وعزل للباي إلى تكون حركة أطلق عليها الحركة المنصفية، التي نشطت بشكلها السري تحت اسم الجبهة الوطنية التونسية وسعت من خلالها لتوحيد المطالب الوطنية، فتوضح ذلك خلال مؤتمر ليلة القدر في 23 أوت 1946 الذي خرج بتوصيات تطالب باستقلال تونس التام .

14- اعتبرت مجازر 8 ماي 1945 في الجزائر نقطة تحول في طريقة تفكير التيارات السياسية الوطنية الجزائرية، إذ أعطت تصورا جديدا لدى الوطنيين الجزائريين حول التطورات التي ستعرفها الساحة السياسية الجزائرية بعد الحرب العالمية الثانية ، فظهر تيارين الأول رأى أن الاحتلال الفرنسي بسياسته العدوانية التي أظهرها في 8 ماي لا يمكن ان ننتظر منه الاستجابة لمطالب الجزائريين والسبيل الوحيد للحصول على الحرية والاستقلال والكفاح المسلح، اما التيار الثاني يرى ضرورة مسايرة الاحتلال و استمرار النضال الوطني في إطار القانون تجنباً لردود فعل سلطات الاحتلال .

15- ساهمت سياسة الاحتلال الفرنسية تجاه الحركة الوطنية في كل من الجزائر وتونس، في توجه بعض الوطنيين نحو تشكيل تنظيمات عسكرية اثرت على مجريات الأحداث فهما، ففي تونس كون التونسيين بعد أحداث 9 أفريل 1938 وما تبعها من اعتقالات منظمة الهلال الأسود، اما في الجزائر بعد الحرب العالمية الثانية وما نتج عن مجازر 8 ماي 1945 كون التيار الاستقلالي المنظمة الخاصة في سنة 1947 كتنظيم سري عسكري سعى لتشكيل خلايا تعمل على مجابهة المحتل الفرنسي.

16- حققت الحركة الوطنية التونسية في المرحلة الفاصلة بين سنتي (1943-1946) وثبة نوعية من خلال الانتقال من العمل الوطني الحزبي الفردي قبل خلع المنصف باي إلى النضال الوحدوي الحزبي خاصة بعد ظهور الحركة المنصفية وتكتل مختلف التيارات الوطنية والزيتونيين والمستقلين في جبهة وطنية تونسية سنة 1945 التي سعت بعد

الحرب العالمية الثانية لصياغة مطالب استقلالية التي صودق عليها في مؤتمر ليلة القدر بتاريخ 23 أوت 1946.

17- أثرت الحرب العالمية الثانية على طريقة تفكير الوطنيين الجزائريين نتيجة ما ترتب عليها من ردود فعل استعمارية، فظهر فريق داخل التيار الاستقلالي يؤمن العمل المسلح، مما خلق صراعا داخل حركة انتصار الحريات الديمقراطية اجبر مصالي الحاج على تأسيس المنظمة الخاصة 1947 كمحاولة لإبقاء الحركة متماسكة، لكن تطور الخلافات الداخلية عجلت بتصعد الحركة وظهور مجموعة من الجزائريين توجهت نحو التحضير للعمل المسلح.

18- ساهمت التحولات التي عرفها العالم مع نهاية الحرب العالمية الثانية في ظهور عدة منظمات أهمها جامعة الدول العربي التي كان لمصدر دور في تأسيسها ، والتي عملت على دعم الحركات التحررية خاصة في العالم العربي والإسلامي ، فمن البديهي أن تكون قضايا المغرب العربي ضمن اهتماماتها، فعقدت مؤتمر المغرب العربي وكونت هيئة تكون على تواصل مع زعماء الحركات الوطنية المغاربية وتصهر على النضال في الأقطار المغاربية، لكن بروز خلافات الإيديولوجية بين قادة الحركات الوطنية في الأقطار الثلاثة خاصة بعد وصول الخطابي للقاهرة وسعيه إلى توحيد الكفاح المغاربي المشترك بتشكيله للجنة تحرير المغرب العربي و جيش تحرير المغرب العربي ، عجل ببروز النزعة القطرية خاصة في تونس والمغرب الأقصى، لكن اللجنة استطاعت تدارك الموقف وإعادة صياغة توافق جديد بين الأحزاب المغاربية، لم يجد طريقه للتطبيق بسبب الرفض التونسي والمغربي .

19- إن موقف عبد الكريم الخطابي من خلال لجنة تحرير المغرب العربي الثابت والمتمسك بمبدئه الداعية لتوحيد الكفاح المغاربي المشترك لتحرير الأقطار المغاربية من الاحتلال جعله يسعى من خلال جميع الوسائل المتاحة لتقريب المواقف، فعمل على عقد عدة لقاءات منها اجتماع جمعه مع فتحي الديب وممثلي الأحزاب المغاربية ناقش خلاله موضوع التوجه نحو توحيد العمل المسلح في المغرب العربي، فخرج الاجتماع بالإعلان عن ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي.

20- شكل تاريخ الفاتح نوفمبر 1954 حدثا مفاجئا للمحتل الفرنسي الذي لم يحسب له حسابا، واعتبره في بداية الأمر مجرد عمل عصابات خارجة عن القانون، لكن مع تطور هجمات الثوار الجزائريين أدرك الاحتلال الفرنسي أنها ثورة مسلحة ومنظمة، واكبت ما يجري في محيطها المغاربي (تونس، المغرب الأقصى) الذي شهد انطلاقة للمقاومة

المسلحة ضد المحتل بداية من سنة 1952، بعدما كان الاتفاق يقضي بإعلان الثورة متزامنة في الدول المغاربية الثلاثة.

21-إن حصول تونس والمغرب الأقصى على استقلالهما برهن على مدى الاختلاف الواضح في طريقة تفكير قادة الحركة الوطنية خاصة في تونس ويثبت التوجه القطري بدل الحل النهائي والشامل لجميع البلدان المغاربية، رغم ذلك ساهم تحرر تونس والمغرب في تحولهما إلى قاعدة خلفية للثورة الجزائرية شرقا وغربا لإمدادها بالسلاح وتدريب الملتحقين الجدد وزاد الدعم الشعبي للثورة الجزائرية.

22-يمكن القول أن تأثير الحرب العالمية الثانية على الحركتين الوطنيتين في كل من الجزائر وتونس كان واضح أثناء وبعدها الحرب العالمية الثانية ، فعرفت العلاقة بين الحركتين الوطنيتين مرحلة مهمة من التقارب السياسي من خلال مكتب المغرب العربي ولجنة تحرير المغرب العربي والعسكري الذي ظهر في التنسيق الذي بين الثوار الجزائريين والتونسيين على الحدود وفي جبهات القتال، وذلك ما توجس منه المحتل الفرنسي الذي عمد لمختلف الوسائل لتشتيت التلاحم الحاصل بين قادة النضال سواء السياسي أو المسلح، فمنحت الاستقلال لتونس والمغرب للتفرغ للجزائر التي اعتبرتها مقاطعة فرنسية، لكن النضج السياسي عند شعوب المغرب العربي أفضل المخطط الذي جاء نتائجه عكسية على الاحتلال الفرنسي، فقد ساهم النضج السياسي لقادة جبهة التحري في ربط علاقات وطيدة مع الشعب التونسي والمغربي وقادتهم السياسيين فأصبحوا السند الداعم والمهم للقضية الجزائرية .

الملاحق

ملحق رقم (1)

تقرير رفع للجنرال جيرو من طرف جون ريقولت بتوجيه من الجنرال ماست حول مؤتمر شرشال بتاريخ 1942¹/10/22.

480

HISTOIRE D'UNE RÉBELLION

et, dans le cas contraire, sans son concours ou même contre son opposition, les bases de l'Afrique du Nord.

Dans la même opération serait envisagée l'occupation de la zone espagnole du Maroc de façon à régler définitivement le sort des accès de Gibraltar.

2° Préparer des points d'appui pour la création d'un second front européen au printemps. Cette opération largement facilitée par la maîtrise de la Méditerranée, serait d'ailleurs réalisée avec des moyens entièrement différents, dont on peut considérer la majorité des troupes américaines actuellement débarquées dans les îles britanniques comme l'avant-garde.

A cette double préoccupation s'ajoute le désir très net, que nous examinerons ci-dessous, dans les motifs de décision, de lutter de vitesse avec l'initiative de l'Axe en Afrique du Nord.

Aucune date précise n'a été avancée pour le début des opérations : il semble néanmoins, si la préparation est en cours, qu'elle soit encore assez loin de son achèvement. On peut estimer les délais nécessaires à un mois environ, leur intention étant, apparemment, de procéder à l'exécution, dès l'achèvement de cette préparation (ceci sous réserve, bien entendu, d'une agression préalable de l'Axe, agression qui serait alors combattue avec tous les moyens disponibles ; ils espèrent toutefois être prêts les premiers).

Motifs :

Charles (général Mast) qui présidait les négociations du côté français avait posé en premier lieu notre désir que les opérations en Afrique du Nord ne soient pas déclenchées avant le printemps.

Sur l'exposé des intentions de nos partenaires, il leur a demandé de préciser les motifs qui les poussaient à intervenir dès l'hiver.

Ces motifs sont sensiblement ceux que nous vous avons indiqués dans la note précédente :

Motifs politiques : le premier d'ordre intérieur. Grand désir d'apporter à l'opinion publique de leur pays l'annonce d'une grosse opération conduite avec succès. Le second d'ordre extérieur, apporter une diversion au profit de la Russie en fixant sur un autre théâtre d'opérations un certain nombre d'effectifs allemands ou italiens.

Motifs militaires : Précéder, comme nous l'avons dit ci-dessus, une initiative allemande en Afrique du Nord.

Nos partenaires semblent craindre très vivement que cette initiative soit prochaine. A l'appui de leur crainte, ils donnent les éléments de renseignements suivants :

— Renforcement du dispositif italo-allemand en Tripoli-

1.Ch. Mast, op – cit , p 479 .

ANNEXE III

*RAPPORT au général Giraud sur la conférence de Cherchell,
22 octobre 1942*

(Rédigé par Rigault d'après les directives du général Mast
et approuvé par celui-ci)

Note n° 2¹

Conformément aux indications contenues dans la note précédemment expédiée, la conférence envisagée a été tenue dans les conditions prévues, aujourd'hui.

Y assistaient du côté adverse les cinq experts prévus dont deux généraux pour la question opérations. Le plus élevé en grade est le chef du bureau des opérations de l'état-major en Europe.

La conférence a traité successivement des questions posées précédemment, c'est-à-dire :

- intentions de nos partenaires ;
- motifs de leur décision ;
- moyens envisagés ;
- commandement.

En outre, un certain nombre de suggestions sur la conduite générale des opérations dans la première phase ont été présentées du côté français, suggestions qui ont été discutées dans le détail.

Nous examinerons ces différents éléments point par point.

**

Intentions :

Les intentions de nos partenaires sont doubles.

1° Occuper, si possible avec le concours de l'armée française

1. La note n° 1, datée du 15 octobre, est donnée à l'annexe 1.

taine et en Cyrénaïque (une partie des gros renforts nouvellement basés sur Tripoli).

— Rommel actuellement sur la défensive malgré ses moyens.
— Arrivée incessante de renforts italiens, même par la voie aérienne.

— Renforcement de l'aviation en Sicile.

Nos partenaires n'excluent pas également la possibilité d'une action de l'Axe à travers l'Espagne : les travaux de l'infrastructure espagnole qui sont actuellement terminés, sont sans comparaison avec les besoins de l'Espagne (nous avons eu les mêmes renseignements du côté français). Ils hésitent d'ailleurs à se prononcer sur leur attitude dans cette circonstance mais, quoi qu'il en soit, par cet ensemble de considérations, ils jugent le danger sérieux et à échéance de quelques semaines.

Moyens :

Il s'agit d'une très grosse opération : Roosevelt et Churchill s'intéressent personnellement à cette affaire et les Américains notamment, au moment où pour la première fois, des forces américaines importantes traversent la mer pour prendre à leur charge un secteur d'opérations, désirent obtenir un gros succès.

Quelques indications sur les éléments réunis pour cette opération.

Effectifs : 500 000 hommes environ en quinze divisions dont au minimum deux ou trois blindées et plusieurs motorisées. Ces forces seraient articulées en trois corps d'armée et une armée, avec le soutien initial d'une aviation de tous types, forte environ de 2 000 appareils.

Le tonnage nécessaire pour cette opération est réuni et une très grosse flotte de protection serait rassemblée ; elle comprend pratiquement la totalité de la flotte américaine de l'Atlantique à laquelle s'ajouteront toutes les forces britanniques disponibles au moment du déclenchement.

Ces indications matérielles s'ajoutent aux raisons politiques pour indiquer que tout sera fait pour forcer la décision.

Quelques-unes de ces forces viendront de Grande-Bretagne mais la majorité des Etats-Unis, où est actuellement stocké le matériel destiné à cette expédition. En effet, les délais de route de Grande-Bretagne à Alger sont actuellement de quatorze jours en convoi étant donné le large circuit décrit autour de l'Espagne pour éviter les attaques sous-marines. La route New-York-Alger est effectuée en dix-huit jours. L'expert naval a déclaré que dans ces conditions, la différence était négligeable et que le secret de l'opération serait mieux assuré en réunissant les forces nécessaires aux Etats-Unis.

Ajoutons que, conformément à notre désir, il a été confirmé que toutes ces forces sont exclusivement américaines, sous commandement américain. Les Britanniques, dans cette affaire, n'apporteront que des moyens extérieurs (flotte de protection, tonnage, aviation) mais aucune troupe britannique ne mettra le pied en Afrique du Nord.

Le général américain qui prendra le commandement n'est pas encore désigné. Sa désignation serait prochaine.

Commandement :

Vous trouverez ci-annexés les deux textes qui ont été successivement examinés.

Le premier texte est celui qui résultait des négociations avec le représentant diplomatique.

Le second est celui proposé, après discussion avec le représentant militaire (du général Giraud).

L'accord se fait sensiblement sur les bases suivantes :
Opérations placées sous le commandement français. Nos partenaires acceptent en principe cette façon de voir sous réserve de la période de débarquement comportant :

- mise à terre ;
- prise de possession d'un certain nombre de bases sur le littoral (ils estiment que cette opération de débarquement entièrement montée par leurs soins, doit être entièrement dirigée par leurs soins).

En revanche, dans cette première phase de l'opération, un délégué français (par exemple l'adjoint du commandant en chef) serait placé auprès du commandement en chef américain pour faciliter les rapports et présenter les observations du commandement français sur la conduite des opérations pendant cette première phase, en principe, très courte.

Dès que cette phase serait achevée, l'armée américaine, avec tous ses moyens, passerait, comme il est dit ci-dessus, sous commandement français.

Sur cette base, Charles (général Mast) donne son accord, sous réserve de l'accord de Gustave (général Giraud).

**

En dehors des questions générales examinées ci-dessus, deux questions particulières ont été également traitées :

1° *En cas d'initiative de notre part, création d'une tête de pont dans la Métropole et délais.*

2° *En cas d'initiative de l'Axe, moyens mis à notre disposition pour la résistance et délais.*

1° *Création d'une tête de pont : Charles (général Mast) a spécifié qu'une initiative américaine prématurée exposait les*

2° Si nous sommes d'accord pour accepter cette initiative, devons-nous demander aux Américains d'étudier la possibilité d'apporter leur appui à la création d'une tête de pont sur la côte méditerranéenne française ?

Nos partenaires d'une part, Charles (général Mast) de l'autre soulignent que cette double réponse est extrêmement urgente.

En ce qui le concerne, Charles (général Mast), personnellement, recommande l'adoption de principe des propositions américaines, et ceci pour les raisons suivantes :

1° Parce qu'il s'agit d'une très grosse opération dont le succès est facilement assuré si nous lui apportons notre concours.

2° Parce que les opérations se dérouleraient sous le commandement français (les garanties générales d'ordre politique, économique et financier ayant été, par ailleurs, réunies comme nous vous l'avons précédemment laissé prévoir).

3° Parce qu'en tout état de cause les Américains sont décidés à agir et qu'agissant avec ces moyens nous ne saurions leur résister efficacement sans l'aide des Allemands ou sans passer sous le contrôle allemand.

4° Parce que le danger d'une initiative allemande paraît sérieux et que, dans ce cas, pour les raisons indiquées ci-dessus, les renforts nécessaires à la résistance (sauf ceux de l'aviation) n'arriveraient que quinze jours à trois semaines après l'agression. Il est très vraisemblable qu'à ce moment, les Allemands tiendraient déjà toutes les bases importantes, terrains, ports, etc., et que, dans ces conditions, cet appui perdrait beaucoup de sa valeur.

Nous ajouterons personnellement qu'il y a lieu de craindre qu'une initiative américaine en Afrique française du Nord suivie de résistance ne provoque, en France, la constitution d'un gouvernement entièrement tourné vers l'Allemagne. Dans ce cas, nous perdrons, non seulement nos moyens d'action en Afrique du Nord, mais également dans la Métropole.

Pour conclure, ajoutons que l'atmosphère générale des négociations a donné à Charles (général Mast) satisfaction et confiance pour le développement éventuel de nos rapports.

Les accords antérieurs pour livraison de matériel léger avant l'opération et dans la limite des possibilités de réception ont été également confirmés (tout le reste du matériel nécessaire pour la modernisation de l'armée d'Afrique sera livré le jour J et suivants).

P.S. Vous trouverez en annexe, comme suite aux projets de lettres sur la question du commandement, les projets de lettres sur l'ensemble des questions politiques et financières, ces projets donnent pratiquement satisfaction complète à toutes nos demandes.

ملحق رقم (2)

الملحق رقم (3): رسالة من مصالي الحاج إلى اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني بتاريخ 11 أكتوبر 1943.

Document 14 - Lettre de Messali Hadj aux présidents
et membres du Comité de libération
11 octobre 1943

Nul en Algérie n'ignore la situation tragique dans laquelle se débat une population de 8 millions d'arabes et bien moins le gouvernement qui dispose de tous les moyens de renseignements et d'information. Ce n'est pas d'aujourd'hui ou d'hier que cette situation existe, il y a fort longtemps que le peuple algérien crie et appelle au secours tous les gouvernements qui se sont succédés au pouvoir.

Qu'a-t-on fait pour lui ? Oh ! rien ou presque rien. C'est précisément pour cette question qu'en ma qualité de président du Parti du Peuple Algérien et toujours fidèle à son programme politique, j'ai l'honneur de vous écrire la présente lettre pour signaler à votre haute attention ce que je crois être la vérité et ce qu'il importe de faire dans les circonstances actuelles pour apaiser les inquiétudes du peuple musulman et pour garder sa confiance.

Nous vivons des circonstances d'une gravité exceptionnelle. Il importe donc non seulement de dire la vérité, mais encore d'aller droit au sujet qui inquiète à juste titre la population musulmane...

... Les Musulmans algériens observent sérieusement la marche de l'histoire et les événements qui se déroulent et qui bouleversent l'humanité tout entière ne leur échappent point. Il faut compter aujourd'hui avec l'évolution de ce peuple : la jeunesse musulmane, celle des facultés comme celle des bureaux et des champs, est animée d'un sentiment national incontestable. Un espoir immense la guide et fait frémir de joie et d'amour à l'idée de la Liberté et de l'Indépendance ; ceci est tellement vrai qu'un nombre considérable de la jeunesse estudiantine est actuellement en prison pour avoir exprimé le désir de vivre libre dans le pays de ses ancêtres.

On a pu croire que le Comité de la Libération nationale allait entreprendre avec beaucoup d'énergie et de clairvoyance une nouvelle politique capable de dissiper le malaise algérien et de satisfaire les aspirations de ce peuple. Un geste symbolique de la part de ce comité au lendemain de sa création s'imposait. Des réalisations sérieuses et substantielles étaient impatiemment attendues. Une déclaration du gouvernement assurant le peuple de ses bonnes intentions était également attendue. Au lieu de cela la politique indigène a continué son œuvre de mesures répressives, d'incompréhension et d'indifférence totale aux revendications réitérées du peuple. C'est ainsi qu'on a encore arrêté du mois d'avril de cette année jusqu'à ce jour des dizaines de jeunes gens dans trois départements.

La répression ne connaît plus de bornes et s'étend sur tout le pays. Tout dernièrement seulement deux élus musulmans, Ferhat Abbas et Sayah Abdelkader ont été internés pour avoir exprimé démocratiquement leurs sentiments politiques au sein des Délégations financières. Outre cette mesure d'internement, toute la section a été dissoute malgré son caractère électif.

-Jacques Simon, op-cit, pp 45-46.

Ces agissements tant injustes qu'impopulaires ont accentué la colère du peuple et augmenté sa méfiance à l'égard de l'autorité...

...Le Comité de la Libération nationale qui se fait un devoir de démocratiser la vie de la société indigène ne peut sans se contredire ignorer cet état de choses. Pour ma part, je crois traduire le sentiment profond du peuple en n'accordant aucune importance à toutes ces déclarations démocratiques tant que huit millions d'arabes seront encore systématiquement écartés de la gérance des affaires de leur pays au profit d'une minorité féodale.

Pour le peuple algérien la démocratisation veut dire l'égalité pleine et entière entre tous les habitants de l'Algérie, c'est aussi la suppression totale de la politique de l'Indigénat, c'est la liberté de la presse, de réunion et d'association. C'est encore la démocratisation de toutes les Assemblées algériennes et c'est enfin le suffrage universel pour un Parlement algérien élu sans distinction de race ni de religion.

Aussi longtemps que les principes démocratiques ne seront pas suivis, le peuple musulman algérien continuera à n'attacher aucune confiance et aucune considération à aucun gouvernement et à aucun parti. Si la France veut gagner la confiance du peuple algérien, elle doit elle aussi à l'instar de l'Angleterre créer une «table ronde» autour de laquelle viendront siéger les représentants du peuple. Car enfin, toutes réserves faites, la politique coloniale de la Grande Bretagne a conduit à l'émancipation et à l'indépendance l'Égypte, l'Irak, le Canada et l'Australie. Pourquoi la France qui se réclame des principes des droits de l'homme, de la démocratie et de la liberté des peuples à disposer d'eux mêmes ne reconnaît-elle pas aux heures que nous vivons ce que l'Angleterre a reconnu aux autres pays ?

L'Algérie, de par son passé historique, par sa langue et ses traditions islamiques, forme un peuple digne d'occuper une place parmi les autres nations et de contribuer par son apport intellectuel, moral et matériel au progrès de la civilisation.

Fidèle serviteur du peuple algérien, je suis certain que l'exposé ci-dessus renferme des aspirations légitimes et en m'adressant à vous j'accomplis honnêtement mon devoir envers mes compatriotes, la Démocratie et la Justice. Je ne peux terminer cette lettre, Messieurs, sans en appeler à votre conscience, à votre intelligence, pour ne pas décevoir les aspirations nationales du peuple algérien ; aussi je veux enfin élever auprès de vous la protestation la plus énergique contre la répression qui s'abat sur mes compatriotes, contre la faim qui les tenaille et les misères qui les assaillent partout.

*M. Messali Hadj, Président du PPA
en résidence forcée à Boghari.*

Source : SHAT, 1945, 1 H 2811.

ملحق رقم (3)

رسالة من مصالي الحاج إلى لجنة الإصلاح الإسلامي (1944/01/07)

Document 15 - Déclaration de Messali Hadj

7 janvier 1944

Avant d'aborder le sujet pour lequel je suis ici, je veux remercier infiniment la Commission qui me fait l'honneur aujourd'hui de m'exprimer après mon retour d'In-Salah sur les revendications musulmanes à l'ordre du jour.

Au moment où la Commission va procéder à l'examen approfondi sur les aspirations des populations musulmanes, il est de mon devoir, en ma qualité de président du Parti du peuple algérien qui représente la majorité de l'opinion publique, de vous dire comment nous envisageons la solution du problème algérien.

Il ressort du discours prononcé le 12 décembre 1943 à Constantine par M. le général de Gaulle au point de vue des revendications musulmanes un projet Viollette sensiblement amélioré.

Tout en restant fidèle au programme du Parti du peuple algérien déjà plusieurs fois exprimé, je tiens à remercier sincèrement M. le président du Comité de la Libération nationale qui a montré dans son discours l'intérêt qu'il portait aux affaires musulmanes de ce pays.

En 1937, le projet Viollette semblait avoir divisé l'opinion publique musulmane. En réalité, ses chauds partisans hésitaient au fond de leurs pensées. Il y avait dans cet acquiescement du désespoir et de l'incompréhension.

Aujourd'hui, il n'en est plus de même, il y a, il faut le reconnaître, un changement dans les esprits qui se traduit par une évolution politique fort remarquable.

En ce qui nous concerne, nous sommes toujours opposés au projet Viollette de 1937, comme à celui de 1943, pour les raisons suivantes :

Parce qu'il est antidémocratique, il crée une catégorie de privilégiés et maintient la grande masse toujours soumise à la politique coloniale.

D'autre part, ce projet est contraire aux aspirations du peuple algérien musulman qui reste attaché fidèlement à sa langue, à sa religion et à son passé historique.

A la place de la politique d'assimilation qui s'est révélée inopérante parce qu'illogique, une politique d'émancipation s'impose naturellement pour résoudre le problème algérien.

Une telle initiative entreprise par le gouvernement trouvera, dans les circonstances actuelles, sinon l'unanimité entière, du moins une écrasante majorité de la population musulmane.

Messieurs, nous vivons une époque troublée, les musulmans algériens sont profondément mécontents du régime colonial qu'ils subissent depuis un siècle.

Les musulmans algériens ne veulent plus être traités, dans leur propre pays, en hommes inférieurs vis-à-vis des autres minorités qui vivent heureusement en jouissant de tous les avantages. Le musulman algérien demande avec ardeur à jouir de la citoyenneté algérienne, lui garantissant le respect de sa langue, de sa religion, de ses droits politiques, sociaux et économiques pour son émancipation.

C'est ainsi qu'il conçoit la démocratie, les libertés de l'homme et du citoyen et de la liberté aux peuples à disposer d'eux-mêmes.

Dans un pays comme l'Algérie où se coudoient plusieurs races et plusieurs religions, on ne peut sans tourner le dos à la démocratie qui, aujourd'hui ou demain, sera la base de toutes sociétés, continuer à écarter par un système politique colonial 8 millions d'Arabes de la gérance de leur pays au profit d'une minorité qui détient entre ses mains aujourd'hui toute la direction du pays.

Pour mettre fin à cet état de choses, cause de tout le malaise algérien, et qui pèse lourdement sur le moral du peuple musulman, je demande la démocratisation de toutes les assemblées algériennes et la transformation des délégations financières en un parlement algérien élu au suffrage universel sans distinction de races ou de religions.

Dans ce parlement trouveront place, sur le même pied d'égalité, Arabes, Européens et israélites, et tous fraternellement unis travailleront, chacun selon leurs capacités, pour une Algérie libre et heureuse. Tous iront au-devant de l'avenir avec un esprit nouveau, laissant derrière ainsi toutes les anciennes routines, l'égoïsme et la haine qui ont cruellement éprouvé notre beau pays.

Lorsque nous formulons de telles revendications, nous ne demandons guère l'impossible, simplement nous désirons normaliser une situation de fait qui, malheureusement, a tenu à l'écart les musulmans algériens jusqu'à ce jour. Ceci est tellement vrai que lorsqu'on jette un coup d'œil sur l'administration algérienne, on constate immédiatement l'existence d'un État algérien avec son parlement qui sont les délégations financières, jouissant d'une autonomie financière, avec son sénat qui est le conseil supérieur qui ratifie en somme les décisions prises par le parlement déjà indiqué.

La France, nation protectrice et émancipatrice, qui aura dans son sein élevé, éduqué et œuvré pour l'émancipation du peuple algérien, aura non seulement gagné entièrement le cœur des 8 millions de citoyens algériens, mais encore ce geste renforcera son prestige et sa puissance dans le bassin méditerranéen, et du même coup lui gagnera l'amitié sincère et agissante du Maroc, de la Tunisie, du Liban, de la Syrie et du monde arabe.

Et avant de terminer, Messieurs, j'attire respectueusement votre attention sur deux faits :

1. Les idées politiques que je viens d'exprimer devant vous ont été déjà soutenues par moi maintes fois devant les tribunaux de France et d'Algérie, devant lesquels j'ai eu l'honneur de comparaître pour ces mêmes opinions.

C'est vous dire, Messieurs, que je n'ai pas attendu l'armistice de juin 1940 pour manifester mes sentiments à l'égard du problème algérien.

2. Je prie la Commission de soumettre à la bienveillance du gouvernement un projet d'amnistie générale pour tous les détenus politiques en résidence forcée ou internés. Il est une tradition républicaine en France qui veut que toute réalisation soit précédée par la libération de ceux qui, précisément, sont allés en prison et ont souffert pour elle.

Source : *Commission des réformes musulmanes*, pp. 141-144, reproduit dans Kaddache, *Nationalisme*, pp. 183-184.

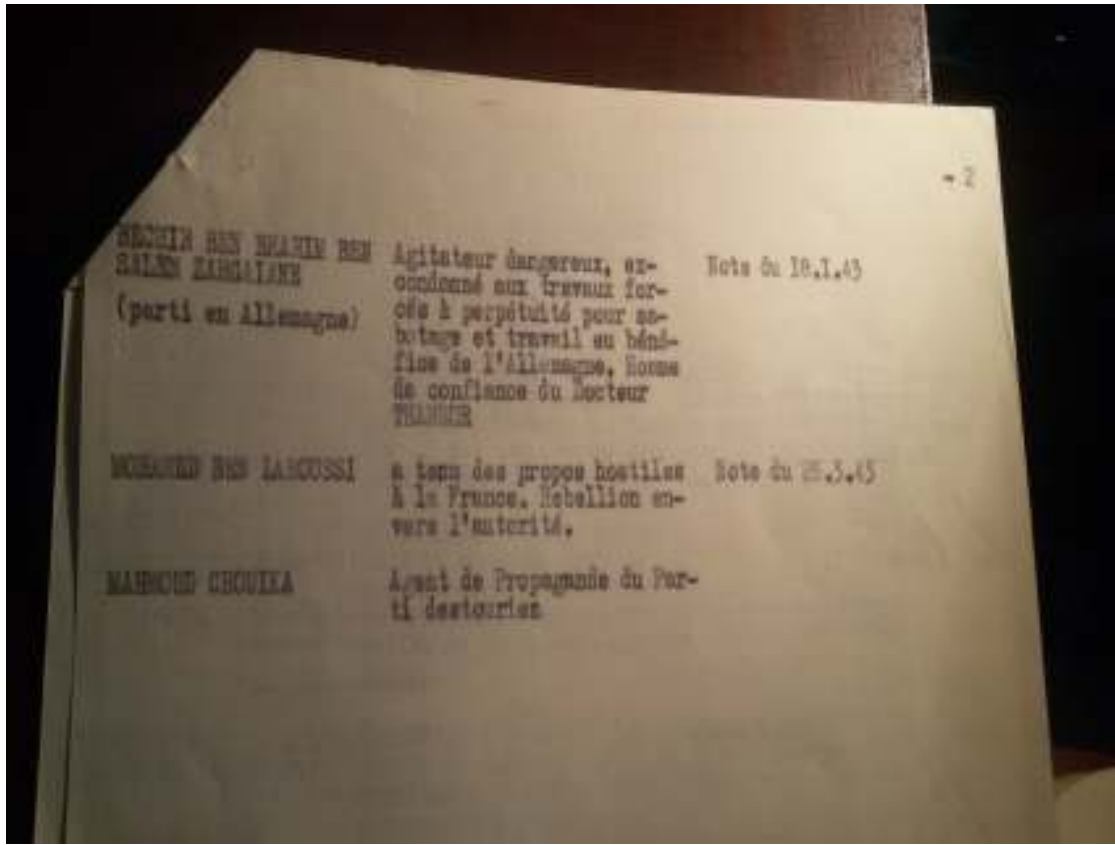
ملحق رقم (4)

قائمة أسماء بعض الدستوريين المتعاملين مع الألمان .

30

NEO - DESTOUR

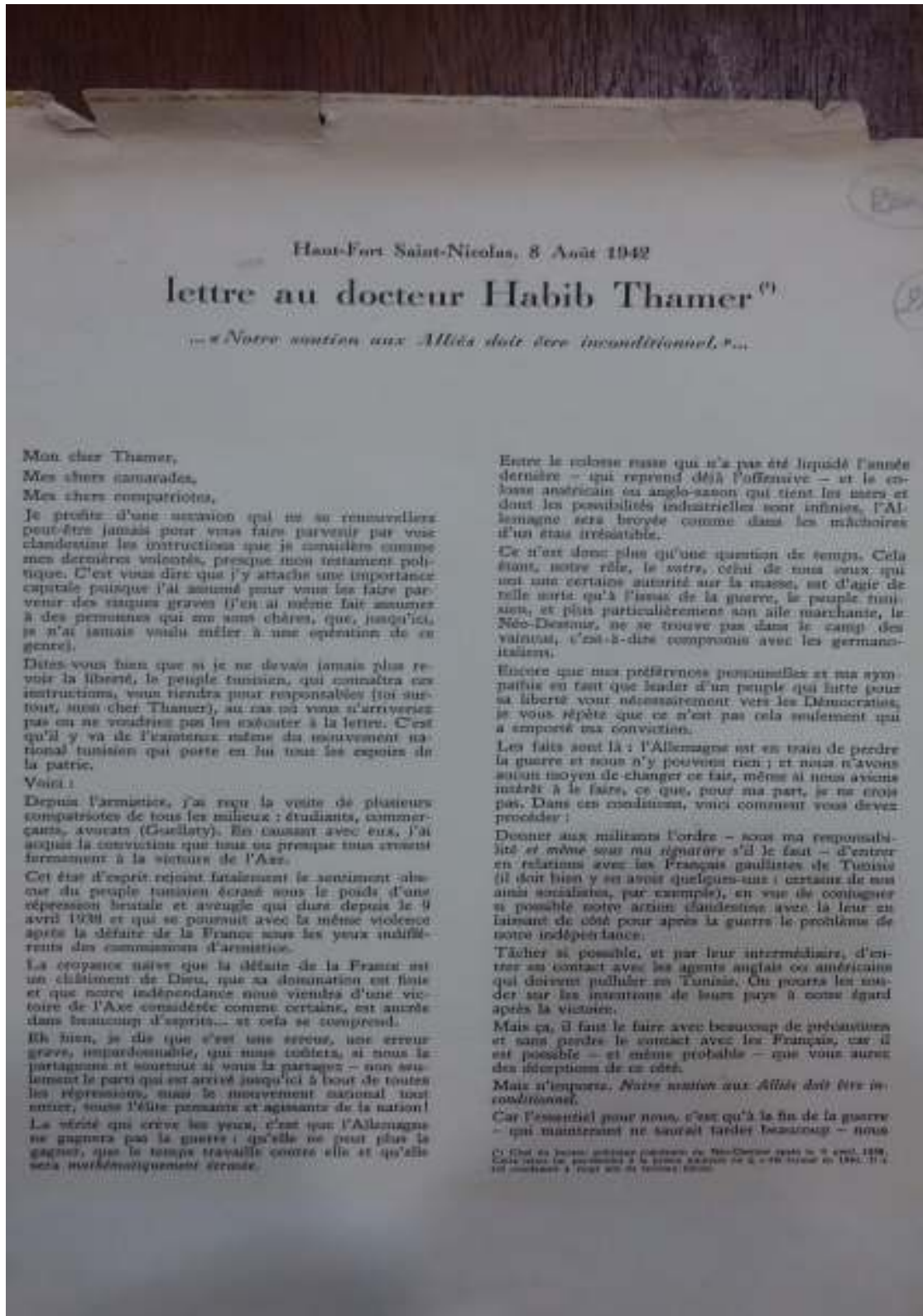
HABIB TRAMER (parti en Allemagne)	Président amanteur du neo-destour et propagandiste anti-français dans son journal et ses tournées de propagande depuis novembre 42, EL FATIHA	(Articles publiés depuis novembre 1942 dans IPHIGIA EL FATIHA)	Ministre Ben-Bechda et El-Bachir Sedid (Cabinet)
TAIEB ELIM (parti en Allemagne)	cousin, alter ego du président et mentionné avec lui pour bandes nationalistes et anti-françaises et tentative de fuite en Tripolitaine.	- id -	10 Imp. de la Guerre à Tunis
HACHID IRISS (parti en Allemagne)	Directeur d'"SONABEN" et auteur de nombreux articles hostiles à la France et favorables à l'Axe, cheville ouvrière de l'esprit nationaliste par voie de la presse arabe	Rapport journalier Janvier 1943	
FARID BOUHEZZAR (arrêté pour sécurité militaire)	Nevou du leader HACHID IRISS et ardent propagandiste du neo-destour, ayant toujours manifesté par la presse et la radio son hostilité à la France.		
HAÏM SAÏDI	Nationaliste ayant toujours déclaré son hostilité à la Cause Française, germanophile convaincu	5 Janvier 1943	
HABIB TRILI (parti en Allemagne)	Agitateur neo-destourien et germanophile notoirement connu	5 Janvier 1943	
SALAH BOU AGRIS	militant neo-destourien très actif à EL-Bachir Sedid	12 Janvier 1943	
MORHANO AYAD EL ANISI	Nationaliste ardent et actif	- id -	
SALAHEDDINE BOUOUCHEM	Militant neo-destourien très actif	(R.J.) 15.1.43	
ALI BOU EL-ANASSER (frère de SALAH BOU EL-ANASSER)	anti-français notoirement connu, à signaler en tant que collaborateur français à la vindicte publique	10 Janvier 1943	

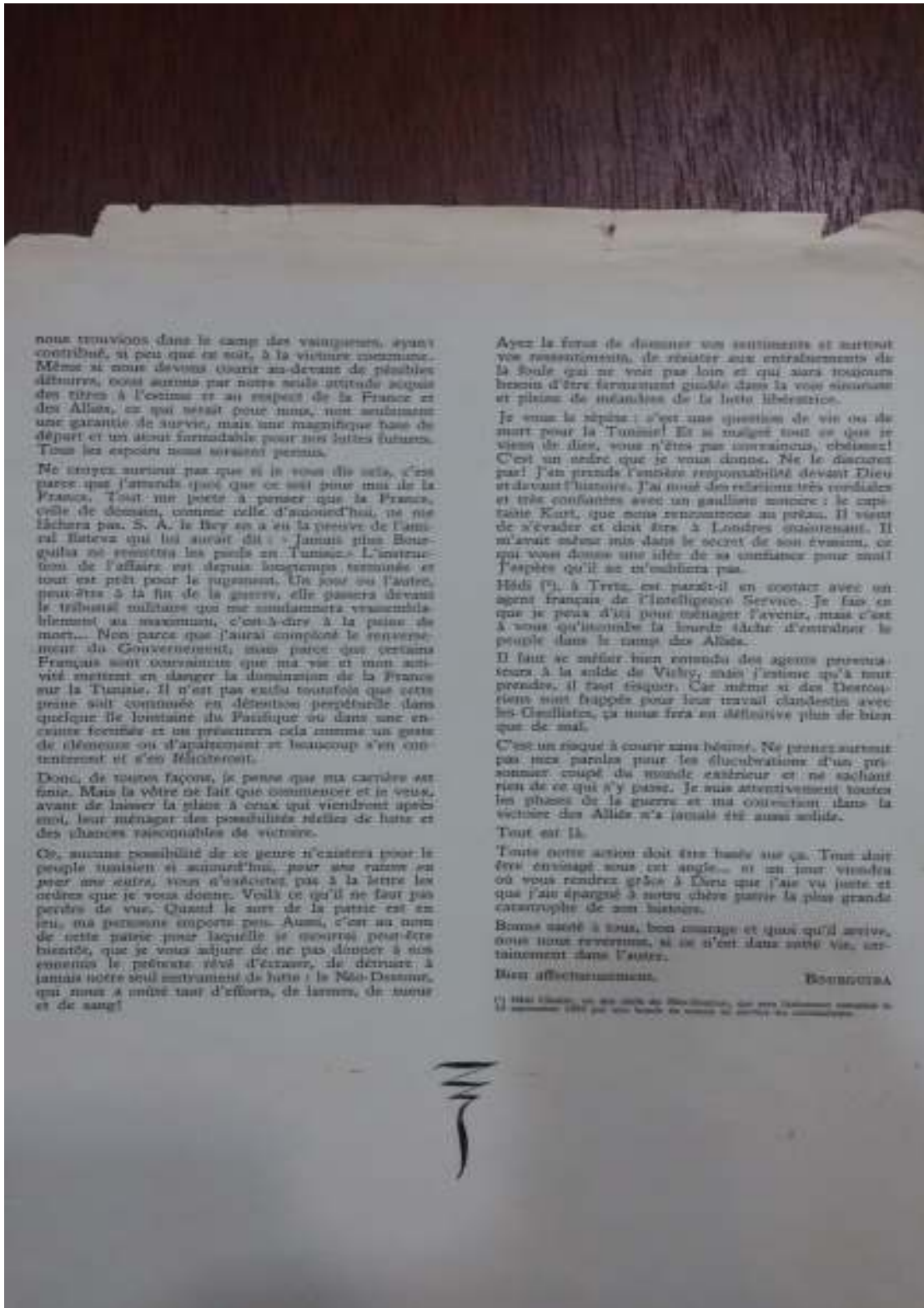


- A.N.T, M.N, C51, D3, une liste de personnes constitutionnelles accusées de traiter avec les Allemands, 1943.

ملحق رقم (5)

رسالة وجهها الحبيب بورقيبة من سجنه بسان نكولا إلى الحبيب ثامر بتاريخ 8 نوفمبر 1942





nous trouvions dans le camp des vainqueurs, ayant contribué, si peu que ce soit, à la victoire commune. Même si nous devons courir au-devant de possibles déboires, nous aurons par notre seule attitude acquies des titres à l'existence et au respect de la France et des Alliés, ce qui serait pour nous, non seulement une garantie de survie, mais une magnifique base de départ et un atout formidable pour nos luttes futures. Tous les espoirs nous seraient permis.

Ne croyez surtout pas que si je vous dis cela, c'est parce que j'attends qu'on se soit joué moi de la France. Tout un poète à penser que la France, celle de demain, comme celle d'aujourd'hui, ne me lâchera pas. S. A. le Bey en a eu la preuve de l'amiral Estévez qui lui avait dit : « Jamais plus Bourguiba ne remettra les pieds en Tunisie. » L'instruction de l'affaire est depuis longtemps terminée et tout est prêt pour le jugement. Un jour ou l'autre, peut-être à la fin de la guerre, elle passera devant le tribunal militaire qui me condamnera vraisemblablement au maximum, c'est-à-dire à la peine de mort... Non parce que j'aurai complété le renseignement du Gouvernement, mais parce que certains Français sont convaincus que ma vie et mon activité mettent en danger la domination de la France sur la Tunisie. Il n'est pas exclu toutefois que cette peine soit commuée en détention perpétuelle dans quelque île lointaine du Pacifique ou dans une enclave fortifiée et on présentera cela comme un geste de défiance ou d'apaisement et beaucoup s'en contenteront et s'en féliciteront.

Donc, de toutes façons, je pense que ma carrière est finie. Mais la vie ne fait que commencer et je vous, avant de laisser la place à ceux qui viendront après moi, leur ménager des possibilités réelles de lutte et des chances raisonnables de victoire.

Ce, aucune possibilité de ce genre n'existera pour le peuple tunisien si aujourd'hui, pour une raison ou pour une autre, vous n'adhérez pas à la lettre les ordres que je vous donne. Voilà ce qu'il ne faut pas perdre de vue. Quand le sort de la patrie est en jeu, ma personne importe peu. Aussi, c'est au nom de cette patrie pour laquelle je mourrai peut-être bientôt, que je vous adjure de ne pas donner à mes ennemis le prétexte rêvé d'être, de détruire à jamais notre seul instrument de lutte : le Néo-Destour, qui nous a unifiés tant d'efforts, de larmes, de sueur et de sang!

Ayez la force de dominer vos sentiments et surtout vos ressentiments, de résister aux entraînements de la foule qui ne voit pas loin et qui aura toujours besoin d'être fermement guidée dans la voie sincère et pleine de confiance de la lutte libératrice.

Je vous le répète : c'est une question de vie ou de mort pour la Tunisie! Et si malgré tout ce que je vous en dis, vous n'êtes pas convaincus, obéissez! C'est un ordre que je vous donne. Ne le discutez pas! J'en prends l'entière responsabilité devant Dieu et devant l'histoire. J'ai tout des relations très cordiales et très confiantes avec un gaillarde militaire : le capitaine Kurt, que nous rencontrons au prison. Il vient de s'évader et doit être à Londres actuellement. Il n'avait même mis dans le secret de son évènement, ce qui vous donne une idée de sa confiance pour moi! Espérez qu'il ne m'oubliera pas.

Hédi (1) à Tretz, est parait-il en contact avec un agent français de l'Intelligence Service. Je fais en que je peux d'ici pour ménager l'avenir, mais c'est à vous qu'incombe la lourde tâche d'entraîner le peuple dans le camp des Alliés.

Il faut se méfier bien entendu des agents procureurs à la solde de Vichy, mais j'estime qu'à leur prendre, il faut risquer. Car même si des Desertions sont happés pour leur travail clandestin avec les Communistes, ça nous fera en définitive plus de bien que de mal.

C'est un risque à courir sans hésiter. Ne prenez surtout pas mes paroles pour les élucubrations d'un prisonnier coupé du monde extérieur et ne sachant rien de ce qui s'y passe. Je suis attentivement toutes les phases de la guerre et ma conviction dans la victoire des Alliés n'a jamais été aussi solide.

Tout est là.

Toute notre action doit être basée sur ça. Tout doit être envisagé sous cet angle... et un jour viendra où vous rendrez grâce à Dieu que j'aie vu juste et que j'aie épargné à notre chère patrie la plus grande catastrophe de son histoire.

Bonne nuit à tous, bon courage et que qu'il arrive, nous nous reverrons, si ce n'est dans cette vie, certainement dans l'autre.

Bien affectueusement,

BOURGUIBA

(1) Hédi Chaker, un des chefs du Mouvement, qui sera finalement condamné à la peine de mort par une loi de l'état de guerre en décembre 1942.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

1. الوثائق:

أ. أرشيف ما وراء البحار:

- A.N.O.M, Boite 26H5, N64, Analyse de la presse française 16 à 31 octobre 1938.
- A.N.O.M, boite 81, F758, L'évolution politique de P.C.A
- A.N.O.M, boite 81, F758, le P.C.A et le 5 eme congrès national.
- A.N.O.M, Cart 9H4, G.G.A, L'Organisation Secrète du P.P.A. En Algérie, 18 Septembre 1952.
- A.N.O.M, Série H, Boite 3H56, Lettre de Messimy, A Monsieur le ministre de la Guerre.
- A.N.O.M, Série H, Boite 3H68, A/S De l'application Des Nouveaux Décret Concernant le recrutement Indigènes.
- A.N.O.M, Série H, Boite 3H76, Révision Des Exemplée Indigènes Des Classe 1934 et 1937.
- A.N.O.M, Série G.G.A, Boite N° 3R 22, Propos Tenus par les pérmissionnaires Venus Du Front, (1939-1940).
- A.N.O.M, Série G.G.A, Boite 3R22, Arrestation D'un Militaire Indigène Pour Outrage Agent Et Props Anti- Français, 15/03/1940.
- A.N.O.M, Série H, 9H42, Le Journaliste Hassen Salah Suspect De La Propagande Pour Le Compte De L'Italie, 18/1/1933.
- A.N.O.M, Série H, Boite 9H42, Le Journaliste Hassen Sialah Suspect De La Propagande Pour Le Compte De L'Italie, 24/12/1937.
- A.N.O.M, Série G.G.A, 3R22 Lutte Contre Propagande Anti – français Création de foyer Régimentaire, 1935.
- A.N.O.M, Séri H, Boite 9H43, Activité de la Fédération Des Elus – Lettre de Farhat Abbas a M. G.G.A-16/12/1941.
- A.N.O.M, Série Oran, Boite n°5 I164, Note Relative à la situation des militaires indigènes et leurs principales doléances.
- A.N .O.M, Boite 26H 5, Analyse de la presse tunisienne de 1 a 15 Octobre 1938.
- A.N.O.M, Boite 26H 5, Analyse de la presse tunisienne de 16 a 31 Octobre 1938.
- SHAT ,10p9, EM, section AMM, evenement de l'Algerie du 3au 14 mai 1945, PC le 29 mai1945.
- A.N.O.M, Série G.G.A, Boite 9H.9, Liste des sections des Amis du Manifeste et de la Liberté existant à la date du 25 Avril 1945.
- J.O.R.F, N° 37, 07/02/1912.

ب. أرشيف ولاية وهران:

- A.W.O, cart4476, N⁰ 366, lettre secret de renseignement de centre d'information et d' d'étude au préfet d'Oran (propagande Allemande), 20/09/1939.
- A.W.O, cart4476, N⁰ 366, bulletin Des Renseignements secret de Centre de Départemental d'information d'Oran au préfet d'Oran (propagande Allemande), 02/01/1940.
- A.W.O, Boite 4473, Affaire musulmanes N⁰ 14339 /2, Alger le 03/12/1940.
- A.W.O, Boite 4476, GGA, direction de l'affaire musulmane, CIE N⁰ 551, Alger le 12/04/1941.
- A.W.O, boite 4480, rapport du procureur général d'Alger a Mr le préfet de département d'Oran, du 25 /09/1940.
- A.W.O, boite 4481, rapport du sous-préfet de Tlemcen a Mr le préfet du département d'Oran, 2 avril1941.
- A.W.O, boite 4476, Rapport de police (Service de sécurité) envoyé a Monsieur le Sous –Préfet de L'arrondissement de Mascara, 12/02/1942.
- A.W.O, boite 4477, rapport N 4363 du 29 septembre 1943.-
- A.W.O, boite 4480, rapport de police, N 2075, du 13 mai 1943.
- A.W.O, boite 4480, rapport de police du 20 aout 1943
- A.W.O, boite4477, rapport de centre d'information et d'études (département d'oran), du 5juin 1944.
- A.W.O, boite 4481, rapport de police spécial, n 3565, du 11 mai 1944.
- A.W.O, boite 4477, rapport de centre d'information et d'études (département d'Oran), du 24 février 1943.
- A.W.O, boite 4477, rapport de centre d'information et d'études (département d'Oran), du 5 février 1944.

ج. الأرشيف الوطني التونسي:

- A.N.T, série E, C550, D41, Rapport du commissaire de police au Secrétaire Général du gouvernement tunisien (Avril 1940).
- A.N.T, série E, C550, D41, Rapport du préfet au directeur de service du secrétaire Général du gouvernement tunisien du 29/07/1940.
- A.N.T, série F, C20, D4, SD, Rapport du directeur de sureté publique au secrétaire Général du gouvernement tunisien du 26/07/1939.

- A.N.T, M.N, C51, D3, une liste de personnes constitutionnelles accusées de traiter avec les Allemands, 1943.
- A.N.T, M.N, C43, D1, Note de la propagande américaine n= 1093, de 17/07/1943.
- A.N.T, M.N, C65, D1, Note Récapitulative sur le procès des du NEO-DESTUR, Document non daté.
- A.N.T, M.N, C65, D1, Acte d'accusation art N 69 du code de justice Militaire, le 24/08/1938.
- A.N.T, M.N, C65, D1, Lettre d'Habib Bourguiba a Habib Tamer, 08/06/1942.
- A.N.T, M.N, C51, D3, Etat Des détenus Destourien gracié par les Maréchal de France le 01/12/1942.
- A.N.T, M.N, C51, D1, Discours d'Habib Bourguiba a Radio Bari, 06/04/1943.
- A.N.T, M.N, C13, D9, Rapport de police de Hammamet au commissaire principal chef de la 2 eme région du 25/05/1943.
- A.N.T, M.N, C13, D9, Rapport de la gendarmerie du 14/06/1943.
- A.N.T, M, C13 , D9 , plainte à la Commandature allemande du 26/03/1943.
- A.N.T, M.N, C65, D1, lettre de Mohammed zakama a Habib Bourguiba, le 12/06/1943.
- A.N.T, M.N, C65, D1, Lettre adressée par le Président Habib Bourguiba a le Roi d'Angleterre, Mai – Juin 1943
- A.N.T, M.N, C43, D1, lettre de commissaire principal chef de la sécurité Régional de Sousse a Monsieur le directeur de services de sécurité à Tunis, le 09/ 10 / 1944.
- A.N.T, M.N, C53, D4, Note sur l'Activité de parti communiste Tunisie, le 28/ 08 / 1944.
- A.N.T, M.N, C53, D4, Note sur l'Activité de parti communiste Tunisie (situation politique), le 14/ 09 / 1944.
- A.N.T, M.N, C53, D4, Note sur l'Activité decellules de parti communiste Tunisie, le 09/ 02 / 1945.
- A.N.T, série MN, C65, D1, Un article pour Habib Bourguiba sous le titre (Ligue arabe et Afrique de Nord), le 02/11/1945.
- A.N.T, série MN, C 57, D1, Résumé Géographique et Chronologique de visites de Bourguiba en Tunisie en 1949.
- A.N.T, série MN, C 57, D1, Activités d'Habib Bourguiba (Les Paroles prononcent) a la série de tournées le 1949.
- A.N.T, série MN, C 53, D4, Note sur le Saisie de tracts communistes, le 08/02/1945.
- A.N.T, série MN, C 53, D4, Note sur les cellules du parti recevant des (journal – rapport), le 09/02/1945.

- A.N.T, série MN, C 53, D4, Note sur Réunions communistes tunisien, le 20/07/1946.
- A.N.T, série MN, C 53, D4, Note sur un Réunions communistes tunisiens Maktar, le 30/07/1946.
- A.N.T, série MN, C 53, D4, Note sur un Réunions communistes tunisiens la goulette, le 02/08/1946.

د. أرشيف المركز الوطني للحركة الوطنية:

- ISHMN, SHAT, série Protectorat tunisien, B(R105), C (1717), D2, Rapport du chef d'intérêt de la sécurité au résident Tunis, 13/09/1939.
- I.S.H.M.N, Q.O, B100, C662, D4, SD 7, Rapport de Résident Général au Ministre des Affaires Etrangères, 12/01/1939.
- I.S.H.M.N, B99, R553, C2327, D1, Note de résident Général au Ministre des Affaires Etrangères de 11/ 04/1939.
- I.S.H.M.N, Q.O, B100, C662, D1, Emission de Radio Bari, 17/12 / 1939.
- I.S.H.M.N, Q.O, B100, C662, D1, Emission de Radio Bari, 11 /12 /1939.
- I.S.H.M.N, Q.O, B100, C661, D1, Emission de Radio Bari, 13/ 03/ 1939.
- I.S.H.M.N, Q O, B443, R 148, C1799, D1, Rapport d'Esteva à Vichy du 24/09/1940.
- I.S.H.M.N, Q O, B443, C25, D1, Lettre d'Esteva a l'Amiral commandant de la marine du 28/10/1941.
- I.S.H.M.N, Q O, B444, C34, D1, Trac lancé par l'aviation anglaise sur les villes côtières de la Tunisie 21/09/1940.
- I.S.H.M.N, Série Tunisie, Dossier le syndicalisme tunisien des origines jusqu'à 1946, Fonds de la Résidence, Notes sur organisé par L'Union locale des syndicats Tunis le 24/04/1945.
- I.S.H.M.N, Q.O, Série Tunis, B598, C38, D2, Décret de Bey ,17/02/1945.
- I.S.H.M.N, Q.O, Série Tunis, B598, C38, D1, Lettre du résident général Mast au ministre des Affaires étrangères Bidou ,03/02/1945.
- I.S.H.M.N, Q.O, Série Tunis, B598, C38, D1, Lettre du résident général Mons au ministre des Affaires étrangères Bidou,19 /06 / 1947.
- I.S.H.M.N, Q.O, Série Tunis, B598, C38, D1, Lettre du résident général Mons au ministre des Affaires étrangères Bidou ,24/07/1947.

- I.S.H.M.N، Q O, B100, C660, D1, Télégramme du Résident Général au Ministre des Affaires Etrangères du 09/03/1938.
- I.S.H.M.N, Q.O, Série Tunis, B598, C38, D1, Lettre du résident général Mons au ministre des Affaires étrangères Bidou ,26/06/1947

هـ. مركز التوثيق التونسي:

- مركز التوثيق القومي التونسي، الحركة الوطنية، ب. 2.88، المقيمون العامون الفرنسيون بتونس (1886-1955).

2-الجرائد:

الجرائد العربية:

أ. جريدة الارادة:

- الإرادة، ع 192، 4 سبتمبر 1934.
- الإرادة، ع 328، 21 فيفري 1939.
- الإرادة، ع 385، 19 افريل 1939.
- الإرادة، ع 282، 15 ديسمبر 1938.
- الإرادة، ع 286، 21 ديسمبر 1938.
- الإرادة، ع 87، 19 افريل 1943.
- الإرادة، ع 715، 04 ماي 1948.
- الإرادة، ع 740، 2 نوفمبر 1948.
- الإرادة، ع 797، 17 جانفي 1950.
- الإرادة، 21 جانفي 1950.
- الإرادة، 28 فيفري 1950.
- الإرادة، ع 848، 30 جانفي 1951.

ب. جريدة المنار:

- جريدة المنار، ع 9، السنة الأولى، 5 أكتوبر 1951.
- جريدة المنار، ع 6، السنة الأولى، 30 جويلية 1951.
- مصالي الحاج، رسالة الزعيم مصالي الحاج الى الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات واحترامها، جريدة المنار، ع 7، السنة الأولى، 15 أوت 1951.

- بوزوزو محمود، الاستفتاء والانتخابات، جريدة المنار، ع40، السنة الثالثة،
المواقف في 10 أفريل 1953.
 - لجنة انشائية لتأسيس جبهة جزائرية للدفاع عن الحريات واحترامها، جريدة المنار،
ع6، السنة الأولى، 30 جوان 1951.
 - الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات واحترامها مولود جديد في حاجة للحماية،
جريدة المنار، ع7، السنة الأولى، 15 أوت 1951.
 - في يوم تاريخي عظيم الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية تقف أمام الأمة، جريدة
المنار، ع8، السنة الأولى، 31 أوت 1951.
 - جريدة المنار، ع8، السنة الأولى، 31 أوت 1951.
 - موقف الجبهة من الانتخابات، جريدة المنار، ع9، السن الأولى، 5 أكتوبر 1951.
- ج. جريدة البصائر:
- البشير إبراهيمي محمد، هل دولة فرنسا لايبكية؟، البصائر، ع103، 16 جانفي 1950.
- د. جريدة الزهراء:
- الزهراء 1914/08/17.
 - الزهراء 1938/04/07.
 - الزهراء 1938/10/17.
 - الزهراء 1940/09/23.
 - الزهراء، 18 أكتوبر 1955.
- ه. جريدة الرائد:
- الرائد الرسمي 1939/09/07.
 - الرائد الرسمي 1940/05/28.
- و. جريدة الصباح:
- الصباح، 10 ديسمبر 1954.
 - الصباح، 14 جانفي 1956.
- ذ. جريدة البلاغ:
- جريدة البلاغ، 1955/11/1.
- ر. نشرية شهرية لمحطة باري روما اللاسلكية، السنة 2، ع9، روما، سبتمبر 1939.

الجرائد الأجنبية:

- An-Nasr, juin 1943.
- La Dépêche Algérienne, 16/02/1936.
- Journal El Ouma, 25 October 1938.
- Liberté, 30 Décembre 1943
- La Dépêche Tunisienne 0704/1938.
- Le Petit Matin, 28/11/1954.
- Le Petit Matin, 03/07/1954.
- Le petit Matin, 29/01/1956.
- La Dépêche Tunisienne, 03/09/1953.
- Le Petit Matin, 12/03/ 1954.

3. الكتب:

العربية:

- إبراهيمي أحمد طالب، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1954-1962)، ج 5، ط 1، دار الغرب الإسلام، بيروت، 1997.
- الحبيب ثامر، هذه تونس، تقديم الرشيد ادريس، مراجعة وتحقيق حمادي الساحلي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، 1988.
- الحداد الطاهر، الطاهر الحداد وظهور الحركة النقابية، ط 1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972.
- الزميري صادق، تونس في عهد المنصف باي (1942-1943) بين الرجاء وخيبة الآمال، تر: حمادي ساحلي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989.
- الفاسي علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط 6، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003.
- الميلي محمد، المؤتمر الإسلامي الجزائري، ط 1، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر 2007.
- أفينو باتريك وجون بلانشايس، حرب الجزائر ملف وشهادات، تر: بن داود سلامنية، ج 1، ط 1، دار الوعي، الجزائر، 2013.
- أوزقان عمار، الجهاد الأفضل، ط 1، منشورات الطليعة، بيروت، 1962.
- بجاوي محمد، الثورة الجزائرية والقانون (1960-1961)، ط 2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2005.
- بن العقون عبد الرحمان بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1936-1945)، ج 2، ط 2، منشورات الساحلي، الجزائر، 2008.

- بن خدة بن يوسف، اتفاقية إيفيان، تر: لحسن زغدار ومحمد العيد جبايلي، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987.
- (—)، جذور أول نوفمبر 1954، تر: مسعود حاج مسعود، ط2، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
- بن طوبال لخضر، المجاهد لخضر بن طوبال يستعيد ذكرياته عن أحداث 20 أوت 1955، مجلة أول نوفمبر، ع52، الجزائر، 1981.
- (—)، شهادات ومواقف، ط1، دار النعمان، الجزائر، 2004.
- بودة أحمد، الطريق إلى نوفمبر كما يرويها المجاهدون، المقاومة الوطنية والحركات السياسية حتى ليلة أول نوفمبر 1954، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون سنة نشر.
- بورقيبة الحبيب، حياتي آرائي جهادي، ط1، نشرات الكتابة الدولية للإعلام، تونس، 1978.
- بحري يونس، هنا برلين حي العرب، ج4، مطبعة الجهاد، بيروت.
- تاريخ الحركة الوطنية التونسية، الدستوري الجديد في مواجهة المحنة الثانية (1938-1943) خمسة سنوات من المقاومة، وثائق 7، نشر وزارة الإعلام، تونس، 1983.
- تاريخ الحركة الوطنية التونسية، الحزب الدستوري الجديد في مواجهة المحنة الثانية (1938-1943) خمس سنوات من المقاومة، وثائق 8، جمع وتحقيق محمد الصياح، نشر وزارة الإعلام، تونس، 1983.
- تاريخ الحركة الوطنية التونسية، الحزب الدستوري الجديد في مواجهة المحنة الثانية (1938-1943) خمس سنوات من المقاومة، وثائق 9، جمع وتحقيق: محمد الصياح، نشر وزارة الإعلام، تونس، 1983.
- تاريخ الحركة الوطنية التونسية، الحزب الدستوري الجديد يواجه المحنة الثالثة (1952-1956)، فشل سياسة القمع، وثائق 13، وزارة الإعلام، 1984.
- حربي محمد، الثورة الجزائرية في سنوات المخاض، تر: نجيب عناد وصالح المقلوتي، موقم للنشر الجزائر، 2010.
- (—)، الجزائر (1945-1962) جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ط1، تر: كميل قصير داغر، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983.
- ضيف الله محمد، صالح بن يوسف خطب ووثائق أخرى (1955-1956)، ط1، المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، تونس، 2015.

- قرار الحبيب، تحيا تونس، ط1، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، د ت.
- قليل عمار، ملحمة الجزائر الجديدة، ج1، ط1، (د-د)، قسنطينة، 1991، ص 316.
- قنانش محمد، آفاق مغاربية المسيرة الوطنية وأحداث 8 ماي 1945، ط1، منشورات دحلب، د ت.
- (————)، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، ط1، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2005.
- كشيده عيسى، مهندسو الثورة شهادة، ط2، تر: موسى أشرشور وزينب قبي، منشورات الشهاب، الجزائر، 2010.
- كونت ارتور، اسطورة بورقيبة، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، د ت.
- كيوان عبد الرحمان، المصادر الأولى لثورة أول نوفمبر 1954 (ثلاث نصوص أساسية لحزب الشعب / حركة انتصار الحريات الديمقراطية (PPA/MTLD)، تر: أحمد شقرون، منشورات دحلب، الجزائر، 2004.
- لندلي فريزر، الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم، تر: عبد السلام شحاتة، دار الطباعة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1960.
- مالك رضا، الجزائر في إيبيان تاريخ المفاوضات السرية (1956-1962)، تر: فارس غصوب، ط1، دار الفرابي، بيروت، 2003، ص 41
- محساس أحمد، الحركة الثورية في الجزائر (من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، تر: الحاج مسعود مسعود ومحمد عباس، ط1، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2002.
- يوسف محمد، الجزائر في ظل المسيرة النضالية (المنظمة الخاصة)، تر: محمد الشريف وبن دالي حسين، ط4، منشورات ثالة، الجزائر، 2014.

الاجنبية:

- Ahmed Khaled, Documents secrets du 2 eme bureau Tunisie Maghreb sous la conjoncture de pré-guerre (1937-1940), Ed STD, Tunis, 1983.
- Aron robert, Histoire de Vichy (1940-1944) les grandes études contemporaines, Librairie arthème Fayard, paris, 1954.
- Abbas Farhat, Guerre de révolution d'Algérie (la nuit coloniale), Ed Julliard, paris, 1962.
- Abbas Ferhat, autopsie d'une guerre l'aurore, édition Garnier, France ,1980 .
- Benazet Henry, L'Afrique Française en Dange, Librairie Arthème Fayrd, paris ,1947.
- Bourguiba Habib, La Tunisie et la France 25 ans du lutte pour une coopération libre, Editions Julliard, paris, 1954.

- Boudiaf Mohammed, La préparation du premier novembre 1954, In Hibdo Libéré, N66, du 1 au 7 juillet 1992
- Casemajor Roger, L'Action nationaliste en Tunisie du pacte fondamental de Mhamed Bey a la mort de Moncef Bey (1857-1948), édition la rapide, Tunis, 1948.
- Ch.Mast, Histoire d'une rébellion (Alger : 8 Novembre 1942), Librairie Plon, 1969.
- Charles Reibel, pour La justice La Vérité sur les origines du Débarquement Allié en Afrique du Nord (8 Novembre 1942, les presses Alpha, paris, 1947.
- Claud Collot et Henry Jean Robert, Le mouvement nationale algérien texte (1912-1954), 2 EME Edition, O P U, Alger, 1981 .
- Dahleb Saad, Pour l'indépendance de l'Algérie (Mission Accomplie), Edition Dahleb, Alger, 1999.
- Henri Noguères et autres, Histoire de la résistance en France (juin 1940- juin 1941), Robert Laffont, paris, 1967.
- Jacques Simon, Messali Hadj par les Textes, n maison d'édition, paris, N anné.
- Jean Lacouture, cinq hommes et la France, édition, Seuil, Paris, 1961.
- M. p Piéri, La stratégie italienne sur L'échiquier méditerranéen in la guerre en Méditerranée, édition CNRS, Paris, 1969.
- Mons Jean, Sur les routes de l'histoire – Cinquante ans au service de l'Etat, éd Albatros, Paris, 1981.
- Mordal Jacques, L 'empire entre Dans Lutte (le Groupe des cinq), Historia hors-série 15, paris, décembre 1969.
- Nouchi André, La naissance du nationalisme algérien (1914-1954), Edition de minuit, paris, 1962.
- Sayah Mohamed, histoire du mouvement national tunisien - pour préparer la troisième épreuve (le néo – destour brise le silence 1944-1949, documents x,achevé d'imprimer sur les presses de l'imprimerie officielle, 1972.
- Salah Mohamed, Pour préparer la troisième Epreuve, le Néo-Destour Brise le Silence (1949-1950), Imprimerie Officielle, Tunis, 1972.
- Teguiamohamed, L'Algérie En Guerre, office de la publication universitaire, Alger, 2007.

4. المذكرات:

العربية:

- الماطري محمود، مذكرات مناضل، ط1، تر: حمادي ساحلي، دار الشروق، القاهرة، 2005.

- المدني أحمد توفيق، مذكرات (حياة كفاحي) (1925-1954)، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
 - (—————)، حياة كفاحي مذكرات (مع ركب الثورة)، ج3، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1988.
 - تشرشل وتسون، مذكرات تشرشل، ج1، منشورات مكتبة المنار، بغداد، د.ت.
 - حسين آيت احمد، روح الاستقلال – مذكرات مكافح (1942-1952)، تر: سعيد جعفر، منشورات البرزخ، الجزائر، 2002.
 - رشيد إدريس، مذكرات (في طريق الجمهورية)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.
 - سعيداني الطاهر، القاعدة الشرقية قلب للثورة النابض (مذكرات)، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2010.
 - كافي علي (مذكرات)، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري (1946 – 1962)، ط1، دار القصة للنشر، الجزائر، 1999.
 - مشاطي محمد، مسار مناضل، ط1، تر: زينب قبي، منشورات الشهاب، الجزائر، 2010.
 - مذكرة الحاج مصالي (1898-1938)، تر: محمد المعراجي، ط2، ANEP، 2007.
- الاجنبية:
- Achour Habib, Ma vie politique et syndicale –Enthousiasme et déceptions (1944-1981), Tom 1, Alif, tunis, 1989 .
 - Ben Sliman Sliman, Souvenirs politique, Cérés Productions, Tunis, 1989.
 - Mazali Mohamed Salah, Au Fins de ma vie, Edition Hassen Mazali, 1972.
 - Winston Léonad Spencer Churchill, Mémoires sur la deuxième guerre mondiale, L'heure tragique, L'Angleterre seule, mai-décembre 1940, Plon éditions, T4, v2, paris, 1949.

ثانيا: المراجع:

1-الكتب:

*العربية:

- أزغيدي محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية (1956 - 1962)، ط1، دارهومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

- أوعامري مصطفى، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، ط1، منشورات دارالقدس العربي، الجزائر، 2013.
- أيت مدور محمود، الحركة العمالية في الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية (1830-1962) بين النضالات الاجتماعية والكفاحات التحررية، ط1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.
- التميمي الهادي، نقابة الأعراف التونسيين (1932-1955)، ط1، دار محمد علي الحامي، تونس، 1983.
- (—)، نقابة رجال الأعمال التونسيين (صراع طبقات ... أو صراع حوارات)، ط1، دار محمد علي الحامي، تونس، 2015.
- الجندي أنور، عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984.
- الخطيب أحمد، حزب الشعب الجزائري، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- الذواودي زهير، تحولات العمل الوطني التونسي في السنوات الثلاثين (1929 – 1939)، ط1، الأطلسية للنشر، تونس، 2003.
- الزايدي علي، الزيتونيون دورهم في الحركة الوطنية التونسية (1904-1945)، ط1، دار نهى، صفاقس، 2007.
- الساحلي حمادي، فصول في التاريخ والحضارة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
- الشاطر خليفة وآخرون، تونس عبر التاريخ (الحركة الوطنية ودولة الاستقلال)، ج3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005.
- الشايبي محمد لطفي، الحركة الوطنية التونسية والمسألة العمالية النقابية مع لافتكاك الاستقلال (1944 – 1946)، ط1، ج1، مركز النشر الجامعي، تونس، 2016.
- الشايبي محمد لطفي، الحركة الوطنية التونسية والمسألة العمالية – النقابية (1925-1952)، ط2، ج2، مركز النشر الجامعي، تونس، 2015.
- الشيباني بنبليغ، الجيش التونسي في عهد محمد الصديق باي (1859-1882)، ط1، دار نهى، صفاقس، 2002.
- العايدي فتحي، الجيش الاستعماري والمجتمع المحلي بالبلاد التونسية (1911-1943)، ط1، منشورات المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2011.
- العسلي بسام، نهج الثورة الجزائرية، ط2، دار النفائس، بيروت، 1986.

- العلوي محمد الطيب، مظاهر المقاومة الجزائرية (1830-1954)، ط3، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 1985.
- العمري مومن، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال افريقيا الى جبهة التحرير الوطني (1926-1954)، ط1، دار الطليعة للطبع والتوزيع، الجزائر، 2003.
- القصاب أحمد، تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، تر: حمادي ساحلي، ط1، الشركة الوطنية التونسية للتوزيع، تونس، 1986.
- الكيلاني عبد الرحمان، الحركة الشيوعية في تونس (1920-1985)، ط1، طبع المطابع الموحدية، تونس، 1989.
- المستيري سعيد، المنصف باي الحكم والمنفى، تر: هشام القروي، ط1، دار الأوقاس، تونس، 1991.
- المحجوبي على، جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934)، تر: عبد الحميد الشابي، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 1999.
- اليوسفي الأمين، الحركة النقابية في تونس (1900-1981)، ط1، التعااضدية العمالية للطباعة والنشر، تونس، 1983.
- الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تر: محمد شاوش، محمد عجيبة، ط3، دار سيرأس للنشر، تونس، 2001.
- الزبير محمد العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999.
- المغراوي إدريس وآخرون، عميان عن التاريخ؟ العرب وألمانيا النازية واليهود، تر: محمد جديد، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2007.
- بلعباس محمد، الوجيز في تاريخ الجزائر، ط1، دار المعاصرة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- بلهادي عبد المجيد، فرحات حشاد نضال ومواقف نضالية (1945-1952) من خلال مجموعة نادرة من الوثائق، ط1، منشورات المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، منوبة، 2013.
- بوراوي عبد العزيز، نضالات نقابية زوابع وانفجارات (1943-1988)، ط1، دار نهي، صفاقص، 2013.
- بورنان سعيد، شخصيات بارزة في الكفاح الجزائري (1930-1962) - رواد الكفاح السياسي والإصلاحي (1900-1954)، ج2، ط3، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2015.

- بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931-1945) دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة، ط2، دار بهاء الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- بوغزيرجي، الاتهامات المتبادلة بين مصالي الحاج واللجنة المركزية وجهمة التحرير الوطني (1946-1962)، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001.
- بومالي أحمد، أول نوفمبر 1954 بداية النهاية لخرافة الجزائر الفرنسية، ط1، دار المعارف، الجزائر، 2010.
- بن ميلاد أحمد وسعود ادريس محمد، الشيخ عبد العزيز الثعالبي والحركة الوطنية (1896-1940)، ط1، تونس، بيت الحكمة، 1991.
- بوذينة محمد، الحرب العالمية الثانية في تونس (8 نوفمبر 1942 – 13 ماي 1943)، ط1، منشورات محمد بوذينة، تونس، 1997.
- تركي عروسية، الحركة اليوسفية في تونس (1955-1956)، ط1، مكتبة علاء الدين، تونس، 2011.
- تواتي موسى ورايح عواد، هجوم 20 أوت 1955، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1992.
- جون فرانسوا تراون، المغرب العربي الإنسان والمجال، تر: على التومي وآخرون، دار العرب الإسلامي، لبنان، د.ت.
- جيلالي بلوفة عبد القادر، الحركة الاستقلالية خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945) في عمالة وهران، ط1، دار الأملية، الجزائر، 2011.
- (—————)، حركة انتصار للحريات الديمقراطية 1939-1954 في عمالة وهران، دار الأملية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- (—————)، عبد القادر جيلالي بلوفة، المنظمة الخاصة وعملية البريد المركزي بوهران من التخطيط الى التنفيذ والنتائج، صفحات من تاريخ الجزائر الوسيط/ الحديث/ المعاصر، ج 2، اشراف وتحرير: علي العبيدي، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، 2020.
- حمدي محمد، معارك عام 1943 " بريطانيا وحلفائها "، ج4، ط1، مطبعة الفسطاط، د.ت.
- حماني أحمد، صراع بين السنة والبدعة (أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد ابن باديس، ط1، ج2، دار البعث، سوريا، د.ت.)،
- رخيلة عامر، 8 ماي 1945 المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

- ريدان جلول، حسن حسني عبد الوهاب (1883-1968)، ط1، مؤسسة بوجميل للطباعة والنشر، تونس، 2010.
- زوزو عبد الحميد، المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة (مؤسسات وموثائق)، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، ج 2، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- (_____)، الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1945)، ج3، ط2، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1986.
- شارل أندري جوليان، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، تر: محمد مزالي والبشير سلامة، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1985.
- شارل رو بير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: عيسى عصفور، ط1، منشورات عويدات، بيروت - باريس، 1982.
- ضيف الله محمد، الحركة الطلابية التونسية (1927-1939)، ط1، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1999.
- عباس محمد، رواد الوطنية شهادات 28 شخصية وطنية، ط1، دار هومة، الجزائر، 2009.
- (_____)، صور ... عظماء، ط1، منشورات دحلب، الجزائر، 1992.
- (_____)، مثقفون في ركاب الثورة في كواليس التاريخ (2)، ط1، دار هومة، الجزائر، 2009.
- عميرة علية الصغير وعدنان المنصر، المقاومة المسلحة في تونس (سلسلة وثائق ونصوص من تاريخ تونس المعاصر)، ج2، ط1، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2005.
- عميرة علية صغير، المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات (انتفاضة المدن - الفلاحة - اليوسفيين)، ط1، التسفير الفني، صفاقس، 2004.
- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
- عناد ثابت رضوان، 8 ماي 1945 في الجزائر، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.
- عبد الله الطاهر، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة (1830-1956)، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1990.

- عبد الله ابراهيم، شروق وغروب أو نافذة على تاريخ النضال الوطني، ج1، ط1، مؤسسة سعيداني للطباعة والنشر، سوسة، 1990.
- عبيد خالد وآخرون، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية (1881-1964)، ط1، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية بمنوبة، تونس، 2008.
- فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر، ط1، دار العلوم للطبع والنشر، الجزائر، 2002.
- فرغلي علي تسن، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار الوفاء لنديا الطياعة والنشر، الإسكندرية، 2001.
- قداش محفوظ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1919-1939)، ج1، تر: محمد بن البار، دار الأمة، 2011.
- (—)، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1939-1951)، ج2، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2011.
- قداش محفوظ وصاري الجيلالي، الجزائر في التاريخ المقاومة السياسية (1900-1954) الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، تر: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.
- قنان جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ط1، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994.
- لاوند رمضان، الحرب العالمية الثانية، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 2006.
- لعمامرة رايح تركي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية 1931-1956، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2000.
- مالكي امحمد، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط1، مدوع، بيروت، 1993.
- محافظة علي، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية (1919-1945)، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985.
- مريوش أحمد، محاضرات في تاريخ الجزائر، (1900-1954)، ج2، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- معمري خالفة، عبان رمضان، تر: زينب زخروف، ط2، منشورات تالة، الجزائر، 2008.
- مقلاتي عبد الله، المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر (الجزائر وتونس والمغرب وليبيا)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014.

- (_____)، التاريخ السياسي للثورة الجزائرية (1954-1962)، ط1، شمس الزيبان للطباعة والنشر، الجزائر، 2013.
 - (_____)، العلاقات الجزائرية المغربية والإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج1، ط1، السبيل للنشر، الجزائر، 2009.
 - مناصرة يوسف، الحزب الحر الدستوري التونسي (1919-1934)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
- *الأجنبية:

- Abdoun Mohamoud, *Témoignage D'un Militant Du Mouvement Nationaliste*, Edition Dahleb, Alger, 1990.
- Ageron Charles Robert, *Les Algériens Musulmans et la France (1871-1919)*, Edition Bouchene, Paris, 2005.
- Ageron Charles Robert, *Histoire de l'Algérie contemporaine 1871-1954*, t2, PUF, Paris, 1979.
- Ageron Charles Robert, *politiques coloniales au Maghreb*, collection Hier, PUF, Paris, 1972.
- Alain José, Fralon, Jacques Chevallier *L'homme qui voulait empêcher la guerre d'Algérie*, Casba éditions, Alger, 2012.
- Alistair Horne, *Histoire de la Guerre d'Algérie*, 4 éme édition, édition Dahleb, Alger, 2007.
- Benjamin Stora, *Ils venaient d'Algérie*, fayard éditions, paris, 1992.
- Boudali Nouri, *L'Union Général Tunisienne du Travail Souvenirs et récits*, Alif, tunis, 1998.
- Charles André Julien, *Et la Tunisie devint indépendante (1951-1957)*, E.D.J.A Tunis, 1985.
- Cohen Hadria, *Du protectorat français a l'indépendance tunisienne (souvenir d'un témoin socialiste)*, CMMC, Nice, 1976.
- Carret Jacques, *l'association des Oulamas d'Algérie*, Alem el Afkar, Alger, 2008.
- Emmanuel Sivan, *Communisme et la nationalisme en Algérie*, presses de la fondation nationale des sciences politiques, paris, 1976.
- Francis et Colette Jean son, *L'Algérie Hors La loi*, ENAGEdition, Alger, 1993.
- Goldzeiguer Annie Rey, *Aux Origines de la guerre d'Algérie (1940-1945) de Mérs el kébir aux massacres du Nord Constantinois*, Casbah éditions, Alger, 2002.
- Juliette Bessis, *Chakib Arslan et le fasciste in Maghreb Questions d'histoire*, paris, Le harmattan, 2003.
- Juliette Bessis, *La Méditerranée Fasciste (L'Italie Mussolinienne et la Tunisie)*, édition Kartala, Paris, 1991.

- Juliette Bessis, Les fondateurs index biographique du cadre syndicaliste de la Tunisie coloniale (1920-1956), L'Harmattan, Paris, 1985.
- Jurquet Jaques, La révolution nationale algérienne et le parti communiste français (Le mouvement nationale algérien et le P.C.F DE 1939 à 1945, T3, Edition du contenant, Paris, 1979.
- Kaddache Mahfoud, Histoire du Nationalisme Algérien, 2^{eme} édition Tome 1, ENAL, Alger, 2008.
- Kassabe Ahmed et Ounaise Ahmed, Histoire Général de la Tunisie (L'Epoque Contemporaine (1981-1956)), Tome 4, Sud Edition, Tunis, 2010.
- Kraiem Mohamed, Feuilles d'une vie Du Mouvement Syndical au Gouvernement, L'Or du Temps, Tunis, 2013.
- Kraiem Mustapha, La classe ouvrière tunisienne et la lutte de la libération nationale (1939-1952), imp. U.G.T.T, Tunis, 1980.
- Kraiem Mustapha, Le Parti Communiste Tunisien pendant la période coloniale, Institut Supérieur d'histoire du Mouvement National, Tunis, 1997.
- Kiouane AbdelRahman, Moment Du Mouvement National (texte et position), Edition Dahlab, Alger, 2009
- Levisse Touzé Christine, L'Afrique Du Nord Dans La Guerre 1939-1945, Editions Albin Michel, Paris, 1998.
- Pascal Lepautremat, La politique musulmane de France au X^{eme} Siècle, maison neuve et la rouse, Paris, 2003.
- Pierre Jean, Peyrouton et autre, histoire de l'Algérie à la période coloniale (1830-1962), éditions Barzakh, Alger, 2012.
- Périllier Louis, La conquête de l'indépendance tunisienne, Edition Robert Laffot, Paris, 1979.
- Quellien Jean, La Seconde Guerre mondiale (1939-1945), édition Tallandier, Paris, 2017.
- Racham Belkacem, Les Musulmans Algériens dans L'armée Française (1919-1945), Le Harmattan, Paris, 1996.
- Rachid Driss, Reflet d'un combat, ISHMN, Tunis, 1996.
- Samir Amin, Le Maghreb moderne, éditions de minuit, Paris, 1970.
- Stora Benjamin, Messali Hadj (Pionnier de nationalisme Algérien (1898-1974), L'Harmatta collection histoire et perspective méditerranéennes, Paris, 1986.
- Stora Benjamin, Algérie (Histoire contemporaine « 1830-1988 »), Casbah éditions, Alger, 2004.
- Stora Benjamin, Zakia Daoud, Ferhat Abbas une autre Algérie, édition Casbah, 1995.

- Taleb Bendiab Abderrahim, Chronologie des faits et mouvements sociaux et politiques e, Algérie (1830-1954), Imprimerie du centre, Alger, 1983.
- Taouti M'Barak Hamed, Immigration Maghrébine et activités politiques en France de la 1ère G.M a la veille de fronts populaire, pub F.S.H.S, tunis, 1999.

2. الدوريات:

*العربية:

- أوعامريمصطفى، الحزب الشيوعي الجزائري والمسألة الوطنية (1920-1954)، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد 17، ع 29، جوان 2016.
- أزغيدي محمد لحسن وبومالي حسن، التحضيرات العملية للثورة التحريرية الجزائرية 1954، دار الهدى للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
- العجيلي التليلي، أضواء على حياة محمد الشريف التيجالي وأوضاع المحليين في تونس خلال الثلث الأول من القرن العشرين، المجلة التاريخية المغربية، ع 55، 1989.
- الشاذلي النيفر محمد، ذكرى صديقي المرحوم الحبيب ثامر، المجلة الصادقية، ع 12، جانفي 1999.
- الحبيب شلبي محمد، خلفيات مؤتمر الاستقلال 23 اوت 1946، المجلة التاريخية المغربية، ع 23-24، نوفمبر 1981.
- ادريس الرشيد، سنوات الهجرة الأولى، الكراسات التونسية، ع 115، السنة 1981.
- بن ميلاد احمد، وثائق عن مؤتمر ليلة القدر 23 اوت 1946، المجلة التاريخية المغربية، ع 23-24، نوفمبر 1981.
- بوجلال ليلي وثنيو نورالدين، النضال النقابي في الحزب الدستوري التونسي الجديد (الوجه الآخر للكفاح التحرري)، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع 20، جوان 2018.
- بوسلامة محمد، دباغين هو صاحب فكرة البيان، مجلة الحقيقة، السلسلة الثانية، ع 26، 16 سبتمبر 2006.
- بندانة قمر وبلعيد الحبيب، وثيقة ارشيفية عنونها (Chronologie du mouvement national tunisien)، مجلة وثائق، ع 26، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، منوبة، 2010.

- جلاي بلوفة عبد القادر، الجهة الجزائرية للدفاع عن الحياة واحترامها 1951 محاولة وحدوية مجهزة، المجلة التاريخية المغربية، ع 121، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2006.
- حرز الله نادية، حوادث 8 ماي 1945، مجلة التاريخ، ع4، المركز الوطني للدراسات التاريخية، أفريل 1977.
- زغدي محمد لحسن، مجازر 8 ماي 1945، مجلة الذاكرة، السنة الثانية، ع2، المتحف الوطني للمجاهد، ربيع 1995.
- ساحلي حمادي، مساهمة المنصف باي غي الحركة الوطنية (1922 – 1948)، روافد، ع3، جانفي 1997.
- شريط عبد الله، الفكر السياسي عند ابن باديس ومحمد عبده، مجلة حوليات الجزائر، جامعة الجزائر، ع 01، 1987.
- (_____)، موقف الحزب الحر الدستوري التونسي من المحور والحلفاء (ثلاث رسائل من الشيخ الأمن الحسيني إلى عبد العزيز الثعالبي)، المجلة التاريخية المغربية، ع 22/21، أفريل 1981.
- ضيف الله محمد، التراب التونسي من الخضوع إلى الرفض مثال نفزاوة (1881-1956)، المجلة التاريخية المغربية، ع79-80، 1995.
- قيرري سليمان، المنظمة الخاصة ل'OS وتكوين اللجنة الثورية للوحدة والعمل، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع 6، ديسمبر 2012.
- قصيبة أحمد، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في منفاه بمدينة أفلوا، مجلة الثقافة، ع 87، السنة الخامسة، ماي 1985.
- لونيبي إبراهيم، أزمة حزب الشعب الجزائري، المصادر، ع2، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 1999.

*الاجنبية:

- Ageron Charles Robert, la population du Maghrab face à la propagande allemande, Revus d'histoire de la Deuxième Guerre Mondial, n^o 114, 1979.
- Grange Jean Daniel, « Structure et technique d'une propagande ; les émissions arabes de radio bari », in Relation internationales, n 2, novembre 1974.

- Kaddache Mahfoud, L'opinion Politique Musulmane En Algérie Et L'administrassions Française (1939-1942), Revus d' Histoire De la deuxième Guerre Mondiale, N°114, Avril 1979.
 - Vernier Bernard, la politique islamique de l'Allemagne, centre d'étude de politique étrangère section d'information, N5, paris, 1962.
3. الأطروحات والرسائل:

*العربية:

- آيت بلقاسم فاطمة زهراء، الحرب العالمية الثانية وتأثيراتها على الحركات لوطنية المغاربية الجزائر والمغرب الأقصى أنموذجا دراسة مقارنة (1939-1956)، أطروحة الدكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2016-2017.
- احمد بداني، الجزائر خلال المرحلة الانتقالية 19 مارس-5 جويلية 1962، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الاثار، جامعة وهران، 2013
- الجمل عبد المجيد، بريطانية وتونس بين (1940-1956)، شهادة الدراسات المعمقة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، السنة الجامعية 1998-1999.
- العبيدي عبد الجليل، المقيم العام جون دو هوتكلوك والمسألة التونسية (جانفي 1952 – أوت 1953)، بحث لنيل شهادة الدراسات المعمقة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، 1998-1999.
- العمري مومن، شعار الوحدة ومضامينها في المغرب العربي أثناء فترة الكفاح الوطني، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007.
- الغرياني الأسعد، سياسة المحور والحلفاء الدعائية تجاه البلاد التونسية (نوفمبر 1938 إلى حدود 1940)، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة غير منشورة، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، تونس، السنة الجامعية 2004-2005.
- الهلالي عبد الحميد، تاريخ جهة جندوبة (1956-1981) علاقة الحركة الوطنية بالأرياف، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2000-2001.
- بلجة عبد القادر، مسألة تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي وانعكاساتها على المجتمع الجزائري (1945-1907)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2015-2016.

- بومديني محمد، المغرب العربي والحرب العالمية الثانية (1939-1945) الجزائر وتونس أنموذجين، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 02، 2018-2019.
- زايدي عزالدين، نزول قوات الحلفاء وأثره على شمال إفريقيا، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، السنة الجامعية 2014-2015.
- سعداوي مصطفى، المنظمة الخاصة ودورها في الإعداد لثورة نوفمبر 1954، رسالة ماجستير منشورة كتاب، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2005-2006.
- سعيود أحمد، العمل الدبلوماسي لجهة التحرير الوطني من 1 نوفمبر 1954 إلى 19 سبتمبر 1958، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2001-2002.
- سليح كمال، المشتركات والمفترقات إبان الثورة التحريرية (1954 - 1962)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية 2016-2017.
- سهام ميلودي، اتفاقية إيفيان: اسبابها ومضمونها وردود الأفعال - دراسة تحليلية -، أطروحة دكتوراه تخصص تاريخ حديثومعاصر، قسم التاريخ، جامعة ابي بكر بلقايد / تلمسان، 2016.
- شايب قدارة، الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعب الجزائري (1934-1954) دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2006-2007.
- شلفوح فاطمة، المقيم العام جاك مونص والمسألة التونسية (1947 - 1950)، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، أكتوبر 1998.
- عباس محمد صغير، فرحات عباس من الجزائر الفرنسية إل الجزائر الجزائرية (1927-1963)، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2007.
- عقيب محمد سعيد، الحزب الدستوري التونسي القديم (1934-1956)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2009-2010.

- قضيومي سليم، المقاومة الوطنية المسلحة في الأرياف والبوادي التونسية في الخمسينات الخطوط العامة، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، جامعة تونس الأولى، 1996-1997.
 - كريدة زهرة، الحبيب ثامر (1909-1949)، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منوبة تونس، السنة الجامعية 2004-2005.
 - كمون عبد السلام، مجموعة الإثنين والعشرين ودورها في تفجير الثورة الجزائرية 1954، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أدرار، السنة الجامعية 2012-2013.
 - موسي ليلي، عمل الحزب الدستوري في خضم الدعاية الألمانية: إفريقيا الفتاة مثلا (1 جانفي - 6 ماي 1943)، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة غير منشورة، كلية الآداب والفنون والإنسانية، قسم التاريخ، السنة الجامعية 2008-2009.
 - معزة عز الدين، فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية فكرية مقارنة، (1899 - 2000)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2009 2010.
 - ناصري محمد المختار، الحركة الوطنية التونسية بين البورقيلية واليوسفية (1934 - 1961)، شهادة الدراسات المعمقة غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 1990-1991.
 - نايت قاسي الياس، الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر وأثرها على احتلال الجزائر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2002-2003.
- الاجنبية:
- Chérif Faycal, La Tunisie dans la seconde guerre mondiale (impacts et attitudes avril 1938 – mai 1943), thèse de doctorat, université de paris (sorbonne), 2001.
 - Chérif Faycal, L'opinion publique tunisienne sous le gouvernement de Vichy (de l'armistice à la déposition de Bey Moncef), Diplôme d'études approfondies, université de paris 04 Sorbonne, 1993 -1994.

- العلاقي عبد الكريم، القسم التونسي للمجلس الكبير للبلاد التونسية غداة الحرب العالمية الثانية، أعمال الندوة الدولية الخامسة حول البلاد التونسية في فترة ما بين الحربين (1919-1939)، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس 1991.
 - القزدي حبيبو آخرون، تطور سياسة الحزب الشيوعي التونسي خلال الحرب العالمية الثانية (سبتمبر 1939 – ماي 1943)، ACTES du Séminaire sur l'histoire du Mouvement National (La Tunisie de 1939 à 1945) Ministère de l'éducation de l'enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique – Programme National de Recherche (P.N.R) du Mouvement National , Tunis , 1989.
5. المطبوعات الحكومية:

- المؤتمر الخامس للحزب الحر الدستوري الجديد (مؤتمر صفاقص)، نشره وزارة الشؤون الثقافية والأخبار، تونس، 1971.
6. الموسوعات:
- *العربية:

- الكيالي عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979.
 - المنجد في اللغة والأعلام، ط27، دارالمشرق، بيروت، 1975.
 - حمدان محمد، الموسوعة الصحفية العربية، ط2، ج4، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1995.
 - موسوعة المعرفة (شخصيات تاريخية – علماء)، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1987.
- الاجنبية:
- Grand dictionnaire encyclopédique Larous, T9, Librairie L'Arous, paris, 1983.

قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	الآية القرآنية
ب	الإهداء
ج	الشكر والتقدير
د-هـ	المختصرات
15-1	المقدمة
53-17	المدخل: الوضع السياسي في الجزائر وتونس قبل الحرب العالمية الثانية
33-21	المبحث الأول: وضع الحركة الوطنية الجزائرية قبيل الحرب.
53-34	المبحث الثاني: أحوال الحركة الوطنية التونسية قبيل الحرب
126-55	الفصل الأول: الحرب العالمية الثانية (1939-1945) وتأثيراتها على نشاط الحركة الوطنية الجزائرية
66-55	المبحث الأول: تجنيد الجزائريين وتأثيره على الحركة الوطنية الجزائرية.
58-55	أولاً: جذور فكرة التجنيد الإجباري في الجزائر
60-58	ثانياً: المجندون الجزائريون خلال الحرب العالمية الثانية
65-61	ثالثاً: مساهمة تجنيد الجزائريين في ترسيخ الوعي الوطني التحرري
66-65	رابعاً: موقف الحركة الوطنية من مسألة التجنيد
80-67	المبحث الثاني: تأثير الدعاية الخارجية على الجزائريين.
73-67	أولاً: دعاية دول المحور.
80-74	ثانياً: دعاية دول الحلفاء (الفرنسية - البريطانية).
94-81	المبحث الثالث: وضعية الحركة الوطنية الجزائرية خلال حكم فيشي (1940-1942).
85-82	أولاً: النشاط السري لحزب الشعب الجزائري.
88-85	ثانياً: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ونشاطها العلني.
91-88	ثالثاً: النواب الجزائريون ومطالبهم للإدارة الموالية للألمان.
94-91	رابعاً: نشاط حزب الشيوعي الجزائري.
126-95	المبحث الرابع: المسار الحركة الوطنية الجزائرية بعد الإنزال الأنجلو-سكسوني
103-95	أولاً: الإنزال الأنجلو-أمريكي بسواحل الجزائر.
126-103	ثانياً: النشاط السياسي في الجزائر في ظل تواجد قوات الحلفاء
198-128	الفصل الثاني: تأثيرات الحرب العالمية الثانية على نشاط الحركة الوطنية التونسية (1939-1945)
136-128	المبحث الأول: التونسيون في الجيش الفرنسي وتأثيره على الحركة الوطنية التونسية.
130-128	أولاً: تجنيد التونسيين خلال الحرب العالمية الثانية.
136-132	ثانياً: مساهمة تجنيد التونسيين في نشر الوعي الوطني.
148-137	المبحث الثاني: تأثير الدعاية الخارجية على التونسيين.
143-137	أولاً: دعاية دول المحور.

148-143	ثانيا: دعاية دول الحلفاء.
175-149	المبحث الثالث: نشاط الحركة الوطنية التونسية اثناء سيطرة حكومة فيشي
159-149	اولا: النضال السري للحزب الدستوري الجديد
164-159	ثانيا: النشاط السياسي للحزب الدستوري التونسي القديم
169-164	ثالثا: تنصيب المنصف باي على عرش تونس وتبنيه للمطالب التونسية.
175-170	رابعا: مواقف الحزب الشيوعي التونسي في ظل المتغيرات الدولية.
198-176	المبحث الرابع: الحركة الوطنية وتحولات مجرى الحرب لصالح الحلفاء (1945-1943)
182-176	اولا: سيطرة قوات الحلفاء على تونس
198-182	ثانيا: النشاط السياسي في تونس في ظل تواجد قوات الحلفاء
261-199	الفصل الثالث: مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال (1962- 1945)
237-199	المبحث الأول: العمل السياسي الجزائري في ظل المتغيرات الجديدة (1954 – 1945).
205-199	أولا: مجازر 8 ماي 1945 وتأثيرها على مسار الحركة الوطنية الجزائرية.
215-205	ثانيا: نشاط حركة انتصار الحريات الديمقراطية 1946.
224-215	ثالثا: الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري
232-225	رابعا: نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
237-232	خامسا: مواقف الحزب الشيوعي الجزائري من التطورات السياسية بعد الحرب
261-238	المبحث الثاني: ظهور العمل المسلح وتطوره (1962-1947)
246-238	أولا: المنظمة الخاصة ودورها في التحضير لثورة نوفمبر 1954
257-246	ثانيا: اندلاع الثورة الجزائرية 1954
261-257	ثالثا: المفاوضات الجزائرية الفرنسية وإعلان الاستقلال
327-262	الفصل الرابع: تطور النشاط الوطني التونسي من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال (1955-1945)
309-263	المبحث الأول: المتغيرات السياسي في تونس بعد الحرب العالمية الثانية (1952-1945)
272-263	أولا: تطور نشاط الجبهة الوطنية التونسية بعد الحرب العالمية الثانية
281-272	ثانيا: موقف الحزب الدستوري القديم من الإصلاحات والتفاوض مع فرنسا
287-281	ثالثا: نضال الاتحاد التونسي للشغل وعلاقته بالحزب الدستوري الحر التونسي الجديد
303-287	رابعا: نشاط الحزب الدستوري الجديد داخل تونس وخارجها
309-304	خامسا: موقف الحزب الشيوعي التونسي من القضية الوطنية
317-310	المبحث الثاني: انطلاق العمل المسلح وتطوره (1956-1952)
313-310	أولا: العمليات المسلحة للتونسيين قبيل اندلاع الثورة التونسية
324-313	ثانيا: اندلاع الثورة التونسية (1956-1952)

327-324	ثالثا: المفاوضات التونسية الفرنسية وعلان الاستقلال (1956-1952)
334-328	خاتمة
348-335	قائمة الملاحق
373-349	قائمة المصادر والمراجع
377-374	قائمة المحتويات

الملخص:

هذه الأطروحة دراسة تتناول تأثيرات الحرب العالمية الثانية على الحركة الوطنية في كل من تونس والجزائر، أبرزنا من خلالها موقفهما من الحرب، وما شهدته الجزائر وتونس من نشاط سياسي وعسكري خلال الحرب، وتطور للمطلب الوطني أين تبلورت النظرة الوحدوية داخل التيارات الوطنية، وبعد الحرب طرأت تحولات على العمل السياسي الوطني جعل الحركات الوطنية المغاربية أكثر تقارباً رغم الاختلاف في وجهات النظر، فبرز داخل التيار الاستقلالي جناح آمن بالعمل المسلح استطاع تجاوز وتحقيق هدفه الأساسي في الحرية والاستقلال.

الكلمات المفتاحية: الحرب العالمية الثانية، الحركة الوطنية، تونس، الجزائر، العمل المسلح، النشاط الوطني.

Résumé:

Cette thèse est une étude portant sur les effets de la Seconde Guerre mondiale sur le mouvement national en Tunisie et en Algérie, mis en évidence par leur position sur la guerre, et l'activité politique et militaire dont ont été témoins l'Algérie et la Tunisie pendant la guerre, et le développement de la demande nationale où la vision unitaire s'est cristallisée dans les courants nationaux, et après la guerre il y a eu des changements dans l'action politique nationale pour rapprocher les mouvements nationaux maghrébins malgré les divergences de vues, a émergé au sein du mouvement indépendant une aile sûre par l'action armée pourrait surmonter Il a atteint son objectif fondamental de liberté et d'indépendance.

Mots clés : Seconde Guerre mondiale, Mouvement national, Tunisie, Algérie, Action armée, Activisme national.

Summary:

This thesis is a study dealing with the effects of the Second World War on the national movement in both Tunisia and Algeria, highlighted by their position on the war, and the political and military activity witnessed by Algeria and Tunisia during the war, and the development of the national demand where the unitary view crystallized within the national currents, and after the war there were shifts in the national political action to make the Maghreb national movements closer despite differences of views, emerged within the independent movement a wing safe by armed action could overcome It achieved its fundamental goal of freedom and independence.

Key words: World War II, National Movement, Tunisia, Algeria, Armed Action, National Activis